العقد الفريد

تأليف

الفقيه أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي

المتوفى سنة ٣٢٨ هـ

بتحقيق

محمد سعيد العريان

الجزء الثاني

يطلب من

المكتبة التجارية الكبرى

جميع حقوق الطبع محفوظة

١٩٥٣ — ١٣٧٢

كتاب المرجانة

في مخاطبة الملوك

فرش كتاب المرجانة في مخاطبة الملوك

قال أبو عمر أحمدُ بن محمد بن عبد ربّه :

قد مضى قولُنا في الوفود والوافدات ، ومقاماتهم بين يدى نبى الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وبين يدى الخلفاء والملوك . ونحن قائلون بعون الله وتوفيقه وتأييده وتسديده في مُخاطبة الملوك ، والتزلّف إليهم بسِحر البيان ، الذى يُمازج الرُّوح لطافةً ، ويجرى مع النفس رقّة . والكلامُ الرقيق مصايدُ القلوب ، وإن منه لمَا يستعطف المُستشيطَ غيظاً ، والمُندمِلَ حِقداً ، حتى يُطفئَ جمرةَ غيظه ، ويَسُلّ دفائنَ حقده . وإنّ منه لمَا يستميل قلبَ اللئيم ، ويأخذ بسمع الكريم وبصره . وقد جعله الله تعالى بينه وبين خلقه وسيلةً نافعة . وشافعاً مقبولا : قال تبارك وتعالى : ﴿ فتلقّى آدمُ من ربّه كلماتٍ فتابَ عليهِ إنّهُ هوَ التّوابُ الرّحيم ﴾ .

وسنذكر في كتابنا هذا إن شاء الله تعالى من تخلّص من أُنشوطة الهلاك ، وتفلّتَ من حبائل المنيّة ، بحُسن التنصُّل ، ولطيفِ التّوصُّل ، ولِين الجواب ، ورقيق الاستعتاب ؛ حتى عادت سيّئاتُه حسنات ، وعِيضَ بالثواب بدلًا من العقاب وحفظ هذا الباب أوجَبُ على الإنسان من حفظ عرضه ، وألزمُ له من قوام بدنه .

البيان

كنه البيان

كلُّ شيء كشَف لك قناع المعنى الخفىّ حتى يتأدّى إلى الفهم ويتقبّله العقل ، فذلك البيانُ الذى ذكره الله في كتابه ، ومنّ به على عباده ؛ فقال تعالى :

﴿ الرَّحْمٰنُ عَلَّمَ القُرْآنَ . خَلَقَ الإنسَانَ عَلَّمَهُ البَيَانَ ﴾ .

للنبي صلى الله عليه وسلم

وسئل النبيّ صلى الله عليه وسلم : فيم الجمال؟ فقال : فى اللسان . يريد البيان.

وقال صلى الله عليه وسلم : إنّ من البيان لسحراً .

للعرب

وقالت العرب : أنفذُ من الرَّمِيّةِ كلمةٌ فصيحة[1] .

لبعض الشعراء

٥ وقال الراجز :

لقدْ خَشيتُ أنْ تكونَ ساحِرَا ❊ راوِيَةً مَرًّا ومَرًّا شاعِرَا

لسهل بن هارون

وقال سهل بن هارون : العقل رائد الروح ؛ والعِلم رائد العقل ، والبيان ترجمان العلم .

لبعضهم

وقالوا : البيان بصرٌ والعِيُّ عَمًى ، كما أنّ العِلم بصَر والجهل عمى : والبيان
١٠ من نِتاج العلم . والعِيّ من نتاج الجهل .

وقالوا : ليس لمنقوص البيان بهاء . ولو حَكَّ بيافوخِه عَنانَ السماء .

لصاحب المنطق

وقال صاحب المنطق : حدُّ الإنسان : الحيُّ الناطقُ المُبين .

وقال : الروح عماد البدن ، والعِلم عماد الروح ، والبيان عماد العِلم .

تبجيل الملوك وتعظيمهم

للنبي صلى الله عليه وسلم

١٥ قال النبيّ صلى الله عليه وسلم : إذا أتاكم كريمُ قومٍ فأكرموه .

للعلماء

وقالت العلماء : لا يُؤَمُّ ذو سلطان فى سلطانه ، ولا يُجلس على تكرمته إلا بإذنه .

لزياد

وقال زياد ابن أبيه : لا يُسَلَّمُ على قادم بين يدى أمير المؤمنين .

ليحيى بن خالد فى خطاب الملوك

وقال يحيى بنُ خالد بنِ برمك : مُساءلة الملوك عن حالها من سجيّة النَّوْكَى ؛
٢٠ فإذا أردت أن تقول : كيف أصبح الأمير ؟ فقل : صَبّحَ اللهُ الأميرَ بالنعمة والكرامة . وإذا كان عليلاً فأردتَ أن تسأله عن حاله ، فقل : أنزل اللهُ على

(١) فى بعض الأصول : خفية .

الأمير الشفاء والرحمة ؛ فإن الملوك لا تُسأَل ولا تشمّت ولا تكيّف . وأنشد :

إن الملوكَ لا يُخاطبُونا ٭ ولا إذا مَلُّوا يعاتبُونا

وفى المقَالِ لا يُنازَعُونا ٭ وفى العُطاسِ لا يُشَمَّتُونا

وفى الخِطابِ لا يُكيَّفُونا ٭ يُثْنَى عليْهم ويُبَجَّلونا

فافْهم وصاتِى لا تكُنْ مجْنونا ٥

ابن صبيح والفضل بن يحيى فى علته

اعتلّ الفضلُ بن يحيى ، فكان إسماعيل بن صبيح الكاتب إذا أتاه عائداً لم يَزد على السلام عليه والدّعاء له ، ويخفّف فى الجلوس ، ثم يلْقَى حاجبَه فيسأله عن حاله ومأكله ومشربه ونومه . وكان غيره يُطيل الجلوس . فلما أفاق من علّته قال : ماعادنى فى علّتى هذه إلا إسماعيل بن صبيح .

بين معاوية وأصحابه

١٠ وقال أصحاب معاوية له : إنّا ربمـا جَلسنا عندكَ فوق مقدارِ شهوتك ، فنريد أن تجعل لنا علامة نعرف بها ذلك فقال : علامةُ ذلك أن أقول : إذا شئتم .

وقيل ذلك ليزيد ، فقال : إذا قلت : على بركة الله .

وقيل ذلك لعبد الملك بن مروان ، فقال : إذا وضعتُ الخيزرانة من يدى .

فى خدمة الملوك

ومن تمـام خدمة الملوك أن يُقرِّب الخادمُ إليه نَعْليْه ولا يدعه يمشى إليهما ، ١٥ ويجعل النعلَ اليمنى مُقابلة الرجل اليمنى ، واليُسرى مقابلة اليسرى ، وإذا رأى مُتّكأً يحتاج إلى إصلاح أصلحه قبل أن يُؤْمَر ؛ فلا ينتظر فى ذلك أمرَه ؛ ويتفقّد الدواة قبل أن يأمره ، وينفُض عنهـا الغُبار إذا قرّبها إليه . وإن رأى بين يديه قِرطاسا قد تباعد عنه قرّبه ووضعه بين يديه على كَسْره .

الحجاج والشعبى

ودخل الشعبى على الحجاج ، فقال له : كم عطاءك ؟ قال : ألفين . قال : ويحك ! ٢٠ كم عطاؤكَ ؟ قال : ألفان . قال : فلِم لحنتَ فيما لا يَلحن فيه مثلُك ؟ قال : لَحَنَ الأميرُ فلحنت ، وأعربَ الأمير فأعربْت ؛ ولم أكن ليلحَنَ الأميرُ فأعرِبَ أنا عليه ، فأكون كالمُقرِّع له بلحنهِ ، والمُستطِيل عليه بفضل القول قبله ! فأعجبه ذلك منه ووهبه مالا .

قُبلة اليد

الرسول صلى الله عليه وسلم وتقبيل يده

عبد الرحمن بن أبي ليلى عن عبد الله بن عمر ، قال : كنا نقبِّل يد النبي صلى الله عليه وسلم .

تقبيل يد عمر ابن الخطاب

ومن حديث وكيع عن سفيان ، قال : قال : قبَّل أبو عبيدة يدَ عمر ابن الخطاب . ٥

ومن حديث الشَّعبي قال : لقي النبي عليه الصلاةُ والسلام جعفر بن أبي طالب فالتزمه وقبّل ما بين عينيه .

قال إياس بن دَغْفل : رأيت أبا نضرة يقبّل خدّ الحسين .

مصعب ورجل قبل يده

الشّيباني عن أبي الحسن عن مُصعب قال : رأيتُ رجلًا دخل علَى عليّ بن الحسين في المسجد فقبّل يدَه ووضعها على عينيه ؛ فلم يَنْهَهُ . ١٠

عبد الملك ورجل قبل يده

العتبي قال : دخل رجل على عبد الملك بن مروان فقبّل يده ، وقال : يدُك يا أمير المؤمنين أحقُّ يدٍ بالتقبيل ، لِعُلوِّها في المكارم ، وطُهرِها من المآثم ؛ وأنك تُقِلُّ التَّثريب ، وتصفح عن الذنوب ؛ فمن أراد بك سوءاً جعله الله حَصِيدَ سيفِك ، وطريد خوفِك .

بين المنصور وأبي بكر الهجري

١٥ الأصمعي قال : دخل أبو بكر الهجريّ على المنصور ، فقال : يا أمير المؤمنين، نَغَض فمي ، وأنتم أهل البيت بركة ، فلو أذنت فقبلت رأسك ، لعل الله يُمسك عليّ ما بقي من أسناني . قال : اختر بينها وبين الجائزة . فقال : يا أمير المؤمنين ، أيسر عليّ من ذهاب الجائزة ألّا تبقى في فمي حاكّة . فضحك المنصور وأمر له بجائزة .

بين سليمان وجعفر بن يحيى

٢٠ ودخل جعفر بن يحيى في زيّ العامة وكتمان النباهة على سُليمان صاحب بيت الحِكْمة ، ومعه ثُمامة بن أشرس ، فقال ثمامة : هذا أبو الفضل . فنهض إليه سليمان فقبّل يده وقال له : بأبي أنت ، ما دَعَاك إلى أن تحمّل عبدك هذه المِنّة التي لا أقوم بشكرها ، ولا أقدر أن أكافئ عليها .

عبدالله بن عباس وزيد بن ثابت

الشَّعبي قال : ركب زيدُ بن ثابت ، فأخذ عبدُ الله بن عبّاس بركابه ، فقال له : لاتفعل يابن عمّ رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : هكذا أُمِرْنا أن نفعل بعُلمائنا . قال له زيد : أرِنى يَدك . فأخرج إليه يده ، فأخذها وقبّلها ، وقال : هكذا أمَرَنا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أن نفعل بأهل بيتِ نبيّنا .

أنواع القبل

وقالوا قُبلة الإمام فى اليد ، وقُبلة الأب فى الرأس ، وقبلة الأخ فى الخدّ ، وقبلة الأخت فى الصدر ، وقبلة الزوجة فى الفم . ٥

من كره من الملوك تقبيل اليد

هشام ورجل قبل يده

العُتبى قال : دخل رجل على هشام بن عبد الملك فقبّل يده ، فقال : أُفٍّ له ، إن العرب قبّلت الأيدى إلا هُلوعا ، ولا فعلته العجمُ إلا خُضوعا .

واستأذن رجلٌ المأمونَ فى تقبيل يده ، فقال له : إنّ قبلة اليد من المسلم ذِلّة ، ومن الذِّمّىّ خَديعة ؛ ولا حاجة بك أن تذِلّ ، ولا بنا أن نُخدَع . ١٠

بين المهدى وأبى دلامة فى مثله

واستأذن أبو دلامة الشاعرُ المهدىَّ فى تقبيل يده ، فقال : أمّا هذه فدَعها . قال : ما مَنَعتَ عيالى شيئا أيسرَ فقداً عليهم من هذه .

حسن التوقيع فى مخاطبة الملوك

بين الرشيد وابن زائدة

قال هارون الرشيد لمَعن بن زائدة : كيف زمانك يامَعن؟ قال : يا أمير المؤمنين ، أنت الزمان ؛ فإن صَلُحتَ صلُح الزمان ، وإن فسدت فسدَ الزمان . ١٥

بين الرشيد وابن مسلم فى مثله

وهذا نظير قول سعيد بن سَلْم ، وقد قال له أميرُ المؤمنين الرشيد : مَنْ بيتُ قيس فى الجاهلية ؟ قال : يا أمير المؤمنين ، بنو فَزارة . قال : فَمَنْ بيتُهم فى الإسلام ؟ قال : يا أمير المؤمنين ، الشريفُ من شرّفتموه . قال : صدقت ! أنتَ وقومُك . ٢٠

أبو جعفر وابن زائدة

ودخل معن بن زائدة على أبى جعفر ، فقال له كَبِرتَ يامعن . قال : فى طاعتك يا أمير المؤمنين . قال : وإنك لَجَلْد ! قال : على أعدائك يا أمير المؤمنين . قال : وإنّ فيك لبقيّة . قال هى لك يا أمير المؤمنين . قال : أى الدولتين أحبُّ

إليك أو أبغض ، أدولتُنا أم دولة بنى أمية ؟ قال : ذلك إليك يا أمير المؤمنين ، إن زاد برك على برهم كانت دولتك أحبَّ إلىّ ، وإن زاد برهم على برك كانت دولتُهم أحبَّ إلىّ . قال : صدقت .

الرشيد وعبد الملك ابن صالح

قال هارون الرشيد لعبد الملك بن صالح : أهذا منزلُك ؟ قال : هو لأمير المؤمنين ولِى به . قال : كيف ماؤه ؟ قال : أطيبُ ماء . قال : فكيف هواؤه ؟ قال : أصحّ هواء .

المنصور وجرير ابن يزيد

قال أبو جعفر المنصور لجرير بن يزيد : إنى أردتُك لأمر . قال : يا أمير المؤمنين قد أعدّ اللهُ لك منى قلباً معقوداً بطاعتك ، ورأياً موصولا بنصيحتك ، وسيفاً مشهورا على عدُوِّك ؛ فإذا شئتَ فقل .

المأمون وطاهر ابن الحسين فى ابنه

وقال المأمون لطاهر بن الحُسين : صِفْ لى آبنك عبد الله . قال : يا أمير المؤمنين إن مدحتُه عِبتُه ، وإن ذممتُه آغتبتُه ، ولكنه قِدْحٌ فى كف مُثقِّف ليوم نِضال فى خدمة أمير المؤمنين .

بعض الخلفاء ورجل فى أمر

وأمر بعضُ الخلفاء رجلًا بأمر : فقال : أنا أطوَعُ لك من الرِّداء ، وأذلُّ لك من الحِذاء .

وقال آخر : أنا أطوع لك من يدك ، وأذلُّ لك من نعلك .

وهذا قاله الحسن بن وهب لمحمد بن عبد الملك الزيات .

المنصور وابن قتيبة

وقال المنصور لُمسلم[1] بن قُتيبة : ما ترى فى قتل أبى مُسلم ؟ قال : ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللهُ لَفَسَدَتَا ﴾ . قال : حَسْبُكَ أبا أُمية .

المأمون وابن مزيد

وقال المأمون ليزيد بن مَزيد : ما أكثر الخلفاء فى ربيعة ! قال : بلى ، ولكنّ منابرهم الجذوع .

المنصور وابن مسلم

وقال المنصور لإسحاق بن مُسلم : أفرطتَ فى وفائك لبنى أُمية . قال : يا أمير المؤمنين ، إنه مَن وَفَى لمن لا يُرْجَى كان لمن يُرْجى أوْفَى .

(١) فى بعض الأصول : « سلم » . وفى بعض آخر « سالم » .

الرشيد وابن صالح

وقال هارون لعبد الملك بن صالح : صِفْ لى مَنْبِج . قال : رقيقةُ الهواء ، لينة الوطاء . قال : فصف لى منزلَك بها . قال : دون منازلِ أهلى ، وفوق منازل أهلها . قال : ولِمَ وقدْرُك فوق أقدارهم ؟ قال : ذلك خُلُق أميرِ المؤمنين أتأسّى به ، وأقفو أثرَه ، وأحذو مثالَه .

المأمون وغلام فى الديوان

ودخل المأمون يوماً بيت الديوان ، فرأى غلاما جميلا على أذنه قلم ، فقال : من أنت يا غلام ؟ قال : أنا النـاشئُ فى دولتك ، والمتقلِّبُ فى نعمتك ، والمؤمِّلُ لخدمتك ، الحسنُ بنُ رجاء . قال المأمون : بالإحسان فى البديهة تفاضَلت العقول ؛ ارفعوا هذا الغلام فوق مرتبته .

المتوكل وابن الجهم فى رأس إسحاق بن إسماعيل

على بن يحيى قال : إنى عند المُتوكل حين دخل عليه الرسول برأس إسحاق بن إسماعيل ، فقام على بن الجهم يخطر بين يدى المتوكل ويقول :

أهلًا وسهلًا بِكَ مِن رسولِ ٭ جِئْتَ بما يَشفِى منَ الغليلِ

٭ برأسِ إسْحٰق بْن إسماعيل ٭

فقال المتوكل : قوموا التقطوا هذا الجوهر لئلا يضيع .

عقال وأبو عبيد الله

ودخل عقّال بن شَبّة على أبى عُبيد الله كاتب المهدى ، فقال : يابن عقّال ، لم أرك منذ اليوم ! قال : والله إنى لألقاك بشَوق ، وأغيب عنك بِتَوْق .

عبد العزيز بن مروان ونصيب

وقال عبدُ العزيز بن مروان لنُصيب بن رَباح ـ وكان أسود ـ : يانصيب هل لك فيما يُثمر المحادثة ؟ يريد المُنادمة . فقال : أصلح الله الأمير ، اللون مُرمَّد ، والشعر مُفَلْفَل ، ولم أقعد إليك بكريم عُنْصر ، ولا بحُسن مَنظر ، وإنما هو عَقْلى ولسانى ؛ فإن رأيتَ ألّا تفرقَ بينهما فافعل .

المأمون ووداعه الحسن بن سهل

ولما ودّع المأمونُ الحسنَ بن سهل عند مخرجه من مدينة السلام ، قال له : يا أبا محمد ، ألك حاجةٌ تعهد إلىّ فيها ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين ، أن تحفظ علىّ من قلبك مالا أستعين على حفظه إلا بك .

المأمون وسعيد ابن مسلم

وقال سعيد بن مُسلم بن قُتيبة للمأمون : لو لم أشكر الله إلا على حُسن ما أبلانى فى أمير المؤمنين من قَصْدِه إلىّ بحديثه ، وإشارتِه إلىّ بطرْفه ، لكان

ذلك من أعظم ما تُوجبه النّعمة، وتَفرِضه الصنيعة. قال المأمون: ذلك والله لأنّ الأمير يجد عندك من حُسن الإفهام إذا حَدّثت، وحُسْنِ الفهم إذا حُدِّثت، ما لا يجدُه عند غيرك.

مدح الملوك والتزلف إليهم

أردشير حين ولى

٥ فى سِيَرِ العجم أن أردشير بنَ يزْدجرد لما آستوثق له أمرُهُ، جمع الناس فخطبهم خُطبة حضّهم فيها على الألفة والطاعة، وحذّرهم المعصية ومفارقة الجماعة، وصنّف لهم الناس أربعة أصناف، فخروا له سُجّدا، وتكلم متكلّمُهم، فقال: لا زلتَ أيها الملك مَحْبُوًّا من الله بعز النصر، ودَرَكِ الأمل، ودوام العافية، وتمام النّعمة، وحُسن المزيد: ولا زلت تَتابع لديك المكرُمات، وتشفع إليك الذّمامات،

١٠ حتى تبلغ الغاية التى يؤمَنُ زوالُها، ولا تَنقطع زهرتُها، فى دار القَرار التى أعدّها الله لنُظرائك من أهل الزُّلْفى عنده، والحُظْوَةِ لديه، ولا زال ملكك وسُلطانك باقيين بقاء الشمس والقمر، زائدين زيادة البُحور والأنهار، حتى تستوى أقطارُ الأرض كلها فى عُلُوِّك عليها، ونَفاذ أمرِك فيها؛ فقد أشرق علينا من ضياء نُورك ما عَمّنا عُمومَ ضياءِ الصبح، ووصل إلينا من عظيم رأفتك ما آتصل بأنفسنا آتصال النسيم:

١٥ فأصبحتَ قد جمع الله بك الأيادى بعد آفتراقها، وألف بين القلوب بعد تباغُضها، وأذهبَ عنا الإحنَ والحسائك[1] بعد توقّد نيرانها، بفضلك الذى لا يُدْرَك بوصف، ولا يُحَدُّ بنعت.

فقال أردشير: طوبَى للممدوح إذا كان للمدح مُستَحِقّا، وللداعى إذا كان للإجابة أهلا.

حسان بن ثابت والجفنى

٢٠ دخل حسّان بن ثابت على الحارث الجفْنىّ فقال: أنعم صباحاً أيها الملك، السماء غطاؤك، والأرض وطاؤك، ووالدى ووالدتى فداؤك. أنَّى يُناوئك المنذر[2]؟ فوالله لَقَذَالُك أحسنُ من وجهه، ولأُمكَ أحسَنُ من أبيه، ولَظِلُّك خير من شَخْصِه،

(١) فى بعض الأصول: «الحسائف»، وفى بعضها «الحسائد».
(٢) هو المنذر بن المنذر بن ماء السماء.

ولصمتُك أبلغ من كلامه ، ولشِمالُك خيرٌ من يمينه . ثم أنشأ يقول :

وُنبِّئت أنّ أبا مُنذر ❊ يُساميك للحدث الأكبر

قذالك أحسَنُ من وجهِهِ ❊ وأُمّكَ خيرٌ من المُنذِرِ

ويُسرَى يدَيْكَ إذا أعْسرتْ ❊ كَيُمْنى يديْهِ فلا تَمترِ

خالد القسرى يهنئ عمر بن عبد العزيز

ودخل خالد بن عبد الله القَسرىّ على عُمر بن عبد العزيز لما ولِىَ الخلافة ، فقال : يا أمير المؤمنين ، مَن تكون الخلافة قد زانته فأنتَ قد زِنْتها ، ومَن تكون شرّفته فأنتَ قد شرفْتها ، وأنت كما قال الشاعر :

وإذا الدُّرُّ زانَ حُسنَ وُجوه ❊ كان للدُّرِّ حُسنُ وَجْهِك زَينَا

فقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله : أُعْطِىَ صاحبُكم مَقُولًا ولم يُعْطَ مَعْقولا .

المأمون ومادح له عند دخوله بغداد

ذكر ابن أبى طاهر قال : دخل المأمون بغداد ، فتلقّاه وجوه أهلها ، فقال له رجل منهم : يا أمير المؤمنين ، بارك الله لك فى مَقْدَمِك ، وزاد فى نعمتك ، وشكرك عن رعيّتك ، تقدّمْتَ مَن قبلك ، وأتعبتَ مَن بعدك ، وآيستَ أن يُعايَنَ مِثلُك أما فيما مضى فلا نعرفه ، وأما فيما بقى فلا نَرجوه ، فنحن جميعاً ندعو لك ، ونُثنى عليك . خَصِبَ لنا جنابُك ، وعذُبَ شرابُك . وحسنتْ نظرتُك ، وكَرُمَتْ مقدرتُك . جَبرْتَ الفقير ، وفككتَ الأسير ، فأنت يا أمير المؤمنين كما قال الأول :

ما زلتَ فى البَذْلِ للنوال وإطْلاق لِعانٍ بجُرْمِه عَلِقِ

حتى تمنى البِراء أنهمُ ❊ عندكَ أسْرَى فى القيْدِ والحلَقِ

بين خالد القسرى وبعضهم فى مثله

ودخل رجل على خالد بن عبد الله القَسرى فقال : أيها الأمير ، إنك لتَبذلُ ماجَلّ ، وتجبرُ ما اعتَلّ ، وتُكْثِرُ ما قل ، ففضلك بديع ، ورأيك جميع .

بين الحسن ابن سهل وآخر

وقال رجل للحسن بن سهل : لقد صرتُ لا أستكثر كثيرك ولا أستقلُّ قليلك ! قال : وكيف ذلك ؟ قال : لأنك أكثرُ من كثيرك ، وأنّ قليلك أكثر من قليل غيرك .

ابن صفوان ووال دخل عليه

وقال خالد بن صفوان لوالٍ دخل عليه : قدمتَ فأعطيت كُلاًّ بقِسْطه من نظرك ومجلسك ، وصِلاتك وعِداتك ، حتى كأنك من كل أحد ، أو كأنك لستَ من أحد !

بين الرشيد وبعض الشعراء

وقال الرشيد لبعض الشعراء : هل أحدثتَ فينا شيئا ؟ قال : يا أمير المؤمنين ، المديحُ كلُّه دونَ قدرك ، والشعرُ فيك فوق قدري ، ولكني أستحسن قول العتّابي :

ماذا عسى مادِحٌ يُثْنِي عليكَ وقد ٭ ناداكَ في الوحي تقديسٌ وتطهيرُ

فُتَّ المَادِحَ إلا أنّ أَلسُنَنا ٭ مُستَنطَقاتٌ بما تُخْفِي الضَّمايِرُ

لابن صفوان في مدح رجل

٥ مدح خالدُ بن صفوان رجلا فقال : قريعَ المنطق ، جَزْلَ الألفاظ ، عربيَّ اللسان ، قليلَ الحركات ، حَسَنَ الإشارات ، حُلوَ الشمائل ، كثيرَ الطّلاوة ، صَمُوتاً قَئُولا ، يَهنأ الجَرَب ، ويداوي الدَّبَر ، ويُقِلّ الحزّ ، ويُطَبِّق المِفْصَل . لم يكن بالزَّمِر في مُروءته ، ولا بالهَذِر في مَنْطِقِه ، متبوعا غيرَ تابع .

٭ كأنه علم في رأسه نار [1] ٭

الرشيد وسهل ابن هارون

١٠ دخل سهل بن هارون على الرشيد ، فوجده يُضاحك ابنه المأمون ، فقال : اللهم زِده من الخيرات ، وابْسُطْ له في البركات ، حتى يكونَ كلُّ يوم من أيامه مُوفِياً على أمسه ، مُقصِّراً عن غدِه . فقال له الرشيد : ياسهل ، مَن روى من الشعر أحسنَه وأجوده ، ومن الحديث أصحَّه وأبلغَه ، ومن البيان أفصحَه وأوضحه ، إذا رام أن يقول لم يُعجزه ؟ قال سهل : يا أمير المؤمنين ، ما ظننتُ أحداً تقدَّمني

١٥ سبقني إلى هذا المعنى . فقال : بل أعشى همدان حيث يقول :

وجدتُكَ أَمسِ خيرَ بني لُؤيٍّ ٭ وأنت اليومَ خيرٌ منكَ أمسِ

وأنتَ غداً تَزِيدُ الخيرَ ضِعْفاً ٭ كذاكَ تزيدُ سادة عبدِ شمسِ

المأمون وسهل ابن هارون

وكان المأمون قد استثقل سهلَ بن هارون ، فدخل عليه يوماً والناس عنده على منازلهم ، فتكلم المأمونُ بكلامٍ ذَهَب فيه كل مذهب ، فلما فرغ أقبل سهل

٢٠ ابن هارون على ذلك الجمع فقال : مالكم تَسمعون ولا تَعُون ، وتفهمون ولا تعجَبون ، وتَعجبون ولا تَصِفون ؟ أما والله إنه ليقول ويفعل في اليوم القصير مثلَ ما قالت وفعلتْ بنو مروانَ في الدهر الطويل ، عَرَبُكم كعَجَمهم ، وعجمُهم

(١) صدره : « وإن صخراً لتأتم الهداة به » ؛ والبيت للخنساء .

كعربِ بنى تميم ؛ ولكن كيف يَشعر بالدواء مَن لا يعرف الداء ؟ قال : فرجع له المأمون إلى رأيه الأول .

الحجاج وزياد العتكى

وكان الحجاج بن يوسف يستثقل زياد بن عمرو العَتكىّ ، فلما أثنى الوفدُ على الحجاج عند عبد الملك بن مروان ، قال زياد : يا أمير المؤمنين ، إنّ الحجاج سيفُك ٥ الذى لا يَنْبُو ، وسهمُك الذى لا يَطيش ، وخادمُك الذى لا تأخذه فيك لومةُ لائم . فلم يكن بعد ذلك عند الحجاج أحدٌ أخفَّ ولا أحَبَّ إليه منه .

لابن شبية فى صالح بن المنصور

حدّث الشَّيبانى قال : أقام المنصور صالحاً ابنَه فتكلم فى أمر فأحسن ؛ فقال شبيب بن شبية : تالله ما رأيتُ كاليوم أبْيَنَ بيانا ، ولا أعرب لسانا ، ولا أرْبَطَ جأشا ، ولا أبَلَّ رِيقا ، ولا أحسنَ طريقا . وحق لمن كان المنصورُ أباه ، والمهدى أخاه ، أن يكون كما قال زُهير : ١٠

هو الجَوَادُ فإن يَلْحَقْ بِشَأْوِهِما ... على تَكالِيفِهِ فَمِثْــلُهُ لَحِقَا
أوْ يَسْبِقاهُ على ما كان من مَهَلٍ ... فَمِثْلِ ما قَدّما من صالحٍ سَبَقَا

لابن شبية فى الخلافة

وخرج شَبيب بن شَبية من دار الخلافة يوما ، فقيل له : كيف رأيتَ الناس ؟ قال : رأيت الداخل راجيا ، والخارج راضيا .

لبعض الخلفاء فى ابن شبية

وقيل لبعض الخلفاء : إن شبيب بن شبية يستعمل الكلام ويستعدّ له ، فلو ١٥ أمرته أن يصعد المنبر فَجْأة لافتضح . قال : فأمر رسولًا فأخذ بيده فصعّده المِنبر : فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على النبى صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : ألا إن لأمير المؤمنين أشباهاً أربعة : فمنها الأسد الخادر ، والبحر الزاخر ، والقمر الباهر ، والربيع الناضر ؛ فأما الأسد الخادر فأشْبه منه صولته ومضاءه ، وأمّا البحر الزاخر فأشبه منه جوده وعطاءه ، وأما القمر الباهر فأشبه منه نوره وضياءه ، وأما الربيع ٢٠ الناضر فأشبه منه حسنه وبهاءه . ثم نزل .

بين عبد الملك وذى حاجة

قال عبد الملك بن مروان لرجل دخل عليه : تكلم بحاجتك . قال : يا أمير المؤمنين ، بُهْرُ الدرَجة وهَيبةُ الخِلافة يَمنعانى من ذلك . قال : فَعَلى رِسْلِك ، فإنا لا نحبُّ مَدْح المُشاهدة ، ولا تَزكيةَ اللقاء . قال : يا أمير المؤمنين ، لستُ أمدحُك ، ولكن

أحمد الله على النعمة فيك . قال : حَسْبُكَ فقد أَبْلَغْت .

بين المنصور وذى حاجة

ودخل رجل على المنصور ، فقال له : تكلّم بحاجتك . فقال : يُبقيك الله يا أمير المؤمنين . قال : تكلّم بحاجتك ، فإنك لا تقدر على هذا المقام كل حين . قال والله يا أمير المؤمنين ، ما أستقصر أجلَك ، ولا أخاف بُخلَك ، ولا أغتنم مالَك ؛ وإنّ عطاءك لشرَف ، وإن سُؤالك لزَيْن ، وما لامرئ بَذَل وجهه إليك نقْص ولا شيْن . قال : فأحسن جائزته وأكرمه .

بين المأمون والعمانى

حدّث إبراهيم بن السّندى قال : دخل العُمانىّ على المأمون ، وعليه قَلَنسُوَة طويلة وخُف ساذَج ، فقال له : إيّاك أن تُنشدنى إلّا وعليك عِمامة عظيمة الكَوْر وخُفان رائقان [1] . قال : فغدا عليه فى زِى الأعراب فأنشده ، ثم دنا فقبّل يده وقال : قد والله يا أمير المؤمنين أنشدتُ يزيدَ بن الوليد ، وإبراهيمَ بن الوليد ، ورأيتُ وجوهَهما ، وقبّلت أيديهما ، وأخذت جوائزَهما ؛ وأنشدتُ مروان وقبّلْتُ يده وأخذت جائزته ، وأنشدت المنصورَ ورأيتُ وجهه وقبّلت يده وأخذت جائزته ، وأنشدت المهدىّ ورأيت وجهه وقبلت يده وأخذت جائزته ، إلى كثير من أشباه الخلفاء ، وكبراء الأمراء والسادة الرؤساء ، فلا والله يا أمير المؤمنين ما رأيتُ فيهم أبهى منظراً ، ولا أحسنَ وجهاً ، ولا أنعمَ كفًا ، ولا أندَى راحةً منك يا أمير المؤمنين . قال : فأعظم له الجائزة على شِعره ، وأضعَف له على كلامه وأقبل عليه بوجهه وبِشْره ، فبسطه حتى تمنى جميعُ مَن حضره أنهم قاموا مقامه .

عمر بن عبد العزيز ووفد العراق ومحمد القرظى

حدّث العتبي عن سُفيان بن عُيينة قال : قَدِم على عمر بن عبد العزيز ناسٌ من أهل العراق ، فنظر إلى شاب منهم يتحوّش للكلام ، فقال : أكبِرُوا أكبِرُوا . فقال : يا أمير المؤمنين ، إنه ليس بالسِن ، ولو كان الأمر كله بالسن لكان فى المسلمين من هو أسَنُّ منك . فقال عمر : صدقتَ رحمك الله ، تكلم . فقال : يا أمير المؤمنين ، إنا لم نأتك رغبة ولا رهبة ؛ أما الرغبةُ فقد دخلتْ علينا منازلنا وقَدِمتْ علينا بلادَنا ؛ وأما الرهبة فقد أمَّنَنا الله بِعَدْلك من جَوْرك . قال : فما

(١) فى بعض الأصول : دلفان .

أنتم؟ قال: وفدُ الشكر. قال: فنظر محمد بن كعب القُرظى إلى وجه عمر يتهلل، فقال: يا أمير المؤمنين؛ لا يغلِبَنّ جهلُ القوم بك معرِفَتك بنفسك: فإن ناساً خدعهم الثناء وغرّهم شكرُ الناس فهلكوا، وأنا أُعيذك بالله أن تكون منهم. فألقى عمر رأسه على صدره.

التنصل والاعتذار

٥

للنبي صلى الله عليه وسلم

قال النبي صلى الله عليه وسلم: من لم يقبل من مُتنصّل عذراً، صادقاً كان أو كاذباً، لم يَرِدْ علىّ الحوْض.

وقال: المُعترف بالذنب كمَن لا ذنبَ له. وقال: الاعتراف يَهدم الاقتراف.

لبعض الشعراء

وقال الشاعر:

إذا ما امْرؤ مِنْ ذنبهِ جاء تائباً * إليكَ فلمْ تغفرْ لهُ فلك الذّنبُ

١٠

واعتذر رجل إلى إبراهيم بن المهدى. فقال: قد عذَرتُك غير مُعْتَذِرٍ، إن المعاذير يشوبها الكذب.

جعفر بن يحيى ومعتذر

واعتذر رجل إلى جعفر بن يحيى، فقال: قد أغناك الله بالعذر عن الاعتذار، وأغنانا بحُسن النية عن سوء الظن.

١٥

وقال إبراهيم الموصلى: سمعتُ جعفر بن يحيى يعتذر إلى رجل من تأخر حاجةٍ ضَمِنها له، وهو يقول: أحتجُّ إليك بغالبِ القضاء، وأعتذرُ إليكَ بصادِق النيّة.

رجل يعتذر إلى ملك

وقال رجل لبعض الملوك: أنا من لا يُحاجُّك عن نفسه، ولا يُغالِطك فى جُرمه، ولا يلتمس رضاك إلا من جهة عفوِك، ولا يستعطفك إلا بالإقرار بالذنب، ولا يَستميلك إلا بالاعتراف بالزَّلّة.

٢٠

للحسن بن وهب

وقال الحسنُ بن وهب:

ما أحْسَنَ العفوَ مِنَ القادِرِ * لا سِيَّما عنْ غيرِ ذِى ناصِرِ

إنْ كان لى ذنْبٌ ولا ذنْبَ لى * فما لهُ غَيْرُكَ مِنْ غافِرِ

أَعُوذُ بالوُدِّ الذي بيْنَنا ، أن يَفْسُد الأوَّلُ بالآخِرِ

ولهُ إلى ابن الزيات

وكتب الحسن بن وهب إلى محمد بن عبد الملك الزيات .

أبا جَعْفَرٍ ، ما أَحْسَنَ العفوَ كُلَّهُ ، ولا سِيَّما عن قائِلٍ لَيْسَ لى عُذْرُ

لبعض الشعراء

وقال آخر :

٥ اقْبلْ معاذِيرَ مَن يأتيكَ مُعتذِراً ، إنْ بَرَّ عندكَ فيما قال أوْ فَجَرَا

فقَدْ أطاعكَ مَنْ أرْضاكَ ظاهِرُهُ ، وقد أجَلَّكَ مَنْ يعْصِيكَ مُسْتَتِرَا

خيرُ الخليطين من أغضى لصاحبه ، ولو أراد انتصارا منه لانتصرا

للحكماء

وقالت الحكماء : ليس من العدل سرعةُ العذل .

للأحنف

وقال الأحنف بن قيس : رُبَّ ملومٍ لا ذنب له .

١٠ وقال آخر :

« لعلَّ لهُ عُذْرًا وأنتَ تلومُ »

لحبيب

وقال حبيب :

البِرُّ بى مِنْكَ وطّى العُذرَ عِندكَ لى ، فيما أتاكَ فلَمْ تقْبَلْ ولم تلُمِ

وقامَ عِلمُكَ بى فاحْتَجَّ عِندَكَ لى ، مقامَ شاهِدٍ عدْلٍ غير مُتَّهَمِ

١٥ وقال آخر :

إذا اعْتَذَر الجانِى محا العُذْرُ ذنْبَهُ ، وكُلُّ امْرِئٍ لا يقْبَلُ العُذْرَ مُذنِبُ

لابن عبد ربه

ومن قولنا فى هذا المعنى :

عذيرِىَ مِنْ طُولِ البُكا لوْعَةُ الأسَى ، ولَيْسَ لِمَنْ لا يقبَلُ العُذْرِ مِنْ عُذْرِ

وقال آخر :

٢٠ فَهَبْنِى مُسِيئاً كالّذِى قُلتَ ظَالِمًا ، فعفْوٌ جميلٌ كىْ يكونَ لك الفضْلُ

فإنْ لم أكُنْ للعَفْوِ عِنْدَكَ لِلّذِى ، أتيتُ بِهِ أهْلًا فأنتَ لهُ أهْلُ

لبعضهم فى تجنب الاعتذار

ومن الناس مَن لا يرى الاعتذار ، ويقول : إياك وما يُعتذَرُ منه .

وقالوا : ما اعتذر مذنبٌ إلا ازداد ذنباً .

للوراق

وقال الشاعر محمود الوراق :

إذا كانَ وجْهُ العُذْرِ ليْسَ ببَيّن ... فإنّ اطّراح العذْرِ خيرٌ مِنَ العُذْرِ

بين عبدالملك وابن شهاب الزهرى

قال ابن شِهاب الزهرى : دخلتُ على عبد الملك بن مروان فى رجال من أهل المدينة ، فرآنى أحدثَهم سنا ؛ فقال لى : من أنت ؟ فانتسبتُ له . فقال : لقد كان أبوك وعمك نَعّاقَين فى فتنة ابن الأشعث . فقلت : يا أمير المؤمنين ، إنّ مثلك إذا عفا لم يعدِّد ، وإذا صَفَحَ لم يُثَرِّبْ . فأعجبه ذلك ، وقال : أين نشأت ؟ قلت : بالمدينة . قال : عند مَنْ طَلبْت ؟ قلت : سعيدِ بنِ المسيِّب ، وسليمانَ بنِ يسار ، وقبيصةَ بن ذؤيب . قال : فأين أنت من عُروة بن الزبير ! فإنه بحر لا تكدِّره الدِّلاء . فلما انصرفتُ من عنده لم أبارحْ عُروةَ بن الزبير حتى مات .

بين محمد بن سليمان وابن السماك

ودخل ابن السماك على محمد بن سليمان بن على ، فرآه مُعرِضاً عنه ، فقال : مالى أرى الأمير كالعاتب علىّ ؟ قال : ذلك لشىء بلغنى عنك كرِهْتُه . قال : إذاً لا أُبالى . قال : ولِمَ ؟ قال : لأنه إذا كان ذنباً غَفرْتَه ، وإن كان باطلا لم تقبَله .

بين المنصور وجرير بن عبد الله

دخل جرير بن عبد الله على أبى جعفر المنصور ، وكان واجداً عليه ، فقال له : تكلّم بحُجّتِك . فقال : لو كان لى ذنب تكلّمتُ بعذرى ، ولكن عفوَ أميرِ المؤمنين أحبُّ إلىّ من براءتى .

الهادى ومذنب

وأُتى موسى الهادى برجل ، فجعل يُقرِّعه بذنوبه . فقال : يا أميرَ المؤمنين ، إن اعتذارى مما تُقرِّعنى به ردٌّ عليك ، وإقرارى به يُلزِمُنى ذنباً لم أجْنِه ، ولكن أقول :

فإن كنتَ ترجو فى العقوبةِ راحةً ... فلا تزْهَدَنْ عند المُعافاةِ فى الأجرِ

بين المأمون وابن الفارسى

سُعِىَ بعبد الملك بن الفارسى إلى المأمون ، فقال له المأمون : إن العدلَ مَنْ عدّلَه أبو العباس ، وقد كان وَصَفَك بما وَصف به ، ثم أتتنى الأخبارُ بخلاف ذلك . فقال : يا أمير المؤمنين ، إن الذى بلغك عنى تحميلٌ علىّ ، ولو كان كذلك لقلتُ : نعم ، كما بلغك . فأخذتُ بحظّى من الله فى الصدق ، واتّكلتُ على فضل

أمير المؤمنين فى سَعَةِ عَفْوِه . قال : صدقت .

المأمون وابن يوسف وشكاية شده

محمد بن القاسم الهاشمى أبو العَيناء، قال : كان أحمد بن يوسف الكاتب قد تولى صدقات البصرة ، فجار فيها وظلم ، فكثُر الشاكى له والداعى عليه ، ووافى بابَ أمير المؤمنين زُهاء خمسين رجلا من جِلَّة البصريين : فعزله المأمون ، وجلس لهم مجلساً خاصا وأقام أحمدَ بنَ يوسف لمناظرتهم ، فكان مما حُفظ من كلامه أن قال :

يا أمير المؤمنين ، لو أن أحداً ممن وَلِىَ الصدقاتِ سَلِمَ من الناس لسَلِمَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال الله عز وجل : ﴿ ومنهم مَنْ يَلْمِزُكَ فى الصَّدَقَاتِ فإنْ أُعْطُوا منها رَضُوا وإنْ لم يُعْطَوْا منها إذا هُمْ يَسْخَطُون ﴾

فأعجب المأمونَ جوابُه . واستجزل مقاله ، وخلَّى سبيله ،

محمد بن القاسم الهاشمى أبو العيناء قال : قال لى أبو عبد الله أحمد بن أبى دواد : دخلت على الواثق ، فقال لى : مازال قومٌ فى ثَلْبِك ونَقْصِك ! فقلت : يا أمير المؤمنين ، لكلِّ امرئ منهم ما اكتَسَبَ من الإثم والذى تولَّى كِبْرَهُ منهم له عذابٌ عظيم ، واللهُ ولىُّ جزائه ، وعقابُ أمير المؤمنين مِن ورائه ، وماذَلَّ مَن كنتَ ناصره ، ولا ضاع مَن كنت حافظَه : فماذا قلت لهم يا أمير المؤمنين ؟ قال : قلت أبا عبد الله .

وسَعَى إلىَّ بعيْب عَزَّةَ مَعْشَرٌ * جَعل الإلهُ خُدُودَهُنَّ نِعالَهـا

قال أبو العينـاء : قلت لأحمد بن أبى دواد : إن قَوماً تظافروا علىَّ ! قال : ﴿يدُ الله فوق أيديهم﴾ قلت : إنهم عَددٌ وأنا واحد ! قال : ﴿ كم مِن فِئة قليلة غَلَبَتْ فِئةً كثيرةً ﴾ قلت : إن للقوم مَكراً ! قال : ﴿ ولا يَحِيقُ المكرُ السَّيِّئُ إلَّا بأهلِه ﴾ . قال أبو العيناء : فحدّثتُ بهذا الحديث أحمدَ بن يوسف الكاتب ، فقال : مايرى ابن أبى دواد إلا أنّ القرآنَ أُنزل عليه .

قال : وهجا نهارُ بن توسعة قُتيبةَ بن مُسلم ، وكان وَلِىَ خُراسانَ بعد يزيد

بين قتيبة بن مسلم ونهار بن توسعة

ابن المهلّب ، فقال :

كانت خُراسانُ أرضاً إذ يَزيدُ بها * وكلُّ بابٍ منَ الخيراتِ مفتوحُ
فبُدِّلتْ بعدَه قِرْداً نَطوفُ به * كأنما وجهُه بالخَلِّ مَنضوحُ

فطلبه فهرب منه ، ثم دخل عليه بكتاب أمّه ؛ فقال : ويحك ! بأى وجهٍ تلقانى؟ قال : بالوجه الذى ألقَى به ربِّى ، وذُنوبى إليه أكثرُ من ذنوبى إليك . فقرّبه ووصلَه وأحسنَ إليه .

المنصور وابن فضالة

وأقبل المنصور يوما راكباً والفرجُ بن فَضالة جالس عند باب الذَّهب ، فقام الناس إليه ولم يقم . فآستشاط المنصور غيظاً وغضباً ، ودعا به فقال : ما مَنَعَك من القيام مع الناس حين رأيتَنى ؟ قال : خفتُ أن يسألنى الله تعالى : لِمَ فعلتَ ؟ ويسألَك عنه : لِمَ رضِيتَ ؟ وقد كرهه رسول الله صلى الله عليه وسلم فسكن غضبُه وقرّبه وقضى حوائجه .

المأمون وابن أكثم

يحيى بن أكثم ، قال : إنى عند المأمون يوماً ، حتى أُتىَ برجل تُرْعَدُ فرائصُه ، فلما مَثَل بين يديه قال له المأمون : كفرْتَ نعمتى ولم تشكر معروفى ! قال : يا أمير المؤمنين ، وأين يقع شُكرى فى جَنْبِ ما أنعم الله بك علىّ ؟ فنظر إلىّ وقال متمثّلا :

فلو كان يَستَغنِي عنِ الشكرِ ماجدٌ * لكثْرة مالٍ أوْ علوِّ مكانِ
لما نَدَب اللهُ العبادَ لِشكرِه * فقال اشكروا لى أيها الثَّقلانِ

ثم التفت إلى الرجل فقال له : هلّا قلت كما قال أصرم بن حُميد :

رَشّحتَ حمدِىَ حتى إننى رجلٌ * كلّى بكلِّ ثَنــاءٍ فيك مُشتغِلُ
خَوّلتَ شُكرِىَ ماخوّلتَ من نِعمٍ * فحُرُّ شُكرى لما خوّلتَنى خَوَلُ

الاستعطاف والاعتراف

بين المهدى وابن داود

لما سَخِط المهدى على يعقوب بن داود ، قال له : يا يعقوب ، قال : لبيك يا أمير المؤمنين تلبيةَ مكروب لموجدَتِك . قال : ألم أرفع من قدرك إذ كنتَ

وضيعا ، وأُبعدْ من ذِكرك إذ كنت خاملا ، وأُلبِسْك من نعمتى مالم أجد لك بها يدَين من الشكر ؛ فكيف رأيت الله أظهر عليك وردَّ إليك منك ؟ قال : إن كان ذلك بعلمك يا أمير المؤمنين فتصديقُ مُعترِفٍ مُنيب ، وإن كان مما آستخرجتْه دفائن الباغين فعائذٌ بفضلك . فقال : والله لولا الحِنْثُ فى دَمك بما تقدَّم لك ، ٥ لألبستُك منه قميصا لا تَشُدُّ عليه زِرًّا . ثم أمر به إلى الحَبس ، فتولّى وهو يقول : الوفاء يا أمير المؤمنين كرم ، والمودة رَحِم ، وأنت بهما جدير .

أخذت الشعراء معنى قوله « ألبستُك منه قميصا لا يشدُّ عليه زرًّا » فقال مُعلّى الطائى :

طوَّقْته بحُسامٍ طَوْقَ داهيَةٍ ، ما يستطيعُ عليهِ شَدَّ أزْرارِ

١٠ وقال حبيب : — حبيب

طَوَّقْته بالحُسامِ طَوْقَ ردًى ، أغْناه عنْ مَسِّ طَوْقِه بيدهْ

وقال :

طوَّقْته بالحسام مُنْصَلِتاً ، آخرَ طوقٍ يكون فى عنقِهْ

ليزيد بن مزيد أمام الرشيد — ولما رضى الرشيد عن يزيد بن مَزيد أذِن له بالدخول عليه فلما مَثَل بين ١٥ يديه قال : الحمدُ لله الذى سهَّل لى سبيلَ الكرامة بلقائك ، وردّ علىّ النعمةَ بوجه الرضا منك ؛ وجزاك الله يا أمير المؤمنين فى حال سُخْطك جزاء المحسنين المرغِّبين[1] وفى حال رضاك جزاء المنعمين المُتطوِّلين ؛ فقد جعلك الله وله الحمد تَثَبُّت تحرُّجاً عند الغضب ، وتَمْتَنُّ تطوُّلا بالنعم ، وتَستبقى المعروف عند الصنائع تفضلًا بالعفو .

المأمون وإبراهيم بن المهدى — ٢٠ لما ظفر المأمون بإبراهيم بن المهدى ، وهو الذى يقال له ابن شِكْلة ، أمر بإدخاله عليه . فلما مثل بين يديه قال : ولِىُّ الثأر محكم فى القصاص ، والعفو أقرب ... ى ، [والقدرة تُذهب الحفيظة ، ومَن مَدَّ له الآعتذار فى الأمل هجمتْ به

(١) المرغب : المعطى غيره مايرغب فيه .

الأناة على التلف] (١) ؛ وقد جعل الله كلَّ ذنب دُون عفوك ، فإن صفحت فبكرمك ، وإن أخذتَ فبحقّك .

قال المأمون : إنى شاورتُ أبا إسحاق والعبّاس فى قتلك ، فأشارا علىّ به .

قال : أما أن يكونا قد نصحاك فى عِظَم قدْر المُلك ولِمَا جرت عليه عادةُ السياسة ، فقد فعلا ؛ ولكنك أبيت أن تستجلبَ النصر إلا من حيث عوّدك الله . ٥
ثم استعبر باكياً .

قال له المأمون : ما يُبكيك .

قال : جَذَلًا ، إذ كان ذنبى إلى مَن هذه صفتُه . ثم قال : يا أمير المؤمنين ، إنه وإن كان جُرمى يبلغ سفكَ دمى ، فحِلْمُ أمير المؤمنين وتفضُّله يُبلغانى عَفْوَه ، ولى بعدهما شفاعة الإقرار بالذنب ، وحُرمةُ الأبِ بعد الأب . ١٠

قال المأمون : لو لم يكن فى حقِّ نسبك ما يُبلغ الصفح عن زَلّتك ، لبلّغك إليه حُسنُ توصلك ولطفُ تنصُّلك .

فكان تصويبُ إبراهيم لرأى أبى إسحق والعباس ألطفَ فى طلب الرضا ودفع المكروه عن نفسه من تخطئتهما .

المأمون وإسحاق بن العباس

وقال المأمون لإسحاق بن العباس : لا تحسبَنى أغفلتُ إجلابَك مع ابن المهلّب ١٥ وتأييدَك لرأيه وإيقادَك لناره .

قال : يا أمير المؤمنين ، والله لإجرامُ قريشٍ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أعظمُ من جُرمى إليك ، ولَرَحِمى أمسُّ من أرحامهم ، وقد قال كما قال يوسف لإخوته : ﴿لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللهُ لَكُمْ وهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمين﴾ وأنت يا أمير المؤمنين أحقُّ وارثٍ لهذه المِنة ومُمْتثِلٍ بها . ٢٠

قال : هيهات . تلك أجرامٌ جاهلية عفا عنها الإسلام ، وجُرمُك جُرمٌ فى إسلامك وفى دار خلافتك .

---

(١) زيادة عن نهاية الأرب .

قال : يا أمير المؤمنين ، فوالله لَلمُسْلِم أحقُّ بإقالة العثرة وغُفْران الزَّلّة مِنَ الكافر ، هذا كتاب الله بيني وبينك . يقول الله تعالى : ﴿وسارِعُوا إلى مغْفِرَةٍ مِنْ ربِّكُمْ وجنَّةٍ عَرْضُها السَّمٰوَاتُ والأرضُ أُعِدَّتْ للمُتَّقِين ، الّذِينَ يُنْفِقُونَ في السَّرَّاءِ والضَّرَّاءِ والكاظِمِينَ الغَيْظَ والعافِينَ عَن النَّاسِ واللهُ يُحب المحْسِنِينَ﴾ فهي للناس يا أمير المؤمنين سُنَّةٌ دخَل فيها المسلمُ والكافر ، والشريفُ والمشروف .

قال : صدقت . اجلس . ورِيَتْ بك زِنادى ، فلا قدَح نارى من الغابرين من أهلِك أمثالُك .

العتبي عن أبيه قال : قبض مروانُ بن محمد بن معاوية بن عمر بن عتبة مالَه بالفِرْسان [1] فقال : إني قد وجدت قطيعةَ عمك لأبيك ، إني أقطعتُك بستاني . والبستانُ لا يكون إلا عامرا ، وأنا مُسلِّمٌ إليك الغامرَ وقابضٌ منك العامر . فقال : يا أمير المؤمنين ، إن سلفك الصالح لو شهدوا مجلسنا هذا كانوا شهودا على ما ادعيتُه ، وشُفعاء فيما طلبته ، يسألونك بإحسانك إليَّ مكافأةَ إحسان سلفي إليهم فشَفع فينا الأموات ، واحفظ منا القرابات ، واجعل مجلسَك هذا مجلساً يلزَمُ مَن بعدنا شُكرُه . قال : لا والله ، إلا أن أجعلها طعمةً مني لك ، لا قطيعة من عمك لأبيك .

قال : قد قبلتُ ذلك . ففعل .

عبد الملك وابن عتبة وخالد بن يزيد

العتبي قال : أمر عبدُ الملك بن مروان بقطع أرزاق آل أبي سفيان وجوائزهم لِمَوْجِدة وَجَدها على خالد بن يزيد بن معاوية . فدخل عليه عمرو بن عتبة . فقال : يا أمير المؤمنين . إن أدنَى حقِّك مُتعِب . وبعضه فادحٌ لنا ، ولنا مع حقك علينا حقٌّ عليك ، بإكرام سلفنا لسلفك . فانظر إلينا بالعين التي نظروا بها إليهم ، وضعْنا بحيث وضعَتْنا الرَّحِمُ منك .

قال عبد الملك : إنما يستحق عطيتي من آستعطاها ، فأما من ظن أنه يكتفي بنفسه فَسَنَكِلُهُ إلى نفسه . ثم أمر له بعطيّة .

---

(١) الفرسان : قرية من قرى أصبهان .

وبلغ ذلك خالداً فقال : أبا لحرمانِ يهدّدنى ؟ يدُ الله فوق يده باسطة ، وعطاء الله دونه مبذول . فأما عمرو فقد أعْطَى من نفسه أكثر مما أخذ لها .

سليمان بن على وابن عتبة إمام المسودة

العُتبى قال : حدثنا طارق بن المبارك ، عن عمرو بن عُتبة ، قال : جاءت دولة المُسوِّدة وأنا حديث السن كثير العِيال متفرِّق المال ، فجعلت لا أنزل قبيلةً من قبائل العرب إلا شُهرت فيها . فلما رأيت أمرى لا يُكتتم ، أتيت سليمانَ بن على فاستأذنت عليه قُرب المغرب ، فأذِن لى وهو لا يعرفنى ؛ فلما صرتُ إليه قلت : أصلحك اللهُ ! لفظَتْنى البلادُ إليك ، ودلنى فضلُك عليك ؛ فإما قبلتَنى غانما ، وإما رددتَنى سالما .

قال : ومن أنت ؟ فانتسبت له ؛ فعرَفَنى . وقال : مرحبا ، اقعُد فتكلم غانماً سالما . قلت : أصلحك الله ! إن الحُرَمَ التى أنت أقربُ الناس إليهن معنا ، وأولى الناس بهن بعدنا ، قد خِفْن بخَوْفِنا ، ومن خاف خِيف عليه . قال : فاعتمدَ سليمان على يديه وسالت دموعه على خديه ، ثم قال : يا ابن أخى ، يحْقِنُ اللهُ دمَك ، ويستر حُرمك ، ويُسلم مالك إن شاء الله ؛ ولو أمكننى ذلك فى جميع قومك لفعلت . فلم أزل فى جوار سليمان آمنا .

وكتب سليمان إلى أبى العباس أمير المؤمنين : أما بعد . يا أمير المؤمنين ، فإنا إنما حاربْنا بنى أمية على عقوقهم ولم نحاربهم على أرحامهم ، وقد دفَّتْ إلىّ منهم دافّة لم يُشهروا سلاحا ، ولم يكثّروا جمعاً ، وقد أحسنَ اللهُ إليك فأحْسِنْ . فإن رأى أمير المؤمنين أن يكتب لهم أمانا ويأمرَ بإنفاذه إلىّ فليفعل .

فكتب لهم كتابا منشوراً وأنفذه إلى سليمان بن على ، فى كل من لجأ إليه من بنى أمية ، فكان يسميه أبو مُسلم : كهْفَ الأُبّاق .

الرشيد وعبد الملك بن صالح

دخل عبد الملك بن صالح يوما على الرشيد ، فلم يلبث فى مجلسه أن التفت الرشيد فقال متمثِّلا :

أُريدُ حَياتَهُ ويُريدُ قتْلى ... عذيرك مِنْ خَليلِكَ من مُرَاد

ثم قال : أما والله لكأنى أنظر إلى شؤبوبها قد همع ، وعارضِها قد لمع ، وكأنى

بالوعيد قد وقع ، فأقلعَ عن بَراجمَ بلا مَعاصم ، وجماجمَ بلا غَلاصم ، فمهلا مهلا ؛ فَبِي والله يسهل لكم الوَعْر ، ويصفو لكم الكَدر ، وألقتْ إليكم الأمورُ مقاليدَ أزمّتها ، فالتدارك التدارك قبل حلول داهية ، خَبُوطٍ باليد لَبوطٍ بالرِّجل .

قال عبد الملك : أفذًّا ماتكلمتَ أم توْءماً يا أمير المؤمنين ؟ قال : بل فَذًّا .

٥ قال : اتق الله فى ذى رحمك وفى رعيّتك التى استرعاك الله ، ولا تجعل الكفر مكان الشكر ، ولا العقاب موضعَ الثواب ؛ فقد محضتُ لك النصيحة وأديت لك الطاعة ، وشددت أواخى مُلكك بأثقل من رُكنَىْ يَلمْلَمَ ، وتركت عدوّك سبيلا تتعاوره الأقدام ؛ فاللهَ اللهَ فى ذى رحمك أن تقطعه بعد أن وصلته ؛ إنّ الكتاب لنميمة واش وبَغْىُ باغ ؛ يَنهش اللحم ، ويلغ فى الدم ؛ فكم ليلٍ تمامٍ فيك كابدتُه ،

١٠ ومَقام ضيق فرّجتُه ، وكنتُ كما قال الشاعر أخو بنى كلاب :

ومَقام ضَيِّق فرّجْتُهُ ⁕ بلسانى ومَقامى وجَدَل
لو يقومُ الفيلُ أو فَيّالُه ⁕ زَلَّ عن مِثْل مقامى وزَحَلْ

فرضى عنه ورحّب به ، وقال وَريتْ بك زنادى .

الرشيد وعبد الملك بن صالح

والتفت الرشيد يوماً إلى عبد الملك بن صالح فقال : أكُفراً بالنعمة ،

١٥ وغدراً بالإمام ؟

قال : لقد بُؤتُ إذاً بأعباء الندم ، وسعيتُ فى استجلاب النِّقَم ؛ وما ذلك يا أمير المؤمنين ، إلا بَغْىُ باغ نافسنى فيك بقديم الولاية ، وحقّ القرابة ؛ يا أمير المؤمنين ، إنك خليفة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم فى أمته ، وأمينُه على رعيته ، لك عليها فرْضُ الطاعة وأداءُ النصيحة ؛ ولها عليك التثبُّتُ فى حادثها ،

٢٠ والعدل فى حكمها .

فقال له هارون : تَضَعُ لى من لسانك ، وترفعُ علىَّ من جَناك بحيث يحفَظ اللهُ لى عليكَ ! هذا قمامةُ كاتبُك يُخبرنى بفِعْلك .

فقال عبد الملك : أحقا يا قمامة ؟

قال : نعم لقد أردتَ خَتْلَ أمير المؤمنين والغدرَ به .

فقال عبد الملك : كيف لا يكذب علىَّ من خلفى مَن بَهتَنى فى وجهى ؟

قال الرشيد : هذا ابنك شاهد عليك .

قال : يا أمير المؤمنين ، هو بين مأمور أو عاقّ ؛ فإن كان مأموراً فمعذور ، وإن كان عاقّا فما أخاف من عقوقه أكثر .

بينه وبينه أيضا

وقال له الرشيد يوماً وكان مُعْتَلًّا عليه : أتبقُّون بالرَّقَّة ؟ قال : نَعَم ، ونَتَبَرْغث ! ٥

قال : يابن الفاعلة ! ماحَمَلك على أن سألتُك عن مسألة فرددت علىّ فى مسألتين ؟ وأمر به إلى الحبس ؛ فلم يزل فى حبسه حتى أطلقه الأمين .

لعبد الملك بن صالح بعد خروجه من السجن

إبراهيم بن السِّندى قال : سمعت عبد الملك بن صالح يقول بعد إخراج المخلوع له من الحبس ، وذكر الرشيدَ وفعلَه به ، فقال : والله إن المُلْكَ لشىء مانويتُه ولا تمنَّيتُه ، ولا نَصبْتُ له ولا أردتُه ، ولو أردتُه لكان إلىّ أسرع من ١٠ الماء إلى الحُدور ، ومن النار إلى يَبيس العرفج ؛ وإنى لمأخوذ بما لم أجنِ ، ومسئولٌ عما لم أعرف ، ولكن حين رآنى للمُلْكِ قَمِينا ، وللخلافة خطيرا ، ورأى لى يداً تنالها إذا مُدَّتْ ، وتبلغها إذا بُسِطت ، ونَفساً تكمُل لخصالها ، وتستحقها بفَعالها ـ وإن كنت لم أجنِ تلك الخصال ، ولم أصطنع تلك الفعال ، ولم أترشَّحْ لها فى السر ، ولا أشرتُ إليها فى الجهر ـ ورآها تحنُّ إلىّ حنين الوالدة ١٥ الوالهة ، وتميل مَيْلَ الهَلُوك ؛ وخاف أن تَرْغَب إلى خير مَرْغَب ، وتنزِع إلى أخصب منزع ، عاقبنى عقابَ مَن سَهِر فى طلبها ، وجَهد فى التماسها ، فإن كان إنما حَسِبنى أنى أصلح لها وتصلح لى ، وأَلِيقُ بها وتليق بى ، فليس ذلك بذنبٍ جنيتُه فأتوبَ منه ، ولا تطاولتُ له فأحطّ نفسى عنه ؛ وإن زعم أنه لا صَرْفَ لعقابه ، ولا نجاةَ من عذابه ، إلا أنْ أخرُج له من حَدّ العلم والحِلم والحزم ؛ فكما لا يستطيع ٢٠ المِضياعُ أن يكون مُصلحا ، كذلك لا يستطيع العاقل أن يكون جاهلا . وسواء عليه أعاقبَنى على عِلمى وحلمى ، أم عاقبنى على نسبى وسِنى ، وسواء عليه عاقبنى على جمالى أو عاقبنى على محبة الناس لى . ولو أردتُها لأعجلتُه عن التفكير ، وشغلتُه عن التدبير ، ولما كان فيها من الخطب إلا اليسير .

ابن سلم حين بلغه غضب الخليفة على رجاء

إبراهيم بن السّندى قال : كنت أساير سعد بن سَلم ، حتى قيل له : إن أمير المؤمنين قد غضب على رجاء بن أبى الضحّاك وأمر بأخذ ماله ، فارتاع بذلك وجزع ، فقيل له : ما يروعك منه ؟ فوالله ماجعل اللهُ بينكما نسباً ولا سَببا . فقال : بلى ، النّعمةُ نَسَبٌ بين أهلها ، والطاعة سببٌ مؤكَّد بين الأولياء .

لبعضهم فى الاعتذار إلى ملك

٥ وبعث بعض الملوك إلى رجل وَجَد عليه : فقال لما مَثَل بين يديه : أيها الأمير ، إن الغضب شيطانٌ فاستعِذْ بالله منه ؛ وإنما خُلق العفو للمذنب ، والتجاوز للمُسىء ، فلا تَضقْ عما وسع الرعيَّة من حلمك وعفوك . فعفا عنه وأطلق سبيله .

قتيبة وأبو مجلز

ولما اتهم قتيبة بن مُسلم[1] أبا مجلز على بعض الأمر، قال : أصلح الله الأمير ، ١٠ تَثَبَّتْ ؛ فإن التثبُّتَ نصفُ العفو .

الحجاج ومذنب

قال الحجاج لرجل دخل عليه : أنت صاحب الكلمة ؟ قال : أبوء بالذنب ، وأستغفر الرب ، وأسأل العافية ! قال : قد عفونا عنك .

بعض الملوك ومذنب

وأرسل بعض الملوك فى رجل أراد عقوبته ، فلما مثل بين يديه قال : أسألك بالذى أنت بين يديه أذلُّ منى بين يديك ؛ وهو على عقابك أقدرُ منك على ١٥ عقابى ، إلّا نظرتَ فى أمرى نظر مَن بُرْئى أحبُّ إليه من سَقمى ، وبراءتى أحبُّ إليه من جُرْمى .

سليمان بن عبد الملك وخالد ابن عبد الله

وقال خالد بن عبد الله لسليمان بن عبد الملك حين وَجَد عليه : يا أمير المؤمنين ، إن القُدرة تُذهب الحفيظة ؛ وأنت تَجلُّ عن العقوبة ونحن مُقِرُّون بالذنب : فإن تعفُ عنى فأهلُ ذلك أنت ، وإن تُعاقبنى فأهلُ ذلك أنا .

معاوية وابن زنباع

٢٠ وأمر معاوية بن أبى سفيان بعقوبة روْح بن زِنْباع ، فقال له : أنشدك الله يا أمير المؤمنين ألا تضع منى خسيسةً أنت رفعتَها ، أو تنقُضَ منى مَريرة أنت أبرَمْتَها ، أو تُشمتَ بى عدوًّا أنت وقَمْتَه ، إلّا أتى حِلمُك وصفحُك على خطئى وجهلى . فقال معاوية : خَلِّيا عنه ، إذا أراد الله أمرا يَسّره .

(١) فى بعض الأصول : « سلم بن قتيبة »

عبد الملك ورجل جفاه

وجد عبد الملك بن مروان على رجل فجفاه واطَّرحه ، ثم دعا به ليسأله عن شيء ، فرآه شاحباً ناحلا : فقال له : مُذْ متى اعتللت ؟ فقال :

ما مسَّنى سُـــقْمٌ ولكنّنى ، جفوتُ نفْسى إذ جفانى الأمير

وآليت ألا أرضى عنها حتى يرضى عنى أمير المؤمنين . فأعاده إلى نفسه .

الحسن بن سهل ونعيم بن حازم

وقعد الحسنُ بن سهل لنُعيم بن حازم ، فأقبل إليه حافياً حاسراً وهو يقول : ذنبى أعظم من السماء ، ذنبى أعظم من الأرض . فقال له الحسن : على رِسْلك أيها الرجل ، لا بأس عليك ، قد تقدمتْ لك طاعة ، وحدَثت لك توبة ، وليس للذنب بينهما موضع ، ولئن وَجد موضعاً فما ذنبُك فى الذنوب بأعظمَ من عفو أمير المؤمنين فى العفو .

المأمون وهاشمى أذنب

أذنبَ رجلٌ من بنى هاشم ذنباً إلى المأمون ، فعاتبه فيه . فقال : ياأمير المؤمنين ، من حَمل مثل دالّتى ، ولبِسَ ثوبَ حُرمتى ، ومَتَّ بمثل قرابتى ، اغتُفِر له فوق زَلّتى . قال : صدقت يابن عمى . وصفح عنه .

المأمون ورجل اعتذر

واعتذر رجل إلى المأمون من ذنب فقال له : إنى وإن كانت زلتى قد أحاطت بحرمتى فإن فضلك محيط بها ، وكرمَك موقوفٌ عليها .

أخذه صريع الغوانى فقال :

إن كان ذنبى قد أحاطَ بحُرْمتى ، فأحِط بذَنبى عفوَك المأمُولا

المنصور ويزيد ابن هبيرة

دخل يزيد بن عمر بن هُبيرة على أبى جعفر المنصور بعد ما كتب أمانه ، فقال : ياأمير المؤمنين ، إنّ إمارتكم بِكر ودولتكم جديدة ، فأَذيقوا الناس حلاوتَها ، وجَنِّبوهم مرارتَها ، تَخِفَّ على قلوبهم طاعتُكم ، وتُسرع إلى أنفسِهم محبّتُكم ، ومازلتُ مستبطئا لهذه الدعوة . فلما قام قال أبو جعفر : عجباً من كل مَن يأمر بقتل هذا ! ثم قتله بعد ذلك غدرا .

المنصور بعد هزيمة عبد الله ابن على

الهيثم بن عدى قال : لما انهزم عبد الله بن على من الشام ، قَدِم على المنصور وفد منهم ، فتكلموا عنده ، ثم قام الحارث فقال : ياأمير المؤمنين ، إنا لسنا وفدَ

مُباهاة ، وإنما نحن وفدُ تَوْبة ، ابْتلينا بفتنة آستخفّت كريمَنا ، واستفزّت حليمَنا ، ونحن بما قدّمنا معترفون ، وبما سَلَف منا مُعتذرون . فإن تعاقبْنا فقد أجرمْنا وإن تعفُ عنا فطالما أحسنتَ إلى من أساءَ منا .

فقال المنصور للحَرَسيّ : هذا خطيبهم ! وأمر بردّ ضياعِه عليه بالغُوطة .

تميم بن جبل بين يدى المعتصم

٥ قال أحمد بن أبي دُواد : ما رأينا رجلًا نزل به الموتُ فما شَغله ذلك ولا أذهله عما كان يجب أن يفعله ، إلا تميمَ بن جبل ؛ فإنه كان تغلّبَ على شاطئ الفرات ؛ وأوفى به الرسولُ بابَ أمير المؤمنين المُعتصم في يوم المَوكب حين يجلس للعامة ، ودخل عليه ، فلما مَثَل بين يديه ، دعا بالنِّطْع والسيف ، فأُحْضِرا ، فجعل تميم بن جبل ينظر إليهما ولا يقول شيئاً ، وجعل المعتصم يُصَعِّد النظر فيه ويُصَوِّبه ، وكان

١٠ جسيما وسيما ، ورأى أن يستنطقه لينظر أين جَنانه ولسانُه من منظره . فقال : يا تميم ، إن كان لك عذرٌ فأْتِ به ، أو حجةٌ فأْدْل بها .

فقال : أما إذ قد أذن لى أمير المؤمنين فإنى أقول : الحمد لله الذى أحسن كلَّ شيء خلقه ، وبدأ خلقَ الإنسانِ من طين ، ثم جعل نسلَه من سُلالة من ماءٍ مَهين . يا أمير المؤمنين ، إن الذنوب تُخرِس الألسنة ، وتَصْدَع الأفئدة ، ولقد

١٥ عَظُمت الجريرة وكَبُر الذنب ، وساء الظنّ ، ولم يبق إلا عفوُك أو آنتقامُك ، وأرجو أن يكون أقربُهما منك وأسرعُهما إليك أولاهما بآمتنانك ، وأشبهَهما بخلائقك . ثم أنشأ يقول :

أرى الموْتَ بين السَّيْف والنِّطْع كامِناً * يُلاحِظُنى مِن حَيثما أتلفَّتُ

وأكبر ظنى أنك اليومَ قاتِلى * وأىُّ امرئٍ مما قَضى الله يُفْلِتُ

٢٠ ومَن ذا الذى يُدْلِى بعذرٍ وحُجةٍ * وسَيفُ المَنايا بين عينيه مُصْلَتُ

يعزّ على الأوسِ بن تَغْلِبَ موقفٌ * يُسَلُّ علىّ السيفُ فيه وأسْكُتُ

وما جَزَعى من أن أموتَ وإننى * لأَعْلمُ أنّ الموتَ شيءٌ مُوَقَّتُ

ولكنّ خَلْفِى صِبْيَة قد تركتُهم * وأكبادُهُمْ من حَسرة تتفتّتُ

كأنى أراهم حين أُنعَى إليهم ۞ وقد خمشوا تلك الوجوهَ وصوّتوا
فإن عِشتُ عاشوا خافضين بِغبطةٍ ۞ أذودُ الرّدى عنهم وإن مِتُّ موّتوا
فكم قائلٍ لا يُبعِدُ الله رُوحَــهُ ۞ وآخرَ جَذلانٍ يُسَرُّ ويَشمَتُ

قال : فتبسم المعتصم وقال : كاد والله ياتميم أن يسبقَ السيفُ العَذَل ، اذهب ، فقد غفرتُ لك الصبوة ، وتركتك للصِّبية . ٥

المهدى وأبو عبيد الله بعد قتل ابنه

وحُكى أن أمير المؤمنين المهدى قال لأبى عُبيد الله لما قَتل ابنه : إنه لو كان فى صالح خدمتك وما تعرّفناه من طاعتك ، وفاء يجب به الصفحُ عن ولدك ، ماتجاوز أمير المؤمنين ذلك به إلى غيره ؛ ولكنه نكص على عقبيه وكفر بربّه . قال أبو عبيد الله : رضانا عن أنفسنا وسُخْطُنا عليها موصولٌ برضاك وسُخطك ، ونحن خَدمُ نعمتك ، تُثيبنا على الإحسان فَنشكر ، وتُعاقبنا على الإساءة فنصبر . ١٠

المنصور وجعفر ابن محمد

أبو الحسن المَدائنى قال : لما حج المنصور مرّ بالمدينة ، فقال للربيع الحاجب : علىّ بجعفر بن محمد ، قتلنى اللهُ إن لم أقتله . فَمُطِل به ، ثم ألحّ عليه فحضر ، فلما كُشف الستر بينه وبينه ومَثَل بين يديه ، همَس جعفر بشفتيه ، ثم تقرّب وسلّم ، فقال : لاسلّم الله عليك ياعدو الله ، تُعمل علىّ الغوائل فى مُلكى ؟ قتلنى الله إن لم أقتلك . قال : ياأمير المؤمنين ، إنّ سليمان صلى الله على محمدٍ وعليه ، أُعطِىَ فَشكر ، وإن أيوبَ ابْتُلِىَ فَصبَر ، وإن يوسف ظُلِمَ فَغَفر ؛ وأنت على إرث منهم ، وأحقُّ مَن تأسّى بهم . فنكَس أبو جعفر رأسه مليا . وجعفر واقف ، ثم رفع رأسه فقال : إلىّ أبا عبدِ الله ، فأنت القريبُ القرابة ، وذو الرَّحِم الواشجة السليمُ الناحية ، القليل الغائلة . ثم صافحه بيمينه ، وعانقه بشماله ، وأجلسه معه على فراشه وانحرف له عن بعضه ، وأقبل عليه بوجهه يُحادثه ويسائله . ثم قال : ياربيع ، عجِّل لأبى عبد الله كُسوتَه وجائزتَه وإذنَه . ١٥ ٢٠

قال الربيع : فلما حال الستر بينى وبينه أمسكتُ بثوبه ، فقال : ماأرانا ياربيعُ إلا وقد حُبِسْنا . فقلت : لاعَلَيك ! هذه مِنّى لا مِنه . فقال : هـذه أيسر ، سلْ حاجتَك . فقلت له : إنى منذ ثلاث أدفع عنك وأدارى عليك ، ورأيتك إذ دخلتَ همَسْتَ

بشفتيك ، ثم رأيتُ الأمر انجلى عنك ، وأنا خادم سُلطان ولا غِنَى لى عنه ، فأحبُّ منك أن تعلِّمَنيه . قال : نعم ، قلت : « اللهم احرسنى بعينك التى لا تنام ، واكْنُفْنى بحفظك الذى لا يُرَام ، ولا أَهْلِكُ وأنت رجائى ، فكم من نعمةٍ أنعمتَهَا علىّ قلّ لك عِندها شُكرى فلم تحرِمْنى ، وكم من بليّةٍ ابتُليتُ بها قلّ عِندها صَبرى فلم تخذلنى ، بك أدرأ فى نَحْرِه ، وأستعيذُ بخيرك من شَرّه ، فإنك على كلِ شىء قدير ، وصلى اللهُ على سيدنا محمد وآله وسلّم .

سليمان بن عبد الملك ويزيد بن راشد

المدائنى قال : لما قام يزيد بن راشد خطيباً ، وكان فيمن دعا إلى خَلع سليمان بن عبد الملك والبيعةِ لعبد العزيز بن الوليد . فنذر سليمان قطع لسانه . فلما أفضت الخلافة إليه ، دخل عليه يزيد بن راشد ، فجلس على طرف البساط مُفكِّراً ، ثم قال : يا أمير المؤمنين ، كُن كنبىّ الله صلى الله عليه وسلم : ابْتُلِى فَصَبَر ، وأُعْطِى فشَكَرَ ، وقدَر فغفر ، قال : ومن أنت ؟ قال : يزيد بن راشد . فعفا عنه .

الرشيد ورجل حبسه

حبس الرشيد رجلا ، فلما طال حبسُه كتب إليه : إن كل يوم يمضى من نعيمك يمضى من بؤسِى مثلُه ، والأمد قريب والحكم لله ، فأطلقه .

أسد القسرى ودهقان يعذب

ومر أسد بن عبد الله القَسرىّ وهو والى خراسان ، بدار من دور الاستخراج ، ودِهقانٌ يعذَّب فى حبسه ، وحول أسد مَساكين يستجدونه . فأمر لهم بدراهم تُقسم فيهم . فقال الدهقان : يا أسد ، إن كنت تُعطى من يُرْحَم فارحم من يُظْلَم فإن السموات تنفرج لدعوة المظلوم . يا أسد ، احذر مَن ليس له ناصر إلا الله ، واتق من لا جُنَّةَ له إلا الابتهال إلى الله . إن الظالم مَصرعه وخيم ، فلا يغترّ بإبطاء الغيثات من ناصر متى شاء أن يُجيب أجاب ، وقد أَمْلَى لقوم ليزدادوا إثْماً فأمر أسد بالكفّ عنه .

المأمون ورجل من خاصته

عَتب المأمون على رجل من خاصّته ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إن قديم الحُرمة ، وحديث التَّوبة يمحُوان ما بينهما من الإساءة . فقال : صدقت . ورضى عنه .

ملك من ملوك فارس وصاحب مطبخه

وكان ملك من ملوك فارس عظيمَ المملكة شديد النِّقمة ، وكان له صاحبُ مطبخ ، فلما قرَّب إليه طعامَه صاحبُ المطبخ سقطتْ نقطةٌ من الطعام على يديه ، فزوى لها الملك وجهه ؛ وعلم صاحب المطبخ أنه قاتلُه ، فكفأ الصحفة على يديه . فقال الملك : علىّ به ، فلما أتاه قال له : قد علمتُ أن سقوطَ النقطة أخطأتْ بها يدُك ، فما عُذرك فى الثانية ؟ قال : استحييتُ للملك أن يَقتل مثلى فى سنى وقديم ٥ حُرمتى فى نُقطة ، فأردتُ أن أُعظِم ذنبى ليحسُنَ به قتلى ، فقال له الملكُ : لئن كان لطفُ الاعتذار يُنجيك من القتل ما هو بمُنجيك من العقوبة ، اجلدوه مائة جلدة وخلّوه .

المأمون ومحمد ابن عبد الملك

الشيبانى قال : دخل محمد بن عبد الملك بن صالح على المأمون حين قبض ضِياعهم ، فقال : يا أمير المؤمنين ، محمد بن عبد الملك بين يديك ، وَرِبيبُ دولتك ، ١٠ وسليل نعمتك ؛ وغصن من أغصان دَوحتك ؛ أتأذن فى الكلام ؟ قال : نعم قال : نستمنح الله حياطةَ ديننا ودنيانا ، ورعايةَ أدنانا وأقصانا ببقائك ؛ ونسأله أن يزيد فى عمرك من أعمارنا ، وفى أثرك من آثارنا ، ويقيَكَ الأذى بأسماعنا وأبصارنا . هذا مَقامُ العائذ بفضلك ، الهاربِ إلى كَنفك وظِلّك ، الفقير إلى رحمتك وعَدلِك . ثم تكلم فى حاجته ، فقضاها . ١٥

عبيد بن أيوب والحجاج

وقال عُبيد بن أيوب ، وكان يطلبه الحجاج لجناية جناها ، فهرب منه وكتب إليه :

أذِقْنى طعمَ النومِ أو سَلْ حقيقةً * علَىّ فإنْ قامتْ ففصِّلْ بَنانِيَا
خَلَعْتَ فؤادى فاستطارَ فأصبحتْ * ترامَى به البِيدُ القِفارُ تَرامِيَا

ولم يقل أحدٌ فى هذا المعنى أحسنَ من قول النابغة الذبيانى للنُّعمان بن المنذر : ٢٠

أتانى أبيتَ اللّعنَ أنك لُمتَنِى * وتلك التى تَستَكّ منها المسامِعُ
فبِتُّ كأنّى ساوَرَتْنِى ضئيلةٌ * من الرُّقْش فى أنيابها السّمُّ ناقِعُ
أكَلَّفْتَنى ذنْبَ امرئ وتركتَه * كذِى العُرِّ يُكوَى غيرُه وهو راتِعُ
فإنك كالليل الذى هو مُدرِكِى * وإن خِلْتُ أنّ المُنتأَى عنكَ واسِعُ

وقال فيه أيضاً :

ولستَ بمستبْقٍ أخاً لا تَلُمُّــهُ ٭ على شَعَثٍ أى الرجالِ المُهــذَّبُ ؟

فإنْ أكُ مظلوماً فعبدٌ ظلَمْتَه ٭ وإن تكُ ذا عَتْبٍ فمِثْلُكَ يُعْتِبُ

حَلَفْتُ فــلم أتْرُكْ لنفسكَ رِيبةً ٭ وليس وراءَ اللهِ للمرءِ مذهبُ

٥ لئن كنتَ قد بُلِّغْتَ عَنِّى جنايةً ٭ لَمُبْلِغُكَ الواشى أغَشُّ وأكْذَبُ

ألَمْ تَرَ أنَّ اللهَ أعطاكَ سورةً ٭ ترى كلَّ مَلْكٍ دونَها يتذبْذبُ

فإنك شمسٌ والملوكُ كواكِبٌ ٭ إذا طلعتْ لم يَبْدُ منهن كوكبُ

وقال ابن الطَّثْرِية : لابن الطثرية

فهبنى امْرَءًا إما بَريئاً عَلِمْتَهُ ٭ وإما مُسِيئاً تابَ منه وأعْتَبا

١٠ وكنتَ كَذِى داءٍ تَبَغَّى لِدائِه ٭ طبيباً فلما لَمْ يَجِدْه تَطَبَّبا

وقال الممزَّق العبدى لعمرو بن هند : الممزق العبدى

تَرُوحُ وتَغدو ما يُحَــلُّ وضِينُها ٭ إليــكَ ابنَ ماءِ المُزْنِ وابنَ محرِّقِ

أحقًّا أَبَيْتَ اللَّعْنَ إنَّ ابنَ مُزْننا ٭ على غــيرِ إجرامٍ بريقِى مُشَرِّقِ

فإن كنتُ مأكولاً فكن خيرَ آكلٍ ٭ وإلا فأدْرِكْنِى ولمَّا أُمَزَّقِ

١٥ فأنت عَمِيدُ النـاسِ مهما تَقُلْ نَقُلْ ٭ ومهما تَضَعْ من باطِلٍ لا يُلْحَقِ

وتمثل بهذه الأبيات عثمان بن عفان فى كتابه إلى على بن أبى طالب يوم الدار .

وكتب محمد بن عبد الملك الزيات ، لما أحسّ بالموت وهو فى حبس المتوكل ، برُقعة إلى المتوكل ، فيها : لابن الزيات يستعطف المتوكل

هى السبيلُ فمِن يومٍ إلى يومِ ٭ كأنه ما تُرِيكَ العينُ فى النَّوْمِ

٢٠ لا تَعْجَلَنَّ رُوَيداً إنمـا دُوَلٌ ٭ دُنيا تَنَقَّلُ من قومٍ إلى قومِ

إنَّ المَنايا وإنْ أصبحتَ ذا فَرَحٍ ٭ تَحُومُ حولَكَ حَوْماً أيَّما حَوْمِ

فلما وصلتْ إلى المتوكل وقرأها أمر بإطلاقه ، فوجدوه ميتاً .

وقال عمرو بن معاوية بن عمرو بن عتبة للمنصور ، وقد أراد عقوبة رجل : لعمرو بن عتبة ينصح للمنصور

يا أمير المؤمنين ، إن الانتقام عدل ، والتجاوز فضل ، والمتفضّل قد جاوز حد المنصف ، ونحن نُعيذ أمير المؤمنين أن يرضى لنفسه أوكس النصيبين دون أن يبلغ أرفعَ الدرجات .

أبو مسلم وبعض قواده

جرى بين أبى مسلم صاحبِ الدعوة وقائدٍ من قواده يقال له شَهْرام ، كلام ، فقال له قائدُه كلمةً فيها بعض الغِلَظ ، ثم ندم على ما كان منه ، فجعل يتضرع ويتنصّل إليه . فقال له أبو مُسلم : لا عليك ، لسانٌ سَبق ، ووهم أخطأ ، إنما الغضب شيطان ، وإنما جَرّأتك علىّ لطول احتمالى عنك ، فإن كنتَ للذنب متعمّداً فقد شاركتُك فيه ، وإن كنت مغلوباً فإن العذر يسعك ، وقد عفونا على كل حال . فقال : أصلح الله الأمير ، إنّ عفو مثلك لا يكون غروراً . قال : أجل . قال : فإنّ عِظَم الذنبِ لا يَدَعُ قلبي يَسْكن . وألح فى الاعتذار . فقال له أبو مسلم : عجباً لك ! إنك أسأت فأحسنتُ ، فلما أحسنتَ أسيء .

المأمون وأبو دلف وقد رضى عنه

دخل أبو دلف على المأمون ، وقد كان عَتب عليه ثم أقاله ، فقال له وقد خلا مجلسه : قل أبا دلف ، وما عَسيت أن تقول وقد رضى عنك أمير المؤمنين وغَفر لك مافعلت ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ،

ليالىَ تُدْنى منك بالبِشْرِ مَجلسى ... ووجهُك من ماء البَشاشة يَقْطُرُ

فمَنْ لِىَ بالعينِ التى كنت مَرّةً ... إلىّ بها فى سالفِ الدهرِ تَنظرُ

بين المأمون وأبى دلف

قال المأمون : لك بها رجوعُك إلى المُناصحة ، وإقبالُك على الطاعة . ثم عاد له إلى ما كان عليه .

وقال له المأمون يوماً : أنت الذى تقول :

إنى امْرُؤٌ كِسروِىُّ الفَعالِ ... أَصِيفُ الجبالَ وأَشْتو العِراقا

ما أراك قَدّمْت لحقّ طاعة ، ولا قضيتَ واجبَ حُرمة ! قال له يا أمير المؤمنين إنما هى نعمتك ونحن فيها خدمُك ، وما هِراقةُ دمى فى طاعتك إلا بعض ما يجب لك

ودخل أبو دلف على المأمون . فقال : أنت الذى يقول فيك ابن جبلة :

إنما الدنيا أبو دُلَفٍ ﴿ بين باديه ومُحْتَضَرِهْ
فإذا ولَّى أبو دُلَفٍ ﴿ ولتِ الدنيا على أثَرِهْ

فقال : يا أمير المؤمنين ، شهادة زور ، وكذب شاعر ، ومَلَق مُسْتَجْدٍ ؛ ولكنى
٥ الذى يقول فيه ابن أخيه :

ذَرِينى أجوبُ الأرضَ فى طلب الغِنى ﴿ فما الْكَرْخُ بالدنيا ولا الناسُ قاسِمُ

الكرخ : منزل أبى دلف . وكان اسمه قاسم بن عبد الله .

المنصور ومعن ابن زائدة

وقال المنصور لمعن بن زائدة : ما أظن ما قيل عنك من ظُلْمك أهلَ اليمن واعتسافِك عليهم إلا حقا ؟ قال : كيف ذلك يا أمير المؤمنين ؟ قال : بلغنى عنك
١٠ أنك أعطيت شاعراً لبيت قاله ألف دينار . وأنشده البيت ، وهو :

مَعْنُ بنُ زائِدةَ الذى زِيدتْ به ﴿ فخراً إلى فخرٍ بنو شَيبانِ

قال : نعم يا أمير المؤمنين ، قد أعطيتُه ألف دينار ، ولكن على قوله :

مازلتَ يومَ الهاشِمِيَّةِ مُعْلِماً ﴿ بالسيفِ دون خليفةِ الرحْمٰنِ
فمَنَعْتَ حَوْزَتَه وكنت وِقاءَهُ ﴿ مِن وقْعِ كلِّ مُهَنَّدٍ وسِنانِ

١٥ قال : فاستحيا المنصور وجعل ينكت بالمخصرة ، ثم رفع رأسه وقال : اجلس أبا الوليد .

عبد الملك وأعرابى سرق

أُتِىَ عبد الملك بن مروان بأعرابىّ سَرَق ، فأمر بقطع يده ، فأنشأ يقول :

يَدِى يا أميرَ المؤمنينَ أُعيذُها ﴿ بعفوِك أن تلقى مكاناً يَشينُها
ولاخيْرَ فى الدنيا وكانت حبيبةً ﴿ إذا ماشِمالى فارَقتْها يمينُها

٢٠ فأبى إلا قَطْعَه ؛ فقالت أمه : يا أمير المؤمنين ، واحِدِى وكاسِبِى . قال : بئس الكاسبُ كان لك ، وهذا حدّ من حدود الله . قالت : يا أمير المؤمنين ، اجعله من بعض ذنوبك التى تستغفر الله منها ! فعفا عنه .

تذكير الملوك بذمام متقدم

المأمون وابن أشرس

قال ثُمامةُ بن أشرس للمأمون لما صارت إليه الخلافة : كان لى أملان : أملٌ لك وأملٌ بك ، فأمّا أمَلى لك فقد بلغتُه ، وأما أملى بك فلا أدرى ما يكون منك فيه .

قال : يكون أفضلَ ما رَجَوْتَ وأمّلت . فجعله من سُمّارِه وخاصّته . ٥

يزيد بن عبد الملك والأبرش

الأصمعى قال : لما مات يزيد بن عبد الملك وصارت الخلافة إلى هشام بن عبد الملك ، خرّ أصحابه سجودا ، إلا الأبرش الكلبى . فقال له : يا أبرش ، مامنعك أن تسجد كما سجدوا ؟ قال : يا أمير المؤمنين ، لأنك ذهبت عنا وتركتَنا : قال : فإن ذهبت بك معى ؟ قال : أو تفعل يا أمير المؤمنين ؟ قال : نعم . قال : فالآن طاب السجود ، ثم سجد .

أبو جعفر ورجل من إخوانه يهنئه بالخلافة

ولما صارت الخلافة إلى أبى جعفر كتب إليه رجل من إخوانه : ١٠

إنا بِطانتُك الأُلى * كنا نُكابِد ما تُكابد

ونُرَى فنُعرفُ بالعَدا * وة والبِعادِ لمن تُباعِدْ

ونَبيت من شَفَقٍ عليـــك رَبِيئةً والليلُ هاجدْ

هـذا أوانُ وفاءِ ما * سَبَقت به منك المواعِدْ

فوقّع أبو جعفر على كل بيت منها : صدقت صدقت . ثم دعا به وألحقَه فى خاصته . ١٥

لحبيب

وقال حبيب الشاعر فى هذا المعنى :

وإنَّ أوْلى الموالى أنْ تُواسِيَهُ * عند السرورِ لمن واساكَ فى الحَزَنِ

إنَّ الكِرام إذا ما أسْهَلوا ذَكروا * من كان يَألفُهُم فى الموْطِنِ الخَشِنِ

حسن التخلص من السلطان

العباس بن سهل وعثمان بن حيان

أبو الحسن المدائنى قال : كان العباس بن سهل والىَ المدينة لعبد الله بن الزبير ، ٢٠ فلما بايع الناسُ عبد الملك بن مروان ، ولّى عثمان بن حيّان المُرّى وأمره بالغلظة على أهل الظِّنّة . فعرض يوما بذكر الفتنة وأهلها ، فقال له قائل : هذا العباس بن سهل

على ما فيه ، كان مع الزبير وعَمِل له . فقال عثمان بن حيّان : ويلى ! والله لأقتلنّه .

قال العبّاس : فبلغنى ذلك ، فتغيّبْتُ حتى أضرَّ بى التغيُّب ، فأتيتُ ناسا من جُلسائه فقلت لهم : مالى أخاف وقد أمّننى عبد الملك بن مروان ؟ فقالوا : والله ما يَذْكُرُك إلا تغيَّظَ عليك ، وقلّما كُلّم على طعامه فى ذنبٍ إلا انبسط ، فلو تنكّرْتَ وحضرتَ عشاءه وكلمتَه .

قال : ففعلتُ ، وقلتُ على طعامه ، وقد أُتى بجفنةٍ ضخمة ذات ثريد ولحم : « والله لكأنى أنظر إلى جفنةِ حَيّان بن مَعبد ، والناسُ يتكاوَسون عليها ، وهو يطوف فى حاشيته يتفقّد مصالحها ، يسحب أردية الخزّ ، حتى إن الحسك ليتعلق به فما يُميطُه ، ثم يُؤتَى بجفنة تَهادى بين أربعة ما يستقلّون بها إلا بمشقّةٍ وعناء ، وهـذا بعد ما يفرغ الناس من الطعام ويتنحَّون عنه ، فيأتى الحاضر من أهـله ، والطارئُ من أشراف قومه ، وما بأكثرهم من حاجة إلى الطعام ، وما هو إلا الفخر بالدنوِّ من مائدته والمشاركة ليده .

قال : هيه ! أنت رأيت ذلك ؟ قلت : أجل والله . قال لى : ومن أنت ؟ قلت : وأنا آمِن ؟ قال : نعم . قلت : العباس بن سهل بن سعد الأنصارى . قال : مرحَبًا وأهلا ، أهل الشرف والحق . قال : فلقد رأيتُنى بعد ذلك وما بالمدينة رجل أوجه منى عنده . فقيل له بعد ذلك : أنت رأيت حيّان بن معبد يسحب أردية الخز ويتكاوس النـاس على مائدته ؟ فقال : والله لقد رأيته ونزلنا ذلك الماء وغَشِينا وعليه عباءةٌ ذَكْوانيّة ، فلقد جعلنا نذُوده عن رحْلنا مخافة أن يسرقه .

بين المختار وسراقة

أبو حاتم قال : حدثنا أبو عبيدة قال : أُخِذ سُراقة بن مرداس البارقى أسيراً يوم جَبَّانة السَّبِيْع ، فقُدِّم فى الأسرى إلى المختار ؛ فقال سُراقة :

آمْنُن علىَّ اليومَ ياخيرَ مَعَدّ ٭ وخيرَ من لَبَّى وصلَّى وسَجدْ

فعفا عنه المختار وخلّى سبيله .

ثم خرج مع إسحـاق بن الأشعث فأُتى به المختارُ أسيرا . فقال له : ألم أعْفُ عنك وأمنّ عليك ؟ أما والله لأقتلنّك . قال : لا والله لا تفعل إن شاء الله . قال :

ولِمَ ؟ قال : لأنّ أبى أخبرنى أنك تفتح الشام حتى تهدِمَ مدينة دمشق حجراً حجرا وأنا معك ، ثم أنشده :

ألا أبْلِغْ أبا إسْحَاقَ أنَّا * حَملْنا حَمْلةً كانتْ علينْا
خرَجْنا لا نَرى الضُّعفاء منا * وكانَ خُروجُنا بطَراً وحَيْنَا
تَرَاهُمْ فى مَصفّهم قليـــلاً * وهُم مِثْلُ الدَّبى لما التَقَيْنا
فأسْجِحْ إذ قَدَرْتَ فلوْ قَدرْنا * لَجُرْنا فى الحُكومةِ واعْتَدَيْنا
تقَبَّــلْ توْبَةً مِنّى فإنى * سأشْكُرُ إنْ جَعلْتَ النَّقْدَ دَيْناً

قال : فخلّى سبيله .

ثم خرج إسحاق بن الأشعث ومعه سراقة ، فأُخذ أسيرا وأُتى به المختار ، فقال : الحمد لله الذى أمكننى منك يا عدوّ الله . هذه ثالثة . فقال سراقة : أمَا والله ما هؤلاء الذين أخذونى ! فأين هم ... لا أراهم ؟ إنا لما التقينا رأينا قوما عليهم ثياب بيض ، وتحتهم خيْل بُلْقٌ تطير بين السماء والأرض .

فقال المختار خلوا سبيله ليخبر الناس .

ثم دعا لقتاله فقال :

ألا مَنْ مُبْلِغ المُختار عَنّى * بأنّ البُلْقَ دُهْمٌ مُصْمتات[1]
أُرى عينىّ ما لمْ ترْأياهُ * كِلانا عالمٌ بالتُّرَّهاتِ
كفَرْتُ بِوَحْيِكُمْ وجَعَلْتُ نذْراً * علىَّ قِتالَكُمْ حتى المَمَاتِ

معن بن زائدة وبعض الأسرى

كان معن بن زائدة قد أمر بقتل جماعة من الأسرى ، فقام إليه أصغرُ القوم فقال له : يامعن ، أتقتل الأسرى عطاشاً ؟ فأمر لهم بالماء ؛ فلما سُقُوا قال : يا معن ، أتقتل ضِيفانك ؟ فأمر مَعْن بإطلاقهم .

عمر بن الخطاب والهرمزان

لما أُتى عمر بن الخطاب بالهُرمزان أسيراً ، دعاه إلى الإسلام ، فأبى عليه . فأمرَ بقتله ، فلما عُرِض عليه السيف قال : لو أمرتَ لى يا أمير المؤمنين بشَربةٍ

(١) فى بعض الأصول : « مضمرات » .

من ماء، فهو خير من قتلى على الظمأ. فأمر له بها؛ فلما صار الإناء بيده قال: أنا آمِنٌ حتى أشرب؟ قال: نعم. فألقى الإناء من يده وقال: الوفاء يا أمير المؤمنين نورٌ أبلج. قال: لك التوقُّفُ حتى أنظر فى أمرك، آرفعا عنه السيف. فلما رُفع عنه قال: الآن أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأنّ محمداً عبده ورسوله. فقال له عمر: ويحك! أسلمتَ خير إسلام، فما أخّرك؟ قال: خشيتُ يا أمير المؤمنين أن يقال إن إسلامى إنما كان جَزعاً من الموت. فقال عمر: إن لِفارِسَ حُلوماً بها استحقَّتْ ما كانت فيه من المُلْك. ثم كان عمر يُشاوره بعد ذلك فى إخراج الجيوش إلى أرض فارس ويعملُ برأيه.

الحجاج وبعض من أسر مع ابن الأشعث

لما أُتى الحجاج بالأسرى الذين خرجوا مع آبن الأشعث، أمَرَ بقتلهم؛ فقال رجل أصلح الله الأمير، إن لى حُرمةً. قال: وما هى؟ قال: ذكِرْتَ فى عسكر ابن الأشعث فشُتِمْتَ فى أبويك، فعرَضْتُ دونهما؛ فقلت: لا والله ما فى نسبه مَطْعن، فقولوا فيه ودَعُوا نسبَه. قال ومن يعلم ما ذكرت؟ [قال] فالتفتُّ إلى أقرب الأسرى إلىَّ فقلت: هذا يعلمه. قال له الحجاج: ما تقول فيما يقول؟ قال: صدق ـ أصلح الله الأمير ـ وبَرّ. قال: خليا عن هذا لنُصْرَته، وعن هذا لحفظ شهادته.

روح بن حاتم وبعض المتلصصين

عمرو بن بحر الجاحظ قال: أُتى روحُ بن حاتم برجل كان متلصّصا فى طريق الرِّقاق، فأمر بقتله؛ فقال: أصلح الله الأمير، لى عندك يد بيضاء. قال: وما هى؟ قال: إنك جئت يوماً إلى مجمع موالينا بنى نَهْشل والمجلس مُحتفل، فلم يتحفّز لك أحد فقمتُ من مكانى حتى جلستَ فيه، ولولا مَحْضُ كرمك، وشرفُ قدرك، ونباهة أوّليّتِك، ما ذكّرْتُك هذه عند مثلِ هذا. قال ابن حاتم: صدق، وأمر بإطلاقه وولّاه تلك الناحية وضَمّنه إياها.

المأمون وأبو دلف حين ظفر به

ولما ظفر المأمون بأبى دُلف، وكان يقطع فى الجبال، أمر بضرْبِ عنقِه؛ فقال: يا أمير المؤمنين دعْنى أركع ركعتين. قال: آفعل. فركع وحَبّر أبياتاً، ثم وقف بين يديه فقال:

بِعْ بِىَ النّاسَ فإنّى ‌ ‌ خَلَفٌ مِمّنْ تبيعُ

وَاتَّخِذْنِى لَكَ دِرْعاً • قَلِصَتْ عنهُ الدُّرُوعُ
وارْمِ بِى كُلَّ عدُوٍّ • فأَنا السَّهْمُ السَّرِيعُ

فأطلقه وولّاه تلك الناحية ، فأصلحها .

معاوية وأسير من أهل العراق

أُتى معاوية يومَ صِفِّين بأسيرٍ من أهل العراق ، فقال : الحمد لله الذى أمْكننى منك ! قال : لا تَقُل ذلك يا معاوية ، فإنها مُصيبة ! قال : وأى نعمة أعظم من أن أمكننى الله من رجل قتل جماعة من أصحابى فى ساعة واحدة ؟ اضربْ عنقَه يا غلام! فقال الأسير : اللهم اشْهد أن معاوية لم يقتلْنى فيك ، ولا لأنك ترضى بقتلى[1] ؛ وإنما يقتلنى فى الغلبة على حُطَام هذه الدنيا ؛ فإن فعل فافعلْ به ما هو أهله ؛ وإن لم يفعل فافعلْ به ما أنت أهله .

قال له : ويحك ! لقد سببتَ فأبلغت ، ودعوت فأحسنت ؛ خلّيا عنه .

مصعب بن الزبير ورجل من أصحاب المختار

أمَر مصعبُ بن الزبير برجل من أصحاب المختار أن تُضْرَبَ عنقُه ، فقال : أيها الأمير ، ما أقبحَ بك أن أقوم يوم القيامة إلى صورتك هذه الحسنة ، ووجهك هذا الذى يُسْتضاء به ، فأتعلقَ بأطرافك وأقول : أىْ ربّ ، سَلْ هذا فيمَ قتلنى ؟ قال : أطلقوه . قال : اجعل ما وهبتَ لى من حياتى فى خَفْض . قال : أعطوه مائة ألف . قال الأسير : بأبى أنت وأمى ، أشهد أن لقيس الرُّقيات منها خمسين ألفاً . قال : ولِمَ ؟ قال : لقوله فيك :

إنما مُصْعبٌ شهابٌ مِنَ اللهِ تَجلَّتْ عن وجْهِهِ الظَّلْماءُ
مُلكُه مُلكُ رحمةٍ ليس فيه • جَبَرُوتٌ يُخشى ولا كِبْرياءُ
يتّقِى اللهَ فى الأمُورِ وقَدْ أفْ • لَحَ مَن كان همُّهُ الاتّقاءُ

فضحك مصعب وقال : أرىَ فيك موضعاً للصنيعة . وأمر بلزومه وأحسنَ إليه ؛ فلم يزل معه حتى قُتِل .

عبد الملك ورجل أمر بقتله.

أمر عبد الملك بقتل رجل ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إنك أعزّ ما تكون أحوَجُ ما تكون إلى الله . فعفا عنه .

(١) فى الأصل : وأنك لا ترضى بقتلى .

الحجاج وأسرى من الخوارج

أُتى الحجاج بأسرى من الخوارج ، فأمر بضرب أعناقهم فقُدِّمَ فيهم شابٌّ فقال : والله ياحجاج لئن كنا أسأنا فى الذنب فما أحسنت فى العفو . فقال : أفٍ لهذه الجِيَف . ماكان فيهم مَن يقول مثل هذا ؟ وأمسك عن القتل .

الحجاج وبعض الأسرى

وأُتى الحجاج بأسرى ، فأمر بقتلهم ، فقال له رجل منهم : لا جزاك الله ياحجاج عن السُّنَّة خيرا ؛ فإن الله تعالى يقول : ﴿ فإذا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفروا فضَرْبَ الرِّقابِ حتى إذا أثْخَنْتُمُوهم فَشُدُّوا الوَثاقَ فإمَّا مَنًّا بَعْدُ وإما فِداءً ﴾ . فهذا قول الله فى كتابه . وقد قال شاعركم فيما وَصَف به قومَه من مكارم الأخلاق :

وما نَقْتُلُ الأسرَى ولكنْ نَفُكُّهُمْ ... إذا أَثْقَلَ الأعناقَ حَمْلُ القَلائدِ

فقال الحجاج : وَيْحكم ! أعجزتم أن تُخبرونى بما أخبرنى هذا المنافق ؟ وأمسك عمن بقى .

الحجاج وحرورية

الهيثم بن عدى قال : أُتى الحجاج بحَرُورِيَّة ، فقال لأصحابه : ماتقولون فى هذه ؟ قالوا : لقتلها . أصلح الله الأمير ، ونكِّل بها غيرَها ! فتبسَّمت الحرورية . فقال لها : لم تبسَّمْتِ ؟ فقالت : لقد كان وزراء أخيك فرعون خيرٌ من وزرائك ياحجاج : استشارهم فى قتل موسى فقالوا : أرْجِه وأخاه ، وهؤلاء يأمرونك بتعجيلِ قتلى ؛ فضحك الحجاج وأمر بإطلاقها .

معاوية ويونس الثقفى

قال معاوية ليونس الثقفى : اتق الله ؛ لأُطيرنَّك طِيرة بطيئاً وقوعُها ، قال : أليس بى وبك المرجع إلى الله ؟ قال : نعم . قال : فأستغفر الله .

عبد الملك ومخزومى

ودخل رجل من بنى مخزوم على عبد الملك بن مروان ، وكان زُبيريا ، فقال له عبد الملك : أليس الله قد ردَّك على عقبيك ؟ قال : ومَن رُدَّ إليك يا أمير المؤمنين فقد رُدَّ على عقبيه ، فسكت عبد الملك وعلم أنه أخطأ .

سليمان بن عبدالملك ويزيد ابن أبى مسلم

دخل يزيد بن أبى مُسلم على سليمان بن عبد الملك ؛ فقال له سليمان : علَى امرئٍ أمَّرك وجرَّأك وسلَّطك على الأمة لعنةُ الله ؛ أتظن الحجاج استقرّ فى قعر جهنم أم هو يهوى فيها ؟ قال : يا أمير المؤمنين ، إن الحجاج يأتى يوم القيامة بين أخيك وأبيك ، فضَعْه من النار حيث شئت .

قيس بن عباد وابن زياد

قال عبيد الله بن زياد لقيس بن عَباد : ما تقول فىَّ وفى الحُسين ؟ قال : أَعْفِنى عافاك الله . قال : لابدّ أن تقول . قال : يجىء أبوه يوم القيامة فيشفع له ، ويجىء أبوك فيشفع لك .

قال : قد علمتُ غِشّك وخُبثك ، لئن فارقتنى يوماً لأضعنّ أكثرَك شَعراً بالأرض . ٥

الحجاج وابن يعمر فى الحسين

الأصمعى قال : بعث الحجاج إلى يحي بن يعمر ، فقال له : أنت الذى تقول إنّ الحسينَ بنَ على ابن عمّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنُ رسول الله ؟ لتأتينّى بالمخرج مما قلتَ أو لأضربنّ عُنقَك ! فقال له ابنُ يعمر : وإن جئتُ بالمخرج فأنا آمن ؟ قال : نعم . قال : اقرأ : ﴿ وتِلْكَ حُجّتُنا آتيناها إبراهيمَ على قومِهِ نَرفعُ دَرجاتٍ مَن نَشاء إنّ ربّكَ حكيمٌ عليمٌ . ووَهَبْنا له إسحقَ ويعقوبَ كُلاًّ هَدَيْنا ونوحاً هدَيْنا من قبلُ ومن ذُرّيّته داودَ وسليمانَ وأيوبَ ويوسُفَ وموسَى وهرُونَ وكذلك نَجْزى المُحسنينَ ، وزكريّا ويَحْيَ وعيسَى ﴾ فمَنْ أبعدُ[1] : عيسى من إبراهيم ، أو الحسينُ من محمدٍ صلى الله عليه وسلم ؟ وإنما هو ابنُ بنته ، فقال له الحجاج : والله لكأنى ماقرأتُ هذه الآية قط ، وولّاه قضاء بلده ، فلم يزل بها قاضياً حتى مات . ١٠ ١٥

الحجاج وابن أبى ليلى

أبو بكر ابن أبى شَيبة بإسناده قال : دخل عبد الرحمن بن أبى ليلى على الحجاج ، فقال لجلسائه : إن أردتم أن تنظروا إلى رجل يَسُبُّ أمير المؤمنين عثمان بن عفان فهذا عندكم ، يعنى عبد الرحمن ، فقال عبد الرحمن : معاذ الله أيها الأمير أن أكون أَسُبُّ أمير المؤمنين ، إنه ليَحْجزنى عن ذلك ثلاثُ آياتٍ فى كتاب الله : قال الله تعالى : ﴿ للفُقَراءِ المُهاجرينَ الذينَ أُخرجوا من دِيارِهِمْ وأموالِهِمْ يبتغونَ فضلا من اللهِ ورِضْواناً وينصُرونَ اللهَ ورسولَه أُولئكَ هُمُ الصادِقون ﴾ فكان عثمان منهم . ثم قال : ﴿ والّذِين تَبَوّءوا الدّار والإيمانَ من قبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هاجَرَ إليهم ولا يجِدُون فى صُدورِهِمْ حاجةً مما أُوتوا ويُؤْثِرونَ على أنفُسِهم ٢٠

(١) فى بعض الأصول : «أقرب» .

ولو كان بهم خَصاصةٌ ، ومَن يوقَ شحَّ نفسِه فأولئك همُ المفلِحون ﴾ فكان أبى منهم . ثم قال : ﴿ والذين جاءوا منْ بَعدِهم يقولون ربَّنا اغفِر لنا ولإخوانِنا الذينَ سبَقونا بالإيمانِ ولا تجعَلْ في قلوبِنا غِلًّا للذين آمنوا ربَّنا إنك رءوفٌ رحيمٌ ﴾ فكنت أنا منهم . فقال : صدقت .

الحجاج وعاصم بن أبى وائل

٥ أبو عَوانة عن عاصم بن أبى وائل قال : بعث إلىّ الحجاج فقال لى : ما اسمك ؟ قلت : ما أرسل إلىّ الأمير حتى عرف اسمى ! قال : متى هَبطتَ هذا البلد ؟ قلت : حين هبط أهلُه . قال : ما تقرأ من القرآن ؟ قلت : أقرأ منه ما إذا تَبعتُه كَفانى . قال : إنى أريد أن أستعين بك فى عملى . قلت : إنْ تَستَعِنْ بى تستعنْ بكبيرٍ أخرق ، ضعيفٍ يَخاف أعوانَ السوء ؛ وإن تَدَعْنى فهو أحبُّ إلىّ ، وإن ١٠ تقحمْنى أتقحّم . قال : إن لم أجد غيرَك أقحمتك ، وإن وجدتُ غيرك لم أُقحمك . قلت : وأخرى أكرم اللهُ الأمير : إنى ما علمتُ الناسَ هابوا أميراً قط هيبتَهم لك والله إنى لأتعارُّ من الليل فما يأتينى النوم من ذكرك حتى أُصبح ؛ هذا ولست لك على عمل . قال : هيه ! كيف قلتَ ؟ فأعدتُ عليه ؛ فقال : إنى والله لا أعلم على وجه الأرض خَلْقاً هو أجرأ على دم منى ، انصرِفْ . قال : فقمت فعدلت عن ١٥ الطريق كأنى لا أُبصر : فقال : أرشدوا الشيخ .

الحجاج وأسرى الجماجم

لما أتى الحجاج بأسرى الجماجم ، أُتى فيهم بعامرٍ الشَّعْبى ، ومطرِّف بن عبد الله الشِّخّير وسعيد بن جُبير ، وكان الشعبى ومطرِّف يريان التَّقيَّة ، وكان سعيد بن جبير لا يراها ، وكان قد تقدم كتابُ عبد الملك بن مروان إلى الحجاج فى أسرى الجماجم ، أن يَعرِضَهم على السيف . فمن أقرّ منهم بالكفر فى خروجهم ٢٠ علينا فيُخَلّى سبيلَه ، ومن زعم أنه مؤمن فيضرِب عنقه . فقال الحجاج للشعبى : وأنت ممن أَلّبَ علينا مع ابن الأشعث ؟ اشهَدْ على نفسك بالكفر . فقال : أصلح الله الأمير ، نبَا بنا المنزل ، وأحزَنَ بنا الجَناب ، واستَحلَسنا الخَوْف ، واكتَحلْنا السهر ، وخَبطَتنا فتنةٌ لم نكن فيها بررة أتقياء ، ولا فَجَرةً أقوياء . قال : لله أبوك ! لقد صدقت : ما بَرَرْتم بخروجكم علينا ولا قَويتم ، خَلُّوا سبيلَ الشيخ .

ثم قال لمطرّف : أتُقر على نفسك بالكفر ؟ قال : أصلح الله الأمير ، إن مَن شَق العصا ، وسفك الدماء ، ونكث البَيْعة ، وفارق الجماعة ، وأخاف المسلمين ، لجديرٌ بالكفر . فخَلّى سبيلَه .

ثم قال لسعيد بن جُبير : أتقِرُّ على نفسك بالكفر ؟ قال : ما كفرتُ منذ آمنتُ بالله . فضرب عنقه .

ثم استعرض الأسرى ، فمن أقرّ بالكفر خلّى سبيلَه ، ومن أبَى قتله ، حتى أُتى بشيخ وشاب ، فقال للشاب : أكافرٌ أنت ؟ قال : نعم ، قال : لكن الشيخ لا يرضى بالكفر . فقال له الشيخ : أعَن نفسى تخادعنى يا حجاج ؟ والله لو علمت أعظم من الكفر لقلتُه . فضحك الحجاج وخلّى سبيله .

للفرزدق فى هجاء الحجاج بعد موته

فلما مات الحجاج وقام سليمان ، قال الفرزدق :

لئِنْ نفر الحجّاجَ آلُ مُعَتِّب ... لقُوا دولةً كانَ العدوُّ يُدالُها

لقد أصبح الأحياءُ منهُم أذِلّة ... وموتاهُمُ فى النّارِ كُلْحاً سِبالُها

وكانوا يَروْنَ الدّائراتِ بغيرِهِمْ ... فصارَ عليهم بالعذابِ انْفِتالُها

ألِكْنى إلى مَن كانَ بالصين أوْرمَى ... بِهِ الهِند ألواحُ عليْها جِلالُها

هلُمّ إلى الإسلامِ والعدل[1] عِندنا ... فقدْ ماتَ عنْ أهلِ العِراق خبالُها

سليمان بن عبد الملك وابن الرقاع

لما ولى سليمان بن عبد الملك كتب إلى عامله بالأردن : اجمع يَدَىْ عدِىّ بن الرقاع إلى عنقه ، وابعث به إلىّ على قَتب بلا وِطاء ، ووكّل به مَنْ ينخس به ففعل ذلك . فلما انتهى إلى سليمان بن عبد الملك أُلقِى بين يديه إلقاءً لا روح فيه ، فتركه حتى ارتدّ إليه روحُه ، ثم قال له : أنت أهل لما نَزلَ بك . ألست القائل فى الوليد :

معاذ ربّىَ أن نبْقَى ونفقِدَهُ ... وأن نكونَ لِرَاعٍ بعدَهُ تبَعَا

قال : لا والله يا أمير المؤمنين ، ما هكذا قلت ، وإنما قلت :

معاذ ربّىَ أنْ نبقَى ونفقِدهُمْ ... وأنْ نكونَ لرَاعٍ بعدهُمْ تبعا

(١) فى بعض الأصول : « والدين »

فنظر إليه سليمان وآستضحك ، فأمر له بصلة وخلّى سبيله .

شريك والربيع بين يدى المهدى

العتبي قال : كان بين شَريك القاضى والربيع حاجب المهدى ، معارضة ؛ فكان الربيع يحمل عليه المهدىَّ فلا يلتفت إليه ، حتى رأى المهدىُّ فى منامه شريكا القاضىَ مَصروفا وجهُه عنه ، فلما آستيقظ من نومه دعا الربيع وقصّ عليه رؤياه . فقال : يا أمير المؤمنين ، إن شَريكا مخالفٌ لك وإنه فاطمىٌّ محض . قال المهدى : علىّ به ؛ فلما دخل عليه قال له : ياشريك ، بلغنى أنك فاطمىّ . قال له شريك : أُعيذك بالله يا أمير المؤمنين أن تكون غير فاطمى ، إلا أنْ تَعْنى فاطمةَ بنتَ كسرى . قال : ولكنى أعنى فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم . قال : أفتلعنُها يا أمير المؤمنين ؟ قال : معاذ الله ! قال : فماذا تقول فيمَن يلعنُها ؟ قال : عليه لعنة الله . قال : فالعنْ هذا ـ يعنى الربيع ـ فإنه يلعنها ، فعليه لعنة الله . قال الربيع : لا والله يا أمير المؤمنين ، ما ألعنها . قال له شريك : ياماجن ، فما ذِكْرُك لسيدة نساء العالمين وابنةِ سيِّد المرسلين فى مجالس الرجال ؟ قال المهدى : دعْنى من هذا ، فإنى رأيتك فى منامى كأنَّ وجهَك مصروفٌ عنى وقفاك إلىّ ، وما ذلك إلا بخلافك علىّ ، ورأيتُ فى منامى كأنى أقتل زِنديقا . قال شريك : إن رؤياك يا أمير المؤمنين ليست برؤيا يوسفَ الصِّدِّيق صلوات الله على محمد وعليه ، وإن الدماء لا تُستحَل بالأحلام ، وإنّ علامة الزندقة بيِّنة . قال : وما هى ؟ قال : شربُ الخمر ، والرِّشا فى الحكم ، ومَهر البغِىّ . قال : صدقت والله أبا عبد الله ! أنت والله خيرٌ من الذى حَملنى عليك .

المهدى وشريك

ودخل شريك القاضى على المهدىّ ، فقال له الربيع : خُنْتَ مالَ الله ومال أمير المؤمنين . قال : لو كان ذلك لأتاك سَهْمُك .

الحجاج وجامع المحاربى

العتبي قال : دخل جامع المحاربى على الحجاج ـ وكان جامع شيخاً صالحا خطيباً لبيباً جريئا على السلطان وهو الذى قال للحجاج إذ بَنى مدينة واسط بَنيْتَها فى غير بلدِك ، وتورِثُها غيرَ ولدك ـ فجعل الحجاج يشكو سوءَ طاعةِ أهل العراق وقُبح مذهبِهم . فقال له جامع : أمَا إنه لو أحبُّوك لأطاعوك ، على أنهم ماشَنِئوك

لنَسَبك ، ولا لبلدك ، ولا لذات نفسك ؛ فدع عنك ما يُبعدهم منك إلى ما يُقرّبهم إليك ، والتمس العافية ممن دونك ، تُعطَها ممن فوقك ، وليكن إيقاعُك بَعد وعيدك ، ووعيدُك بعد وعْدك . قال الحجاج : ما أرى أن أردّ بنى اللَّكيعة إلى طاعتى إلا بالسيف . قال : أيها الأمير ، إنّ السيف إذا لاقى السيفَ ذَهَب الخِيار . قال الحجاج : الخيارُ يومئذ لله . قال : أجل ، ولكنك لا تدرى لمن يجعله الله . فغضب وقال : يا هناهُ ، إنك من مُحارب . فقال جامع :

وللحربِ سُمّينا وكنا مُحارباً ۞ إذا ماالقَنا أمسى من الطّعنِ أحمرا

فقال الحجاج : والله لقد هممتُ بأن أخلع لسانَك فأضرب به وجهك . قال جامع : إن صَدَقناك أغْضبناك ، وإن غَشَشْناك أغضبنا الله فغضَبُ الأميرِ أهون علينا من غضب الله . قال : أجل ، وسكن . وشُغل الحجاج ببعض الأمر ، فانسل جامع ، فمرّ بين الصفوف من أهل الشام حتى جاوزها إلى صفوف العراق ، فأبصرَ كبكبةً فيها جماعة من بَكر العراق ، وقَيس العراق ، وتَميم العراق ، وأزْدِ العراق ؛ فلما رأوه اشرَأَبُّوا إليه وقالوا له : ما عِندَك دفَع الله عنك ؟ قال : ويحكم ! عُمّوه بالخَلع كما يَعُمكم بالعداوة ، ودعُوا التّعادى ما عاداكم ؛ فإذا ظفِرتم تراجعتم وتعاديتم . أيها التميمى ، هو أعدى لك من الأزْدِيّ ، وأيها القَيْسِيّ هو أعْدَى لك من التَّغلبيّ . وهل ظفر بمن ناوأه منكم إلا بمن بقِى معه منكم .

وهرب جامع من فوْرِه ذلك إلى الشام ، واستجار بزُفَر بن الحارث فأجاره .

الرشيد ومسلم بن الوليد وابن أبى شيخ

العتبى قال كان هارونُ الرشيد يقتل أولاد فاطمة وشيعتهم . وكان مُسلم بن الوليد ، صريع الغوانى ، قد رُمِىَ عنده بالتَّشَيُّع ، فأمر بطلبه ، فهرب منه ، ثم أمر بطلب أنس بن شَيْخ ، كاتب البرامكة فهرب منه ، ثم وُجد هو ومسلم بن الوليد عند قَيْنَةٍ ببغداد فلما أُتى بهما قيل له : يا أمير المؤمنين ، قد أُتى بالرَّجلين . قال : أىّ الرجلين ؟ قيل : أنس بن أبى شَيخ ، ومُسلم بن الوليد . فقال : الحمدُ لله الذى أظفرنى بهما ! يا غلام ، أحضِرْهما . فلما دخلا عليه نظر إلى مُسلم وقد تغيّر لونه ؛ فرَقّ له وقال :

إيه يا مسلم ، أنت القائل :

أَنِسَ الهوى ببنى علىّ فى الحشا * وأراه يَطْمَحُ عن بنى العباسِ

قال : بل أنا الذى أقول يا أمير المؤمنين :

أنس الهوى ببنى العُمُومةِ فى الحَشا * مُسْتَوحِشاً من سائرِ الإيناس

٥ وإذا تكاملَتِ الفضائلُ كنتمُ * أوْلى بذلك يا بَنِى العباسِ

قال : فعجب هارون من سُرعة بديهته ، وقال له بعضُ جلسائه : اسْتَبْقِه يا أمير المؤمنين فإنه من أشعرِ الناس ، وامتحِنْه فسترى منه عجباً . فقال له : قل شيئا فى أنَسٍ . فقال : يا أمير المؤمنين ، أفْرِخْ روْعى ، أفرخ الله رَوعك يوم الحاجة إلى ذلك ؛ فإنى لم أدخل على خليفة قط . ثم أنشأ يقول :

١٠ تلمَّظَ السيْفُ منْ شوقٍ إلى أنَسٍ * فالموتُ يَلحَظُ والأقدارُ تَنتظرُ

فليس يَبلُغ منه ما يُؤمِّله * حتى يُؤَامِرَ فيه رأيكَ القدَرْ

أمضَى مِنَ الموتِ يَعفو عند قُدرته * وليس للموتِ عفوٌ حين يَقتدرُ

قال : فأجلسه هارون وراء ظهره ، لئلا يَرى ما هم به ، حتى إذا فرغ من قَتل أنَس قال له : أنشدنى أشعَر شِعر لك . فكلما فرغ من قصيدة قال له زِدْ ؛

١٥ حتى قال له أنشدنى التى تقول فيها « الوَحْلِ » فإنى رويتُها وأنا صغير . فأنشده شعره الذى أوله :

أَدِيرا علىَّ الرَّاحَ لا تَشْربا قَبْلى * ولا تطلُبا من عندِ قاتلتى ذَحْلى

حتى انتهى إلى قوله :

إذا ما عَلَت منا ذُؤابةَ شاربٍ * تمشَّت بنا مشْىَ المُقيَّدِ فى الوَحْلِ

٢٠ فضحك هارون وقال : ويحك[1] يا مسلم ! أما رضيت أن قيدته حتى يمشى فى الوحلِ ! ثم أمر له بجائزة وخلّى سبيله .

بين كسرى وبوشت بعد مقتل الفلهبذ

قال كسرى لِبُوشت المُغنى ـ وقد قتل الفلهبذَ تلميذَه ـ : كنتُ أستريح منك

(١) فى بعض الأصول : « عليك » .

إليه ومنه إليك ، فأذهب حسدُك وَنَغَلُ صدرك شطرَ تمتُّعى ، وأمر أن يُطرح تحت أرجلِ الفِيَلة . فقال : أيها الملك ، إذا كنت أنا قد أذهبت شطر تمتُّعك وأذهبت أنت الشطر الآخر ، أليس جنايتُك على نفسك مثلَ جنايتى عليك ؟ قال كسرى : دعوه ؛ فما دلَّه على هذا الكلام إلا ماجُعل له من طول المدة .

الرشيد ويعقوب ابن صالح

يعقوب بن صالح بن على بن عبد الله بن عباس ، قال : دخلت يوماً على الرشيد أمير المؤمنين وهو متغيّظ مُتَرَبِّد ، فندمت على دخولى عليه ، وقد كنت أفهم غَضَبَه فى وجهه ، فسلّمت فلم يردّ ؛ فقلت : داهيةٌ نآد . ثم أومأ إلىّ فجلست . فالتفت إلىّ وقال : لله عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب ، فلقد نطق بالحكمة حيث يقول :

يأيها الزّاجرى عن شيمَتى سَفَهاً ٭ عَمْداً عصيتُ مَقامَ الزاجِر النّاهى
أقصِرْ فإنك من قومٍ أرُومتُهم ٭ فى اللؤم فافخرْ بهم ما شئتَ أوْ باهى
يُزيّنُ الشِّعْرُ أفواهاً إذا نَطقَتْ ٭ بالشِّعْرِ يوماً وقد يُزْرِى بأفواهِ
قد يُرْزَقُ المرءُ لا مِن فضلِ حيلتِه ٭ ويُصرَفُ الرِّزقُ عن ذى الحيلة الدّاهى
لقد عَجِبتُ لقومٍ لا أُصـــول لهم ٭ أثْرَوْا وليسوا وإن أثْرَوْا بأشباه
ما نالنى من غنًى يوماً ولا عُدمٍ ٭ إلّا وقولى عليه «الحمـــد لله»

فقلت : يا أمير المؤمنين ، ومن ذا الذى بلغت عليه المقدرةُ أن يُسامى مثلك أو يدانيه ؟ قال : لعله من بنى أبيك وأمك .

توسط مسلمة بن هشام والكميت

كان الكُميت بن زيد يمدح بنى هاشم ويعرِّض ببنى أمية ، فطلبه هشام فهرب منه عشرين سنة ، لا يستقرّ به القرار من خوف هشام ، وكان مَسلمة بن عبد الملك له على هِشام حاجةٌ فى كلّ يوم يقضيها له ولا يردّه فيها . فلما خرج مسلمة بن عبد الملك يوماً إلى بعض صُيُوده ، أتى الناسُ يسلّمون عليه ، وأتاه الكميت بن زيد فيمَن أتى ، فقال : السلام عليك أيها الأمير ورحمة الله وبركاته ، أما بعد :

قِفْ بالدِّيار وقوفَ زائِرْ ٭ وتأنَّ إنك غيرُ صاغِرْ

حتى انتهى إلى قوله :

يا مَسْلَمَ بنَ أبي الوليـــدِ لِمَيِّتٍ إن شئتَ ناشِرْ
عَلِقَتْ حِبالي من حِبا ، لِكَ ذِمّةَ الجارِ المُجاوِرْ
فالآنَ صِرْتُ إلى أُميَّـــةَ والأمورُ إلى المَصايِرْ
٥ والآنَ كنتُ بِهِ المُصيـــبَ كَمُهْتَدٍ بالأمسِ حائِرْ

فقال مسلمة : سبحان الله ! من هذا الهِنْدِكِيُّ الجِلْحاب ، الذي أقبل من أُخرَيات الناس فبدأ بالسلام ، ثم أما بعدُ ، ثم الشعر ؟ قيل له : هذا الكُميت ابن زيد . فأُعجب به لفصاحته وبلاغته . فسأله مَسلمة عن خبره وما كان فيه طول غيبته . فذكر له سخطَ أمير المؤمنين عليه ؛ فضَمِنَ له مسلمة أمانَهُ ، وتوجه به حتى ١٠ أدخله على هشام ، وهشام لا يعرفه . فقال الكُميت : السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته ، الحمد لله ـ قال هشام : نعم ، الحمد لله ، ياهذا ـ قال الكُميت : مبتدئ الحمدِ ومُبتدِعه ، الذي خص بالحمد نفسَه ، وأمَرَ به ملائكتَه ، وجعله فاتحةَ كتابِه ، ومنتهَى شكرِه ، وكلامَ أهل جنتِه ؛ أحمده حمدَ مَن عَلِم يقينا ، وأبصر مستبينا ؛ وأشهد له بما شهد به لنفسه قائما بالقسط ، وحده لاشريك له ، وأشهد ١٥ أنّ محمداً عبده العربيّ ، ورسولُه الأميّ ، أرسله والناس في هَبَواتِ حَيرة ، ومُدْلَهِمّاتِ ظُلْمة ، عند آستمرار أُبهة الضلال ، فبلّغ عن الله ما أمر به ، ونصح لامته ، وجاهد في سبيله ، وعبَد ربَّه حتى أتاه اليقين ، صلى الله عليه وسلم .

« ثم إني يا أمير المؤمنين تِهْتُ في حيرة ، وحِرْتُ في سَكْرة ، ادْلأمَّ بي خطرُها ، وأهابَ بي داعيها ، وأجابني غاويها ؛ فاقطَوْطَيْتُ [1] إلى الضلالة ، ٢٠ وتَسكّعْتُ في الظُّلمةِ والجهالة ، حائراً عن الحق ، قائلا بغير صِدق . فهذا مقام العائذ ، ومنطق التائب ، ومُبْصِر الهدى بعد طول العمى ، ثم يا أمير المؤمنين ، كم من عاثر أقلتُم عَثْرَتَه ، ومُجترِمٍ عفوتم عن جُرْمه .

---

(١) اقطوطى : قارب في مشيه مع سرعة .

فقال له هشام وأيقن أنه الكميت : ويحك ! مَنْ سَنّ لك الغَواية وأهاب بك في العَماية ؟

قال : « الذى أخرج أبى آدمَ من الجنة فنسِىَ ولم يجدْ له عزما . وأمير المؤمنين كريح رحمةٍ أثارت سحاباً متفرقا ، فلَفقت بعضَه إلى بعض حتى التحم فاستحكم ، وهَدر رعدُه ، وتلألأ بَرْقه ؛ فنزل الأرض فرَوِيتْ واخْضَلّت واخضرت وأُسْقِيت ، فرَوِيَ ظمآنُها ، وامتلأ عطشانُها . فكذلك نَعُدُّك أنت يا أمير المؤمنين . أضاء اللهُ بك الظلمةَ الداجية بعد العُموس [1] فيها ، وحَقَن بك دماء قومٍ أشْعَرَ خوفُك قلوبَهم ، فهم يبكون لِمَا يعلمون من حزمك وبصيرتك ، وقد عَلِموا أنك الحرب وابن الحرب ، إذا احمرّت الحَدَق ، وعضّت المغافرُ بالهام . عزّ بأسُك ، واستربط جأشُك ، مِسعارٌ هَتّاف ، وكافٍ بصيرٌ بالأعداء ، مُغْرى الخيل بالنّكراء ، مُستغنٍ برأيه عن رأى ذوى الألباب ، برأى أريب ، وحِلمٍ مُصيب . فأطال الله لأمير المؤمنين البقاء ، وتمّم عليه النعماء ، ودفع به الأعداء .

فرضى عنه هشام وأمر له بجائزة .

خلاص ابن هبيرة من خالد القسرى

العتبى قال : لما أُتى بابن هُبيرة إلى خالد بن عبد الله القَسرى وهو والى العراق ، أُتى به مغلولا مقيَّداً فى مِدْرعة . فلما صار بين يدى خالد ألقتْه الرجالُ إلى الأرض ، فقال : أيها الأمير ، إن القوم الذين أنعموا عليك بهذه النعمة قد أنعموا بها على مَنْ قبلك ، فأنشدك اللهَ أن تستنّ فى بسُنّة يستنّ بها فيك مَن بعدك ، فأمر به إلى الحبس . فأمر ابنُ هُبيرة غلمانَه فحفروا له تحت الأرض سرداباً حتى خرج الحفرُ تحت سريره ، ثم خرج منه ليلا وقد أُعِدّتْ له أفراسٌ يُداولُها ، حتى أتى مسلمةَ بنَ عبد الملك ، فاستجار به فأجاره ، واستوهبه مسلمةُ من هشام بن عبد الملك ، فوهبه إياه .

فلما قدم خالدُ بن عبد الله القسرىّ على هشام ، وجد عنده ابنَ هبيرة ، فقال له : إباقَ العبد أبِقْت . قال له : حين نمتَ نومةَ الأمَة . فقال

(١) العموس : اشتداد الظلام .

الفرزدق فى ذلك :

لمَّا رأيتَ الأرضَ قد سُدَّ ظهرُها * فلم يبقَ إلا بطنُها لكَ مَخرَجا

دعوتَ الذى ناداهُ يونُسُ بعدَما * ثوى فى ثلاثِ مُظلِماتٍ ففرَّجا

فأصبحتَ تحتَ الأرضِ قدسِرتَ ليلةً * وما سارَ سارٍ مثلَها حينَ أدلَجا

٥ خرجتَ ولم تمنُن عليكَ شفاعةٌ[1] * سوى حثِّكَ التقريبَ منْ آلِ أعْوَجا

ابن هبيرة والناس بعد تأمين هشام له

ودخل الناس على ابن هبيرة بعد ما أمَّنَهُ هشامُ بن عبد الملك يهنئونه ويَحمَدون له رأيه ، فقال متمثلًا :

مَن يلقَ خيراً يحمَدِ الناسُ أمرَه * ومن يَغوَ لا يعدَمْ على الغَىِّ لائما

ثم قال لهم : ما كان قولُكم لو عُرِض لى أو أُدرِكتُ فى طريق ؟

للقطامى

١٠ ومثل هذا قول القُطامى :

والنَّاسُ مَن يلقَ خيرًا قائلون لهُ * ما يَشتَهى ولأُمِّ المُخطِئ الهَبَلُ

لخصى مسلمة عن خلاص ابن هبيرة

عبد الله بن سوّار قال : قال لى الربيع الحاجب : أتحب أن تسمع حديث ابن هبيرة مع مَسلمة ؟ قلت : نعم . قال : فأرسل لخصِىٍّ كان لمسلمةَ يقوم على وَضوئه فجاءه . فقال : حدِّثنا حديث ابن هُبيرة مع مَسلمة . قال : كان مسلمة بن عبد الملك

١٥ يقوم من الليل فيتوضّأ ويتنفّل حتى يُصْبِح ، فيدخل على أمير المؤمنين ؛ فإنى لأصبُّ الماء على يديه من آخر الليل وهو يتوضأ ؛ إذ صاح صائح من وراء الرّواق : أنا باللهِ وبالأمير . فقال مسلمة : صَوتُ ابن هُبيرة ! اخرج إليه . فخرجتُ إليه ورجعتُ فأخبرتُه . فقال : أدْخِلْه . فدخل فإذا رجل يَميد نعاسا ، فقال : أنا بالله وبالأمير . قال : أنا بالله وأنت بالله . ثم قال : أنا بالله وبالأمير . قال : أنا بالله وأنت بالله . حتى قالها ثلاثا

٢٠ ثم قال : أنا بالله . فسكت عنه ثم قال لى : انطلق به فوضّئه ولْيُصلِّ ، ثم اعْرض عليه أحبَّ الطعام إليه فأْتِه به ، وافْرش له فى تلك الصُّفّة ـ لِصفّةٍ بين يدَىْ بيوتِ النساء ـ ولا تُوقظه حتى يقوم متى قام . فانطلقتُ به فتوضأ وصلَّى ، وعرَضت عليه الطعام

(١) فى بعض الأصول : « طلاقة » .

فقال : شَرْبة سويق ، فشرب . وفرشتُ له فنام . وجئت إلى مسلمة فأعلَمْتُه . فغدا إلى هشام فجلس عنده ، حتى إذا حان قيامه قال : يا أمير المؤمنين ، لى حاجة . قال : قُضيَتْ ، إلا أن تكون فى ابن هُبيرة . قال : رضيتُ يا أمير المؤمنين . ثم قام منصرِفا ؛ حتى إذا كاد أن يخرج من الإيوان . رجَع فقال : يا أمير المؤمنين ما عوّدْتنى أن تستثنى فى حاجة من حوائجى ؛ وإنى أكره أن يتحدّث الناس أنك أحدَثْتَ علىّ الاستثناء . قال : لا أستثنى عليك . قال : فهو ابن هُبيرة فعفا عنه .

فضيلة العفو والترغيب

المأمون وصاحب وضوئه

كان للمأمون خادم ، وهو صاحب وَضُوئه . فبينما هو يصب الماء على يديه إذ سقط الإناء من يده ، فاغتاظ المأمون عليه . فقال : يا أمير المؤمنين ، إن الله يقول : ﴿والكاظِمين الغَيْظ﴾ . قال : قد كظمت غيظى عنك . قال : ﴿والعافِينَ عنِ النّاس﴾ . قال : قد عفوتُ عنك . قال : ﴿ واللهُ يُحِبُّ المُحسنينَ ﴾ . قال : اذهب فأنت حُر .

ابن حيوة وعمر ابن عبد العزيز فى رجل عوقب

أمر عمر بن عبد العزيز بعقوبة رجل ، فقال له رجاء بن حَيْوة يا أمير المؤمنين ، إن الله قد فعل ما تُحِبُّ من الظّفَر ؛ فافعل ما يُحِبّه من العفو .

عبد الله بن على وعبد الله بن حسن فى قتل بنى أمية

الأصمعى قال : عزم عبد الله بن علىّ على قتل بنى أمية بالحجاز . فقال له عبد الله بن حسن بن حسَن بن على بن أبى طالب ، رضى الله عنهم : إذا أسرعت بالقتل فى أكفائك فَمَن تُباهِى بسلطانك ؟ فاعْفُ يَعْفُ الله عنك .

ابن خريم والمهدى

دخل ابن خُريم على المهدى ، وقد عَتَب على بعض أهل الشام وأراد أن يُغزيهم جيشاً ، فقال يا أمير المؤمنين ، عليك بالعفو عن الذنب ، والتجاوزِ عن المسىء ، فلأَنْ تُطيعك العرب طاعةَ مَحبّة ، خيرٌ لك من أن تُطيعك طاعة خوف .

أمر المهدى بضرب عُنق رجل ، فقام إليه ابن السماك فقال : إن هذا الرجل

لا يجب عليه ضَرْبُ العنق . قال : فما يجب عليه ؟ قال : تعفو عنه ، فإن كان من أجر كان لك دونى ، وإن كان من وِزْر كان علىّ دونك . فخلّى سبيله .

المهدى وابن السماك فى رجل أمر بضرب عنقه

كلّم الشعبيُّ ابن هبيرة فى قوم حبسهم فقال : إن كنت حبَسْتَهم بباطلٍ فالحقُّ يُطْلِقهم ، وإن كنتَ حبستهم بحقّ فالعفو يَسَعُهم .

الشعبى وابن هبيرة فى محبوسين

٥ العتبي قال : وقعت دماءٌ بين حيَّيْن من قريش ، فأقبل أبو سفيان ؛ فما بقى أحدٌ واضعٌ رأسه إلا رفعه . فقال : يامعشر قريش ، هل لكم فى الحق أو فيما هو أفضلُ من الحق ؟ قالوا : وهل شىءٌ أفضلُ من الحق ؟ قال : نعم ، العفو . فتهادَنَ القومُ واصطلحوا .

أبو سفيان وحيان من قريش بينهما دماء

وقال هُزيم بن أبى طَحْمة [1] ليزيد بن عاتكة بعد ظفره بيزيد بن المهلب :
١٠ ما ظلم أحدٌ ظُلْمَك ، ولا نصر نصْرَك ؛ فهل لك فى الثالثة نقُلْها ؟ قال : وما هى ؟ قال : ولا عفا عفْوَك .

بين ابن أبى طحمة وابن عاتكة حين ظفر بابن المهلب

وقال المُبارك بن فضالة : كنتُ عند أبى جعفر جالسا فى السِّماط ، إذ أمر برجل أن يُقْتَل ؛ فقلت : يا أمير المؤمنين ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا كان يومُ القيامةِ نادى مُنادٍ بين يدَى الله : ألَا مَن كانت له عند الله يدٌ فليَتقدَّم
١٥ فلا يتقدمُ إلا من عفا عن مُذنب . فأمر بإطلاقه .

أبو جعفر وابن فضالة فى رجل معاقب

وقال الأحنف بن قيس : أحقُّ الناس بالعفو أقدرُهم على العقوبة .

وقال النبى صلى الله عليه وسلم : أقربُ ما يكون العبد مِن غضبِ الله إذا غَضِب .

للنبى صلى الله عليه وسلم

وتقول العربُ فى أمثالها : مَلَكْتَ فأسْجِح . وارْحَمْ تُرْحَم . وكما تَدين تُدان .
٢٠ ومن بَرَّ يوما بُرَّ بِه .

من أمثال العرب

بعد الهمة وشرف النفس

دخل نافع بن جُبير بن مُطْعِم على الوليد ، وعليه كساء غليظ ، وخُفَّان

الوليد ونافع ابن جبير

---

(١) فى الأصول : «عدى بن أبى طلحة» ، والتصويب من البيان والتبيين .

جاسيان ، فسلَّم وجلس ، فلم يعرفه الوليد ؛ فقال لخادمٍ بين يديه : سلْ هذا الشيخَ من هُو . فسأله ، فقال له : اعزُبْ . فعاد إلى الوليد فأخبره . فقال : عُدْ إليه وآسأله ، فعاد إليه ، فقال له مثل ذلك . فضحك الوليد وقال له : من أنت ؟ قال : نافع بن جُبير بن مُطعم .

زياد بن ظبيان وابنه فى الوصاة به

وقال زياد بن ظبْيان لابنه عُبيد الله : ألَا أُوصِى بك الأمير زياداً ؟ قال : يا أبتِ ، إذا لم يكن للحىّ إلا وصيةُ الميِّت فالحىُّ هو الميّت . ٥

معاوية وعمرو ابن سعيد

وقال معاوية لعمرو بن سعيد : إلى مَن أَوْصَى بك أبوك ؟ قال : إن أبى أوصَى إلىّ ولم يُوصِ بى ! قال وبِمَ أوصى إليك ؟ قال : ألّا يفقِد إخوانُه منه إلا وجهه .

ابن مسمع وعبيد الله بن ظبيان

وقال مالك بن مِسمع لعُبيد الله بن زياد بن ظبيان : ما فى كِنانتى سهم أنا به أوْثقُ منّى بك . قال : وإنى لفى كنانتك ؛ أما والله لئن كنتُ فيها قائما لأطُولنّها ولئن كنتُ فيها قاعدا لأخرِقنّها . قال : كثّر الله مثلَك فى العشيرة . قال : لقد سألتَ الله شططا . ١٠

لابن المهلب فى الفرزدق

وقال يزيد بن المهلّب : ما رأيت أشرفَ نفساً من الفرزدق ، هجانى مَلِكا ومدحَنى سُوقة .

ابن ظبيان وعتاب الرياحى

وقدم عبيد الله بن زياد بن ظبيان على عتّاب بن ورقاء الرِّياحى وهو والى خُراسان ، فأعطاه عشرين ألفا ؛ فقال له : والله ما أحسنت فأحمَدَك ، ولا أسأتَ فألومَك ؛ وإنك لأقربُ البعداء ، وأحبُّ البُغضاء . ١٥

وعبيد الله بن زياد بن ظبيان هذا هو القائل : واللهِ ما ندمت على شىء قطّ ندمِى على عبد الملك بن مروان ، إذ أتيتُه برأس مصعب بن الزبير فخرّ لله ساجدا ألّا أكونَ قد ضربتُ عُنقَه فأكون قد قتلتُ ملكين من ملوك العرب فى يوم واحد . ٢٠

من همة ابن علفة

ومن أشرف الناس همةً عقيل بن عُلَّفةَ المُرِّىُّ ؛ وكان أعرابيا يسكن البادية وكان يُصْهِر إليه الخلفاء ، وخَطب إليه عبدُ الملك بن مروان ابنته لأحد أولاده فقال له جَنِّبْنى هُجَناء ولدِك .

عمر بن عبد العزيز وعقيل بن علفة

وقال عمر بن عبد العزيز لرجل من بنى أمية كان له أخوال فى بنى مُرة . قبحَ الله شَبهاً غَلَب عليك من بنى مُرة . فبلغ ذلك عقيل بن عُلَّفة ، فأقبل إليه فقال له قبل أن يبتدئه بالسلام : بلغنى ياأمير المؤمنين أنك غضبت على رجل من بنى عمك له أخوال فى بنى مُرة ، فقلت : قبح الله شبَها غَلب عليك من بنى مرة ! وأنا أقول : قَبح الله ألأمَ الطَّرفين ، ثم انصرف .

٥

فقال عمر بن عبد العزيز : من رأى أعجبَ من هذا الشيخ الذى أقبل من البادية ليست له حاجة إلا شَتْمنا ثم أنصرف ؟ فقال له رجل من بنى مُرة : والله ياأمير المؤمنين ما شتَمك ، وما شتم إلا نفسَه ، نحن والله ألأَمُ الطرفين .

من غيرة عقيل

أبو حاتم السِّجستانى عن محمد بن العتبى بن عبد الله ، قال : سمعتُ أبى يحدّث عن أبى عمرو المُرّى ، قال : كان بنو عَقيل بن علَّفة بن مُرة بن غَطفان يتنقَّلون

١٠

ويَنتجعون الغَيث فسمع عَقيل بن عُلَّفة بنتاً له ضحكت فشهَقت فى آخر ضَحكها ! فآخترط السيفَ وحمل عليها وهو يقول :

فَرِقْتُ إنى رجلٌ فَرُوقُ ٭ لِضُحْكةٍ آخرُها شَهيقُ

وقال عقيل :

١٥

إنى وإن سِيق إلىّ المهْرُ ٭ ألفٌ وعُبْدانٌ وذَوْدٌ عَشْرُ

٭ أحبُّ أصهارى إلىّ القبرُ ٭

وقال الأصمعى : كان عقيل بن علَّفة المُرىّ رجلا غيورا ؛ وكان يُصهر إليه الخلفاء ، وإذا خرج يمتار خرج بآبنته الجَرباء معه ، قال : فنزلوا دَيْراً من دِيَرة الشام ، يقال له دَير سَعد ، فلما آرتحلوا قال عقيل :

٢٠

قضَت وطَراً من ديْرِ سَعْدٍ وطالما ٭ علَى عُرُضٍ ناطَحْنَهُ بالجماجمِ[1]

ثم قال لابنه : ياعَمَلَّس أجزْ . فقال :

فأصبَحنَ بالمَوْماةِ يَحمِلْنَ فِتيَةً ٭ نَشاوَى منَ الإدْلاجِ مِيلَ العَمائمِ

(١) فى بعض الأصول : « وربما ٭ على عرض منها بدير الجماجم »

ثم قال لابنته : يا جَرْباء أجيزى . فقالت :

كأنّ الكرى أسْقَاهمُ صَرْخَدِيَّةً * عُقاراً تَمشّى فى المطا والقوائم

قال : وما يُدريكِ أنت ما نَعْتُ الخمر ؟ فأخذ السيف وهوَى نحوها ؛ فاستعانت بأخيها عَمَلّس ، فحال بينه وبينها ، قال : فأراد أن يضربه ، قال : فرماه [عملس] بسهم فاختلّ فخذيه فبرك ، ومَضَوْا وتركوه ، حتى إذا بلغوا أدنى ماء للأعراب ، ٥ قالوا لهم : إنا أسْقَطْنا جَزوراً فأدركوها وخذوا معكم الماء . ففعلوا ، فإذا عقيل باركٌ وهو يقول :

إنّ بَنِيَّ زَمّلونى بالدَّمِ * شِنْشِنة أعرِفُها من أخزَمِ

* من يَلْقَ أبطالَ الرجالُ يُكَلَمِ *

والشنشنة الطبيعة . وأخْزَم فحل معروف . وهذا مثل للعرب . ١٠

الأوس والخزرج

ومن أعزّ الناس نفسا وأشرفهم همماً : الأنصار ، وهم الأوْس والخزرجُ ابنا قَيلة ، لم يؤدوا إتاوة قطُّ فى الجاهلية إلى أحد من الملوك ، وكتب إليهم تُبّع يدعوهم إلى طاعته ويتوعّدهم إن لم يفعلوا ؛ فكتبوا إليه :

العبدُ تُبّعُ كَمْ يرومُ قتالنا * ومكانُه بالمنزلِ المتــذلّلِ

إنا أُناسٌ لا يُنامُ بأرضِنا * عَضّ الرسولُ بِبَظْرِ أمّ المرْسِلِ ١٥

فغزاهم تُبّع أبو كَرِب ، فكانوا يُقاتلونه نهاراً ويخرجون إليه القِرَى ليلا ، فتذمّم مِن قتالهم ورحَل عنهم .

ودخل الفرزدق على سُليمان بن عبد الملك ، فقال له : من أنت ؟ وتجهّم له كأنه لا يعرفه . فقال له الفرزدق : وما تَعرفنى يا أمير المؤمنين ؟ قال : لا . قال : أنا من قوم منهم أوْفى العرب ، وأسْودُ العرب ، وأجود العرب ، وأحلم العرب ، ٢٠ وأفْرس العرب ، وأشْعر العرب . قال : والله لتُبيّننّ ما قلت أو لأُوجِعَنّ ظهرَك ولأهْدِمَنّ دارَك .

قال : نعم يا أمير المؤمنين ؛ أما أوْفى العرب فحاجبُ بن زُرارة الذى رَهَن

قومه عن جميع العرب فوَفَّى بها ، وأما أسود العرب فقيسُ بن عاصم الذى وَفَد على رسول الله صلى الله عليه وسلم فبَسَط له رداءه وقال : هذا سيِّد الوبر . وأما أحلم العرب فعتّاب بن وَرقاء الرِّياحى . وأما أفْرَسُ العرب فالحَريش بن هلال[1] السَّعدىّ ، وأما أشعر العرب فهأنذا بين يديك يا أمير المؤمنين .

٥ فاغتمّ سليمان مما سَمع من فخره ولم يُنكره ، وقال آرجع على عَقِبيك ، فما لك عندنا شىءٌ من خَير . فرجع الفرزدق وقال :

أتيْناكَ لا مِن حاجة عَرَضَت لنا ٭ إليك ، ولا مِن قِلّة فى مُجاشِعِ

للفرزدق فى الفخر

وقال الفرزدق فى الفخر :

بنو دارِمٍ قومِى تَرَى حُجُزاتِهم ٭ عِتاقاً حَواشِيها رِقاقاً نِعالُها

١٠ يجرّون هُدّاب اليَمان كأنهم ٭ سُيوفٌ جَلا الأطباعَ عنها صِقالُها

للأحوص فى مثله

وقال الأحوص فى الفخر ؛ وهو أفخر بيت قالته العرب :

مامِن مُصيبةِ نَكْبةٍ أُرْمَى بها ٭ إلا تُشَرِّفُنِى وتَرفعُ شانِى

وإذا سَألتَ عن الكِرام وجدتنى ٭ كالشمسِ لا تَخْفَى بكلِّ مكان

بردا محرق وعامر بن أحيمر

وقال أبو عبيدة : آجتمعت وفود العرب عند النُّعمان بن المنذر ، فأخرج ١٥ إليهم بُرْدَىْ مُحرِّق ، وقال: ليقم أعزُّ العرب قبيلة فلْيَلْبَسهما . فقام عامر بن أحيمر السَّعدى فأتزر بأحدهما وارتدى بالآخر ؛ فقال له النعمان : بِمَ أنت أعزُّ العرب ؟ فقال : العز والعددُ من العرب فى معدّ ، ثم فى نزار ، ثم فى تَميم ، ثم فى سَعد ، ثم فى كعب ، ثم فى عَوف ، ثم فى بَهدلة ؛ فمن أنكر هذا من العرب فلينافِرْنى . فسكت الناس .

٢٠ ثم قال النعمان : هذه حالُك فى قومك ، فكيف أنت فى نفسك وأهلِ بيتك ؟ قال : أنا أبو عشرة ، وخال عَشرة ، وعم عشرة ؛ وأما أنا فى نفسى فهذا شاهدى . ثم وضع قدمه فى الأرض ثم قال : من أزالها عن مكانها فله مائةٌ من الإبل .

(١) فى بعض الأصول : « الحريش بن عبد الله » وهو تحريف .

فلم يقم إليه أحد . فذهب بالبُرْدَيْنِ . ففيه يقول الفرزدق :

فما تمّ فى سَعْد ولا آلِ مالِك * غُــلامٌ إذا ماسِيل لم يَتبهدَلِ

لهم وَهَب النُّعمانُ بُرْدىْ مُحَرّق * بمَجدِ مَعَــدّ والعَديدِ المحَصَّلِ

بيت سعد مناة وشعر أوس فيهم

وفى أهل هذا البيت من سعد بن زَيد مناة ، كانت الإفاضة فى الجاهلية . ومنهم بنو صفوان الذين يقول فيهم أوس بن مَغْراء السَّعدىّ : ٥

ولا يَريمون فى التَّعْريفِ موْقفَهم * حتى يقالَ أَجيزوا آلَ صَفْوانا

ما تطْلُع الشمسُ إلا عند أوّلنا * ولا تَغَيَّبُ إلا عنـد أُخْـرانا

للفرزدق

وقال الفرزدق فى مثل هذا المعنى :

تَرى الناسَ ما سِرْنا يسيرونَ خَلفَنا * وإنْ نحنُ أَوْمأْنا إلى الناسِ وقّفوا

لهنيدة فى الفخر

وكانت هُنيدة بنت صعصعة عمة الفرزدق تقول : مَن جاءت من نساء العرب بأربعةٍ كأَرْبَعَتى يحِلُّ لها أن تضع خِمارَها عندهم ، فصِرْمَتى لها : أبى صعصعة ، وأخى غالب ، وخالى الأقرع بن حابس ، وزَوجى الزِّبْرقان بن بدر ! فسُمّيتْ ذاتَ الخمار . ١٠

وممن شرفت نفسه وبعدت همتُه ، طاهر بن الحُسين الخراسانى ؛ وذلك أنه لما قتل محمدَ بن زُبيدة ، وخاف المأمون أن يَنذِر به ، امتنع عليه بخراسان ولم يُظهِر خَلْعَه . ١٥

وقال دعبل بن على الخزاعى يفتخر بقتل طاهر بن الحسين محمدا ، لأنه كان مولى خزاعة ، ويقال إنه خزاعى :

أيسومُنى المأمونُ خُطّة عاجزٍ * أوَ ما رأى بالأمس رأْسَ محمدِ !

يُوفِى على رأْسِ[1] الخلائق مثلَ ما * تُوفِى الجبالُ على رءوسِ الفَدْفَد ٢٠

إنى منَ القَوم الذين هُمُ هُمُ * قَتلوا أخاك وشرّفوك بمقعد

رفعوا محلّك بعد طول خموله * واستنقذوك من الحضيض الأوهد

(١) فى الشعر والشعراء «روس».

لطاهر بن الحسين

وقال طاهر بن الحسين [1] :

غَضِبْتُ على الدُّنيا فأَنْهَبْتُ ماحَوَتْ * وأَعْتَبْتُها مِنِّى بإحدى المَتالِفِ
قتلتُ أمير المؤمنــينَ وإنمـا * بَقيتُ عنـاءً بَعــدَه للخلائفِ
وأصبحت فى دارٍ مقيما كما ترى * كأنى فيها من ملوك الطوائف
٥ وقد بقيَت فى أُمِّ رأسىَ فَتْكَةٌ * فإما لِرُشــدٍ أو لرأيٍ مُخالِفِ

لابن مسلمة فى الرد على طاهر

فأجابه محمد بن يزيد بن مسلمة :

عتبتَ على الدُّنيـا فلا كنتَ راضِياً * فلا أعتبتْ إلا بإحدى المتـالِف
فَنْ أنت أو ما أنتَ يا فَقْعَ قَرْقَرٍ * إذا أنتَ مِنَّـا لَمْ تَعَلَّقْ بكاتِفِ
فنحن بأيدينـا هرقنـــا دماءنا * كشَوْل تهـادى الموت عند التزاحف
١٠ ستعلمُ ما تَخفِي عليك وما جَنَتْ * يداكَ فلا تفخَرْ بِقتْـلِ الخَلائف
وقد بقيت فى أُم رأســك فتكة * سنُخرجها منـــه بأسمرَ راعف

لابن طاهر فى الفخر

وقال عبد الله بن طاهر :

مُدْمِنُ الإغضاءِ موصولُ * ومُدِيمُ العَتْبِ مَمــلولُ
ومَـدِينُ البِيضِ فى تعَبٍ * وغَــرِيمُ البِيضِ مَمطولُ
١٥ وأخو الوجهينِ حيث رَمَى * بِهَــواه فهْــوَ مدخولُ
أَقْصِرِى عمـا طَمَحْتِ له [2] * فَفَراغى عنـــكِ مشغولُ
سائِلى عمن تُســائلُنى * قد يَرُدُّ الخَــيرَ مسئول
أنا مَنْ تُعرَف نِسْبَته * سلَفِى الغُــرُّ البَهاليــلُ
سَلْ بِهِمْ تُنْبِيك نَجْدتُهُمْ * مَشْرَفِيَّــاتٌ مصاقيــل
٢٠ كلُّ عَضْبٍ مُشْرَب عَلَقاً * وغِرارُ الحــدّ مفــلولُ
مُصعبٌ جَـدِّى نقيبُ بنى * هاشِمٍ والأمرُ مجهــولُ

(١) فى بعض الأصول : « وهو القائل » .
(٢) فى بعض الأصول : « لهجت به » .

وحسينٌ رأسُ دعوتِهم * بَعدَه ، والحقُّ مقبولُ
وأبى مَن لا كِفاءَ له * مَن يُسامِى مجدَه قولوا
صاحبُ الرأيِ الذي حَصلتْ * رأيُه القومُ المَحاصيلُ
حَلَّ منهم بالذُّرا شَرَفاً * دونَه عِزٌّ وتبجيلُ
تُفصِحُ الأنباءُ عنه إذا * أسكتَ الأنباءَ مجهولُ ٥
سَلْ به الجبارَ يومَ غدا * حولَهُ الجُرْدُ الأبابيلُ
إذ عَلَتْ مَفْرِقَهُ [1] يدُهُ * تَوطُها أبيضُ مصقولُ
أبطنَ المخلوعُ كَلْكَلَه * وحوالَيهِ المَقاويلُ
فثَوَى والتُّرْبُ مصرعُه * غالَ عنه مُلكَهُ غُولُ
قادَ جيشاً نحوَ بابلِه * ضاقَ عنه العَرْضُ والطُّولُ ١٠
وهبُوا لله أنفسَهم * لا مَعازيلٌ ولا مِيلُ
مَلِكٌ تجتاحُ صولَتُه * ونَداهُ الدهرَ مبذولُ
نُزِعتْ منه تمائمُهُ * وهْوَ مرهوبٌ ومأمولُ
وِتْرُهُ يُسْعَى إليه بِهِ * ودَمٌ يَجنيهِ مطلولُ

لابن مسلمة في الرد عليه

فأجابه محمد بن يزيد بن مسلمة ، وكان من أصحابه وآثرهم عنده ، ثم اعتذر إليه ١٥ وزعم أنه لم يَدْعُه إلى إجابته إلا قوله :

* من يسامى مجده قولوا *

فأمر له بمائة ألف وزاده أثرة ومنزلة :

لا يَرُعْكِ القالُ والقيلُ * كُلُّ ما بُلِّغتِ تضليلُ
ما هَوًى لى كنتُ أعرِفُهُ * بِهَوَى غيرِكِ موصولُ ٢٠
أيخونُ العهدَ ذو ثقة * لا يخونُ العهدَ متبولُ
حَمَّلتِني كُلَّ لائمةٍ * كُلُّ ما حَمَّلتِ محمولُ

(١) فى بعض الأصول : « من فوقه » .

واحْكُمِى ماشئتِ واحْتَكِمى ٭ لحــرامى لكِ تحليــلُ
أين لى عنــك إلى بَدَلٍ ٭ لا بديلٌ منــكِ مقبولُ
ما لِدارى منــكِ مقفِرةٌ ٭ وضميرى منــكِ مأهولُ
وبدت يوم الوداع لنا ٭ غادةٌ كالشمس عطبول
تتعاطى شَــدّ مِئزَرِها ٭ ونطاقُ الخَصْرِ محــلولُ
شَمْلنـــا إذ ذاكَ مجتمِعٌ ٭ وجَناحُ البَيْنِ مشكولُ
ثم ولّت كى تودّعنا ٭ كحلها بالدمع مغسول
أيها البـــادى بِطِيَّتِه ٭ ما لأغــلاطك تحصيل
قد تأوَّلتِ على جهــةٍ ٭ ولنـــا وَيْحَكِ تأويلُ
إنّ دِلّيلاكَ يومَ غــدًا ٭ بِكَ فى الحــين لِضِلّيلُ
قاتلُ المخــلوعِ مقتولٌ ٭ ودَمُ القــاتلِ مطــلولُ
قد يخونُ الرُّمْحَ عامِلُه ٭ وسِنانُ الرُّمْحِ مصقولُ
ويَنــالُ الوِتْرَ طالِبُــهُ ٭ بعدَ ما تَسْلُو المَثاكيلُ
يا أخا المخــلوعِ طُلْتَ يداً ٭ لم يكن فى باعِها طُولُ
وبِنُعْماهُ التى كُفِرتْ ٭ جالت الخيــلُ الأبابيلُ
وبِراعٍ غــيرِ ذى شَفَقٍ ٭ فُعِلَتْ تلك الأفاعيــلُ
يابن بِنْتِ النارِ مُوقِدُها ٭ ما لِحَــاذَيه سَرَاويلُ
مَنْ حُسَيْنٌ مَن أبوهُ ومَنْ ٭ مُصعَبٌ غالَتْهُــمُ غُولُ
إنّ خيرَ القولِ أصدَقُه ٭ حين تصطَكّ الأقاويل

مراسلات الملــوك

جزائر ملك اليمن إلى مكة

العُتْبىّ عن أبيه ، قال : أهدى ملك اليمن عشرَ جزائر إلى مكة ، وأمر أن ينحرها أعزُّ قُرشىّ ؛ فقدمتْ وأبو سفيان عَروسٌ بهند بنتِ عُتبة ، فقالت له :

أيها الرجل ، لايَشْغَلَنَّكَ النساء عن هذه المكرمة التى لعلها أن تفوتَك . فقال لها : ياهذه ، دَعِى زوجَك وما يختارُه لنفسه ! والله مانحرها غيرى إلا نَحَرْتُه ! فكانت فى عُقُلِها حتى خرج أبو سفيانَ فى اليوم السابع فنَحَرها .

بين قيصر ومعاوية

زهير عن أبى الجُويرية الجَرْمِىّ ، قال : كتب قَيصر إلى معاوية : أخبرنى عمن لا قِبْلة له ، وعمن لا أبَ له ، وعمن لاعشيرة له ، وعمن سار به قبرُه ، وعن ثلاثة أشياء لم تُخْلَقْ فى رَحِم ، وعن شىءٍ ، ونصف شىءٍ ، ولا شىء ؛ وابعث إلىّ فى هذه القارورة بِبَزْر كلِّ شىء .

فبعث معاوية بالكتاب والقارورة إلى ابن عباس ، فقال : أمّا مَن لا قِبلة له فالكعبة . وأما مَن لا أب له فعيسى . وأما مَن لا عشيرة له فآدم . وأما من سار به قبرُه فيونس . وأما ثلاثة أشياء لم تُخْلَق فى رَحِم ، فكبش إبراهيم ، وناقةُ ثمود ، وحيّةُ موسى . وأما شىء ، فالرجلُ له عقلٌ يعمل بعقله ؛ وأما نصفُ شىء ، فالرجل ليس له عقل ويعمل برأى ذوى العقول ، وأما لا شىء ، فالذى ليس له عقل يعمل به ولا يستعين بعقل غيره . وملأ القارورة ماء وقال : هذا بزرُ كلّ شىء .

فبعث به إلى معاوية ، فبعث به معاوية إلى قيصر ؛ فلما وصل إليه الكتاب والقارورة ، قال : ماخرج هذا إلا من أهل بيت النُّبُوّة .

من ملك الهند إلى عمر بن عبد العزيز

نُعيم بن حماد قال : بعث ملك الهند إلى عمر بن عبد العزيز كتاباً فيه :

مِن مِلِكِ الأملاك الذى هو ابنُ ألف ملك ، والذى تحته ابنةُ ألف ملك ، والذى فى مَربطه ألفُ فيل ، والذى له نهران يُنْبتان العود والأَلُوّة والجوز والكافور ، والذى يوجد ريحه على مَسيرة اثنى عشر ميلا ، إلى ملك العرب الذى لا يُشرك بالله شيئا .

أما بعد ، فإنى قد بعثتُ إليك بهدية ، وما هى بهدية ولكنها تحفة ؛ قد أحببتُ أن تبعثَ إلىّ رجلا يعلّمنى ويُفهِّمنى الإسلام . والسلام .

يعنى بالهدية : الكتاب .

بين ملك الروم والوليد في هدم كنيسة دمشق

الرياشي قال : لما هدم الوليدُ كنيسة دمشق ، كتب إليه ملك الروم :

إنك هدمتَ الكنيسة التي رأى أبوك تركها ، فإن كان صواباً فقد أخطأ أبوك ، وإن كان خطأً فما عُذرُك .

فكتب إليه : ﴿ وداوُدَ وسُليمانَ إذْ يحكُمانِ في الحرثِ إذْ نفشَتْ فيهِ غنمُ القومِ وكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شاهِدِينَ ، ففهَّمْناها سُليْمانَ وكُلاًّ آتينا حُكْمًا وعِلْماً ﴾ .

بين ملك الروم وعبد الملك بن مروان

وكتب ملك الروم إلى عبد الملك بن مروان : أكلت لحم الجمل الذي هرب عليه أبوك من المدينة . لأُغْزِيَنَّكَ جنوداً مائة ألفٍ ومائة ألف .

فكتب عبدُ الملك إلى الحجاج أن يَبعث إلى عبد الله بن الحسن [1] ويتوعّده ويكتبَ إليه بما يقول . ففعل ، فقال عبد الله بن الحسن : « إن لله عزَّ وجل لوحا محفوظاً يلحظه كل يوم ثلثمائةِ لحظة ، ليس منها لحظة إلا يُحيي فيها ويُميت ويُعِز ويُذِلّ ويفعل ما يشاء ، وإني لأرجو أن يكفيَنيك منها بلحظة واحدة ! »

فكتب به الحجاج إلى عبد الملك بن مروان ، وكتب به عبد الملك إلى ملك الروم . فلما قرأه قال : ماخَرَجَ هذا إلا مِن كلام النبوة .

بين ملك الهند والرشيد

بعث ملك الهند إلى هارون الرشيد بسيوف قَلَعِيَّة ، وكلاب سُورية ، وثياب من ثياب الهند .

فلما أتته الرسلُ بالهدية أمر الأتراك فصَفُّوا صفين ولبسوا الحديد حتى لا يُرى منهم إلا الحدَقَ ، وأذن للرُّسل فدخلوا عليه ، فقال لهم : ما جئتم به ؟ قالوا : هذه أشرفُ كُسوةِ بلدِنا . فأمر هارون القَطَّاع بأن يقطع منها جلالاً وبراقع كثيرةً لخيله فصَلَّبَ الرُّسلُ على وجوههم ، وتذمّموا ونكسوا رءوسَهم . ثم قال لهم الحاجب : ما عندكم غير هذا ؟ قالوا له : هذه سيوف قَلَعية لا نظير لها . فدعا هارون بالصَّمْصامة سيفِ عمرو بن معديكرب ، فقُطعت به السيوفُ بين يديه سيفاً سيفا كما يُقطّ الفُجل ، من غير أن تَنْثنى له شَفْرة ، ثم عَرَض عليهم حدَّ السيف فإذا لا فلَّ فيه ؛ فصلَّب القوم على وجوههم .

(١) في بعض الأصول : « علي بن الحسن » .

ثم قال لهم : ماعندكم غير هذا ؟ قالوا : هذه كلاب سُورية لا يلقاها سبع إلا عقرته . فقال لهم هارون : فإن عندى سَبُعا ، فإن عقرته فهى كما ذكرتم . ثم أمر بالأسد فأُخرج إليهم ، فلما نظروا إليه هالهم ، وقالوا : ليس عندنا مثل هذا السَّبُع فى بلدنا ! قال لهم هارون : هذه سباع بلدنا . قالوا : فنرسلها عليه . وكانت الأكلُبُ ثلاثة ، فأرسلت عليه فمزّقته ، فأعجب بها هارون ، وقال لهم : ٥ تمنّوا فى هذه الكلاب ماشئتم من طرائف بلدنا . قالوا ما نتمنّى إلا السيف الذى قطعت به سيوفنا . قال لهم : هذا مما لا يجوز فى ديننا أن نُهاديكم بالسلاح ، ولولا ذلك مابَخِلْنا به عليكم ، ولكن تمنوا غير ذلك ماشئتم . قالوا : ما نتمنى إلا به . قال : لاسبيل إليه . ثم أمر لهم بتُحف كثيرة ، وأحسنَ جائزتهم .

بين المأمون وطاهر بن الحسين

١٠ أبو جعفر البغدادى قال : لما انقبض طاهر بن الحسين بخراسان عن المأمون وأخذ حِذْرَه ، أدّب له المأمون وصيفاً بأحسن الآداب ، وعلّمه فنون العلم ، ثم أهداه إليه مع ألطاف كثيرة من طرائف العراق وقد واطأه على أن يَسُمَّه ، وأعطاه سمَّ ساعة ، ووعده على ذلك بأموال كثيرة ؛ فلما انتهى إلى خراسان وأوصل إلى طاهر الهدية ، قَبِل الهدية وأمر بإنزال الوصيف فى دار ، وأجرَى ١٥ عليه مايحتاج إليه من التوسعة فى النّزَالة ، وتركه أشهراً . فلما بَرِمَ الوصيفُ بمكانه ، كتب إليه :

ياسيدى ، إن كنتَ تقبلنى فاقبلنى ، وإلا فرُدّنى إلى أمير المؤمنين .

فأرسل إليه وأوصله إلى نفسه . فلما انتهى إلى باب المجلس الذى كان فيه ، أمره بالوقوف عند باب المجلس ، وقد جلس على لِبدٍ أبيض وقرّع رأسه وبين ٢٠ يديه مُصحف منشور ، وسيفٌ مسلول . فقال : قد قَبلنا ما بَعث به أمير المؤمنين غيرَك ، فإنا لا نقبلك ، وقد صرَفناك إلى أمير المؤمنين . وليس عندى جوابه أكتبه إلا ماترى من حالى . فأبلغ أمير المؤمنين السلام وأعلِمه بالحال التى رأيتنى فيها .

فلما قدم الوصيفُ على المأمون وكلمه بما كان من أمره ووصف له الحالة

التى رآه فيها ، شاور وُزراءه فى ذلك وسألهم عن معناه . فلم يَعْلَمْه واحدٌ منهم .
فقال المأمون : لكنى قد فهمت معناه : أما تقريعُه رأسَه وجلوسُه على اللّبد
الأبيض ، فهو يخبرنا أنه عبد ذليل ؛ وأما المُصحف المنشور ، فإنه يذكّرنا بالعهود
التى له علينا ؛ وأما السيف المسلول ، فإنه يقول : إن نُكِثَت تلك العهودُ فهذا
٥ يَحكم بينى وبينك . أغلِقوا عنا بابَ ذِكره ولا تَهيجوه فى شىء مما هو فيه .

فلم يَهِجْه المأمونُ حتى مات طاهرُ بن الحسين ، وقام عبدُ الله بن طاهر
مكانَه : فكان أخفَّ الناس على المأمون .

بينهما فى ابن السندى

وكتب طاهر بن الحسين إلى المأمون فى إطلاق ابن السِّندىّ من حبسه ،
وكان عامله على مصر فعزله عنها وحَبَسه ؛ فأطلقه له وكتب إليه :

١٠ أخى أنت ومَوْلاىَ ٭ فما تَرْضاهُ أرضاهُ
وما تَهْوى من الأمرِ ٭ فإنى أنا أهــواه
لك اللهُ على ذالكَ ٭ لك اللهُ لك اللهُ

كتاب الياقوتة
فى العلم والأدب

فرش كتاب الياقوتة فى العلم والأدب

قال أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه : قد مضى قولنا فى مخاطبة الملوك ومقاماتهم وما تفنّنوا فيه من بديع حِكَمهم ، والتزلف إليهم بحسن التوصّل ولطيف المعانى ، وبارع مَنطقهم وآختلاف مذاهبهم   ٥

ونحن قائلون بحمد الله وتوفيقه فى العلم والأدب ؛ فإنهما القُطبان اللذان عليهما مدارُ الدين والدنيا ، وفرْقُ ما بين الإنسان وسائر الحيوان ، وما بين الطبيعة الملَكية والطبيعة البهيمية ؛ وهما مادّة العقل ، وسراج البدن ، ونور القلب ، وعماد الروح ؛ وقد جعل الله بلطيف قدرته وعظيم سلطانه بعض الأشياء عَمَداً لبعض ومُتولداً من بعض . فإجالة الوهم فيما تدركه الحواس تبعث خواطر الذِّكر ، وخواطر الذكر تنبّه رَوِيّةَ الفكر . ورويّة الفكر تُثير مكامنَ الإرادة ، والإرادة تحكم أسبابَ العمل . فكل شيء يقوم فى العقل ويُمثل فى الوهم يكون ذكرا ، ثم فكرا ، ثم إرادة ، ثم عملا . والعقل مُتقبل للعلم ، لا يعمل فى غير ذلك شيئا .   ١٠

والعلم عِلمان : علمٌ حُمِلَ ، وعلم استُعْمِل ؛ فما حُمل منه ضَرّ . وما استعمل نفع . والدليل على أن العقل إنما يعمل فى تقبُّل العلوم كالبَصر فى تقبُّل الألوان والسمع فى تقبل الأصوات : أنّ العاقل إذا لم يُعلَّم شيئا كان كمن لا عقل له . والطفل الصغير لو لم تمرِّنه أدبا وتُلَقِّنه كتابا كان كأبلَه البهائم وأضلّ الدّوابّ فإن زعم زاعم فقال : إنا نجد عاقلا قليل العلم ، فهو يستعمل عقله فى قلة علمه فيكون أسَدَّ رأيا وأنبهَ فطنةً وأحسنَ مواردَ ومَصادرَ من الكثير العلم مع قلة العقل . فإن حجتنا عليه ما قد ذكرناه من حَمْل العلم واستعماله ؛ فقليلُ العلم يَستعمله العقلُ خيرٌ من كثيره يحفظه القلب .   ١٥ ٢٠

للمهلب

قيل للمهلب : بم أدركت ما أدركت ؟ قال : بالعِلم . قيل له : فإنّ غيرَك قد عَلِم أكثر مما عَلِمت ولم يُدرك ما أدركت . قال : ذلك عِلمٌ حُمِل وهذا علمٌ استُعمل .

للحكماء

وقد قالت الحكماء : العلم قائد والعقل سائق والنفس ذَوْد ؛ فإذا كان قائد بلا سائق هلكتْ ، وإن كان سائق بلا قائد أخذَت يميناً وشمالا ، وإذا اجتمعا
٥ أنابت طوعا أو كرها .

فنون العلم

بين المأمون وسهل بن هارون

قال سهل بن هارون وهو عند المأمون : من أصنافِ العلم ما لا ينبغى للمسلمين أن ينظروا فيه ، وقد يُرْغب عن بعض العِلم كما يرغب عن بعض الحلال .

فقال المأمون : « قد يُسمّى بعضُ الناس الشىء علما وليس بعلم ، فإن كان
١٠ هذا أردتَ فوجهُه الذى ذكرتُ .

ولو قلت أيضاً إن العلم لا يُدرَك غَوْرُه ، ولا يُسْبَرُ قعرُه ، ولا تُبلَغ غايته ، ولا تُستَقْصى أصولُه ، ولا تَنضبط أجزاؤه ، صدقتَ : فإن كان الأمر كذلك فابدأ بالأهمّ فالأهم ، وبالأوكد فالأوكد ، وبالفرض قبل النّفل ، يكن ذلك عدلا قصداً ومذهباً جميلا .

١٥ وقد قال بعض الحكماء : لستُ أطلب العلم طمعاً فى غايته والوقوفِ على نهايته ، ولكنِ التماسَ ما لا يَسَعُ جهلُه . فهذا وجهٌ لما ذكرت .

وقال آخرون : علم الملوكِ النسب والخبر ، وعلم أصحاب الحروب درسُ كتبِ الأيام والسِّيَر ، وعلم التجارِ الكتابُ والحساب . فأما أنْ يسمّى الشىء علماً ويُنْهَى عنه من غير أن يُسْأل عما هو أنفعُ منه ، فلا .

لابن إدريس

٢٠ وقال محمد بن إدريس رضى الله عنه : العِلم عِلمان : علمُ الأبدان ، وعلم الأديان .

وقال عبد الله بن مسلم بن قتيبة : مَن أراد أن يكون عالما فليطلب فنًّا

واحدا ، ومن أراد أن يكون أديباً فليتفنّنْ[1] فى العلوم .

لأبي يوسف القاضي — وقال أبو يوسف القاضى : ثلاثة لا يَسْلَمون من ثلاثة : مَن طلب الدِّين بالفلسفة[2] لم يَسلم من الزَّنْدقة ، ومَن طلب المال بالكيمياء لم يَسلم من الفقر ، ومن طلب غرائب الحديث لم يسلم من الكذِب .

لابن سيرين — وقال ابن سيرين رحمه الله تعالى : العلمُ أكثرُ من أن يُحاطَ به ، فخذوا من كل شيء أحسنَه .

لابن عباس — وقال ابن عباس رضى الله عنهما : كفاك من علم الدين أن تَعرِفَ ما لا يَسَعُ جهلُه وكفاك من عِلم الأدب أن تَرْوِيَ الشاهدَ والمثل .

لبعض الشعراء — وقال الشاعر :

وما مِن كاتبٍ إلا ستبقَى ❊ كِتابتُه وإن فَنِيتْ يداهُ
فلا تكتُبْ بكفِّك غيرَ شيءٍ ❊ يَسُرُّكَ فى القيامةِ أنْ تَراهُ

للأصمعي — وقال الأصمعى : وَصلتُ بالمُلَح ونِلتُ بالغريب .

لبعضهم — وقالوا : من أكثرَ من النحو حَمَّقَه ، ومن أكثر من الشعر بَذَّله ، ومن أكثرَ من الفقه شَرَّفه .

لأبي نواس — وقال أبو نواس الحسنُ بن هانئ :

كم من حديثٍ مُعْجِبٍ عندى لكا ❊ لو قدْ نَبذْتُ به إليكَ لسَرَّكا
مما تخـيَّرَهُ الرُّواةُ مهذَّبٍ ❊ كالدُّرِّ منتظِمًا بنَحْرٍ فَلَّكا[3]
أَتَتَبَّعُ العلماءَ أكتُبُ عنهمُ ❊ كيما أُحدِّثَ مَن لَقيتُ فيضحَكا

الحض على طلب العلم

النبي صلى الله عليه وسلم — قال النبى صلى الله عليه وسلم : لايزال الرجل عالماً ما طَلَبَ العلم ، فإذا ظنّ أنه قد عَلِم فقد جَهِل .

(١) فى بعض الأصول : « فليتسع » .
(٢) فى بعض الأصول : « النجوم لم يسلم .... » .
(٣) فلك : استدار .

وقال عليه الصلاة والسلام : الناس عالِمٌ ومتعلِّم ، وسائرُهم همج .

وعنه صلى الله عليه وسلم : إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم . رِضا بما يطلب . ولَمِدادٌ جرَتْ به أقلامُ العلماء خيرٌ من دماء الشهداء فى سبيل الله .

لداود عليه السلام يعظ ابنه

٥ وقال داود لابنه سليمان عليهما السلام : اُتخِذِ العِلمَ حول عنقك ، واكتبه فى ألواح قلبك .

وقال أيضا : اجعل العلم مالك والأدبَ حليتَك .

لعلى

وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه : قيمةُ كل إنسان ما يُحْسِن .

لأبى عمرو ابن العلاء

وقيل لأبى عمرو بن العلاء : هل يحسن بالشيخ أن يتعلم ؟ قال : إن كان ١٠ يحسُن به أن يعيش فإنه يحسن به أن يتعلم .

لعروة ينصح بنيه

وقال عُروة بن الزُّبير رحمه الله تعالى لبنيه : يا بَنِيّ ، اطلبوا العلم ، فإن تكونوا صِغارَ قومٍ لا يُحتاج إليكم فعسى أن تكونوا كبارَ قومٍ آخرين لا يُستغْنَى عنكم .

لملك الهند ينصح ولده

وقال ملك الهند لولده ، وكان له أربعون ولداً : يا بنِيّ ، أكثِروا من النظر ١٥ فى الكتب ، وازدادوا فى كل يوم حرفا ؛ فإنّ ثلاثة لا يَستوحِشون فى غُربة : الفقيه العالم ، والبطل الشجاع ، والحلو اللسان الكثير مخارج الرأى .

للمهلب ينصح بنيه

وقال المهلب لبنيه : إياكم أن تجلسوا فى الأسواق إلا عند زَرّادٍ أو ورّاق . أراد الزَّرّادَ للحرب ، والورّاقَ للعلم .

لبعض الشعراء

وقال الشاعر :

٢٠ نِعْمَ الأنيسُ إذا خلَوْتَ كتابُ ٭ تلهو به إن خانَكَ الأحبابُ

لا مُفْشِياً سِرًّا إذا استودَعْتَه ٭ وتُفادُ منــه حِكمةٌ وصواب

وقال آخر :

ولِكل طالبِ لذةٍ متنزّهٌ ٭ وألَذُّ نُزهةِ عالِمٍ فى كُتْبِه

بين عبد الله بن عبد العزيز وبعضهم

ومر رجل بعبد الله بن عبد العزيز بن عبد الله بن عمر ، وهو جالس فى المقبرة وبيده كتاب ، فقال له : ما أجلسك ههنا ؟ قال : إنه لا أوْعَظ مِن قبر ، ولا أمتع من كتاب .

للنسابة البكرى

وقال رؤبة بن العجّاج : قال لى النّسّابة البكرى : يارؤبة ، لعلك من قوم إن سكتُّ عنهم لم يسألونى ، وإنْ حدّثتُهم لم يفهمونى ؟ قلت : إنى أرجو ألا أكون كذلك . قال : فما آفة العلم ونَكَده وهُجنتُه ؟ قلت : تخبرنى ! قال : آفته النسيان ، ونكده الكذب ، وهُجنته نشره عند غير أهله .

لعبد الله ابن عباس

وقال عبد الله بن عباس رضوان الله عليهما : مَنهُومان لا يَشْبَعان : طالبُ علم وطالبُ دنيا .

وقال : ذَلّت طالباً فعَززْتُ مطلوبا .

بين أبى هريرة وبعضهم

وقال رجل لأبى هريرة : أريد أن أطلب العلم وأخاف أن أُضيعَه . قال : كفاك بترك طلب العلم إضاعةً له .

لعبد الله ابن مسعود

وقال عبد الله بن مسعود : إن الرجل لا يُولد عالما ، وإنما العلم بالتعلُّم . وأخذه الشاعر فقال :

تَعَلَّم فليس المرءُ يُولدُ عالِما ... وليس أخو عِلم كمَن هُو جاهل

ولآخر :

تعلَّم فليس المرءُ يُخلقُ عالِمًا ... وما عالِمٌ أمْرًا كمَن هو جاهلُهْ

ولآخر :

ولم أرَ فرْعاً طال إلا بأصلهِ ... ولم أرَ بدء العِلم إلا تعلُّما

وقال آخر :

العِلمُ يُحْيي قلوبَ المَيّتِين كما ... تَحْيا البلادُ إذا ما مَسَّها المطَرُ

والعلم يجلُو العَمَى عن قلبِ صاحبهِ ... كما يُجَلِّي سوادَ الظُّلْمةِ القمرُ

لبعض الحكماء

وقال بعض الحكماء : اقصِدْ من أصناف العلم إلى ماهو أشهى لنفسك ، وأخَفّ على قلبك ؛ فإنّ نفاذك فيه ، على حسب شهوتك له وسُهولته عليك .

فضيلة العلم

لعل بن أبي طالب

حدثنا أيوب بن سُليمان قال : حدثنا عامر بن معاوية عن أحمد بن عمران الأخنس[1] عن الوليد بن صالح الهاشمى ، عن عبد الله بن عبد الرحمن الكوفى ، عن أبى مِخْنف ، عن كُمَيْل النَّخعى ، قال : أخذ بيدى علىُّ بن أبى طالب كرم الله وجهه ، فخرج بى إلى ناحية الجبَّانة ، فلما أصْحَر تنفس الصُّعداء ، ثم قال : يا كُمَيْل ، إن هذه القلوب أوعية ، فخيرها أوعاها فاحفظ عنى ما أقول لك :

الناس ثلاثة : عالم ربّانى ، ومتعلِّم على سبيل نجاة ، وهَمَج رَعاع ، أتباعُ كلِّ ناعق ، مع كلِّ ريح يَميلون ، لم يستضيئوا بنور العلم ، ولم يَلْجئوا إلى ركن وثيق.

يا كميل ، العلم خير من المال : العلم يَحرسك وأنت تحرس المال ، والمال تنقُصه النفقة ، والعلم يَزْكو على الإنفاق ، ومنفعة المال تزول بزواله .

يا كميل ، محبة العلم دِينٌ يُدان به ، به يَكسب الإنسان الطاعةَ فى حياته ، وجميلَ الأُحدُوثةِ بعد وفاته ، والعلم حاكم والمال محكومٌ عليه .

يا كميل ، مات خُزّانُ المال وهم أحياء ، والعلماء باقون ما بقى الدهر ، أعيانهم مفقودة ، وأمثالهم فى القلوب موجودة ها إن ها هنا لعلماً جَمًّا ـ وأشار بيده إلى صدره ـ لو وَجدْتُ له حَمَلةً ، بلى أجد لقِناً غير مأمون عليه ، يَستعمله آلة الدين للدنيا ، ويَسْتظهر بحجج الله على أوليائه ، وبنعمه على عباده ؛ أو منقاداً لحَمَلة الحقِّ ولا بصيرة له فى أحنائه ، ينقدح الشك فى قلبه لأول عارضٍ من شُبهة . لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ، أو مَنهوماً باللذة ، سَلِس القياد للشهوة ، أو مغرما بالجمع والادخار ليسا من رعاة الدين فى شىء أقربُ شبها بهما الأنعام السائمة . كذلك يَموت العلم بموْت حامِليه . اللهم بلى ، لا تخلو الأرض من قائم بحجة الله إما ظاهرا مشهورا ، أو خائفاً مغمورا ، لئلا تَبْطُلَ حُجَج الله وبيناته ؛ وكم ذا ، وأين ؟ أولئك والله الأقلّون عددا ؛ والأعظمون عند الله قدرا ؛ بهم يحفظ الله

(١) فى بعض الأصول : « الأخفش » .

حُجَجه حتى يودعوها نُظَراءهم ؛ ويزرعوها فى قلوب أشباهِهم ، هجم بهم العلم على حقيقة الإيمان حتى باشروا رُوح اليقين ؛ فاستلانوا ما استخشَن المترَفون ، وأنسوا بما استوحش منه الجاهلون ، وصَحِبوا الدنيا بأبدانٍ أرواحُها مُعلقة بالرفيق الأعلى .

٥ يا كميل ، أولئك خلفاء الله فى أرضه ، والدعاة إلى دينه ، آه آه . شوقا إليهم . انصرف إذا شئت .

الخليل فى فضل العلم على المال

قيل للخليل بن أحمد : أيهما أفضل : العِلم أو المال ؟ قال العِلم . قيل له : فما بال العُلماء يَزدحِمون على أبواب الملوك والملوك لا يزدحمون على أبواب العلماء ؟ قال : ذلك لمعرفة العلماء بحقّ الملوك وجهلِ الملوك بحق العلماء .

النبى صلى الله عليه وسلم

١٠ وقال النبى صلى الله عليه وسلم : فضلُ العلم خير من فضل العبادة .

وقال عليه الصلاة والسلام : إنّ قليل العمَل مع العلم كثير ، كما أنّ كثيره مع الجهل قليل .

وقال عليه الصلاة والسلام : يحمل هذا العلمَ مِنْ كلّ خَلفٍ عُدولُه ، يَنفون عنه تحريفَ القائلين ، وانتحالَ المبطلين ، وتأويلَ الجاهلين .

للأحنف

١٥ وقال الأحنف بن قيس : كاد العلماء أن يكونوا أربابا ، وكلُّ عِز لم يؤكّد[1] بعلم فإلى ذُلّ ما يصير .

لأبى الأسود

وقال أبو الأسود الدؤلى : الملوك حُكام على الدنيا ، والعلماء حُكام على الملوك .

لأبى قلابة

وقال أبو قِلابة : مَثَل العلماء فى الأرض مَثَلُ النجوم فى السماء : من تركها ضَلّ ، ومن غابت عنه تحيّر . ٢٠

لابن عيينة

وقال سفيان بن عُيينة : إنما العالِم مثل السراج : من جاءه اقتبس من علمه ، ولا ينقصه شيئا ؛ كما لا ينقص القابسُ من نور السراج شيئا .

(١) فى بعض الأصول : « يكسب » .

في الحديث

وفى بعض الأحاديث : إن الله لا يقتل نفس التقىّ العالِم جوعا .

للحسن البصرى

وقيل للحسن بن أبى الحسن البَصرى : بِمَ صارت الحِرفة مقرونة مع العِلم ، والثروة مقرونة مع الجهل ؟ فقال : ليس كما قلتم ، ولكن طلبتُم قليلا فى قليل فأعجزكم ؛ طلبتُم المالَ وهو قليل ، فى أهل العلم وهم قليل ، ولو نظرتم إلى من احترف من أهل الجهل لوجدتموهم أكثر .

وقال الله تبارك وتعالى : ﴿ إنما يَخشى اللهَ من عباده العلماء ﴾ و ﴿ وما يعقلها إلا العالمون ﴾ .

لبعضهم

وقيل : لا تمنعوا العلم أهله فتظلموهم ، ولا تعطوه غير أهله فتظلموه .

لبعض الشعراء

ولبعضهم :

١٠ من منع الحكمة أربابها ٭ أصبح فى الحكم لهم ظالما

وواضع الحكمة فى غيرهم ٭ يكون فى الحكم لها غاشما

سمعت يوما مثلا سائرا ٭ وكنت فى الشعر له ناظما

لاخير فى المرء إذا ماغدا ٭ لا طالباً علما ولا عالما

لبعض العلماء

وقيل لبعض العلماء : كيف رأيت العلم ؟ قال : إذا اغتممت سلوتى ، وإذا ١٥ سلوت لذّتى .

لسابق البربرى وغيره

وأنشد لسابق البربرى :

العلم زين وتشريف لصاحبه ٭ والجهل والنَّوْكُ مقرونان فى قَرَن

ولغيره :

وإذا طلبت العلم فاعلم أنه ٭ حِمل فأبصر أى شىء تحمل

٢٠ وإذا علمتَ بأنه متفاضـــل ٭ فاشغل فؤادك بالذى هو أفضل

للأصمعى

الأصمعى قال : أول العلم الصمت ، والثانى الاستماع ، والثالث الحفظ ، والرابع العمل ، والخامس نشره .

ويقال : العالم والمتعلم شريكان ، والباقى همج .

وأنشـــد :

لا ينفع العلمُ قلبا قاسيا أبدا ٭ ولا يلين لفكّ الماضغ الحجرُ

لمعاذ بن جبل

وقال معاذ بن جبل : تعلموا العلم فإن تعلمه حسنة ، وطلبه عبادة ، وبذله لأهله قُربة . والعلم منار سبيل أهل الجنة ، والأنيس فى الوحشة ، والصاحب فى الغربة ، والمحدّث فى الخلوة ، والدليل على السراء والضراء ، والزّين عند الأخِلاء ، والسلاح على الأعداء . يرفع الله به قوما فيجعلهم قادة أئمة ، تُقتفى آثارهم ، ويُقتَدى بفعالهم . والعلم حياة القلب من الجهل ، ومصباح الأبصار من الظُلمة ، وقوة الأبدان من الضعف ؛ يبلغ بالعبد منازل الأخيار ، والدرجات العلا فى الدنيا والآخرة ؛ الفكر فيه يعدل الصيام ، ومذاكرتُه القيام ، وبه تُوصل الأرحام ، ويعرف الحلال من الحرام .

لابن طباطبا

ولابن طباطبا العلوىّ :

حسود مريض القلب يخفى أنينه ٭ ويُضحى كئيبَ البال عندى حزينَه
يلوم على أن رحت فى العلم طالبا ٭ أُجمّع من عند الرجال فنونه
فأملك أبكار الكلام وعُونه ٭ وأحفظ مما أستفيد عيونه
ويزعم أن العلم لا يجلب الغنى ٭ ويُحسن بالجهل الذميم ظنونه
فيالائمى دعنى أغالى بقيمتى ٭ فقيمة كل الناس مايحسنونه

ضبط العلم والتثبت فيه

لابن عبدالله ابن عمر

قيل لمحمد بن عبد الله بن عمر رضى الله عنه : ما هذا العِلْم الذى بِنْتَ به عن العالَم ؟ قال : كنتُ إذا أخذت كتاباً جعلتُه مِدْرعة .

لابن مصقلة

وقيل لرقبة بن مصقلة : ما أكثرَ شكّك ! قال : محاماةً عن اليقين .

بين شعبة والسختيانى

وسأل شُعبةُ أيوبَ السّختيانى عن حديث ، فقال : أشُك فيه . فقال : شكُّك أحبُّ إلىّ من يقينى .

لأيوب

وقال أيوب : إنّ من أصحابى من أرتجى بَركةَ دعائه ولا أقبلُ حديثه .

للحكماء — وقالت الحكماء : عَلِّم عِلمَك مَن يجهل ، وتعلَّمْ ممن يَعلم ، فإذا فعلت ذلك حفظتَ ماعلمتَ ؛ وعلمتَ ماجهلت .

النخعى والشعبى — وسأل إبراهيم النَّخعىّ عامراً الشَّعبى عن مسألة ؛ فقال : لا أدرى . فقال : هذا والله العالم ؛ سُئل عما لا يدرى ، فقال : لا أدرى .

للإمام مالك — وقال مالك بن أنس : إذا تَرَك العالِمُ « لا أدرى » أصيبت مقاتِلُه .

لعبدالله بن عمرو — وقال عبد الله بن عمرو بن العاص : من سُئل عما لا يدرى ، فقال : لا أدرى ، فقد أحرز نصفَ العلم .

لبعضهم — وقالوا : العلم ثلاثة : حديثٌ مُسنَد ، وآيةٌ مُحْكَمة ، ولا أدرى ؛ فجعلوا « لا أدرى » من العلم ، إذا كان صواباً من القول .

للخليل — وقال الخليل بن أحمد : إنك لا تعرف خطأ مُعلِّمك حتى تجلس عند غيره .

وكان الخليل قد غلبتْ عليه الإباضيَّةُ حتى جالس أيوب .

لبعضهم — وقالوا : عواقبُ المكاره محمودة .

وقالوا : الخيرُ كلُّه فيما أُكْرِهت النفوسُ عليه .

انتحال العلم

للحكماء — قال بعض الحكماء : لا ينبغى لأحد أن ينتحل العلم ، فإن الله عز وجل يقول : ﴿وما أُوتيتُمْ من العِلم إلا قليلا﴾ وقال عز وجل : ﴿وفوقَ كلِّ ذى عِلْمٍ عَليم﴾ .

موسى عليه السلام وقد ظن أنه أعلم الخلق — وقد ذُكِر عن موسى بن عمران عليه السلام ، أنه لما كلمه الله تعالى تكليما ، ودَرَس التوراةَ وحَفِظَها ، حدثَته نفسُه أن الله لم يَخلق خلقاً أعلمَ منه ، فهوَّن اللهُ إليه نفسَه بالخضر عليه السلام .

مقاتل وبعضهم — وقال مقاتل بن سليمان وقد دخلتْه أُبَّهةُ العلم : سلونى عما تحت العرش إلى أسفلَ من الثرى . فقام إليه رجل من القوم فقال : مانسألك عما تحت العرش ولا أسفل من الثرى ، ولكن نسألك عما كان فى الأرض وذَكَرَه اللهُ فى كتابه : أخبِرْنى عنْ كلب أهل الكهف ، ماكان لونه ؟ فأفحَمَه .

لقتادة وقال قتادة : ما سمعت شيئاً قط ولا حفظتُ شيئا قطُّ فنَسِيتُه . ثم قال : ياغلام ، هاتِ نَعلِى . فقال : هما فى رجليك . ففضحه الله .

لأبي عمرو بن العلاء وغيره وأنشد أبو عمرو بن العلاء فى هذا المعنى :

مَنْ تحلَّى بغير ما هو فيه ٭ فضحتْه شواهِدُ الإمتحان

وفى هذا المعنى : ٥

من تحلى بغير ما هو فيه ٭ شان ما فى يديه ما يدّعيه
وإذا قلّل الدعاوى لما فيـــه أضافوا إليه ماليس فيه
ومحكُّ الفتى سيظهر للنا ٭ س وإن كان دائباً يُخفيه
ويحسْبِ الذى ادّعى ماعداه ٭ أنه عالم بما يفـــتريه

لشبيب ينصح فتى من دوس وقال شبيب بن شيبة لفتى من دوس : لا تَنازع مَن فوقك ، ولا تقل إلا ١٠ بعلم ، ولا تتعاط مالم تَنلْ ، ولا يخالف لسانك مافى قلبك ، ولا قولك فعلك ، ولا تدع الأمر إذا أقبل ، ولا تطلبه إذا أدبر .

لقتادة وقال قتادة : حَفظتُ مالم يحفظ أحد ، وأُنسِيتُ مالم يَنْس أحد : حفظتُ القرآنَ فى سبعة أشهر ، وقبضتُ على لحيتى وأنا أريد قَطْعَ ما تحت يدى فقطعتُ ما فوقها . ١٥

الشعبى والسدى ومر الشعبيُّ بالسُّدّى وهو يفسّر القرآن ، فقال : لو كان هذا الساعةَ نشوانَ يَضرب على أسته بالطبل ، أما كان أحسنَ له ؟

لبعض المتحلين وقال بعض المتحلين :

يُجهلنى قومى وفى عَقْدِ مِئْزَرى ٭ تَمنّون أمثالًا لهم مُحْكَمَ العلم
وما عَنّ لى من غامِضِ العِلمِ غامِضٌ ٭ مَدَى الدهرِ إلا كنتُ منه على فَهْم ٢٠

لابن الرقاع وقال عدىّ بن الرِّقاع :

وعَلِمتُ حتى ما أُسـائلُ عالماً ٭ عن عِلم [1] واحدةٍ لكىْ أزدادَها

(١) فى الأصول : «حرف».

شرائط العلم وما يصلح له

لبعضهم — وقالوا : لايكون العالم عالما حتى تكون فيه ثلاث خصال : لا يحتقر مَن دونَه ، ولا يحسد مَن فوقه ، ولا يأخذ على العلم ثمنا .

وقالوا : رأس العلم الخوف من الله تعالى .

للشعبي — ٥ وقيل للشعبي : أفتِني أيها العالِم ! فقال : إنما العالم مَن اتقى الله .

للحسن — وقال الحسن : يكون الرجل عالما ولا يكون عابدا ، ويكون عابداً ولا يكون عاقلا .

وكان مسلم بن يسار عالما عابداً عاقلا .

لبعضهم — وقالوا : ماقُرن شيء إلى شيء ، أفضلَ من حِلم إلى عِلم . ومن عفو إلى قُدرة .

١٠ وقالوا : من تمام آلةِ العالِم أن يكون شديدَ الهيبة ، رزينَ المجلس ، وقوراً صَموتا ، بطيء الالتفات ، قليل الإشارات ، ساكن الحركات ، لا يَصْخَب ولا يغضبُ ، ولا يُبْهر فى كلامه ، ولا يَمسح عُثْنُونَه عند كلامه فى كل حين ؛ فإن هذه كلّها من آفات العيّ .

لبعض الشعراء — وقال الشاعر :

١٥ مَلِىءٌ بِبُهْر والْتِفاتٍ وسُعْلةٍ ﴿ ومَسْحةِ عُثْنُونٍ وفَتْلِ الأصابِعِ

لابن صفوان يمدح رجلا — ومدح خالد بن صفوان رجلا ، فقال : كان بديع المنطق ، جزل الألفاظ ، عربىّ اللسان ، قليل الحركات ، حَسَن الإشارات ، حُلو الشمائل ، كثير الطلاوة ، صموتا وقوراً ، يهنأ الجرب ، ويداوى الدَّبر ، ويُقِلّ الحَزّ ، ويُطبِّق المَفْصِل ؛ لم يكن بالزمِر المروءة ، ولا الهَذِر المنطق ، مَتبوعا غير تابع .

٢٠ كأنه عَلَم فى رأسه نار ﴿

لابن المبارك فى مالك بن أنس — وقال عبد الله بن المبارك فى مالك بن أنس رضى الله عنه :

يأبَى الجوابَ فما يُراجَعُ هيْبةً ﴿ فالسائلونَ نواكِسُ الأذقانِ

هدْىُ الوَقار وعِزُّ سُلطان التقَى ﴿ فهو المَهيبُ وليس ذا سُلطانِ

وقال عبد الله بن المبارك فيه أيضا :

صَمُوتٌ إذا ما الصمتُ زَيَّنَ أهلَه ٭ وفتَّاقُ أبكارِ الكلامِ المُخَتَّمِ

وعَى ما وعى القرآنُ من كلِّ حِكمةٍ ٭ وسِيطتْ له الآدابُ باللحم والدم

لعبد الملك ورجل — ودخل رجل على عبد الملك بن مروان ، وكان لا يسأله عن شيء إلا وجد عنده منه عِلماً ، فقال له : أنَّى لك هذا ؟ فقال : لم أَمْنع قطّ يا أمير المؤمنين ٥ علماً أُفيدُه ، ولم أحتقر علماً أستفيده ، وكنت إذا لقيت الرجل أخذتُ منه وأعطيتُه .

لبعضهم — وقالوا : لو أنّ أهل العلم صانوا علمهم لسادوا أهل الدنيا ، لكن وضعوه غيرَ موضعه فقصَّرَ فى حقِّهم أهل الدنيا .

حفظ العلم واستعماله ١٠

لابن مسعود — قال عبد الله بن مسعود : تعلَّموا ، فإذا عَلِمتم فاعملوا .

لابن دينار — وقال مالك بن دينار : العالِم إذا لم يعمل بعلمه زَلَّتْ موعظته عن القلب . كما يزل الماء عن الصَّفا .

لبعضهم — وقالوا : لولا العمل لم يُطلب العلم ، ولولا العلم لم يُطلب العمل .

للطائى — وقال الطائى : ١٥

ولم يَحمَدوا من عالِم غيرِ عامِلٍ ٭ ولم يَحمَدوا من عامِلٍ غيرِ عالِمِ

لابن الخطاب — وقال عمرُ بن الخطاب رضوان الله عليه : أيها الناس ، تعلموا كتاب الله تُعرفوا به ، واعملوا به تكونوا من أهله .

وقالوا : الكلمة إذا خرجت من القلب وقعتْ فى القلب ، وإذا خرجت من اللسان لم تُجاوزِ الآذان . ٢٠

لمالك — ورَوى زياد عن مالك ، قال : كن عالما ، أو متعلّماً ، أو مستمعاً ؛ وإياك والرابعة فإنها مهلكة ؛ ولا تكونُ عالماً حتى تكونَ عاملا ، ولا تكون مؤمنا حتى تكون تقيًّا .

وقال أبو الحسن : كان وكيع بن الجرّاح يتحفظ كل يوم ثلاثة أحاديث . لأبي الحسن

وكان الشعبي والزهري يقولان : ما سمعْنا حديثا قط وسألنا إعادتَه . الشعبي والزهري

رفع العلم وقولهم فيه

قال عبد الله بن مسعود : تعلموا العلم قبل أن يُرْفع . لابن مسعود

٥ وقال النبي صلى الله عليه وسلم : إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من الناس ، ولكن يقبضه بِقَبْضِ العلماء . للنبي صلى الله عليه وسلم

وقال عبد الله بن عباس رضوان الله عليهما ، لما وُورِي زيدُ بن ثابت فى قبره : مَن سَرَّه أن يَرى كيف يُقْبَض العلم فهكذا يقبض . لابن عباس فى ابن ثابت

تحامل الجاهل على العالم

١٠ قال النبي صلى الله عليه وسلم : ويل لعالِمِ أمرٍ مِن جاهِلِه .

وقالوا : إذا أردتَ أن تفحِم عالما فأحْضِرْه جاهلا . لبعضهم

وقالوا : لا تناظِر جاهلًا ولا لجوجا : فإنه يجعل المناظرةَ ذَريعةً إلى التعلُّم بغير شكر .

قال النبي صلى الله عليه وسلم : ارحموا عزيزاً ذلّ ، ارحموا غنيا افتقَر ، ١٥ ارحموا عالما ضاع بين جُهّال . للنبي صلى الله عليه وسلم

وجاء كيسان إلى الخليل بن أحمد يسأله عن شيء ؛ ففكر فيه الخليل ليجيبه ، فلما استفتح الكلام قال له : لا أدرى ما تقول . فأنشأ الخليل يقول : كيسان والخليل

لو كنتَ تعلم ما أقول عَذَرْتَنى ... أو كنتُ أجهل ما تقولُ عَذَلْتُكا

لكن جَهِلتَ مَقالتى فعَذَلْتَنى ... وعلمتُ أنك جاهل فعَذَرْتُكا

٢٠ قال حبيب : لحبيب

وعاذلٍ عَذَلْتُه فى عَذْلِهِ ... فظنّ أنى جاهل من جَهْلِهِ

ما غَبَن المَغبونَ مثلُ عقله ... من لك يوماً بأخيك كلّه

تبجيل العلماء وتعظيمهم

زيد بن ثابت وابن عباس

الشعبي قال : ركب زيد بن ثابت ، فأخذ عبد الله بن عباس بركابه ؛ فقال : لا تفعل يابن عمّ رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال : هكذا أُمِرْنا أن نفعل بعلمائنا . قال زيد : أرنى يَدَك . فلما أخرج يده قبّلها ، وقال : هكذا أُمِرْنا أن نفعل بابن عمّ نبيّنا . ٥

لبعضهم

وقالوا : خدمة العالِم عبادة .

لعلى بن أبى طالب

وقال على بن أبى طالب رضوان الله عليه : من حقّ العالِم عليك إذا أتيته أن تسلّم عليه خاصة وعلى القوم عامّة ، وتجلس قُدّامَه ، ولا تشير بيدك ، ولا تغمِزَ بعينك ؛ ولا تقول : قال فلان خلافَ قولك ، ولا تأخذ بثوبه ، ولا تُلحّ عليه فى السؤال ؛ فإنما هو بمنزلة النخلة المُرطبة التى لا يزال يسقط عليك منها شىء . ١٠

لبعضهم

وقالوا : إذا جلست إلى العالم فسَلْ تفقهاً ولا تسل تعنّتا .

عويص المسائل

للنبى صلى الله عليه وسلم فى صعاب المسائل

الأوزاعىّ عن عبد الله بن سعد عن الصُّنابحىّ عن معاوية بن أبى سفيان قال : نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الأُغلوطات . ١٥

قال الأوزاعى : يعنى صعابَ المسائل .

ابن سيرين والأغلوطة

وكان ابن سيرين إذا سُئل عن مسألة فيها أغلوطة قال للسائل : أمسِكْها حتى تسأل عنها أخاك إبليس .

بين ابن قيس وابن أنس

وسأل عمرو بن قيس مالكَ بن أنس عن مُحْرِمٍ نَزَع نابَىْ ثعلب ، فلم يردّ عليه شيئا . ٢٠

بين ابن الخطاب وعلى

وسأل عمر بن الخطاب رضى الله عنه علىّ بن أبى طالب كرّم الله وجهه فقال : ما تقول فى رجلٍ أُمّه عند رجل آخر ؟ فقال : يُمسك عنها . أراد عمر : أن الرجل يموت وأُمه عند رجل آخر ، وقول على « يمسِك عنها » يريد : يُمسك

عن أم الميت حتى تستبرئ من طريق الميراث .

بين ابن قيس ورجل

وسأل رجل عمر بن قيس عن الحصاة يجدها الإنسان فى ثوبه أو فى خُفه أو فى جبهته من حصى المسجد ، فقال : ارْمِ بها . قال الرجل : زعموا أنها تصيح حتى تُرَدَّ إلى المسجد . فقال : دعها تصيح حتى ينشقَّ حلقُها ، فقال الرجل : سبحان الله ! ولها حَلْق ؟ قال : فمن أين تصيح .

٥

بين ابن أنس ومستفسر

وسأل رجل مالك بن أنس عن قوله تعالى : ﴿ الرَّحْمٰنُ عَلَى العَرْشِ اسْتَوَى ﴾ كيف هذا الاستواء ؟ قال : الاستواء معقول . والكيفُ مجهول ؛ ولا أظنك إلا رَجُلَ سَوء .

وروى مالكُ بن أنس الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : «إذا استيقظ أحدكم من نومه فلا يُدخل يدَه فى الإناء حتى يغسلَها ؛ فإن أحدكم لا يدرى أين باتت يدُه » فقال له رجل : فكيف نَصنع فى المِهْراس أبا عبد الله ؟ ـ والمهراس : حوضُ مكة الذى يتوضأ الناس فيه ـ فقال : مِن الله العلم ، وعلى الرسولِ البلاغ ، ومنا التسليم . أَمِرُّوا الحديث .

١٠

لابن عباس

وقيل لابن عباس رضى الله عنهما : ما تقول فى رجلٍ طلّق آمرأته عددَ نجوم السماء ؟ قال : يكفيه منها كوكبُ الجوزاء .

١٥

لابن أبى طالب

وسئل علىُّ بن أبى طالب رضوان الله عليه : أين كان ربنا قبل أن يَخْلق السماء والأرض ؟ فقال : أين توجبُ المكان ، وكان الله عز وجل ولا مكان .

التصحيف

للأصمعى

وذكر الأصمعى رجلا بالتصحيف ، فقال : كان يسمع فيعى غير ما يسمع ، ويكتب غير ماوَعَى ، ويقرأ فى الكتاب غير ماهو فيه .

٢٠

لبعضهم

وذكر آخرُ رجلا بالتصحيف فقال : كان إذا نَسخ الكتاب مرتين عاد سُريانيّا .

طالب العلم لغير الله

للنبى صلى الله عليه وسلم

قال النبى صلى الله عليه وسلم : « إذا أُعطِىَ النَّاسُ العِلمَ ومُنعوا العمل وتحابُّوا بالألسن ، وتباغضوا بالقلوب ، وتقاطعوا فى الأرحام ـ لعنهم الله فأصمَّهم وأعمَى أبصارَهم » .

٥ وقال النبي صلى الله عليه وسلم : ألَا أخبِرُكم بشرِّ النـاس ؟ قالوا : بلى يارسول الله . قال : العلماء إذا فَسدوا .

للفضيل بن عياض

وقال الفضيل بن عياض : كان العلماء ربيع الناس ، إذا رآهم المريض لم يسرّه أن يكون صحيحا ، وإذا نظر إليهم الفقير لم يوَدّ أن يكون غنيا ؛ وقد صاروا اليوم فتنة للناس .

لعيسى بن مريم

١٠ وقال عيسى بن مريم عليه السلام : سيكون فى آخر الزمان علماء يُزهّدون فى الدنيا ولا يزْهدون ، ويُرغّبون فى الآخرة ولا يرغبون ؛ يَنْهَون عن إتيان الولاة ولا ينتهون ، يُقرّبون الأغنياء ، ويُبعدون الفقراء ، ويتبسّطون للكبراء ، وينقبضون عن الفقراء : أولئك إخوان الشياطين وأعداء الرحمن .

محمد بن واسع

وقال محمد بن واسع : لأن تطلب الدنيا بأقبح مما تطلب به الآخرة ، خير من أن تطلبها بأحسن مما تطلب به الآخرة . ١٥

للحسن

وقال الحسن : العلم علمان : علم فى القلب ، فذاك العلم النافع ، وعلم فى اللسان ، فذاك حجة الله على عباده .

للنبى صلى الله عليه وسلم

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : إن الزبانية لا تخرج إلى فقيه ولا إلى حملة القرآن إلا قالوا لهم : إليكم عنا ، دونكم عَبَدة الأوثان . فيشتكون إلى الله ، فيقول : ليس من علم كمن لم يعلم . ٢٠

لمالك بن دينار

وقال مالك بن دينار : من طلب العلم لنفسه فالقليل منه يكفيه ، ومن طلبه للناس فحوائج الناس كثيرة .

لابن شبرمة

وقال ابن شبرمة : ذهب العلم إلا غُبّرات فى أدعية سوء .

للنبي صلى الله عليه وسلم

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : من طلب العلم لأربع دخل النار : من طلبه ليباهي به العلماء ، وليماري به السفهاء ، وليستميل به وجوه الناس إليه ، أو ليأخذ به من السلطان .

وتكلم مالك بن دينار فأبكى أصحابه ، ثم افتقد مصحفه ، فنظر إلى أصحابه ٥ وكلهم يبكي ، فقال : ويحكم ! كلكم يبكي ، فمن أخذ المصحف ! ؟

قال أحمد بن أبي الحَواريّ : قال لي أبو سليمان في طريق الحج : يا أحمد ، إن الله قال لموسى بن عمران : مُرْ ظَلَمَةَ بني إسرائيل ألا يذكروني ، فإني لا أذكر من ذَكَرني منهم إلا بلعنةٍ حتى يسكت ! ويحك يا أحمد ! بلغني أنه من حجَّ بمالٍ من غير حلِّه ثم لبَّى قال الله تبارك وتعالى : لا لَبَّيْك ولا سَعْدَيْك حتى تؤدي ١٠ ما بيديك ، فما يؤمِّنُنا أن يقالَ لنا ذلك ؟

باب من أخبار العلماء والأدباء

لابن عباس في الخلفاء

أملى أبو عبد الله محمد بن عبد السلام الخشني ، أنّ عبد الله بن عباس سئل عن أبي بكر رضي الله عنه ، فقال : كان والله خيراً كله مع الحِدَّة التي كانت فيه . قالوا : فأخبِرْنا عن عمر رضوان الله عليه . قال : كان والله كالطير الحَذِر الذي ١٥ نصِبَ فَخٌّ له فهو يخاف أن يقع فيه . قالوا : فأخبِرْنا عن عثمان رضوان الله عليه . قال : كان والله صَوّاماً قوّاما . قالوا : فأخبرنا عن علي بن أبي طالب رضوانُ الله عليه . قال : كان والله ممن حَوَى علماً وحِلما ، حسبُك من رجلٍ أعزَّته سابقتُه ، وقدّمتْه قرابتُه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلّما أشرفَ على شيء إلا ناله . قالوا يقال : إنه كان محدودا . قال : أنتم تقولونه .

للحسن البصري وعلي بن أبي طالب

٢٠ وذكروا أن رجلا أتى الحسن فقال : أبا سعيد ، إنهم يزعمون أنك تُبغض عليا ! فبكى حتى اخضلّت لحيتُه ، ثم قال : كان علي بن أبي طالب سهماً صائباً من مَرامي الله على عدوِّه ، ورَبّانيَّ هذه الأمة ، وذا سابقتها ، وذا فضلها ، وذا قرابةٍ قريبةٍ من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ لم يكن بالنُّوَمة عن أمر الله ، ولا بالملولةِ في حق الله ، ولا بالسَّرُوقة لمال الله ؛ أعطَى القرآن عزائمَه ففاز

منه برياض مُونِقة ، وأعلام بيّنة . ذاك علىّ بن أبى طالب يا لُكَع .

لابن صفوان عن الحسن البصرى

وسئل خالد بن صفوان عن الحسن البصرى ، فقال : كان أشبهَ الناسِ علانيةً بسريرة ، وسريرةً بعلانية وآخَذَ الناسِ لنفسِه بما يأمر به غيرَه ، ياله مِن رجل آستغنى عما فى أيدى الناس من دنياهم ، واحتاجوا إلى مافى يديه من دينهم .

بين عبد الملك وعروة فى بستان

ودخل عروة بن الزبير بستاناً لعبد الملك بن مروان ، فقال عروة : ماأحسن هذا البستان ! فقال له عبد الملك : أنت والله أحسن منه ؛ إن هذا يؤتى أُكلَه كلَّ عامٍ ، وأنت تؤتى أُكلَك كلَّ يوم .

عبد الملك وشهاب الزهرى

وقال محمد بن شهاب الزهرى : دخلت على عبد الملك بن مروان فى رجال من أهل المدينة ، فرآنى أحدثَهم سنا ، فقال لى : من أنت ؟ فانتسبتُ إليه ، فعرفنى ؛ فقال : لقد كان أبوك وعمك نَعاقَيْن فى فتنة ابن الزبير ! قلت : يا أمير المؤمنين ، مثلُكَ إذا عَفَا لم يَعُد ، وإذا صفح لم يُثرِّب . قال لى : أين نشأت ؟ قلت : بالمدينة ، قال : عند مَن طلبتَ ؟ قلت : عند ابن يسار ، وابن أبى ذُؤيب ، وسعيد بن المُسيَّب . قال لى : وأين كنتَ من عروةَ بن الزبير ، فإنه بحر لا تُكدِّره الدِّلاء .

للحسن البصرى فى الصحابة

وذُكر الصحابةُ عند الحسن البصرى ، فقال : رحمهم الله ، شهِدوا وغِبْنا ، وعَلِموا وجَهِلْنا : فما آجتمعوا عليه اتّبعنا ، وما آختلفوا فيه وقَفْنا .

لعبد الرحمن بن مهدى

وقال جعفر بن سليمان : سمعت عبد الرحمن بن مهدى يقول : مارأيت أحداً أقشفَ من شعبة ، ولا أعْبَدَ من سفيان ، ولا أحْفَظَ من ابن المبارك .

وقال : ما رأيت مثل ثلاثة : عطاء بن أبى رباح بمكة ، ومحمد بن سيرين بالعراق ، ورجاء بن حَيْوة بالشام .

لأهل مكة فى عطاء

وقيل لأهل مكة : كيف كان عطاء بنُ أبى رباح فيكم ؟ فقالوا : كان مثلَ العافية التى لا يُعرَف فضلُها حتى تُفْقَد .

شىء عن عطاء

وكان عطاء بن أبى رباح أسودَ أعور أفطس أشلّ أعرج ، ثم عَمى . وأمّه سوداء تسمّى بركة .

الأحنف بن قيس

وكان الأحنف بن قيس : أعور أعرج ولكنه إذا تكلم جلا عن نفسه .

وقال الشعبي : لولا أنى زُوحِمْتُ فى الرَّحم ماقامتْ لأحد معى قائمة . وكان توْأما .

لطاووس فى قتادة

وقيل لطاووس : هذا قتادة يريد أن يأتيك . قال لئن جاء لأقومَنّ . قيل : إنه فقيه . قال : إبليسُ أفقهُ منه ؛ قال : ﴿رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي﴾ . ٥

للشعبي فى القضاة

وقال الشعبي : القضاة أربعة : عمر ، وعلى ، وأبو موسى ، وعبد الله .

للحسن

وقال الحسن : ثلاثة صحبوا النبي صلى الله عليه وسلم : الابن والأب والجد ؛ عبد الرحمن بن أبي بكر بن أبي قحافة ، ومعن بن يزيد بن الأخنس السُّلمى .

عبيد الله ابن عبد الله

وكان عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود فقيهاً شاعراً ، وكان أحدَ السبعة من فقهاء المدينة . ١٠

وقال الزهرى : كنت إذا لقيت عُبيد الله بن عبد الله ، فكأنما أُفجِّر به بحرا .

وقال عمر بن عبد العزيز : وددت لو أن لى مجلساً من عبيد الله بن عبد الله ابن عتبة بن مسعود لم يفُتنى .

١٥ ولقيه سَعيد بن المُسيّب فقال له : أنت الفقيه الشاعر ؟ قال : لا بد للمصدور أن يَنْفُث .

بين عبيد الله وعمر بن عبد العزيز

وكتب عبيد الله بن عبد الله إلى عمر بن عبد العزيز وبَلَغه عنه شيء يكرهه :

أبا حفصٍ أتانى عنكَ قولٌ ٭ قُطِعْتُ به وضاق به جوابى

أبا حفصٍ فلا أدرى أرَغْمى ٭ تُريد بما تُحاولُ أمْ عتَابى

٢٠ فإن تكُ عاتباً تُعتِبْ وإلّا ٭ فما عُودِى إذًا بيَرَاعِ غابِ

وقد فارقتُ أعظمَ منك رُزْءا ٭ وواريْتُ الأحبّةَ فى التُّراب

وقد عَزُّوا علىَّ وأسلمُونى ٭ معاً فلبستُ بَعدَهُمُ ثِيابى

خالد بن يزيد

وكان خالد بن يزيد بن معاوية أبو هاشم ، عالما كثير الدراسة للكتب وربما

قال الشعر ، ومن قوله :

هل أنت مُنتفِعٌ بعِلْـمِك مَرَّة والعِلْم نافعْ
ومِنَ المُشير عليك بالرأ ي المسدَّدِ أنت سامعْ
الموتُ حوْضٌ لا محا لةَ فيه كلُّ الخلْقِ شارِعْ
ومِنَ التُّقى فازرعْ فإنك حاصِدٌ ما أنت زارِعْ

وقال عمر بن عبد العزيز : ما وَلَدَت أميةُ مثل خالد بن يزيد ، ما استثنى عثمان ولا غيره .

الحسن وابن جبير
وكان الحسن فى جنازة فيها نوائح ، ومعه سعيد بن جبير ، فهمَّ سعيدٌ بالانصراف ، فقال له الحسن : إن كنت كلما رأيت قبيحاً تركت له حَسَناً أسْرَع ذلك فى دينك .

لابن المبارك
وعن عيسى بن إسماعيل عن ابن عائشة عن ابن المبارك ، قال : علمنى سفيان الثورىُّ اختصار الحديث .

لشعبة فى مالك ونافع
وقال الأصمعى : حدثنا شعبة قال : دخلت المدينة فإذا لِمَالكٍ حلْقة وإذا نافع قد مات قبل ذلك بسنة ، وذلك سنة ثمانى عشرة ومائة .

ابن معين
وقال أبو الحسن بن محمد : ما خلق الله أحداً كان أعْرَف بالحديث من يحيى ابن مَعين ؛ كان يؤتى بالأحاديث قد خُلطت وقُلِبَتْ فيقول : هذا الحديث لذا ، وذا لهذا . فيكون كما قال .

لشريك
وقال شريك : إنى لأسمع الكلمة فيتغير لها لونى .

لابن المبارك فى حيوة وأبى عون
وقال ابن المُبارك : كل من ذُكِر لى عنه وجدتُّه دون ما ذُكِر ، إلا حَيوة ابن شُريح ، وأبا عون .

وكان حَيوة بن شريح يقعد للناس ، فتقول له أمه : قم يا حَيوةُ ألقِ الشعير للدجاج . فيقوم .

سليمان والثورى
وقال أبو الحسن : سَمع سليمان التَّيمى من سفيان الثورى ثلاثة آلاف حديث .

ابن اليمان وابنه

وكان يحيى بن اليمان يذهب بابنه داود كل مذهب ، فقال له يوما : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم كان عبد الله ، ثم كان عَلقمة ، ثم كان إبراهيم ، ثم كان منصور ، ثم كان سفيان ، ثم كان وكيع : قم يا داود . يعنى أنه أهل للإمامة ومات داود سنة أربع ومائتين .

يحيى بن وثاب

٥ وقال الحسن : حدثنى أبى ، قال : أمر الحَجّاج أن لا يَؤُمّ بالكوفة إلا عربىّ وكان يحيى بن وثّاب يؤُمّ قومه بنى أسد ، وهو مولًى لهم ؛ فقالوا : اعْتَزِل . فقال : ليس عن مِثْلى نُهى ، أنا لاحقٌ بالعرب . فأبوا ؛ فأتى الحجاج فقرأ ، فقال : من هذا ؟ فقالوا يحيى بن وثاب . قال : ماله ؟ قالوا : أمَرْتَ أن لا يَؤُمّ إلا عربىّ ، فنحّاه قومُه . فقال : ليس عن مِثْل هذا نهيْت ، يُصلى بهم . قال :

١٠ فصلى بهم الفجر والظهر والعصر والمغرب والعشاء . ثم قال : اطلبوا إماماً غيرى : إنما أردت أن لا تَسْتَذِلُّونى ، فأمّا إذ صار الأمر إلىّ فأنا أؤمكم ؟ لا ولا كرامة .

يحيى بن اليمان

وقال الحسن : كان يحيى بن اليمان يصلى بقومه ، فتعصب عليه قومٌ منهم ، فقالوا : لا تُصَلِّ بنا ! لا نَرضاك ، إن تقدَّمْتَ نَحَّيْناك ! فجاء بالسيف فسل منه أربع أصابع ثم وضعه فى المحراب ، وقال : لا يَدْنو منى أحدٌ إلا ملأتُ السيف

١٥ منه . فقالوا : بيننا وبينك شريك . فقدّموه إلى شريك فقالوا : إن هذا كان يُصلى بنا وكَرِهْناه . فقال لهم شريك : مَن هو ؟ فقالوا : يحيى بن اليمان . فقال : يا أعداء الله ! وهل بالكوفة أحدٌ يشبه يحيى ! لا يُصلِّ بكم غيره . فلما حضرته الوفاة قال لابنه داود : يا بُنَىّ كاد دِينى يذهب مع هؤلاء ، فإن اضطرُّوا إليك بَعدى فلا تصلّ بهم .

٢٠ وقال يحيى بن اليمان : تزوجت أمّ داود ، وما كان عندى ليلة العرس إلا بطِّيخة ، أكلت أنا نصفَها وهى نصفَها ، وولَدَتْ داود ، فما كان عندنا شىء نَلُفه فيه ، فاشتريت له كساء بحبّتين فلففناه فيه .

على وابن مسعود

وقال الحسن بن محمد : كان لعلىٍّ ضفيرتان ، ولابن مسعود ضفيرتان .

وذكر عبد الملك بن مروان رَوْحا فقال : ما أُعطىَ أحدٌ ما أُعطى أبو زُرعة :

أعطى فِقْه الحجاز . ودَهاء أهل العراق ، وطاعةَ أهل الشام .

لابن أنس فى على وعثمان وطلحة والزبير

وروِى أن مالك بن أنس كان يذكر عليًّا وعثمان وطلحة والزبير ، فيقول : والله ما اقتتلوا إلا على الثريد الأعفر .

للمبرد

ذَكَر هذا محمد بن يزيد فى الكامل ؛ قال : وأما أبو سعيد الحسن البصرى فإنه كان يُنكر الحكومة ولا يرى رأيهم ، وكان إذا جلس فتمكن فى مجلسه ذكر ٥ عثمان فترحَّم عليه ثلاثا ، ولَعَن قَتَلَتَه ثلاثا ، ثم يذكر عليًّا فيقول : لم يزل علىٌّ أمير المؤمنين صلوات الله عليه مُظَفَّراً مُؤَيَّداً بالنِّعم حتى حكَّم . ثم يقول : ولم تُحكِّم والحق معك ! ألا تمضى قُدُما لا أبالك ؟

وهذه الكلمة وإن كان فيها جفاء فإن بعض العرب يأتى بها على معنى المدح فيقول : انظر فى أمر رعيتك لا أبالك ! وقال أعرابى : ١٠

رَبَّ العبادِ مالنا ومالكا ۞ قد كنتَ تَسْقِينا فقد بَدالكا

۞ أنزلْ علينا الغَيْثَ لا أبالكا ! ۞

ابن أبى الحوارى وسفيان

وقال ابن أبى الحَوارِىّ : قلت لسفيان : بلغنى فى قول الله عز وجل : ﴿ إلّا مَنْ أتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ أنه الذى يلقَى الله وليس فى قلبه أحدٌ غيره . قال : فبكى وقال : ما سمعت منذ ثلاثين سنةً أحسنَ من هذا . ١٥

بين ابن المبارك وابن النضر

وقال ابن المبارك : كنت مع محمد بن النضر الحارثى فى سفينة ، فقلت : بأى شىء أستخرج منه الكلام ؟ فقلت : ما تقول فى الصوم فى السفر ؟ قال : إنما هى المبادرة يابن أخى . فجاءنى والله بِفُتْيا غير فُتْيا إبراهيم والشعبى .

ابن واسع وابن دينار

وقال الفضيل بن عياض : اجتمع محمد بن واسع ومالك بن دينار فى مجلس بالبصرة ؛ فقال مالك بن دينار : ما هو إلا طاعة الله أو النار . فقال محمد بن واسع ٢٠ لمن كان عنده : كنا نقول : ما هو إلا عفو الله أو النـار . قال مالك بن دينار : إنه ليعجبنى أن تكون للإنسان معيشةٌ قدر ما يَقُوتُه .

فقال محمد بن واسع : ما هو إلا كما تقول ، ليس يُعجبنى أن يصبح الرجل وليس له غداء ، ويمسى وليس له عشاء ، وهو مع ذلك راض عن الله عز وجل .

فقال مالك : ما أحوجَنى إلى أن يعظَنى مثلُك .

سفيان وفتى كان يجلس إليه

وكان يجلس إلى سفيان فتًى كثيرُ الفكرة ، طويل الإطراق ، فأراد سفيان أن يُحرِّكه ليسمع كلامه ؛ فقال : يافتى ، إنّ مَن كان قبلَنا مرُّوا على خيل عِتاق وبقينا على حمير دَبِرة . قال : يا أبا عبد الله ، إن كنا على الطريق فما أسرعَ ٥ لحُوقَنا بالقوم .

للأصمعى فى نفر

وقال الأصمعى : عن شعبة قال : ما أحدِّثكم عن أحد ممن تعرفون وممن لا تعرفون إلا وأيوبُ ويونس وابن عون وسليمان خير منهم .

قال الأصمعى : وحدثنى سلام بن أبى مُطيع قال : أيوبُ أفقَهُهم ، وسليمان التيمى أعبَدُهم ، ويونس أشدُّهم زهداً عند الدراهم ، وابن عون أضبطُهم لنفسه ١٠ فى الكلام .

الأصمعى قال : حدثنا نافع بن أبى نُعيم عن ربيعة بن أبى عبد الرحمن قال : ألف عن ألف خير من واحد عن واحد ، فلان عن فلان ينتزع السنّة من أيديكم .

النخعى والأعمش

وكان إبراهيم النَّخعى فى طريق ، فلقيه الأعمش فانصرف معه ، فقال له : ١٥ يا إبراهيم إن الناس إذا رأونا قالوا : أعمش وأعور ! قال : وما عليك أن يأثَموا ونُؤجَر ؟ قال : وما عليك أن يَسلَموا ونَسْلَم .

ابراهيم النخعى وابن جبير

وروى سفيان الثورى عن واصل الأحدب ، قال : قلت لإبراهيم : إن سعيد ابن جُبير يقول : كلُّ امرأة أتزوجها طالق ، ليس بشىء . فقال له إبراهيم : قل له ينقع آسته فى الماء البارد . قال : فقلت لسعيد ما أمرنى به ؛ فقال : قل له : إن ٢٠ مررتَ بوادى النَّوْكى فاحلُلْ به .

لابن مناذر

وقال محمد بن مناذر :

ومَنْ يَبْغِ الوَصاةَ فإنّ عندى ۞ وَصاةً للكهولِ وللشّبابِ

خُذوا عن مالكٍ وعن ابن عَوْن ۞ ولا تَرْوُوا أحاديثَ ابنِ داب

لبعض الشعراء

وقال آخر :

أَيُّها الطالِبُ عِلْماً ٭ إيتِ حَمَّادَ بنَ زَيْدِ
فاقتبِسْ حِلماً وعِلماً ٭ ثم قَيِّــدْهُ بِقَيْدِ

لأبى نواس فى أبى عبيدة والأصمعى

وقيل لأبى نواس : قد بعثوا فى أبى عُبيدة والأصمعى ليجمعوا بينهما . قال : أما أبو عُبيدة فإن مَكَّنُوه من سِفْره قرأ عليهم أساطير الأولين ، وأما الأصمعى فبُلْبُلٌ فى قفص يُطْرِبهم بِصَفيره . ٥

المنصور فى ابن إسحاق وابن دأب

وذكروا عند المنصور محمدَ بنَ إسحاق وعيسى بن دأب ، فقال : أما ابن إسحاق فأعلمُ الناس بالسيرة ؛ وأما ابن دأب فإذا أخرجتَه عن داحس والغبراء لم يُحْسِنْ شيئا .

للمأمون فى الطائى

وقال المأمون رحمه الله تعالى : من أراد لهواً بلا حرج ، فليسمع كلام الحسن الطائى . ١٠

العتابى فيه أيضا

وسئل العتّابى عن الحسن الطائى ، فقال : إن جليسه لِطيبِ عِشرته لأَطْرَبُ من الإبل على الحُدَاء ، ومن الثَّمِلِ على الغناء .

قولهم فى حملة القرآن

بين النخعى وقارىء للقرآن

وقال رجل لإبراهيم النَّخعى : إنى أختم القرآن كل ثلاث . قال : ليتك تختمه كل ثلاثين وتدرى أىّ شىء تقرأ . ١٥

للنبى صلى الله عليه سلم

وقال الحارث الأعور : حدّثنى على بن أبى طالب رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « كتابُ الله فيه خبرُ ما قَبلَكم ، ونبأُ ما بَعدَكم ، وحُكم ما بَينكم ؛ هو الفصل ليس بالهزل ، هو الذى لا تَزيغ به الأهواء ، ولا يَشبع منه العلماء ، ولا يَخلقُ على كثرة الرد ، ولا تنقضى عجائبه ؛ هو الذى مَن تَركه من جبّار قَصَمه الله ، ومن ابتغى الْهُدَى فى غيره أضلَّه الله ؛ هو حبلُ الله المتين ، والذِّكر العظيم ، والصراط المستقيم » . خذها إليك يا أعور . ٢٠

وقيل للنبى صلى الله عليه وسلم : عَجِّل عليك الشيب يا رسول الله . قال : شيبتنى هودٌ وأخواتُها .

لابن مسعود — وقال عبد الله بن مسعود : الحواميم ديباج القرآن .

لبعضهم — وقال : إذا رتعتُ رتعتُ فى رياض دمِثاتٍ أتأنق فيهن .

لعائشة — وقالت عائشة رضى الله تعالى عنها : كانت تنزل علينا الآية فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنحفظ حلالَها وحرامَها وأمْرَها وزجْرَها ، قبل أن نحفظها .

٥ للنبى صلى الله عليه وسلم — وقال صلى الله عليه وسلم : سيكون فى أمتى قوم يقرأون القرآن لا يجاوز تَراقِيَهُم ، يَمْرُقون من الدين كما يَمْرُق السهمُ من الرَّمِيَّة ، هم شرُّ الخلق والخليقة .

وقال : إن الزبانية لأسرعُ إلى فُسّاقِ حملةِ القرآن منهم إلى عبَدةِ الأوثان ، فيشكون إلى ربهم فيقول : ليس مَنْ عَلِم كمن لا يعلم .

١٠ للحسن — وقال الحسن : حملة القرآن ثلاثة نفر : رجل اتخذه بضاعةً ينقلُه من مِصرٍ إلى مِصر يطلب به ما عند الناس ، ورجل حَفِظَ حروفَه وضَيَّع حدوده ، واستدرّ به الولاة ، واستطال به على أهل بلده . وقد كَثُر هذا الضربُ فى حملة القرآن لا كَثَّرَهم اللهُ عز وجل . ورجل قرأ القرآن فوضع دواءه على داء قلبه ، فسهِر ليلته ، وهملت عيناه ؛ تَسَرْبَلَ الخشوع ، وارتدى الوقار ، واستشعر الحُزن .

١٥ والله لَهذا الضربُ من حَمَلة القرآن أقلُّ من الكِبريتِ الأحمر ، بهم يَسْقِى الله الغيث ، ويُنْزِل النَّصر ، ويَدْفَع البلاء .

العقل

لسحبان — قال سَحبان وائل : العقل بالتجارب ؛ لأن عقلَ الغريزةِ سُلَّمٌ إلى عقل التجربة .

لعلى بن أبى طالب — ولذلك قال على بن أبى طالب رضوانُ الله عليه : رأىُ الشيخ خيرٌ من ٢٠ مشهد [1] الغلام .

وعلى العاقل أن يكون عالما بأهل زمانه ، مالكا للسانه ، مُقبلا على شانه .

للحسن البصرى — وقال الحسن البصرى : لسانُ العاقل من وراء قلبه ؛ فإذا أراد الكلامَ تَفَكَّر ،

---

(١) فى بعض الأصول : « جلد الغلام » .

فإن كان له قال وإن كان عليه سَكَت ؛ وقلبُ الأحمق من وراءِ لسانه ، فإذا أراد أن يقول قال ، فإن كان له سكت ، وإن كان عليه قال .

بين سليمان بن عبد الملك ورجل أعجب بكلامه

وقال محمد بن الغاز : دخل رجل على سليمان بن عبد الملك ، فتكلم عنده بكلام أعْجَبَ سليمان ، فأراد أن يختبره لينظر أعَقْلُهُ على قَدْر كلامه أم لا . فوجده مضعوفا . فقال : فَضْلُ العقل على المنطق حِكمة ، وفضل المنطق على العقل هُجْنة ، وخيرُ الأمور ماصدَّق بعضُها بعضا ؛ وأنشد :

وما المرء إلا الأصْغَران : لسانُه ٭ ومَعقولُه ، والجسمُ خَلْقٌ مُصوَّرُ

فإن تَرَ منه مايَرُوق فربما ٭ أُمِرَّ مَذاقُ العودِ والعودُ أخضرُ

لزهير

ومن أحسن ما قيل فى هذا المعنى قول زهير :

وكائنْ تَرى مِن مُعْجِبٍ لكَ صامتٍ ٭ زيادتُه أو نَقصُه فى التكلمِ

لسانُ الفتى نصفٌ ونصفٌ فؤادُه ٭ فلم يبقَ إلا صورةُ اللحم والدَّمِ

لعلى

وقال على رضى الله عنه : العَقل فى الدِّماغ ، والضَّحك فى الكبد ، والرأفة فى الطِّحال ، والصوتُ فى الرئة .

للمغيرة فى عمر

وسُئل المغيرة بن شُعبة عن عمر بن الخطّاب رضوان الله عليه ، فقال : كان والله أفضلَ من أن يَخدع ، وأعقلَ مِن أن يُخدع . وهو القائل : لستُ بِخَبٍّ ، والخَبُّ لا يَخدَعُنى .

لزياد

وقال زياد : ليس العاقل الذى إذا وقع فى الأمر احتال له ، ولكن العاقل يَحتال للأمر حتى لايقع فيه .

لعمرو بن العاص

وقيل لعمرو بن العاص : ما العقل ؟ فقال : الإصابة بالظن ، ومعرفة ما يكون بما قد كان .

وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : من لم يَنفعْه ظنُّه لم ينفعه يقينه[1] .

لعلى فى ابن عباس

وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه ، وذَكَر ابن عباس رضى الله عنهما ،

---

(١) فى بعض الأصول : « تنفعه عينه » .

فقال : لقد كان ينظر إلى الغَيب من سِتْر رقيق .

وقالوا : العاقل فطِنٌ مُتغافل .

لمعاوية

وقال معاوية : العقلُ مِكيال ثُلثُه فِطنة وثلثاه تغافل .

بين عمر والمغيرة حين عزله

وقال المغيرة بن شُعبة لعمر بن الخطاب رضي الله عنه إذ عَزَله عن كتابة أبى موسى : أعَنْ عجز عَزَلتَنى أم عن خيانة ؟ فقال : لا عن واحدة منهما ، ولكنى كرهت أن أحمل على العامة فضل عقلِك . ٥

بين معاوية وابن العاص

وقال معاوية لعمرو بن العاص : ما بلغ من عقلك ؟ قال : ما دخلتُ فى شىء قطُّ إلا خرجتُ منه . فقال معاوية : لكنى ما دخلت فى شىء قط وأردتُ الخروج منه .

شعر تمثل به ابن سهل

١٠ وقال الأصمعى : ما سمعت الحسنَ بن سهل مُذْ صار فى مرتبة الوزارة يتمثل إلا بهذين البيتين :

وما بقِيَت من اللَّذات إلا * محادَثةُ الرِّجالِ ذوِى العُقولِ
وقد كانوا إذا ذُكِروا قليلًا * فقد صاروا أقلَّ مَن القليلِ

لابن طاهر

وقال محمد بن عبد الله بن طاهر ـ ويروى لمحمود الوراق ـ :

١٥ لعَمرُك ما بالعقل يُكتَسبُ الغِنَى * ولا باكتِساب المالِ يُكتَسَبُ العقلُ
وكم مِن قليلِ المالِ يُحمَدُ فضلُه * وآخرُ ذو مالٍ وليس له فضلُ
وما سَبَقتْ من جاهل قطُّ نعمةٌ * إلى أحدٍ إلّا أضرَّ بها الجهلُ
وذو اللُّبِّ إن لم يُعطِ أحمَدتَ عقلَه * وإن هو أعطى زانَه القولُ والفعلُ

لابن مناذر

وقال محمد بن مُناذر :

٢٠ وترى الناس كثيراً فإذا * عُدَّ أهلُ العقلِ قلُّوا فى العَدَدْ
لا يَقِلُّ المرء فى القصدِ ولا * يَعدَمُ القِلَّةَ مَن لم يقتصِدْ
لا تعِدْ شرًّا وعِد خيراً ولا * تُخلِفِ الوعْد وعجِّل ما تعِدْ
لا تقلْ شِعراً ولا تَهمُمْ به * وإذا ما قلت شِعراً فأجِدْ

لبعض الشعراء ولآخر :

يُعرَفُ عقلُ المرء فى أربعٍ * مِشْيتُه أولها والحرَكْ
ودوْرُ عَيْنيهِ ، وألفاظُه * بعدُ عليهنّ يدور الفَلَكْ
وربما أخلفنَ إلّا التى * آخرها منهن سُمّين لكْ
هذِى دَليلاتٌ على عقلِه * والعقلُ فى أركانِه كالمَلِكْ ٥
إن صَحّ صَحّ المرءُ من بَعدِه * ويَهلكُ المرءُ إذا ما هَلكْ
فانظر إلى مَخْرَج تدبيره * وعقلِه ليس إلى ما مَلكْ[1]
فربما خَلّط أهلُ الحِجا * وقديكونُ النَّوْكُ فى ذى النُّسُك
فإنْ إمامٌ سالَ عن فاضلٍ * فادْلُلْ على العاقِلِ لا أُمَّ لكْ

هوذة وكسرى وكان هَوذة بن على الحنفىّ يُجير لطيمة كسرى فى كل عام - واللطيمة عِير تَحمل الطيب والبَزّ - فوفَد على كسرى ، فسأله عن بَنِيه ، فسَمّى له عدداً . فقال : ١٠
أيهم أحبُّ إليك ؟ قال : الصغير حتى يَكْبر ، والغائبُ حتى يرجع ، والمريض حتى يُفيق . فقال له : ما غذاؤك فى بلدك ؟ قال : الخبز . فقال كسرى لجلسائه : هذا عقل الخبز . يفضّله على عُقول أهل البوادى الذين غذاؤهم اللبن والتمر .

للأعشى فى هوذة وهَوذة بن على الحنفىّ هو الذى يقول فيه أعشى بكر :

من يَرَ هَوْذَةَ يَسجد غير مُتّئب * إذا تعَصّب فوق التاج أو وَضَعا ١٥
له أكاليلُ بالياقوتِ فَصّلَها * صَوّاغُها لا تَرى عيباً ولا طبعا

بين أبى عبيدة وأبى عمرو وقال أبو عُبيدة عن أبى عمرو : لم يتتوّج مَعَدّىٌّ قط ، وإنما كانت التيجانُ لليمن . فسألتُه عن هوذة بن على الحنفى ، فقال : إنما كانت خَرَزاتٍ تُنْظم له .

بين النبى صلى الله عليه وسلم وهوذة وقد كتب النبي صلى الله عليه وسلم إلى هوذة بن على يدعوه إلى الإسلام كما كتب إلى الملوك . ٢٠

وفى بعض الحديث : إن الله عز وجل لما خلق العقل قال : أقبِل ! فأقبَل ،

(١) فى بعض الأصول : « انتهك » .

مما ورد في العقل

ثم قال له: أدبِر! فأدبَر. فقال: وعزتى وجلالى، ماخلقتُ خلقاً أحبَّ إلىّ منك، ولا وضعتُك إلا فى أحبِّ الخلق إلىّ. ولما خَلَق الحُمْق قال له: أقبِل. فأدبَر. ثم قال له: أدبِر. فأقبل. فقال: وعزتى وجلالى، ماخلقت خلقاً أبغَضَ إلىّ منك، ولا وضعتُك إلا فى أبغض الخلق إلىّ.

٥ وبالعقل أدرَكَ الناسُ معرفة الله عز وجل؛ ولا يشكُّ فيه أحد من أهل العقول؛ يقول الله عز وجل فى جميع الأمم: ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللهُ ﴾

وقال أهل التفسير فى قول الله: ﴿ قَسَمٌ لِذِي حِجْر ﴾ قالوا: لذى عقل.

لبعضهم

وقالوا: ظن العاقل كهانة.

للحسن البصرى

١٠ وقال الحسن البصرى: لو كان للناس كلِّهم عقول خَرِبَت الدنيا.

لبعض الشعراء

وقال الشاعر:

يُعَدُّ رَفيع القوْمِ منْ كان عاقلًا * وإن لم يكن فى قومِه بحسيبِ
وإن حَل أرضاً عاش فيها بعقلِه * وما عاقــل فى بلْدَةٍ بغريبِ

وقالوا: العاقل يقى مالَه بسلطانه، ونفسَه بمالِه، ودينَه بنفسِه

للأحنف

١٥ وقال الأحنف بن قيس: أنا للعاقل المدْبِر أرْجَى منى للأحمق المقْبِل.

قال: ولما أهبط الله عز وجل آدم عليه السلام إلى الأرض، أتاه جبريل عليه السلام، فقال له: يا آدم إن الله عز وجل قد حَبَاك بثلاث خصال لتختار منها واحدة وتتخلى عن آثنتين؛ قال: وما هن؛ قال: الحياء والدين والعقل! قال آدم: اللهم إنى اخترت العقل. فقال جبريل عليه السلام للحياء والدين: ٢٠ ارتفعا؛ قالا: لن نرتفع. قال جبريل عليه السلام: أعصيتما؟ قالا: لا، ولكنا أمِرنا ألّا نفارق العقل حيث كان.

وقال صلى الله عليه وسلم: لاتقتدوا بمن ليست له عُقدة.

للنبى صلى الله عليه وسلم

قال: وما خلق الله خلقا أحب إليه من العقل.

بعضهم وكان يقال : العقل ضربان : عقل الطبيعة وعقل التجربة ، وكلاهما يُحتاج إليه ويؤدى إلى المنفعة .

وكان يقال : لا يكون أحد أحبّ إليك من وزير صالح وافر العقل كامل الأدب حَنيك السنّ بصير بالأمور ، فإذا ظفرت به فلا تباعده ، فإن العاقل ليس بمانعك نصيحته وإن جَفَت . ٥

وكان يقال : غريزة عقل لا يضيع معها عمل .

وكان يقال : أجل الأشياء أصلا وأحلاها ثمرة : صالح الأعمال ، وحُسن الأدب ، وعقل مستعمل .

وكان يقال : التجارب ليس لها غاية والعاقل منها فى الزيادة . ومما يؤكد هذا قول الشاعر : ١٠

ألم تَرَ أنّ العقل زينٌ لأهله ٭ وأنّ كمال العقل طُول التجارب

ومكتوب فى الحكمة : إنّ العاقل لا يغترّ بمودّة الكذوب ولا يثق بنصيحته .

ويقال : من فاته العقل والفتوّة فرأس ماله الجهل .

ويقال : من عيّر الناسَ الشيءَ ، ورضيه لنفسه فذاك الأحمق نفسه .

وكان يقال : العاقل دائم المودّة ، والأحمق سريع القطيعة . ١٥

وكان يقال : صديق كل آمرئ عقله ، وعدوّه جهله .

وكان يقال : المعجب لحوح والعاقل منه فى مؤونة . وأما العُجب فإنه الجهل والكبر .

وقيل : أولى الناس بالعفو أقدرهم على العقوبة ، وأنقص الناس عقلا من ظلم مَن هو دونه . ٢٠

ويقال : ماشىء بأحسن من عقلٍ زانه حِلم ، وحِلمٍ زانه علم ، وعلم زانه صِدق ، وصِدقٍ زانه عمل ، وعملٍ زانه رفق .

لعمر وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول : ليس العاقل من عرف الخير

من الشر ، بل العاقل من عرف خيرَ الشَّرَّين .

لبعضهم

ويقال: عدوّ عاقل أحبّ إلىّ من صديق جاهل .

وكان يقال : الزم ذا العقل وذا الكرم واسترسل إليه ، وإياك وفراقه إذا كان كريما ، ولا عليك أن تصحب العاقل وإن كان غيرَ محمود الكرم ، لكن آحترس من شين أخلاقه وانتفع بعقله ؛ ولا تدع مواصلة الكريم وإن لم تحمد عقله ، وانتفع بكرمه وآنفعه بعقلك ، وفرَّ الفرار كله من الأحمق اللئيم .

وكان يقال : قطيعة الأحمق مثل صلة العاقل .

للحسن

وقال الحسن : ما أودع الله تعالى امرءا عقلًا ما إلا استنقذه به يوما ما .

بين النبي صلى الله عليه وسلم ومجاشعى

وأتى رجل من بنى مُجاشع إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يارسول الله ، ألست أفضل قومى ؟ قال النبي صلى الله عليه وسلم : إن كان لك عقل فلك فضل ، وإن كان لك تُقى فلك دين ، وإن كان لك مال فلك حسَب ، وإن كان لك خلق فلك مروءة .

بين صفوان بن أمية وعمر

قال : تفاخر صفوان بن أمية مع رجل ، فقال صفوان : أنا صفوان بن أُمية ، بخ بخ . فبلغ ذلك عمرَ بن الخطاب رضى الله عنه ، فقال : ويلك ! إن كان لك دين فإنّ لك حَسبا ، وإن كان لك عقل فإن لك أصلا ، وإن كان لك خلق فلك مروءة ، وإلا فأنت شرّ من حمار .

النبي صلى الله عليه وسلم

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : كَرَم الرجل دينُه ، ومروءته عقله ، وحَسبه خلقه .

وقال : وكل الله عز وجل الحرمان بالعقل ، ووكل الرزق بالجهل ؛ ليعتبر العاقل فيعلم أنّ ليس له فى الرزق حيلة .

لبزرجمهر

وقال بُزُرجمهر : لاينبغى للعاقل أن ينزل بلداً ليس فيه خمسة : سلطان قاهر ، وقاض عدل ، وسوق قائمة ، ونهر جار ، وطبيب عالم .

وقال أيضاً : العاقل لا يرجو ما يُعنَّف برجائه ، ولا يَسأل ما يخاف منعه ، ولا يمتهن ما لا يُستهين بالقدرة عليه .

لأعرابى سئل أعرابى : أى الأسباب أعون على تذكية العقل ، وأيها أعون على صلاح السيرة ؟ فقال : أعونها على تذكية العقل التعلّم ، وأعونها على صلاح السيرة القناعة .

وسئل عن أجود المواطن أن يُختبر فيه العقل ؛ فقال : عند التدبير .

٥ وسئل : هل يعمل العاقل بغير الصواب ؟ فقال : ماكل ما عُمل بإذن العقل فهو صواب .

وسئل : أى الأشياء أدل على عقل العاقل ؟ قال : حُسن التدبير .

وسئل : أى منافع العقل أعظم ؟ قال : اجتناب الذنوب .

لبزرجمهر وقال بُزرجمهر : أفرَهُ مايكون من الدواب لا غنى بها عن السوط ، وأعف

١٠ من تكون من النساء لا غنى بها عن الزوج ، وأعقل مَن يكون من الرجال لا غنى به عن مشورة ذوى الألباب .

سئل أعرابى عن العقل متى يُعرف ؟ قال : إذا نهاك عقلك عما لا ينبغى فأنت عاقل .

للنبى صلى الله عليه وسلم وقال النبى صلى الله عليه وسلم : العقل نُور فى القلب نفرّق به بين الحق

١٥ والباطل ، وبالعقل عُرف الحلال والحرام ، وعُرفت شرائع الإسلام ومواقع الأحكام ، وجعله الله نوراً فى قلوب عباده يهديهم إلى هدى ، ويصدّهم عن ردى .

ومن جلالة قدر العقل أنّ الله تعالى لم يخاطب إلا ذوى العقول . فقال عز وجل : ﴿ إنما يتذكر أُولو الألباب ﴾ . وقال : ﴿ لِتُنْذِرَ مَن كان حيًّا ﴾ . أى عاقلا . وقال : ﴿ إنّ فى ذلك لذِكرى لمن كان له قلب ﴾ . أى لمن كان له عقل .

٢٠ وقال النبى صلى الله عليه وسلم : العاقل يحلُم عمن ظَلم ، ويتواضع لمن هو دونه ، ويُسابق إلى البِرّ مَن فوقه . وإذا رأى باب برٍّ انتهزه ، وإذا عرضت له فِتنة اعتصم بالله وتنكّبها .

وقال صلى الله عليه وسلم : قوام المرء عقله ، ولا دين لمن لا عقل له .

وإذا كان العقل أشرف أعلاق النفس ، وكان بقَدْر تمكّنه فيها يكون سمُوّها لطلب

الفضائل وعلوها لابتغاء المنازل ، كانت قيمة كل آمرئ عقله ، وحليته التى يحسن بها فى أعين الناظرين فضله .

لعبد الله بن محمد

ولعبد الله بن محمد :

تأمّل بعَينيك هذا الأنام ٭ وكُن بعضَ من صانه نُبله

٥ لحِليَة كل فتًى فضلُه ٭ وقيمة كل آمرئٍ عقلُه

ولا تتّكل فى طِلاب العُلا ٭ على نَسب ثابت أصلُه

فما من فتى زانه أهلُه ٭ بشىء وخالفه فعلُه

ويقال: العقل إدراك الأشياء على حقائقها فمن أدرك شيئا على حقيقته فقد كَمُل عقله .

١٠ وقيل : العقل مرآة الرجل .

لبعض الشعراء

أخذه بعضُ الشعراء فقال :

عقلُ هذا المرء مرآ ٭ ةٌ ترى فيها فِعالَه

فإذا كان عليها ٭ صدأٌ فهو جَهاله

وإذا أخلصه الله ٭ صِقالًا وصَفاله

١٥ فهى تُعطى كلَّ حىٍّ ٭ ناظرٍ فيها مثاله

ولآخر : لا ترانى أبداً أكـ ٭ ـرمُ ذا المال لماله

لا ولا تُزرى بمن يَعـ ٭ ـقل عندى سُوءُ حاله

إنما أقضى على ذا ٭ ك وهـذا بفِعاله

أنا كالمـرآة ألقى ٭ كل وجه بمثاله

٢٠ كيفما قلّبنى الدّهـ ٭ ـر يجِدْنى من رجاله

ولبعضهم :

إذا لم يكن للمرء عقل فإنه ٭ وإن كان ذا نُبل على الناس هَيّنُ

وإن كان ذا عقل أُجِلَّ لعقله ٭ وأفضلُ عقل عقلُ مَن يتديّن

وقال آخر :

إذا كنت ذا عقل ولم تك ذا غنًى * فأنت كذى رَحْل وليس له بَغْل
وإن كنت ذا مال ولم تكُ عاقلا * فأنت كذى بَغل وليس له رَحل

ويقال : إنّ العقل عَيْن القلب ، فإذا لم يكن للمرء عقل كان قلبه أكْمَه .

وقال صالح بن جَناح : ٥

ألا إنّ عقـل المرء عينًا فؤاده * وإن لم يكن عقلٌ فلا يُبصر القلب

وقال بعض الفلاسفة : الهوى مَصَاد العقل .

ولعبد الله بن محمد : ثلاث من كُنّ فيه جوى الفضل وإن كان راغبا عن سواها : صحة العقل ، والتمسك بالعدل ، وتَنزيه نفسه عن هواها .

لابن دريد — ولمحمد بن الحسن بن دُريد : ١٠

وآفةُ العَقْل الهوى فمن عَلاَ * على هَواه عقـلُه فقد نَجا

لبعض الحكماء — وقال بعض الحكماء : ما عُبد الله بشىء أحبَّ إليه من العقل ، وما عُصى بشىء أحبَّ إليه من السَّتر .

لمسلمة بن عبد الملك — وقال مَسلمة بن عبد الملك : ما قرأت كتابا قط لأحد إلا عرفت عقله منه .

ليحيى بن خالد — وقال يحيى بن خالد : ثلاثة أشياء تدل على عقول أربابها : الكتاب يدل على عقل كاتبه ، والرسول يدل على عقل مُرسله ، والهديّة تدل على عقل مهديها . ١٥

بين عمر بن عبد العزيز ورجل من أعوانه — واستعمل عمر بن عبد العزيز رجلا ، فقيل له : إنه حديث السن ولا نراه يضبط عملك ؛ فأخذ العهد منه وقال : ما أراك تضبط عملك لحداثتك ؛ فقال الفتى :

وليس يزيد المرء جَهْلًا ولا عَمًى * إذا كان ذا عقل ، حداثةُ سنّه

فقال عمر : صدق ، وردّ عليه عهده . ٢٠

شعر لجثامة — وقال جَثّامة بن قيس يصف عاقلا :

بصير بأعقاب الأُمور كأنما * تخاطبه من كلّ أمر عواقبُه

ولغيره في المعنى : ‏ ولغيره

بَصير بأعقاب الأمور كأنما ٭ يرى بصواب الرأي ما هو واقع

وقال شبيب بن شيبة لخالد بن صفوان : إني لأعرف أمراً لا يتلاقى فيه اثنان إلا وجب النُّجح بينهما ؛ قال له خالد : ما هو؟ قال العقل ، فإنّ العاقل لا يَسأل إلا ما يجوز ، ولا يُردُّ عما يمكن . فقال له خالد : نَعيتَ إليَّ نفسي ، إنّا أهل بيت لا يموت منا أحد حتى يرى خَلَفه . ‏ بين شبيب وخالد ابن صفوان ‏ ٥

وقال عبد الله بن الحسين لابنه محمد : يا بُنيّ ، احذر الجاهل وإن كان لك ناصحاً كما تحذر العاقل إذا كان لك عدوّا ؛ ويوشك الجاهل أن تُورِّطك مَشُورتُه في بعض اغترارك فيسبق إليك مكر العاقل ؛ وإياك ومعاداة الرجال ، فإنك لا تَعْدَمَنَّ منها مكرَ حَليم عاقل ، أو معاندة جاهل . ‏ وصية عبد الله ابن الحسين ‏ ١٠

وقال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليه : لا مال أعْوَدُ من عقل ، ولا فقر أضرُّ من جهل . ‏ لعلي بن أبي طالب

ويقال : لا مروءة لمن لا عقل له .

وقال بعض الحكماء : لو استغنى أحدٌ عن الأدب لاستغنى عنه العاقل ، ولا ينتفع بالأدب مَن لا عقل له ، كما لا ينتفع بالرياضة إلا النجيب . ‏ لبعض الحكماء ‏ ١٥

وكان يقال : بالعقل تُنال لذة الدنيا ، لأنّ العاقل لا يسعى إلا في ثلاث : مزيّة لمعاش ، أو منفعة لمعاد ، أو لذة في غير محرم .

ولبعضهم :

إذا أحببت أقواماً فلاصِقْ ٭ بأهل العقل منهم والحياء

فإنّ العقل ليس له إذا ما ٭ تفاضلتِ الفضائل من كِفاء ‏ ٢٠

لمحمد بن يزيد :

وأفضل قَسم الله للمرء عقله ٭ وليس من الخيرات شيء يُقاربه

إذا أكمل الرحمنُ للمرء عقله ٭ فقد كَمُلت أخلاقه ومآربه

يَعيش الفتى بالعقل فى الناس إنه ٭ على العقل يَجرى علمُه وتجاربه
ومَن كان غلّاباً بعقل ونَجدة ٭ فذو الجد فى أمر المعيشة غالبه
فزَيْن الفتى فى الناس صحة عقله ٭ وإن كان محصوراً عليه مكاسبه
وشَين الفتى فى الناس قلّةُ عقله ٭ وإن كَرُمت أعراقُه ومَناسبه

٥ ولبعضهم :

العقل يأمر بالعفاف وبالتُّقى ٭ وإليه يأوى الحلم حين يؤول
فإن استطعت فخذ بفضلك فضلهُ ٭ إن العقول يُرى لها تفضيل

ولبعضهم :

إذا جُمّع الآفاتُ فالبخل شرُّها ٭ وشرٌّ من البخل المواعيد والمَطْلُ
ولا خير فى عقل إذا لم يكن غنًى ٭ ولا خير فى غِمد إذا لم يكن نَصْل ١٠
وإن كان للإنسان عقل فعقله ٭ هو النَّصل والإنسان من بعده فَضل

ولبعضهم :

يُمثل ذو العقل فى نَفسه ٭ مصائبَه قبل أن تَنْزلا
فإن نزلت بغتةً لم تَرُعْهُ ٭ لِمَا كان فى نفسه مَثّلا
رأى الهمَّ يُفضِى إلى آخرٍ ٭ فصيَّر آخرَه أولا ١٥
وذو الجهل يأمن أيّامه ٭ ويَنسى مصارع من قد خلا

الحكمة

النبى صلى الله عليه وسلم

قال النبى صلى الله عليه وسلم : ما أخلَصَ عبدٌ العمل لله أربعين يوماً إلا ظهرتْ ينابيعُ الحكمة من قلبه على لسانه .

٢٠ وقال عليه الصلاة والسلام : الحكمةُ ضالّةُ المؤمن ، يأخذها ممن سمعها ولا يبالى من أىّ وِعاءٍ خرجتْ .

وقال عليه الصلاة والسلام : لا تَضعوا الحكمةَ عند غير أهلها فتظلموها ، ولا تَمنعوها أهلَها فتظلموهم .

للحكماء
وقال الحكماء : لا يَطلبُ الرجل حكمةً إلا بحكمةٍ عنده .

وقالوا : إذا وجدتم الحكمة مطروحة على السكك فخذوها .

في الحديث
وفي الحديث : خذوا الحكمة ولو من ألسنةِ المشركين .

لزياد
وقال زياد : أيها الناس ، لا يمنعكم سوءُ ما تعلمون منا أن تنتفعوا بأحسنِ
٥ ما تسمعون منا ؛ فإن الشاعر يقول :

اعمَلْ بِعِلْمِي وإنْ قَصَّرْتُ في عملي ۞ يَنْفَعْكَ قولي ولا يَضْرُرْكَ تقصِيري

نوادر من الحكمة

لقس بن ساعدة
قيل لقسّ بن ساعدة : ما أفضل المعرفة ؟ قال : معرفةُ الرجلِ نفسَه .
قيل له : فما أفضلُ العلم ؟ قال : وُقوفُ المرءِ عند عِلمه . قيل له : فما أفضلُ
١٠ المروءة ؟ قال : استبقاء الرجل ماء وجهه .

للحسن
وقال الحسن : التقديرُ نصفُ الكسب ، والتُّؤدة نصفُ العقل ، وحسنُ طلب الحاجةِ نصفُ العلم .

لبعضهم
وقالوا : لاعقلَ كالتدبير ، ولا وَرَعَ كالكف ، ولا حَسَبَ كحُسْنِ الخُلق ، ولا غِنَى كرِضاً عن الله ، وأحقُّ ماصُبِر عليه ما ليس إلى تغييره سبيل .

١٥ وقالوا : أفضل البرّ الرحمة ، ورأس المودةِ الاسترسال ، ورأسُ العقوق مكاتَمة الأدْنَيْن ، ورأسُ العقل الإصابةُ بالظن .

وقالوا : التفكّر نور والغفلةُ ظُلمة ، والجهالة ضلالة ، والعلمُ حياة ، والأول سابق ، والآخرُ لاحق ، والسعيد من وُعِظ بغيره .

ابن الظرب وحممة في مجلس ملك حمير
حدث أبو حاتم قال : حدثني أبو عُبيدة قال : حدثني غير واحد من هَوازن
٢٠ من أُولي العلم ، وبعضُهم قد أدرك أبوه الجاهلية ـ قالوا : اجتمع عمرو بن الظَّرِب العدواني ، وحُمَمَةُ بن رافع الدَّوسي ـ ويزعم النُّسابُ أن ليلى بنت الظَّرب أم دوس ، وزينب بنت الظربِ أمُّ ثقيف ـ عند ملك من ملوك حِمير ، فقال : تَسَاءلَا حتى أسمع ما تقولان . فقال عمرو لحممة : أين تحبُّ أن تكون أياديك ؟ قال : عند

ذى الرَّثَّةِ العديم ، وعند ذى الخَلَّة الكريم ، والمُعْسِر الغريم ، والمستَضْعَف المضيم . قال : مَن أحقُّ الناس بالمقت ؟ قال : الفقيرُ المختال ، والضعيفُ الصَّوَّال ، والعيُّ القَوَّال . قال : فمن أحقُّ الناس بالمنع ؟ قال : الحريصُ الكائد ، والمستميدُ الحاسد ، والمُلْحِف الواجد . قال : مَن أجدرُ الناس بالصنيعة ؟ قال : من إذا أُعطِيَ شَكَر ، وإذا مُنِعَ عَذَر ، وإذا مُطِلَ صبَر ، وإذا قَدُمَ العهدُ ذَكَر . قال : مَن أكرمُ الناس عِشرة ؟ قال : مَن إذا قَرُبَ مَنَح ، وإذا بَعُدَ مَدَح وإذا ظُلِم صَفَح ، وإذا ضُويِقَ سَمَح . قال : مَن ألأَمُ الناس ؟ قال : مَن إذا سأل خَضَع ، وإذا سُئل مَنَع ، وإذا مَلَكَ كَنَع ، ظاهرُه جَشَع ، وباطنه طَمَع . قال : فمَنْ أحلم[1] الناس ؟ قال : مَنْ عَفَا إذا قَدَر ، وأجمَلَ إذا انتصر ، ولم تُطْغِهِ عزةُ الظَّفَر : قال : فمن أحزَمُ الناس ؟ قال : من أخذ رقاب الأمور بيديه ، وجعل العواقبَ نُصب عينيه ، ونَبَذَ التهيُّب دَبْرَ أذُنيه . قال : فمن أخْرَقُ الناس ؟ قال : من ركب الخِطار ، واعتسف العِثار ، وأسرعَ فى البِدار قبل الاقتدار . قال : من أجْوَدُ الناس؟ قال : من بَذَل الموجود ، ولم يَأْسَ على المعهود[2] . قال : من أبلغُ الناس ؟ قال : من جَلَّى المعنى المَزِيزَ باللفظ الوجيز ، وطَبَّق المِفصل قبل التحزيز . قال : من أنْعَمُ النـاسِ عيشاً ؟ قال : من تَحلَّى بالعفاف ، ورضِيَ بالكَفاف ، وتجاوز مايخاف إلى ما لايخاف . قال : فمن أشْقَى النـاس ؟ قال : من حَسَد على النِّعَم ، وسَخِطَ على القِسَم ، واستَشْعَرَ النَّدم ، على فوت مالم يُحتم[3] . قال : من أغنَى الناس ، قال : من استشعر اليأس ، وأظهرَ التجمُّلَ للناس ، واستكثر قليلَ النعم ، ولم يَسْخَط على القِسَم . قال : فمن أحكم النـاس ؟ قال : من صَمَتَ فادَّكَر ، ونظر فاعتبر ، ووُعِظ فازدَجَر . قال : من أجهل الناس ؟ قال : من رأى الخُرْقَ مَغْنَمًا ، والتجاوز مَغْرَمًا .

لأبى عبيد فى تفسير الغريب

وقال أبو عُبيدة : الخَلَّة : الحاجة ، والخُلَّة : الصداقة . والكائد : الذى يكفر

(١) فى بعض الأصول : « أجل » .
(٢) فى بعض الأصول : « المفقود » .
(٣) فى بعض الأصول : « ما انحتم » .

النعمة ، والكنود : الكفور . والمستميد : مثل المستمير ، وهو المستعطى ، ومنه اشتقاق المائدة لأنها تُمَادُ . وكنع : تقبّض ، يقال منه : تكنّع جلدُه ، إذا تقبّض ، يريد أنه مُمسِكٌ بخيل . والجشع : أسوأ الحرص . والطَّبَع : الدَّنَس . والاعتساف : ركوب الطريق على غير هداية ، وركوبُ الأمر على غير معرفة .

٥ والمزيز : من قولهم : هذا أمزّ من هذا ، أي أفضل منه وأزيد . والمُطَبِّق من السيوف : الذي يُصيب المفاصل لا يجاوزها .

لعمرو بن العاص
وقال عمرو بن العاص : ثلاث لا أناة فيهن : المُبادرة بالعمل الصالح ، ودفن الميت ، وتزويج الكُفء .

وقال : ثلاثة لا يُندَمُ على ما سَلَف إليهم : الله عز وجل فيما عُمل له ، والمولى

١٠ الشكور فيما أُسدِيَ إليه ، والأرض الكريمة فيما بُذِر فيها .

لبعضهم
وقالوا : ثلاثة لا بقاء لها : ظِلُّ الغمام ، وصُحبةُ الأشرار ، والثناء الكاذب .

وقالوا : ثلاثة لا تكون إلا في ثلاثة . الغِنَى في النفس ، والشرف في التواضع ، والكرم في التقوى .

وقالوا : ثلاثة لا تُعرف إلا في ثلاثة : ذو البأس لا يُعرفُ إلا عند اللِّقاء ،

١٥ وذو الأمانة لا يُعرف إلا عند الأخذ والعطاء ، والإخوان لا يُعرَفون إلا عند النوائب .

وقالوا : مَن طَلَب ثلاثةً لم يسلم من ثلاثة : من طلب المال بالكيمياء لم يسلم من الإفلاس ؛ ومن طلب الدين بالفلسفة لم يَسلم من الزندقة ، ومن طلب الفقه بغرائب الحديث لم يسلم من الكذب .

٢٠ وقالوا : عليكم بثلاث : جالِسوا الكبراء ، وخالِطوا الحكماء ، وسائلوا العلماء .

لعمر بن الخطاب
وقال عمر بن الخطاب رضوان الله عليه : أخوَفُ ما أخاف عليكم : شُحٌّ مُطاع ، وهَوًى مُتَّبَع ، وإعجابُ المرء بنفسه .

للعرب والعجم
واجتمعت علماء العرب والعجم على أربع كلمات : لا تحمل على ظَنِّك ما لا تطيق ؛ ولا تعمل عملا لا ينفعك ، ولا تغترّ بامرأة ، ولا تثق بمالٍ وإن كثُر .

للرياحى — وقال الرياحىّ فى خُطبته بالمِرْبد : يا بَنى رِياح ؛ لا تَحقِروا صغيراً تأخذون عنه ، فإنى أخذتُ من الثعلب رَوَغانه ، ومن القِرد حكايته ، ومن السِّنَّوْر ضَرَعَه ، ومن الكلب نصرتَه ، ومن ابن آوى حَذَره ؛ ولقد تعلمتُ من القمر سيْر الليل ، ومن الشمس ظهورَ الحين بعد الحِين .

لبعضهم — وقالوا : ابن آدم هو العالَمُ الكبير الذى جمع الله فيه العالَم كلّه ، فكان فيه بسالةُ الليث ، وصَبرُ الحمار ، وحِرص الخنزير ، وحذر الغراب ، وروغان الثعلب ، وضَرَع السِّنَّوْر ، وحكاية القرد ، وجبن الصِّفْرِد . ٥

بعد مقتل بزرجهر — ولما قتل كسرى بُزُرجمهر وُجد فى مِنطقته مكتوباً : إذا كان الغَدر فى الناس طباعا فالثقة بالناس عَجز ، وإذا كان القدَر حقًّا فالحِرص باطل ، وإذا كان الموت راصداً فالطمأنينة حُمْق . ١٠

لأبى عمرو بن العلاء — وقال أبو عمرو بن العَلاء : خذِ الخير من أهله . ودع الشر لأهله .

لعمر بن الخطاب — وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : لا تَنهكوا وجه الأرض فإن شَحمتها فى وجهها .

وقال : بِع الحيوان أحسَنَ ما يكون فى عَينك :

وقال : فرِّقوا بينِ المنايا ، واجعلوا من الرأس رأسين ، ولا تلْبثوا بدار مَعجزة . ١٥

وقالوا : إذا قَدُمت المصيبة تركت التَّعزية ، وإذا قَدُم الإخاء سَمُجَ الثناء .

للهند — وفى كتاب للهند : يَنبغى للعاقل أن يَدَع التماس ما لا سبيل إليه ، وإلا عُدَّ جاهلاً ، كرجل أراد أن يُجرى السفن فى البَرّ والعَجَل فى البحر ، وذلك ما لا سبيل إليه . ٢٠

وقالوا : إحسانُ المسىء أن يكفّ عنك أذاه ، وإساءةُ المحسن أن يَمنعَك جَدواه .

للحسن البصرى — وقال الحسن البصرى : اقْدَعوا هذه النفوس فإنها طُلَعَة ، وحادثوها بالذِّكر فإنها سريعة الدُّثور ؛ فإنكم إلا تَقْدَعوها تَنزِعْ بكم إلى شر غاية .

يقول : حادثوها بالحكمة كما يُحادَث السيف بالصِّقال ؛ فإنها سريعة الدُّثور : يريد الصدأ الذى يعرض للسيف . واقْدعوها : من قَدَعْت أنف الجمل ، إذا دفعتَه ، فإنها طُلَعة : يريد مُتطلّعة إلى الأشياء .

لأردشير

قال أردشير بن بابك : إنّ للآذان مَجّة وللقلوب مَللا ؛ ففرّقوا بين الحكمتين يكنْ ذلك آستجماما .

٥

البـــلاغة وصفتهـا

قيل لعمرو بن عُبيد : ما البلاغة ؟ قال : ما بلّغك الجنّة وعَدَل بك عن النار . قال السائل : ليس هذا أريد . قال : فما بَصَّرك مواضع رشدك ، وعواقبَ غيّك . قال : ليس هذا أريد . قال : من لم يُحْسن أن يَسْكت لم يُحْسن أن يَسمع ، ومن لم يُحْسن أن يسمع لم يُحسن أن يسأل ، ومن لم يحسن أن يسأل لم يحسن أن يقول . قال : ليس هـذا أريد . قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : إنا معشر النبيين بِكاء ـ أى قليلو الكلام ، وهو جمع بَكِيء . وكانوا يكرهون أن يزيد منطِقُ الرجل على عقله ـ قال السائل : ليس هذا أريد . قال : فكأنك تريد تَخيُّرَ الألفاظ فى حُسن إفهام ؟ قال : نعم . قال : إنك إن أردت تقرير حُجَّةِ الله فى عقول المكلَّفين وتخفيف المئونة على المستمعين ، وتَزيين المعانى فى قلوب المستفهمين ، بالألفاظ الحسنة ، رغبةً فى سُرعة آستجابتهم ، ونَفْى الشواغل عن قلوبهم ، بالموعظة الناطقة عن الكتاب والسنة ، كنت قد أُوتيتَ فصل الخطاب .

١٠

١٥

لبعضهم

وقِيلْ لبعضهم : ما البلاغة ؟ قال : معرفة الوصل من الفصل .

وقيل لآخر : ما البـلاغة ؟ قال : إيجـاز الـكلام ، وحذْفُ الفضول ، وتقريب البعيد .

٢٠

وقيل لبعضهم : ما البلاغة ؟ قال ألّا يُؤتَى القائل من سوء فهم السـامع ، ولا يؤتَى السامع من سوء بيان القائل .

بين معاوية وصحار

وقال معاوية لصُحار العَبدىّ : ما البلاغة ؟ قال : أن تجيب فلا تبطئ ، وتصيب

فلا تُخطئ . ثم قال : أقِلْنى يا أمير المؤمنين . قال : قد أقلتك . قال : ألّا تُبطئ ولا تُخطئ .

لأبى حاتم

قال أبو حاتم : آستطال الكلامَ الأول فاستقال وتكلم بأوجز منه .

بين ابن صفوان ورجل يكثر القول

وسمع خالد بن صفوان رجلًا يتكلم ويُكثر ، فقال : آعلم رحمك الله أن البلاغة ليست بخفة اللسان وكثرة الهذيان ، ولكنها بإصابة المعنى والقصد إلى الحجة ٥ فقال له : أبا صفوان ، ما مِن ذنب أعظم من آتفاق الصَّنعة .

وتكلم ربيعة الرأى يوماً فأكثر ، وإلى جَنبه أعرابىّ ، فالتفت إليه فقال : ما تَعُدُّون البلاغة يا أعرابىّ ؟ قال : قلة الكلام وإيجاز الصواب . قال : فما تَعُدُّون العِىّ ؟ قال : ما كنتَ فيه منذ اليوم ، فكأنما أَلقَمه حجراً .

١٠ ومن أمثالهم فى البلاغة قولهم : يُقِل الحَزَّ ويُطبِّق المِفْصل . وذلك أنهم شبهوا البليغ المُوجز الذى يُقل الكلام ويُصيب الفصول والمعانى ، بالجزار الرفيق الذى يُقلّ حزَّ اللحم ويصيب مفاصله .

ومثله قولهم :

« يضع الهِناءَ مواضع النُّقْب »

١٥ أى لا يتكلم إلا فيما يجب فيه الكلام ، مثل الطالى الرفيق الذى يضع الهناء مواضع النُّقب . والهناء : القَطِران . والنُّقْب : الجَرَب .

وقولهم : قَرْطَسَ فلان فأصاب الثغرة ، وأصاب عيْنَ القرطاس . كل هذا مثل للمصيب فى كلامه الموجز فى لفظه .

للعتابى

قيل للعتابى : ما البلاغة ؟ قال : إظهار ما غَمض من الحق ، وتصوير الباطل ٢٠ فى صورة الحق .

لأعرابى

وقيل لأعرابىّ : من أبلغ الناس ؟ قال : أسهلهم لفظا وأحسنهم بديهة .

وقيل لآخر : ما البلاغة ؟ قال : نَشر الكلام بمعانيه إذا قَصر ، وحُسن التأليف له إذا طال .

وقيل لآخر ما البلاغة ؟ فقال : قَرع الحجة ودنُوُّ الحاجة .

وقيل لآخر ما البلاغة ؟ قال : الإيجاز فى غير عجز ، والإطناب فى غير خَطَل .

وقيل لغيره : ما البلاغة ؟ قال . إقلال فى إيجاز ، وصواب مع سرعة جواب .

قيل لليونانى : ما البلاغة ؟ قال : تصحيح الأقسام واختيار الكلام . اليو:

٥ وقيل لبعضهم : من أبلغ الناس ؟ قال : مَن ترك الفضول واقتصر على الإيجاز .

وكان يقال : رسول الرجل مكان رأيه ، وكتابه مكان عقله .

وقال جعفر بن محمد عليه السلام : سُمِّى البليغ بليغاً لأنه يبلغ حاجته بأهون سعيه جعفر؛

وسُئل بعض الحكماء عن البلاغة فقال : من أخذ معانى كثيرة فأداها بألفاظ قليلة ، وأخذ معانى قليلة فولّد منها لفظا كثيرا ، فهو بليغ .

١٠ وقالوا : البلاغة ماحَسن من الشعر المنظوم نثره ، ومن الكلام المنثور نظمه .

وقالوا : البلاغة ما كان من الكلام حَسنا عند استماعه ، موجَزا عند بديهته .

وقيل : البلاغة لمحة دالّة على ما فى الضمير .

وقال بعضهم : إذا كفاك الإيجاز فالإكثار عِىّ ، وإنما يَحسن الإيجاز إذا كان هو البيان .

١٥ ولبعضهم :

خير الكلام قليلُ * على كثير دليلُ

والعِىُّ معنًى قَصير * يَحويه لفظٌ طويل

وقال بعض الكتاب : البلاغة معرفة الفصل من الوصل . وأحسن الكلام القَصد وإصابة المعنى .

٢٠ قال الشاعر :

وإذا نطقت فلا تكن أشِراً * واقصد فخيرُ الناس مَن قَصدا

وقال آخر :

وما أحد يكون له مَقال * فيسلم من مَلام أو أثام

وقال :

الدهر ينقص تارة ويطول ☆ والمرء يصمت مرة ويقول
والقولُ مختلف إذا حصّلته ☆ بعضٌ يُرَدّ وبعضُه مقبول

وقال :

٥ إذا وضح الصواب فلا تدعه ☆ فإنك كلما ذُقت الصوابا . . .
. . . وجدتَ له على اللَّهوات بَرْداً ☆ كبَرْد الماء حين صَفا وطابا

وقال آخر :

ليس شأن البليغ إرسالَه القو ☆ لَ بطُول الإسهاب والإكثار
إنمـــا شأنه التلطف للمعـــنى بحُسن الإيراد والإصدار

١٠ وجوه البـــلاغة

البلاغة تكون على أربعة أوجه : تكون باللفظ والخط والإشارة والدلالة . وكل منها له حظ من البلاغة والبيان ، وموضع لايجوز فيه غيره .

ومنه قولهم : لكل مقام مقال ؛ ولكل كلام جواب ؛ وربّ إشارةٍ أبلغُ من لفظ .

١٥ فأما الخط والإشارة فمفهومان عند الخاصة وأكثرِ العامة ؛ وأما الدلالة فكل شيء دلَّك على شيء فقد أخبرك به ، كما قال الحكيم : أشهد أن السموات والأرض آياتٌ دالّاتٌ ، وشواهدُ قائمات ، كل يؤدّى عنك الحجة ، ويشهد لك بالرُّبوبية .

لبعضهم وقال الآخر : سل الأرض : مَنْ غَرَس أشجارَكِ ، وشقّ أنهارَكِ ، وجَنَى ثمارَكِ ؟ فإن لم تُجبْكِ إخباراً أجابتك اعتبارا .

٢٠ لبعض الشعراء وقال الشاعر :

لقد جئتُ أبغِى لِنفسى مُجيرًا ☆ فجئتُ الجبالَ وجئتُ البُحورا
فقـال لِيَ البحـــرُ إذ جئتُه ☆ فكيف يُجيرُ ضريرٌ ضريرا

وقال آخر :

* نطقتْ عينُه بمـا فى الضمير *

لنصيب

وقال نصيب بن رباح :

فعاجوا فأثنَوْا بالذى أنتَ أهلُهُ * ولو سكتوا أثنَتْ عليك الحقائب

٥ يريد : لوسكتوا لأثنَت عليك حقائبُ الإبل التى يَحتقبها الرَّكْبُ مِن هِباتك وهذا الثناء إنمـا هو بالدلالة لا باللفظ .

لحبيب

وقال حبيب :

الدارُ ناطقةٌ وليست تَنطِقُ * بِدُثُورِها أَنَّ الجديدَ سيَخْلَقُ

وهذا فى قديم الشعر وحديثه وطارف الكلام وتليده أكثرُ من أن يُحيط به

١٠ وصف أو يأتى من ورائه نَعْت .

بين العتابى ورجل فى البلاغة

وقال رجل للعتّابى : ما البلاغة ؟ قال : كُل مَنْ بَلَّغك حاجته ، وأفْهَمَك معناه بلا إعادة ولا حُبْسة ولا آستعانة ، فهو بليغ . قالوا : قد فهمنا الإعادة والحُبسة ، فمـا معنى الآستعانة ؟ قال : أن يقول عند مقاطع كلامه : آسمع منّى ، وآفهم عنى ؛ أو يَمسح عُثنونه ، أو يَفتل أصابعه ، أو يُكثر التفاتَه من غير

١٥ مُوجِب ، أو يتساعل من غير سُعْلة أو ينبهر فى كلامه .

لبعض الشعراء

وقال الشاعر :

مَلِىءٌ بِبُهْرٍ وآلتفاتٍ وسُعْلةٍ * ومَسْحةِ عُثْنونٍ وفَتْلِ الأصابعِ

وهذا كله من العِىّ .

لأبرويز

وقال أبرويز لكاتبه : آعلم أنّ دعائم المقالات أربع ، إن آلتُمِس لها خامسة

٢٠ لم توجد ، فإن نقصت منها واحدة لم تَتمّ ، وهى : سؤالك الشىء ، وسؤالك عن الشىء ، وأمرك بالشىء ، وإخبارك عن الشىء ؛ فإذا طلبت فأسجح ، وإذا سألتَ فأوْضِح ، وإذا أمرت فأحكِم ، وإذا أخبرتَ فحقِّق ، واجمع الكثير ممـا تريد فى القليل ممـا تقول . يريد الكلام الذى تقل حروفه وتكثر معانيه .

لربيعة الرأى — وقال ربيعة الرأى : إنى لأسمع الحديث عُطلا فأشنِّفه وأقرِّطه فيحسُن ، وما زدتُ فيه شيئاً ولا غيَّرتُ له معنى .

لبعضهم — وقالوا : خير الكلام مالم يُحتَجْ بعده إلى كلام .

ليحيى — وقال يحيى : الكلام ذو فنون ، وخيره ماوفق له القائل ، وانتفع به السامع .

للحسن بن جعفر — وللحسن بن جعفر : ٥

عجبت لإدلال العيِّ بنفسه ٭ وصَمْت الذى قدكان بالحق أعلما

وفى الصمت ستر للعيِّ وإنما ٭ صحيفة لُبِّ المرء أن يتكلما

لأعرابى — وصف أعرابى بليغاً فقال : كأن الألسن ريضت فما تنعقد إلا على وُدّه ، ولا تنطق إلا ببيانه .

لأبى الوجيه — وصف أبو الوجيه بلاغة رجل فقال : كان والله يَشُول بلسانه شَوَلانَ البَروق ، ويتخلل به تخلل الحيّة . ١٠

وللعرب من مُوجَز اللفظ ولطيف المعنى فصول عجيبة ، وبدائع غريبة . وسنأتى على صدر منها إن شاء الله .

فصول من البلاغة

لقتيبة بن مسلم — قدم قُتيبة بن مُسلم خُراسان والياً عليها ، فقال : مَن كان فى يده شىءٌ من مال عبد الله بن خازم فَلْينبِذْه ، ومَن كان فى فيه فليلفِظْه ، ومَن كان فى صدره فلينفُثْه . فعجب الناس من حُسْن ما فصّل . ١٥

لابن السمال — وقيل لابن السَّمّال الأسدى أيام معاوية : كيف تركتَ الناس ؟ قال : تركتُهم بين مظلوم لا يَنتصف ، وظالمٍ لا ينتهى .

وقيل لشَبيب بن شَيبة عند باب الرشيد رحمه الله تعالى : كيف رأيتَ الناس ؟ قال : رأيتُ الداخِل راجياً والخارج راضيا . ٢٠

وقال حسان بن ثابت فى عبد الله بن عباس :

إذا قال لَمْ يترُكْ مَقالا لِقائل ٭ بِمُلْتَقَطاتٍ لا تَرَى بينها فَصْلَا

كَفَى وشَفَى مافى النفوسِ فلم يدَعْ * لِذِى إرْبَةٍ فى القولِ جِدًّا ولا هَزْلَا

الحسين بن على والفرزدق

ولقى الحسين بنُ علىّ رضوان الله عليهما الفرزدقَ فى مَسيره إلى العراق ؛ فسأله عن الناس ؛ فقال : القلوبُ معك ، والسيوفُ عليك ، والنصر فى السماء .

لمجاشع

وقال مجاشع النهشلى : الحق ثقيل ؛ فمَن بلغه اكتفى ، ومن جاوزه اعتدى .

لعلى

٥ وقيل لأمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام : كم بين المشرق والمغرب ؟ فقال مَسيرةُ يومٍ الشمس : قيل له : فكم بين السماء والأرض ؟ قال : مَسيرة ساعةٍ لدعوة مُستجابة .

لأعرابى

وقيل لأعرابى : كم بين موضع كذا إلى موضع كذا ؟ قال : بياضُ يوم وسواد ليلة .

المسيح عليه السلام

١٠ وشكا قوم إلى المسيح عليه السلام ذُنوبهم ، فقال : اتركوها تغْفَرْ لكم .

وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه : قيمةُ كل إنسان ما يُحْسن .

لخالد بن يزيد

وقيل لخالد بن يزيد بن معاوية : ما أقربُ شىء ؟ قال : الأجل . قيل له : فما أبعدُ شىء ؟ قال : الأمل . قيل له : فما أوْحَشُ شىء ؟ قال : الميّت . قيل له : فما آنَسُ شىء ؟ قال : الصاحب المُواتى .

لعمرو بن عبيد فى سارق

١٥ مرّ عمرو بن عُبيد بسارقٍ يُقطع ، فقال : سارقُ السريرةِ قَطع سارقَ العلانية .

وقيل للخليل بن أحمد : مالك تَرْوِى الشعرَ ولا تقوله ؟ قال : لأنى كالمِسَنّ : أشْحَذُ ولا أقْطَع .

لابن علفة

وقيل لعَقيل بن عُلَّفة : مالك لا تُطيل الهجاء ؟ قال : يكفيك من القلادة ما أحاط بالعنق .

خالد بن صفوان

٢٠ ومر خالد بن صفوان برجل صلَبه الخليفة ، فقال : أنبتَتْه الطاعة وحَصَدَتْه المعصية .

لأعرابى فى مصلوب

ومرّ أعرابىّ برجل صلبه السلطان ، فقال : مَن طَلَّق الدنيا فالآخرةُ صاحبتُه ، ومن فارق الحقّ فالجذْعُ راحِلتُه .

النعمان وعدى ابن زيد

ومن النطق بالدلالة ما حدث به العباس بن الفرج الرّياشى قال : نزل النعمان ابن المُنذر ومعه عدىّ بن زيد العبادىّ فى ظل شجرة مُورقة ليلهوَ النعمان هناك ، فقال له عدى : أبيتَ اللعن ، أتدرى ما تقول هذه الشجرة ؟ قال : ما تقول ؟ قال : تقول :

رُبَّ شَرْبٍ قد أناخوا حولنا * يَمزُجون الخمرَ بالماءِ الزُّلالْ ٥

ثم أضحوْا عَصَفَ الدهرُ بهم * وكذاك الدهرُ حالٌ بعد حال

فتنغّص على النعمان ما هو فيه .

وقال ابن الأعرابى : قلت للفضل : ما الإيجاز عندك ؟ قال : حذف الفضول ، وتقريب البعيد .

خالد بن صفوان

وقال رجل لخالد بن صفوان : إنك لتُكثر . قال : أُكْثِر لضربين : أحدهما ١٠ فيما لا تغنى فيه القِلة ، والآخر لتمرّسِ اللسان ، فإن حبسه يورث العقْلة .

وكان خالد بن صفوان يقول : لا تكون بليغاً حتى تُكلِّم أمتَك السوداء فى الليلة الظلماء فى الحاجة المُهِمَّة بما تكلم به فى نادى قومك .

وإنما اللسان عُضو إذا مرَّنته مَرَن ، وإذا تركته لَكِنَ[1] كاليد التى تخشنها بالممارسة ، والبدنِ الذى تقويه برفع الحجر وما أشبهه ، والرِّجل إذا ١٥ عُوِّدت المشىَ مَشَت .

بين نوفل وامرأته

وكان نوفل بن مُساحق إذا دخل على امرأته صَمت ، فإذا خرج عنها تكلم . فقالت له : إذا كنتَ عندى سكتَّ ، وإذا كنتَ عند الناس تَنطِق ! قال : إنى أُجِلُّ عن دقيقِك وتَدِقِّين عن جليلى .

لشبيب فى ابن صفوان

وذكر شبيب بن شَيبة خالد بن صفوان فقال : ليس له صديقٌ فى السر ٢٠ ولا عدو فى العلانية .

وهذا كلام لا يَعرف قَدرَه إلا أهلُ صناعته .

(١) فى بعض الأصول : « كان » .

ووصف رجل آخر فقال: أتيناه فأخرج لسانه كأنه مِخراق لاعب.

بين المنصور ومعن بن زائدة

ودخل معنُ بن زائدة على المنصور يقارب خطوه، فقال المنصور: لقد كبرت سنك؛ قال: فى طاعتك؛ قال: وإنك لجلد؛ قال: على أعدائك؛ قال: أرى فيك بقية؛ قال: هى لك.

لمعاوية فى ابن عباس

٥ وكان عبد الله بن العباس بليغا، فقال فيه معاوية:

إذا قال لم يترك مقالًا ولم يقف * لعِىٍّ ولم يَثْنِ اللسان على هُجْرِ
يُصرِّف بالقول اللسانَ إذا انتحى * وينظر فى أعطافه نظرَ الصَّقر

بين صعصعة ومعاوية

وتكلم صعصعة بن صوحان عند معاوية فعَرِق، فقال له معاوية: بهرك القول؟ قال: الجياد نضّاحة بالعرق.

لابن سيابة

١٠ وكتب ابن سَيَابة إلى عمرو بن بانة: إنّ الدهر قد كَلَح فجرح، وطَمح فجمح، وأفسد ما صلح، فإن لم تُعن عليه فَضَح.

ومدح رجل من طيئ كلامَ رجل فقال: هذا الكلامُ يُكتفى بأولاه، ويُشتفى بأخراه.

ووصف أعرابىّ رجلا فقال: إنّ رفدك لنَجيح، وإنّ خيرك لصريح، ١٥ وإنّ منعك لَمريح.

لإياس بن معاوية

ودخل إياس بن معاوية الشام وهو غلام، فقدّم خصما له إلى قاض لعبد الملك، وكان خصمه شيخاً كبيرا. فقال له القاضى: أتقدّم شيخاً كبيرا؟ فقال له إياس: الحق أكبر منه؟ قال له: اسكت؛ قال: فمن ينطق بحجتى؟ قال: ما أظنك تقول حقا حتى تقوم؛ قال: أشهد أن لا إله إلا الله. فقام القاضى ٢٠ فدخل على عبد الملك فأخبره بالخبر. فقال: اقض حاجته الساعة وأخرجه من الشأم لا يُفسد علىّ الناس.

بين ابن القرية وفتى من عبد القيس

ومن الأسجاع قول ابن القِرِّيّة، وقد دُعى لكلام فاحتبس القول عليه، فقال: قد طال السَّمر، وسقط القمر، واشتدّ المطر فما انتظر. فأجابه فتًى من عبد القيس:

قد طال الأرق ، وسقط الشفق ، فلينطق من نطق .

كتاب من عمرو بن مسعدة إلى المأمون

قال أحمد بن يوسف الكاتب : دخلتُ على المأمون وبيده كتاب لعمرو ابن مسعدة ، وهو يُصَعِّد فى ذُراه ، ويقوم مرة ويقعد أخرى ، ففعل ذلك مرارا ، ثم التفت إلىّ فقال : أحسبك مفكرا فيما رأيت ؟ قلت : نعم ، وقى الله عز وجل أمير المؤمنين المكاره ، فقال : ليس بمكروه ، ولكن قرأت كلاما نظير خبر خبّرنى به الرشيد ، سمعتُه يقول : إن البلاغة تقاربٌ من المعنى البعيد وتباعُدٌ من حشو الكلام ، ودلالة بالقليل على الكثير . فلم أتوهّم أن هذا الكلام يستتبّ على هذه الصفة حتى قرأت هذا الكتاب ، فكان آستعطافا على الجند ، وهو :

« كتابى إلى أمير المؤمنين أيده الله ، ومن قِبلى من أجناده وقُوّاده فى الطاعة والانقياد على أفضل ما تكون عليه طاعة جند تأخّرت أرزاقهم وآختلت أحوالهم » .

فأمر بإعطائهم ثمانية أشهر .

ووقع جعفر البرمكى إلى كُتّابه : إن آستطعتم أن تكون كتبكم توقيعات فافعلوا .

بين جعفر البرمكى وأخيه الفضل

وأمره هارون الرشيد أن يعزل أخاه الفضل عن الخاتم ويأخذه إليه عزلا لطيفا فكتب إليه : قد رأى أمير المؤمنين أن ينقل خاتم خلافته من يمينك إلى شمالك .

فكتب إليه الفضل : ما آنتقلت عنى نعمة صارت إليك ولا خصّتك دونى .

من بلاغة جعفر

ووقّع جعفر فى رُقعة رجل تنَصّل إليه من ذنب : تقدمت لك طاعة ، وظهرت منك نصيحة ، كانت بينهما نَبوة ، ولن تغلب سيئة حسنتين .

من بلاغة يحيى

قال الفضل بن يحيى لأبيه : مالنا نُسدى إلى الناس المعروف فلا نرى من السرور فى وجوههم عند آنصرافهم ببّرنا ، مانراه فى وجوههم عند انصرافهم بِبر غيرنا ؟ فقال له يحيى : إن آمال الناس فينا أطول منها فى غيرنا ، وإنما يُسَرُّ الإنسان بما بلّغه أمله .

قيل ليحيي : ما الكرم ؟ قال مَلِك فى زىّ مسكين ؛ قيل : فما الفرعنة ؟ قال : مسكين فى بطش عِفريت . قيل : فما الجود ؟ قال : عفو بعد قدرة .

من بلاغة المأمون

أُتى المأمون برجل قد وجب عليه الحد ، فقال وهو يُضرب : قتلتنى يا أمير المؤمنين ؛ قال الحقُّ قتلك ؛ قال : ارحمنى ؛ قال : لست أرحمُ بك ممن ٥ أوجب عليك الحد .

وسأل المأمون عبد الله بن طاهر فى شيء ، فأسرع فى ذلك ؛ فقال له المأمون : فإنّ الله عز وجل قد قطع عذر العَجُول بما مكّنه من التثبّت ، وأوجب الحُجة على القَلِق بما بصّره من فضل الأناة . قال : أتأذن لى يا أمير المؤمنين أن أكتبه ؟ قال : نعم ، فكتبه

بين المأمون وإبراهيم بن المهدى

١٠ قال إبراهيم بن المهدى : قال لى المأمون : أنت الخليفة الأسود ؟ قلت : يا أمير المؤمنين ، أنت مَننت على بالعفو ، وقد قال عبد بنى الحسحاس :

أشعار عبد بنى الحَسحاس قُمن له ٭ عند الفَخَار مقام الأصل والورق

إن كنتُ عبداً فنفسى حُرة كرماً ٭ أو أسودَ الجلد إنى أبيضُ الخُلقَ

فقال المأمون : يا عم ، خَرَجك الهزل إلى الجد ، ثم أنشأ يقول :

١٥ ليس يُزرى السوادُ بالرجل الشّهـــم ولا بالفتى الأديب الأريب

إن يكن للسواد منك نَصيب ٭ فبياضُ الأَخلاق منك نصيبى

وقال المأمون : استُحسن من قول الحكماء : الجود بذل الموجود ، والبخل بطر بالمعبود عز وجل .

من بلاغة زبيدة

قالت أم جعفر زبيدة بنت جعفر للمأمون حين دخلت عليه بعد قتل ابنها : ٢٠ الحمد لله الذى آدخرك لى لمّا أثكلنى ولدى ، ما ثكلت ولداً كنتَ لى عوضا منه . فلما خرجت قال المأمون لأحمد بن أبى خالد : ما ظننتُ أن نساءً جُبلن على مثل هذا الصبر .

بين أبى جعفر وعمرو بن عبيد

وقال أبو جعفر لعمرو بن عُبيد : أعِنّى بأصحابك يا أبا عثمان . قال : ارفع عَلَمَ الحقّ يتبعْك أهلهُ .

آفات البلاغة

لأبى داود الإيادى

قال محمد بن منصور كاتب إبراهيم ، وكان شاعراً راوياً ، وطالباً للنحو علّامة ـ قال : سمعت أبا دُواد الإيادى وجرى شىء من ذكر الخطب وتمييز الكلام ، فقال : تلخيص المعانى رِفق ، والاستعانة بالغريب عجز ، والتشادق فى غير أهل البادية نَقص ، والنظر فى عيوب الناس عِىّ ، ومَسّ اللحية هُلْك ، والخروج مما بُنى عليه الكلام إسهاب .

قال : وسمعتُه يقول : رأس الخطابة الطّبع ، وعمودها الدرْبة [وجناحاها رواية الكلام][(١)] ، وحَليها الإعراب ، وبهاؤها تخيُّر اللفظ ، والمحبة مقرونة بقلة الاستكراه .

وأنشدنى بيتاً فى خطباء إياد :

يُرمون باللفظِ الخفِىّ[(٢)] وتارةً ٭ وحْى المُلاحِظ خِيفَةَ الرُّقباء

للفضل فى الإيجاز

وقال ابن الأعرابى : قلت للفضل : ما الإيجاز عندك ؟ قال حَذف الفضول ، وتقريب البعيد .

بين ابن السماك وجارية له

وتكلم ابن السماك يوماً وجارية له تسمع : فلما دخل قال لها : كيف سمعت كلامى ؟ قالت : ما أحسنَه لولا أنك تُكثِر تَرْداده ! قال : أُردِّده حتى يفهمَه من لم يفهمْه . قالت : إلى أن يَفهمَه من لم يَفهمْه يكون قد ملَّه مَن فهمَه .

باب الحلم ودفع السيئة بالحسنة

قال الله تعالى : ﴿ ولا تَستَوى الحَسَنَةُ ولا السَّيِّئَةُ ، ادْفَعْ بالتى هى أَحْسَنُ فإذَا الَّذِى بَيْنَكَ وبَيْنَهُ عَداوَةٌ كأَنَّهُ وَلِىٌّ حَمِيم ٭ وما يُلَقَّاها إلّا الَّذِينَ صَبَرُوا وما يُلَقَّاها إلّا ذُو حَظٍّ عَظِيم ﴾ .

بين عمرو بن العاص وبعضهم

وقال رجل لعمرو بن العاص : والله لأتفرّغَنّ لك . قال : هنالك وقعْتَ

(١) زيادة عن البيان والتبيين .

(٢) فى بعض الأصول : « رمون بالخطب الطوال .... »

فى الشُّغل . قال : كأنك تهددنى ، والله لئن قلت لى كلمة لأقولن لك عشراً . قال : وأنت والله لئن قلتَ لى عشراً لم أقل لك واحدة .

بين أبى بكر وآخر

وقال رجل لأبى بكر رضى الله عنه : والله لأسُبَّنَّك سبًّا يَدْخُل القبر معك . قال : معك يَدخل لا معى .

لعمرو بن عبيد فى نيل السختيانى منه

٥ وقيل لعمرو بن عبيد : لقد وقع فيك اليوم أبو أيوب السختيانى حتى رحمناك . قال : إياه فارحموا .

الشعبي وشاتم له

وشَتم رجل الشَّعبى ، فقال له : إن كنتَ صادقا فغَفَر الله لى ، وإن كنت كاذبا فغَفَر الله لك .

أبو ذر فى مثله

وشتم رجل أبا ذَرٍّ ، فقال : يا هذا ، لا تُغرِق فى شتْمنا ودَعْ للصُّلح موضعاً ، ١٠ فإنا لا نكافئ من عَصى الله فينا بأكثر من أن نطيع الله فيه :

المسيح عليه السلام وقوم من اليهود

ومَرّ المسيح بن مَريم عليه الصلاة والسلام بقوم من اليهود فقالوا له شرًّا ، فقال خيراً . فقيل له : إنهم يقولون شرًّا وتقول لهم خيرا . فقال : كلٌّ واحدٍ يُنفِق مما عنده .

لبعض الشعراء

وقال الشاعر :

١٥ ثالَبَنِى عمرو وثالبْتُه * فأُثِم المثلوبُ والثَّالِبُ

قلت له خيْراً وقال الخَنَى * كلٌّ على صاحبه كاذِبُ

وقال آخر :

وذى رحِم قَلَّمْتُ أظْفارَ ضِغنه[1] * بحلمىَ عنه حين ليس له حِلم

إذا سُمْتُه وصْلَ القَرابة سامَنى * قطيعتَها تلك السَّفاهة والإثم

٢٠ فدارَيْتُه بالحِلم والمرءُ قادرٌ * على سهمِه ما كان فى كفّه السهم

والنبى صلى الله عليه وسلم

عن النبى صلى الله عليه وسلم : ماتجرع عبد فى الدنيا جرعة أحبَّ إلى الله من جرعة غيظ ردَّها بحلم ، أو جرعة مصيبة ردّها بصبر .

---

(١) فى بعض الأصول : « جهله » .

وكتب رجل إلى صديق له وبلغه أنه وَقَع فيه :

لئن ساءنى أنْ نِلْتَنِي بِمَساءة * لقد سَرَّنى أنى خَطَرْتُ ببالكا

لطاهر بن عبد العزيز

وأنشد طاهر بن عبد العزيز :

إذا ما خَليلِى أسا مَرَّةً * وقدكان مِن قَبْلِ ذا مُجْمِلا

تَحَمَّلْتُ ماكان من ذَنْبِه[1] * فلم يُفْسِدِ الآخِرُ الأوّلا ٥

صفة الحلم وما يصلح له

من حلم الأحنف

قيل للأحنف بن قيس : ممن تعلمت الحلم ؟ قال : من قيس بن عاصم المِنقرى ؛ رأيته قاعداً بفناء داره ، مُحْتَبِياً بحمائل سيفه يُحدث قومه ، حتى أُتى برجلٍ مكتوفٍ ورجل مقتول ؛ فقيل له : هذا ابنُ أخيك قتَل ابنك . فوالله ماحلَّ حَبْوَتَه ولا قَطَع كلامه . ثم التفت إلى ابن أخيه وقال له : يابن أخى ، أثِمْت بربِّك ، ورَميت ١٠ نفسَك بسهمِك ، وقتلتَ ابنَ عمِّك . ثم قال لابن له آخر : قم يابُنىَّ فوارِ أخاك ، وحُلَّ كِتافَ ابن عمك ، وسُقْ إلى أمه مائة ناقةٍ دِية ابنها فإنها غريبة . ثم أنشأ يقول :

إنى امرُؤٌ لا يَطَّبِي حسَبى[2] * دَنَسٌ يُهَجِّنُهُ ولا أَفْنُ

مِن مِنقَرٍ فى بيتِ مَكْرُمةٍ * والغُصنُ ينبُتُ حولَه الغُصُنُ ١٥

خُطباء حين يقولُ قائلُهم * بِيضُ الوجوهِ أعِفّةٌ لُسُنُ

لا يَفطنونَ لِعيْبِ جارِهمُ * وهُمُ لحِفْظِ جِوارِهِ فُطُنُ

وقال رجل للأحنف بن قيس : علِّمنى الحلم يا أبا بحر . قال : هو الذُّل يابن أخى ، أفتصبر عليه ؟

وقال الأحنف : لستُ حليما ولكنى أتحالَم . ٢٠

وقيل له : مَن أحلم : أنت أم معاوية ؟ قال : تالله ما رأيت أجهلَ منكم ؛ إنّ

(١) فى بعض الأصول : « ذكرت المقدم من فعله » .

(٢) فى عيون الأخبار : « إنى امرؤ لاشائن حسبى » .

معاوية يَقدِر فيَحلم ، وأنا أحلم ولا أقدر ؛ فكيف أُقاس عليه أو أدانيه ؟

خالد بن صفوان في الأحنف

وقال هشام بن عبد الملك لخالد بن صفوان : بِمَ بلغ فيكم الأحنف ما بلغ ؟ قال : إن شئتَ أخبرتُك بخَلّة ، وإن شئتَ بخلّتين ، وإن شئت بثلاث . قال : فما الخَلة ؟ قال : كان أقوى الناس على نفسه . قال : فما الخلّتان ؟ قال : كان مُوَقّى الشر ، مُلَقّى الخير . قال : فما الثلاث ؟ قال : كان لا يجهل ، ولا يَبغى ، ولا يبخل .

لقيس بن عاصم في الحلم

وقيل لقيس بن عاصم : ما الحلم ؟ قال : أن تَصِلَ مَنْ قطَعك ، وتُعطى من حَرمك ، وتعفوَ عمن ظلمك .

لبعضهم

وقالوا : ما قُرِن شىء إلى شىء أزين من حِلم إلى علم ، ومن عفو إلى قدرة .

للقمان في ثلاثة

وقال لقمان الحكيم : ثلاثة لاتعرفهم إلا في ثلاثة : لاتعرف الحليم إلا عند الغضب ، ولا الشجاعُ إلا عند الحرب ، ولا تعرف أخاك إلا إذا احتجتَ إليه .

لبعض الشعراء

وقال الشاعر :

ليست الأحلامُ في حينِ الرضا * إنما الأحلامُ في حينِ الغضبْ

في الحديث

وفي الحديث : « أقربُ مايكون المرء مِن غضب اللهِ إذا غَضِب » .

للحسن

وقال الحسن : المؤمن حليم لايجهل وإن جُهِل عليه . وتلا قول الله عز وجل : ﴿ وإذا خاطَبهُمُ الجاهلون قالوا سلاما ﴾ .

لمعاوية

وقال معاوية : إني لأستحي من ربي أن يكون ذنبٌ أعظمَ من عفوى ، أو جهل أكبرَ من حِلمى ، أو عورةٌ لا أواريها بسترى .

لمؤرق العجلى

وقال مؤرّق العِجْلى : ما تكلمت في الغضب بكلمة ندمت عليها في الرضا .

لابن أبي حبيب

وقال يزيد بن أبي حبيب : إنما غضبى في نَعْلَىّ ، فإذا سمعتُ ما أكره أخذتُهما ومضيت .

وقالوا : إذا غضِبَ الرجل فليستلقِ على قفاه ، وإذا عَىَّ فليراوح [1] رجليه .

---

(١) في بعض الأصول : « فليرفع » .

للأحنف — وقيل للأحنف : ما الحلم ؟ فقال : قولٌ إن لم يكن فعل ، وصمتٌ إن ضرَّ قول .

لعلى بن أبى طالب — وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه : من لانت كلمتُه وَجبت محبتُه .

وقال : حِلمك على السفيه يُكثِّر أنصارَك عليه .

وقال الأحنف : من لم يَصبر على كلمة سمع كلمات .

٥ وقال : رُب غَيظ تجرعتُه مخافة ما هو أشدُّ منه . وأنشد :

رَضيتُ ببعض الذُّلِّ خوْف جميعِه ٭ كذلك بعض الشَّرِّ أهْونُ من بعض

عمر بن عبد العزيز ورجل حاول إغضابه — وأسمع رجل عمر بن عبد العزيز ما يكره ، فقال : لا عليك ، إنما أردتَ أن يستفزّنى الشيطان بعزة السلطان ، فأنال منك اليوم ما تنالُه منى غداً . آنصرِف إذا شئت .

١٠ لبعض الشعراء — وقال الشاعر فى هذا المعنى :

لن يُدرِكَ المجدَ أقوامٌ وأن كَرُموا ٭ حتى يَذِلوا وإن عَزُّوا لأقوامِ

ويُشتَموا فترى الألوانَ كاسِفة ٭ لا ذُلَّ عجز ولكن ذُلَّ أحلامِ

ولآخر :

إذا قيلتِ العوْراءُ أغْضى كأنه ٭ ذليلٌ بلا ذُلٍّ ولو شاء لانْتَصَرْ

١٥ لكعب بن زهير — ومن أحسن بيت فى الحلم قول كعب بن زهير :

إذا أنت لم تُعْرِض عن الجهل والخنا ٭ أصَبْتَ حليما أو أصابك جاهلُ

وقال الأحنف : آفة الحلم الذُّل .

وقال : لا حِلم لمن لا سفيه له .

وقال : ما قلّ سفهاءُ قومٍ إلا ذَلوا . وأنشد :

٢٠ لا بد لِلسوددِ مِن رِماحِ ٭ ومِن رجالٍ مُصلَتى السِّلاحِ

يُدافِعون دونَه بالرَّاحِ ٭ ومِن سَفيه دائم النُّباحِ

النابغة الجعدى والرسول صلى الله عليه وسلم — وقال النابغة الجعدىّ :

ولا خيرَ فى حلم إذا لم تكن له ٭ بوادِرُ تحمى صَفْوهُ أن يُكدَّرا

ولا خير فى جهل إذا لم يكن له ٭ حليم إذا ما أورد الأمر أصدرا

ولما أنشد هذين البيتين للنبى صلى الله عليه وسلم ، قال : لا يَفْضض اللهُ فاك . فعاش مائة وسبعين سنة لم تَنفض له ثنيّة .

وقالوا : لا يَظهر الحلمُ إلا مع الانتصار ، كما لا يظهر العفو إلا مع الاقتدار .

٥ وقال الأصمعى : سمعت أعرابيا يقول : كان سنان بن أبى حارثة أحلمَ من فرْخ الطائر . قلت : وما حلمُ فرخ الطائر ؟ قال : إنه يخرج من بيضةٍ فى رأس نِيق ، ولا يتحوّل حتى يتوفر ريشُه ويَقْوى على الطيران .

للأشنندانى

وللأشنَنْدانىّ :

وفى اللين ضَعفٌ والشراسة هيبةٌ ٭ ومن لا يُهَبْ يُحْمَلْ على مَركب وَعْرِ

١٠ ولَلْفَقرُ خيرٌ من غنى فى دناءة ٭ ولَلْموت خيرٌ من حياة على صُغْرِ

وما كلَّ حينٍ ينفع الحلمُ أهلَه ٭ ولا كل حال يقبح الجهل بالصبر

وما بِى على من لان لى من فظاظة ٭ ولكننى فظٌّ أبىٌّ على العسر

لآخر فى مدح الحلم

وقال آخر فى مدح الحلم :

إنى أرى الحلم محموداً عواقبُه ٭ والجهل أفنى من الأقوام أقواما

لسابق

١٥ ولسابق :

ألم ترَ أن الحلم زَيْنٌ مُسوِّدٌ ٭ لصاحبه والجهلُ للمرء شائنُ

فكن دافناً للجهل بالحلم تسترحْ ٭ من الجهل إن الحلم للجهل دافنُ

لبعض الشعراء

ولغيره :

ألا إن حلم المرء أكبر نسبة ٭ يسامى بها عند الفخار كريمُ

٢٠ فيارَبِّ هب لى منك حلماً فإننى ٭ أرى الحلم لم يندم عليه حليمُ

لبعض الحكماء

وقال بعض الحكماء : ماحَلَا عندى أفضل من غيظ أتجرّعه .

وقال بعضهم :

وفى الحلم رَدْعٌ للسفيه عن الأذى ٭ وفى الخُرق إغراء فلا تَكُ أخرقا

فتندمَ إذ لا تَنْفعنْك ندامةٌ ۞ كما ندم المغبون لما تفرّقا

لعلى عليه السلام — وقال عليٌّ عليه السلام : أول عوض الحليم عن حلمه أنّ الناس أنصاره على الجاهل .

لكسرى — سئل كسرى أنو شروان : ما قَدْرُ الحلم ؟ فقال : وكيف تعرف قدر ما لم يرَ كالَه أحد .

لخالد بن معمر عن أسباب حبه لعلى — وقال معاوية لخالد بن الْمُعَمَّر : كيف حبُّك لعلى بن أبى طالب عليه السلام ؟ قال : أحبه لثلاث خصال : على حِلمه إذا غضب ، وعلى صِدقه إذا قال ، وعلى وفائه إذا وعد .

ثلاث يكمل بها الإيمان — وكان يقال : ثلاث من كن فيه استكمل الإيمان : من إذا غضب لم يخرجه غضبه عن الحق ، ومن إذا رضى لم يخرجه رضاه إلى الظلم والباطل ، ومن إذا قدر لم يتناول ماليس له .

لعمر — وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : إذا سمعت الكلمة تؤذيك فطأطئ لها حتى تتخطاك .

للحسن — وقال الحسن : إنما يعرف الحلم عند الغضب . فإذا لم تغضب لم تكن حليما .

وقال الشاعر :

لبعض الشعراء

وليس يتمُّ الحلم للمرء راضياً ۞ إذا هو عند السخط لم يتحلّم

كما لا يتم الجود للمرء موسراً ۞ إذا هو عند العسر لم يَتجشّم

لبعض الحكماء — وقال بعض الحكماء : إن أفضل وادٍ تُرَّى به الحلم ، فإذا لم تكن حليما فتحلَّمْ ؛ فقلّما تشبَّه رجل بقوم إلا كان منهم .

وقال بعضهم : الحلم عُدَّة على السفيه ، لأنك لا تقابل سفيهاً بالإعراض عنه والاستخفاف بفعله إلا أذللته .

ويقال : ليس الحليم من ظُلم فحلم حتى إذا قدر انتقم ، ولكن الحليم من ظُلم فحلم ثم قدر فعفا .

للأحنف

وللأحنف ، أو غيره :

ولربما ضحك الحليم من الأذى * وفؤاده من حَرِّه يتأوَّهُ
ولربما شَكَلَ الحليمُ لسانَه * حَذَرَ الجواب وإنه لَمُفَوَّهُ

لبعضهم

وقيل : ما آستَبَّ اثنان إلا غَلب ألأمُهما .

٥ وقال الأحنف : وجدت الحلم أنصر لى من الرجال .

وقال بعضهم : إياك وعزة الغضب ، فإنها تُصيِّرك إلى ذلّ الاعتذار .

وقيل : من حلم ساد ، ومن تفهّم ازداد .

وقال الأحنف : ما نازعنى أحدٌ قطّ إلا أخذتُ أمرى بإحدى ثلاث : إن كان فوقى عرفت قدره ، وإن كان دونى أكرمت نفسى عنه ، وإن كان مثلى ١٠ تفضّلت عليه .

لبعض الشعراء

ولقد أحسن الذى أخذ هذا المعنى فنظمه فقال :

إذا كان دونى من بُليتُ بجهله * أبيت لنفسى أن تُقارَع بالجهل
وإن كان مثلى ثم جاء بزَلَّةٍ * هَوِيتُ لصفحى أن يضاف إلى العدل
وإن كنت أدنى منه قدراً ومنصبا * عرفت له حقّ التقدُّم والفضل

لغيره

١٥ وفى مثله قال بعض الشعراء :

سألزِم نفسى الصفحَ عن كل مذنب * وإن كثرتْ منه إلىّ الجرائم
وما الناس إلا واحد من ثلاثة * شريفٌ ومشروف ومثلٌ مُقاوم
فأما الذى فوقى فأعرف فضله * وأتبع فيه الحقّ والحقُّ قائم
وأما الذى دونى فإن قال صنتُ عن * إجابته نفسى وإن لام لائم
٢٠ وأما الذى مثلى فإن زَلَّ أو هَفَا * تفضّلتُ إن الفضل للعزّ لازم

لأصرم بن قيس

ولأصْرَمَ بن قيس ، ويقال إنها لعلى عليه السلام :

أَصَمُّ عن الكَلِم المُحفِظاتِ * وأحلم والحلمُ بى أشبَهُ
وإنى لأترك جُلَّ الكلام * لئلا أجاب بما أكرهُ

إذا ما اجترَزتُ سِفاه السفيه • علىَّ فإنى أنا الأسفه
فلا تغترر برُوَاء الرجال • وما زَحزحوا لك أو موَّهوا
فكم من فتى يُعجب الناظرين • له ألسُن وله أوجُه
ينام إذا حضر المكرماتِ • وعند الدناءة يستنبه

للحسن بن رجاء ولِلحسن بن رجاء : ٥

أحبُّ مكارم الأخلاق جهدى • وأكره أن أعيب وأن أُعابا
وأصفح عن سِباب الناس حلماً • وشرُّ الناس من يهوَى السِّبابا
ومن هاب الرجال تهيَّبوه • ومن حَقَر الرجالَ فلن يُهابا
ومن قَضَت الرجال له حقوقاً • ولم يقض الحقوقَ فما أصابا

لمحمد بن على وقال محمد بن على رضوان الله عنهما : من حَلُم وقَى عِرضه ، ومن جادت ١٠
كفُّه حَسُن ثناؤه ، ومن أصلح ماله استغنى ، ومن احتمل المكروه كثرت محاسنُه ،
ومن صبر حُمد أمره ، ومن كظم غيظه فشا إحسانُه ، ومن عفا عن الذنوب
كثرت أياديه ، ومن اتقى الله كفاه ما أهمه .

بين على وكبير من الفرس وسأل أمير المؤمنين علىٌّ عليه السلام كبيراً من كبراء الفرس : أى شىء
للوككم كان أحمدَ عندكم ؟ قال : كان لأردشير فضل السبق فى المملكة ، غير أن ١٥
أحمدَهم سيرة أنوشروان . قال : فأى أخلاقه كان أغلب عليه ؟ قال : الحلم والأناة .
قال : هما توأمان ينتجهما علو الهمة .

لمحمود الوراق ولمحمود بن الحسن الوراق :

إنى وهبتُ لظالمى ظلمى • وغفرت ذاك له على علم
ورأيته أسدَى إلىَّ يداً • لما أبان بجهله حلمى ٢٠
رَجَعتْ إساءتُه عليه وإحسانى إلىَّ مُضاعَف الغُنْم
وغدوت ذا أجر ومَحْمَدَةٍ • وغدا بكسب الظلم والإثم
وكأنما الإحسان كان له • وأنا المسىء إليه فى الحكم

ما زال يظلمنى وأرحمه * حتى رثيت له من الظلم

لمحمد بن زياد

ولمحمد بن زياد يصف حلماء :

تخالهم فى الناس صُمًّا عن الخنا * وخُرْساً عن الفحشاء عند التهاجُرِ
ومَرْضَى إذا لُوقوا حياء وعفّةً * وعند الحِفاظ كالُليوثِ الخوادر
٥ كأن لهم وصْماً يخافون عاره * وما ذاك إلا لاتّقاء المعاير

وله أيضاً :

وأرفع نفسى عن نفوس وربما * تذللت فى إكرامها لنفوس
وإن رامنى يوماً خسيسٌ بجهله * أبَى الله أن أرضى بعِرض خسيس

لوهب

وقال وهب : مكتوب فى الإنجيل : لاينبغى لإمام أن يكون جائراً ومنه
١٠ يُلتمس العدل، ولا سفيها ومنه يُقتبس الحلم .

لبعض الشعراء

ولبعضهم :

وإذا استشارك من تَوَدُّ فقل له * أطع الحليم إذا الحليم نهاكا
واعلم بأنك لن تَسُود ولن ترى * سُبل الرشاد إذا أطعت هواكا

وقال آخر :

١٥ وكن معدناً للحلم واصفح عن الأذى * فإنك راءٍ ما عملت وسامعُ
وأحْبِبْ إذا أحببتَ حبًّا مقارباً * فإنك لا تدرى متى أنت نازعُ
وأبغض إذا أبغضت غير مُباينٍ * فإنك لا تدرى متى أنت راجع

باب السودد

لعدى بن حاتم

قيل لعدى بن حاتم : ما السُّودد ؟ قال : السيدُ : الأحمق فى ماله ، الذليل
٢٠ فى عِرْضه ، المطَّرِحُ لِحقده .

لقيس بن عاصم

وقيل لقيس بن عاصم : بِمَ سَوَّدَك قومُك ؟ قال : بكفِّ الأذى ، وبَذْل
النَّدى ، ونصْر المولى .

للأحنف فى تسويد قومه له

وقال رجل للأحنف : بِمَ سَوَّدك قومُك وما أنت بأشرفهم بيتاً ، ولا أصبحهم وجها ، ولا أحسنهم خُلقاً ؟ قال : بخلاف ما فيك يابن أخى . قال : وما ذاك ؟ قال : بتركى من أمرك ما لا يَعنينى كما عناك من أمرى ما لا يعنيك .

عمر ورجل

وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه لرجل : من سَيِّدُ قومِك ؟ قال : أنا . قال : كذبت لو كنت كذلك لم تقُله . ٥

أوس وحاتم بين يدى النعمان

وقال ابن الكلبى : قدم أوس بن حارثة بن لأْم الطائى ، وحاتم بن عبد الله الطائى ، على النعمان بن المنذر ، فقال لإياس بن قبيصة الطائى أيهما أفضل ؟ قال : أبيْتَ اللعن أيها الملك ! إنى من أحدهما ، ولكن سَلْهما عن أنفسهما فإنهما يُخبرانك . فدخل عليه أوس ، فقال : أنت أفضل أم حاتم ؟ فقال : أبيتَ اللعن ! إنّ أدنى ولدِ حاتم أفضل منى ، ولو كنتُ أنا وولدى ومالى لحاتمٍ لأنهبَنا فى غداةٍ واحدة . ١٠

ثم دخل عليه حاتم ، فقال له : أنت أفضل أم أوس ؟ فقال : أبيتَ اللعن ! إنّ أدنى ولدٍ لأوس أفضل منى . فقال النعمان : هـذا والله السودد . وأمر لكل منهما بمائة من الإبل .

عبد الملك وروح فى مالك بن مسمع

وسأل عبد الملك بن مروان روح بن زِنباع عن مالك بن مِسمع ، فقال : لو غَضِب مالك لغضب معه مائة ألف سيف لا يسأله واحدٌ منهم لم غضبت ؟ فقال عبد الملك هذا والله السودد . ١٥

أبو سفيان وجزائر ملك اليمن

وقال أبو حاتم عن العتبى : أهدى ملك اليمن سبعَ جزائر إلى مكة ، وأوصى أن يَنحرها أعزُّ قرشيّ بها ، فأتت وأبو سفيان عروس بهند . فقالت له هِند : ياهذا ، لا تَشغلك النساء عن هذه الأكرُومة التى لعلك أن تَسْبَق إليها . فقال لها : ياهذه ، ذَرِى زوجَك وما اختار لنفسه . فوالله لا نَحَرها أحدٌ إلا نحرته ! فكانت فى عُقُلها حتى خرج إليها بعد السابع فنحرها . ٢٠

لهند فى ابنها معاوية

ونظر رجل إلى معاوية وهو غلام صغير ، فقال : إنى أظن أن هذا الغلام سيسود قومَه . فسمعته أُمُّه هِند ، فقالت : ثكلْتُه إذاً إن لم يَسُدْ إلا قومَه .

للهيثم بن عدى

وقال الهيثم بن عَدِىّ : كانوا يقولون : إذا كان الصبي سائل الغرة ، طويل الغُرْلة ، مُلتاث الإزْرة ، فذلك الذى لا يُشَك فى سودده .

النعمان وضمرة

ودخل ضَمرة بن ضَمرة على النُّعمان بن المنذر ، وكانت به دَمامة شديدة ، فالتفت النُّعمان إلى أصحابه وقال : تسمعُ بالمعيدِىّ خيرٌ من أن تراه . فقال : أيها الملك ، إنما المرء بأصغريه قلبه ولسانه ، فإن قال قال ببيان ، وإن قاتل قاتل بجَنان . قال : صدقت ! وبحقٍّ سَوَّدَك قومُك .

عرابة الأوسى

وقيل لعَرابة الأَوسىّ : بم سَوَّدَك قومُك ؟ قال : بأربع خلال : أنخدع لهم فى مالى ، وأذِلُّ لهم فى عِرْضى ، ولا أحْقِر صغيرهم ، ولا أحْسُد كبيرهم .

وفى عرابة الأوسىّ يقول الشماخ بن ضِرار :

رأيتُ عَرابةَ الأوْسِىّ يسْمو * إلى الخيراتِ مُنقطِع القرين

إذا ما رايَة رُفِعَت لمجد * تَلقَّاها عَرابةُ باليمين

لبعضهم

وقالوا : يسود الرجل بأربعة أشياء : بالعقل ، والأدب ، والعلم ، والمال .

من حلم ابن نوفل

وكان سلم بن نَوفل سيدَ بنى كنانة ، فوثب رجل على ابنه وابن أخيه فجرحهما ، فأتى به . فقال له : ما أمَّنَك من انتقامى ؟ قال : فلِم سَوَّدْناك إذاً ، إلا أن تكظم الغيظ وتحلُم عن الجاهل ، وتحتمل المكروه . فخلَّى سبيله . فقال فيه الشاعر :

يُسَوَّدُ أقوامٌ وليسوا بِسادةٍ * بل السيدُ الصِّنْديدُ سَلْمُ بن نَوْفَلِ

بين ابن الكلبى والعنبرى فى السودد

وقال ابن الكلبى : قال لى خالد العنبرى[1] : ما تَعُدّون السُّودد ؟ قلتُ : أمّا فى الجاهلية فالرِّياسة ، وأما فى الإسلام فالولاية ، وخيرٌ من ذا وذلك التقوى . قال : صدقت . كان أبى يقول : لم يُدرِك الأوّلُ الشرفَ إلا بالعقل ، ولم يدرك الآخر إلا بما أدرك به الأول . قلت له : صدق أبوك ، وإنما ساد الأحنف ابن قيس بحلمه ، ومالك بن مِسمع بحبِّ العشيرة له ، وقتيبة بن مُسلم بدهائه ؛ وساد المهلَّبُ بهذه الخلال كلها .

(١) فى بعض الأصول : « القسرى » .

لابن نبهان — الأصمعى قال : قيل لأعرابى يقال له مُنتجع بن نبهان : ما السَّميدع ؟ قال : السيد الموطأ الأكناف .

عمر والعباس وأبو سفيان — وكان عمر بن الخطاب يُفرش له فراشٌ فى بيته فى وقت خلافته ، فلا يَجلس عليه أحدٌ إلا العباس بن عبد المطلب ، وأبو سفيان بن حَرب .

للنبى صلى الله عليه وسلم فى أبى سفيان — قال النبى صلى الله عليه وسلم لأبى سفيان : كل الصَّيْد فى جَوف الفَرا ؛ والفرا : الحمار الوحشى ، وهو مهموز ، وجمعه فِراء . ومعناه أنه فى الناس مثل الحمار الوحشى فى الوحش .

رأى عمرو بن العاص فى أخيه هشام — ودخل عمرو بن العاص مكة ، فرأى قوماً من قريش قد تحلَّقوا حلْقة ، فلما رأوه رمَوا بأبصارهم إليه ، فعدل إليهم فقال : أحسبكم كُنتم فى شىء من ذِكرى . قالوا : أجل ، كنا نمـاثل بينك وبين أخيك هشام . أيكما أفضل . فقال عمرو : إن لهشامٍ علىّ أربعة : أُمه ٱبنة هشام بن المغيرة ، وأمِّى من قد عرفتم . وكان أحبَّ الناس إلى أبيه منى ، وقد عرفتم معرفة الوالد بالولد . وأسلم قبلى . واستُشهد وبقيت .

لقيس بن عاصم يوصى بنيه — قال قيس بن عاصم لبنيه لمـا حضرته الوفاة : احفظوا عنى ، فلا أحدَ أنصحُ لكم منى ، إذا أنا متُّ فسوِّدوا كبارَكم ولا تسوِّدوا صغارَكم فيحقر الناس كبارَكم .

للأحنف — وقال الأحنف بن قيس : السودد مع السواد .

وهذا المعنى يحتمل وجهين من التفسير : أحدهما أن يكون أراد بالسوادِ سوادَ الشعر ، يقول : من لم يَسُدْ مع الحداثة لم يَسُدْ مع الشيخوخة ؛ والوجه الآخر أن يكون أراد بالسواد سوادَ الناس ودَهماءهم ، يقول : من لم يَطِرْ له اسمٌ على ألسنة العامة بالسُّودد لم ينفعه ما طار له فى الخاصة .

لأبان بن مسلمة — وقال أبان بن مسلمة[1] :

ولسنا كقومٍ مُحْدَثِين سيادةً ٭ يُرى مالُها ولا تحسُّ فعالُها

(١) فى عيون الأخبار : «زبان بن سيار» .

مَساعيهمُ مقصورةٌ فى بيوتِهم * ومسعاتُنا ذُبْيانُ طُرًّا عِيالُها

لابن عيينة بعد موت نظرائه

الهيثم بن عدىّ قال : لما انفرد سفيان بن عُيينة ومات نظراؤه من العلماء ، تكاثر الناس عليه ، فأنشد يقول :

خَلَتِ الدِّيارُ فَسُدْتُ غيرَ مُسَوَّدِ * ومن الشَّقاء تفرُّدى بالسُّوددِ

٥ سُوددالرجل بنفسه

للنبى صلى الله عليه وسلم

قال النبى صلى الله عليه وسلم : مَن أسرعَ به عملُه لم يُبطِئ به حَسَبُه ، ومَن أبطأ به عملُه لم يُسْرِع به نَسَبُه .

وقال قُسُّ بن ساعدة : من فاته حسبُ نفسه لم يَنفعه حسبُ أبيه .

وقالوا : إنما الناس بأبدانهم .

لبعض الشعراء

١٠ وقال الشاعر :

نفْسُ عِصامٍ سَوَّدَتْ عِصامًا * وعَلَّمَتْه الكرَّ والإقداما

لابن معاوية

وقال عبد الله بن معاوية :

لَسْنا وإن كَرُمَتْ أوائلُنا * يوماً على الأحساب نَتَّكِلُ

نَبْنِى كما كانت أوائلُنا * تَبنِى ونَفعَلُ مِثْلَ ما فعلوا

لقس

١٥ وقال قُس بن ساعدة : لأقضِينَّ بين العرب بقضية لم يَقض بها أحد قبلى ولا يردّها أحدٌ بعدى : أيُّما رجل رَمَى رجلا بملامة دونها كرم فلا لوم عليه ، وأيما رجل ادّعى كرماً دونه لؤم فلا كرم له .

لعائشة

وقالت عائشة رضى الله عنها : كل كرم دونه لؤم فاللؤم أولَى به ، وكل لؤم دونه كرم فالكرم أولى به ، تُريد أن أولى الأمور بالإنسان خِصالُ نفسه ،
٢٠ وإن كان كريما وآباؤه لئام لم يَضُره ذلك ، وإن كان لئيما وآباؤه كرام لم ينفعه ذلك .

لعامر بن الطفيل

وقال عامر بن الطفيل العامرىّ :

وإنى وإن كنتُ ابنَ سيِّدِ عامرٍ * وفارِسَها المشهور فى كل موكِبِ

فما سَوَّدَتْني عامرٌ عن وِراثةٍ * أبَى اللهُ أن أسْمُو بجَدٍّ ولا أبِ
ولكِنّنى أحمِى حِماها وأتّقِى * أذاها وأرْمِى مَنْ رَماها بمَنكِبِى

لرجل عند عبد الملك

وتكلم رجل عند عبد الملك بن مروان بكلام ذَهَب فيه كلَّ مذهب . فأعجب عبدَ الملك ما سمع من كلامه ، فقال له : ابنُ مَن أنت ؟ قال : أنا ابنُ نفسى يا أمير المؤمنين ، التى بها توصلت إليك . قال : صدقت . ٥

لبعض الشعراء

فأخذ الشاعر هذا المعنى ، فقال :

مالِىَ عقلِى وهِمّتى حَسَبِى * ما أنا مَوْلًى ولا أنا عربِى
إذا انْتَمَى مُنْتَمٍ إلى أحدٍ * فإننى مُنْتَمٍ إلى أدَبى

وقال بعض المحدَثين :

رأيتُ رِجالَ بنى دالِقٍ * مُلوكًا بفضلِ تِجاراتِهِمْ ١٠
وبَرْبَرْنا عنـدَ حِيطانِهِمْ * يخوضونَ فى ذِكرِ أمواتِهِمْ
وما النـاسُ إلا بأبدانِهِمْ * وأحسابُهم فى حِرآمّاتِهِمْ

المـــروءة

النبى صلى الله عليه وسلم

قال النبى صلى الله عليه وسلم : لا دينَ إلا بمروءة .

وقال ربيعة الرأى : المروءة ست خِصال : ثلاثة فى الحضَر ، وثلاثة فى السفر . ١٥
فأما التى فى السفر : فبَذْلُ الزاد ، وحُسن الخُلق ، ومداعبةُ الرفيق ، وأما التى فى الحضر : فتلاوةُ القرآن ، ولزومُ المساجد ، وعفافُ الفَرج .

لعمر بن الخطاب

وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : المُروءة مروءتان : مروءة ظاهرة ، ومُروءة باطنة . فالمُروءة الظاهرة الرياش ، والمروءة الباطنة العفاف .

معاوية ووفد قدم عليه

وقدم وَفْد على معاوية، فقال لهم : ما تَعُدُّون المروءة ؟ قالوا : العفاف ٢٠
وإصلاح المعيشة . قال آسمع يا يزيد .

لأبى هريرة

وقيل لأبى هريرة : ما المروءة ؟ قال : تقوى الله وتَفَقُّدُ الضَّيعة .

وقيل للأحنف : ما المروءة ؟ قال : العفة والحرفة .

لابن عمر

وقال عبد الله بن عمر رضى الله عنهما : إنّا معشر قريش لا نعُدّ الحلمَ والجود سوددا ، ونعُدّ العفافَ وإصلاحَ المال مروءة .

للأحنف

وقال الأحنف : لا مُروءة لِكَذوب ، ولا سُودد لبخيل ، ولا ورَع لسيِّئ الخُلق .

للنبي صلى الله عليه وسلم

٥ وقال النبيّ صلى الله عليه وسلم : « تجاوزوا لذوى المُروءات عن عثراتهم ، فوالذى نفسى بيده ، إنّ أحدهم ليَعْثُر وإن يَدَهُ لبيدِ الله .

للعتبي عن ابيه

وقال العُتبي عن أبيه لا تتمّ مروءةُ الرجل إلا بخمس : أن يكون عالما صادقا عاقلا ذا بيان مستغنيا عن الناس .

لبعض الشعراء

وقال الشاعر :

١٠ وما المَرْءُ إلا حيثُ يَجْعَل نفْسَه ٭ فى صالحِ الأخْلاقِ نفْسَكَ فاجْعَلِ

لعبد الملك فى مصعب

وقيل لعبد الملك بن مروان : أكان مُصعب بن الزُّبير يشرب الطِّلاء؟ فقال : لو علم مُصعب أن الماء يُفسد مروءته ما شربه .

لبعضهم

وقالوا : من أخذ من الديك ثلاثة أشياء ، ومن الغراب ثلاثة أشياء ، تمّ بها أدبُه ومروءته : من أخذ من الديك سخاءه وشجاعته وغيرته . ومن الغراب بكورَه ١٥ لطلب الرزق وشِدّةِ حذرِه وسَتْرَ سِفادِه .

طبقات الرجال

لخالد بن صفوان

قال خالد بن صفوان : الناس ثلاث طبقات : طبقة علماء ، وطبقةٌ خطباء ، وطبقة أدباء ، ورِجْرِجة بين ذلك ، يُغلون الأسعار ، ويُضيِّقون الأسواق ، ويكدرون المياه .

للحسن

٢٠ وقال الحسن : الرجال ثلاثة : فرجل كالغِذاء لا يُستَغْنَى عنه ، ورجل كالدواء لا يُحتاج إليه إلا حينا بعد حين ، ورجل كالدّاء لا يُحتاج إليه أبداً .

لمطرف

وقال مُطَرِّف بن عبد الله بن الشِّخِّير : الناس ثلاثة : ناس ، ونَسناس ، وناس غمسوا فى ماء الناس .

للخليل وقال الخليل بن أحمد : الرجال أربعة : فرجل يَدْرِي ويَدْرِي أنه يدرى ، فذلك عالم فسلوه ؛ ورجل يَدرى ولا يدرى أنه يدرى ، فذلك الناسى فذكّروه ؛ ورجل لا يَدرى ويدرى أنه لا يَدرى ، فذلك الجاهل فعلّموه : ورجل لا يدرى ولا يَدرى أنه لا يدرى ، فذلك الأحمقُ فارْفضوه .

لبعض الشعراء ٥ وقال الشاعر :

أليْسَ مِنَ البَلْوَى بأنّكَ جاهِلٌ * وأنّكَ لا تَدْرِى بأنّكَ لا تَدْرِى

إذا كُنتَ لا تَدْرِى ولَستَ كَمَنْ دَرى * فكَيْفَ إذنْ تَدْرِى بأنّكَ لا تَدْرى

ولآخر :

وما الدّاء إلا أنْ تُعَلّمَ جاهِلًا * ويَزْعُم جَهْلًا أنّهُ مِنْكَ أعْلَمُ

لعلى ١٠ وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه : الناس ثلاثة : عالم ربّانى ؛ ومتعلّم على سبيل نجاة ، ورَعاع هَمج يَميلون مع كل ريح .

للحكماء وقالت الحكماء : الإخْوان ثلاثة : فأخٌ يُخلص لك وُدَّه ، ويبذل لك رِفْده ويستفرغ فى مُهمّك جُهْدَه ؛ وأخ ذُو نِيّةٍ ، يقتصر بك على حسن نيته دون رِفْده ومَعونته ؛ وأخ يتملّق لك بلسانه ويتشاغل عنك بشانه ويُوسعك من كذبه وأيمانه . ١٥

لابن مسعود فى رجل مر به وقال الشّعبى : مرّ رجلٌ بعبد الله بن مسعود ، فقال لأصحابه : هذا لا يَعلَمَ ، ولا يَعْلَمَ أنه لا يعْلَم ، ولا يَتَعَلَّم ممن يعْلَم .

للنبى صلى الله عليه سلم وقال النبى صلى الله عليه وسلم : كُنْ عالماً أو مُتَعَلّماً ، ولا تكن الثالثة فتَهْلك .

الغوغاء

٢٠

الغوغاء : الدّبا . وهى صغار الجراد ، وشُبّه بها سوادُ الناس .

ابن عباس والغوغاء وذُكر الغوغاء عند عبد الله بن عباس ، فقال : ما اجْتمعوا قط إلا ضرُّوا ، ولا افترقوا إلا نفعوا . قيل له : قد عليْنا ما ضرُّ اجتماعِهم ، فما نفعُ افتراقهم؟

قال : يذهب الحَجّام إلى دُكانه ، والحدّادُ إلى أكياره ، وكلُّ صانع إلى صناعته .

لعمر بن الخطاب في قوم

ونظر عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلى قوم يتبعون رجلا أُخِذ فى رِيبة ؛ فقال : لا مَرْحَباً بهذه الوجوه التى لا تُرى إلا فى شر .

وقال حبيب بن أوس الطائى :

٥ إنْ شِئْتَ أن يَسْوَدَّ ظَنُّكَ كُلُّهُ * فأَجِلْهُ فى هـذا السَّوادِ الأعْظَمِ

لدعبل

وقال دعبل :

ما أكثرَ النَّاس لا بَلْ ما أقلَّهُمُ * اللهُ يعـلمُ أنّى لَمْ أقُلْ فَنَدَا
إنّى لَأَفْتَحُ عَيْنِي حِينَ أفْتَحُها * على كثيرٍ ولكنْ لا أرَى أحداً

الثقـــلاء

لعائشة

١٠ قالت عائشة رضى الله عنها : نزلتْ آية فى الثقلاء : ﴿ فإذا طَعِمْتُمْ فانْتَشِرُوا ولا مُسْتَأْنِسين لِحَديث ﴾ .

الشعبى

وقال الشّعبى : من فاتته ركعتا الفَجرِ فلْيَلْعَنْ الثُّقلاء .

وقيل لجالينوس : بِمَ صار الرجل الثّقيل أثقلَ من الحِملِ الثقيل ، فقال : لأنّ الرجل الثقيل إنما ثِقله على القلبِ دُونَ الجوارح ، والحِمل الثقيل يستعين
١٥ فيه القلبُ بالجوارح .

لسهل بن هارون

وقال سهل بن هارون : منْ ثَقُل عليك بنفسه ، وغَمّك بسُؤاله ، فأعِرْهُ أُذُناً صَمّاء ، وعينا عمياء .

لأبى هريرة

وكان أبو هريرة إذا استثقل رجلًا قال : اللهم اغفِرْ له وأرِحْنا منه .

وكان الأعمش إذا حَضر مجلسَه ثقيلٌ يقول :

٢٠ فمَا الفِيلُ تحْمِلُه مَيْتاً * بأثْقَلَ مِنْ بعْضِ جُلّاسِنا

أبو حنيفة والأعمش

وقال أبو حنيفة للأعمش وأتاه عائداً فى مرضه : لولا أن أُثْقِلَ عليك أبا محمدٍ لعُدتُك واللهِ فى كل يوم مرتين . فقال له الأعمش : والله يا بن أخى أنت ثقيل علىّ وأنتَ فى بيتك ، فكيف لو جئتَنى فى كل يوم مرتين .

لرجل فى ثقيل

وذكر رجل ثقيلا كان يجلس إليه ، فقال : والله إنى لأُبغض شِقّ الذى يليه إذا جلس إلىّ .

لبعضهم

ونقشَ رجل على خاتمه : أبْرَمْتَ فقُمْ . فكان إذا جلس إليه ثقيل ناوله إياه وقال : اقرأ ماعلى هذا الخاتم .

حماد بن سلمة

وكان حماد بن سلمة إذا رأى من يستثقله قال : ﴿ربَّنا اكشِفْ عنَّا العذابَ إنَّا مؤمِنون﴾ . ٥

لبشار فى أبى عمر

وقال بشار العُقيلى فى ثقيل يُكْنَى أبا عمران :

ربَّما يَثقُلُ الجَليسُ وإن كا * ن خفيفاً فى كِفَّةِ الميزانِ

ولقد قلتُ إذْ أظَلَّ على القوْ * مِ ثقيلٌ يُرْبِى على ثَهْلانِ

كيف لاتحمِلُ الأمانةَ أرْضٌ * حَمَلَتْ فوقَها أبا عمرانِ ١٠

ولآخر :

أنتَ يا هذا ثقيلٌ * وثقيل وثقيلُ

أنتَ فى المنظرِ إنسا * نٌ وفى الميزانِ فِيلُ

الحسن بن هانئ

وقال الحسن بن هانئ فى رجل ثقيل :

ثقيلٌ يُطالِعُنا مِن أمَمْ * إذا سَرَّهُ رغْمُ أنفى ألَمْ ١٥

أقولُ له إذْ بَدَا لا بَدا * ولا حَمَلَتْهُ إلينا قَدَمْ

فقَدْتُ خَيالَكَ لا مِن عَمًى * وصوتَ كلامِكَ لا مِن صَمَمْ

وله فيه :

وما أظُنُّ القِلاصَ مُنْجِيَتِى * منكَ ولا الفُلْكَ أيها الرجلُ

ولو رَكِبْتُ البُرَاقَ أدْرَكَنِى * مِنكَ على نَأْىِ دارِكَ الثِّقَلُ ٢٠

هل لَكَ فِيما مَلَكْتُهُ ، هِبَةً * تأخذُهُ جملةً وتَرْتحِلُ

وله فيه :

يا مَن على الجُلَّاسِ كالفَتْقِ * كلامُكَ التخديشُ فى الحَلْقِ

هل لَكَ فى مالى وما قد حوَتْ ٭ يدَاىَ مِن جِلٍّ ومِنْ دِقِّ
تأخُذه منِّى كذا فِدْيةً ٭ واذهَبْ فى البُعدِ وفى السُّحقِ

وله فيه :

أَلَا يا جبَلَ المقْتِ الَّـــذى أرْسَى فما يَبرَحْ
لقد أكثرْتَ تفكيرى ٭ فما أدْرى لِمَا تَصْلُحْ
فما تَصْلُحُ أن تُهجَى ٭ ولا تصلُحُ أنْ تُمدَحْ

أهدى رجل من الثقلاء إلى رجل من الظرفاء جملا ، ثم نزل عليه حتى أبْرَمَه ، فقال فيه :

لتاجر أهدى جملا ثم نزل عليه

يا مُبْرِماً أهدَى جَمَلْ ٭ خذْ وانصرِفْ ألْفَىْ جملْ
قال وما أوقارُها ؟ ٭ قلتُ زَبيبٌ وعسلْ
قال ومَن يقودُها ٭ قلتُ له ألفا رجلْ
قال ومَن يسوقُها ٭ قلتُ له ألفا بطلْ
قال وما لِباسُهم ٭ قلت حُلِىٌّ وحُلَلْ
قال وما سِلاحُهم ٭ قلت سُيوفٌ وأسَلْ
قال عبيدٌ لى إذن ٭ قلت نعم ثم خَوَلْ
قال بهذا فاكتُبوا ٭ إذن عليكم لى سِجِلّ
قلت له ألْفْ سجِلّ ٭ فاضْمَنْ لنا أنْ ترْتحِلْ
قال وقد أضجَرْتُكم ٭ قلت أجَلْ ثم أجلْ
قال وقد أبرمْتُكم ٭ قلت له الأمرُ جَلَلْ
قال وقد أثقلتُكم ٭ قلت له فوق الثِّقَلْ
قال فإنى راحِلٌ ٭ قلت العجَلْ ثم العجَلْ
يا كوْكبَ الشؤْمِ ومَن ٭ أرْبَى على نَحْسِ زُحَلْ
يا جبلًا مِن جبلٍ ٭ فى جبلٍ فوق جَبَلْ

الحمدونى فى بغيض

وقال الحمدونى فى رجل بغيض مقيت :

أيا بنَ البغيضةِ وابنَ البغيضِ * ومَنْ هو فى البُغْضِ لا يُلحَقُ
سألتُكَ باللهِ إلَّا صدَقْتَ * وعِلْمِى بأنَّكَ لا تصدُقُ
أتُبْغِضُ نفسَكَ مِنْ بُغضِها * وإلَّا فأنتَ إذنْ أحمقُ

٥

وله فيه :

فى حريمِ النَّاس إذ كُنْـ * ـتَ مِنَ النَّاسِ تَعَدُّ
ولقَدْ أُنبِئْتُ إبْليـ * ـسُ إذا رآك يصُدُّ

لحبيب فى مثله

ولحبيب الطائى فى مثله ، أىْ فى رجل مقيت :

يا مَنْ تبرَّمَتِ الدُّنيا بطَلعَتِهِ * كما تبرَّمَتِ الأجفانُ بالرَّمَدِ
يمشى على الأرضِ مُختالًا فأحسَبُه * لِبُغْضِ طلعتِه يمشى على كَبِدى
لو أنَّ فى الأرضِ جزءًا من سماجتِه * لم يَقدمِ الموتُ إشفاقًا على أحَدِ

١٠

للحسن بن هانئ فى الفضل الرقاشى

وللحسن بن هانئ فى الفضل الرقاشى :

رأيتُ الرَّقاشىَّ فى موضعٍ * وكانَ إلىَّ بَغيضًا مَقيتَا
فقال اقْتَرِحْ بعضَ ما تَشتَهى * فقلتُ اقترحتُ عليكَ السُّكوتَا

١٥

الشعبى

وأنشدنى الشعبى :

إنى بُليتُ بمَعشَرٍ * نَوْكَى أخفُّهُمُ ثقيل
بُلْهٍ إذا جالسْتُهم * صَدِئتْ لِقُرْبِهِمُ العُقول
لا يُفْهِمُونى قولَهم * ويدِقُّ عنهم ما أقول
فهُمُ كثيرٌ بى كما * أنى بِقُرْبِهِمُ قليل

٢٠

من الكسائى إلى الرقاشى

وقال العتبى : كتب الكسائىّ إلى الرقاشىّ :

شكوْتَ إلينا مجانينَكم * وأشكو إليك مجانينَنا
وأنشأتَ تَذكُرُ قُذّارَكم * فأنتِنْ وأقذِرْ بمَنْ عندَنا
فلولا السلامة كُنّا كهُم * ولولا البَلاء لكانوا كنَا

لحبيب

وقال حبيب الطائى :

وصاحِبٍ لى مَلِلْتُ صُحْبتَه * أفقدَنى اللهُ شخصَه عَجِلا
سَرَقتُ سِكِّينهُ وخاتَمــــه * أقْطَع ما بيننا فما فَعلا

وقال حبيب :

٥ يا مَن له فى وجهِه إذ بدا * كُنوزُ قارونَ منَ البُغض
لو فرَّ شىءٌ قَط مِن شَكلِه * فرَّ إذَنْ بعضُك من بعضِ
كوْنك فى صُلْبِ أبينا الذى * أهْبطَنا جمعاً إلى الأرض

لأبى زيد الأنصارى

وقال أبو حاتم : وأنشدنى أبو زيد الأنصارى النحوى صاحب النوادر :

وجهُ يَحيى يدعو إلى البَصْقِ فيه * غيْرَ أنى أصونُ عنه بُصاقى

العتبى

١٠ قال أبو حاتم : وأنشدنى العتبى :

له وجهٌ يَحِلُّ البصقُ فيه * ويَحْرُم أنْ يُلقى بالتَّحيَّهْ

قال : وأنشدنى :

قميصُ أبى أُميَّةَ ، ما علمتم * وأوسخُ منه جلْدُ أبى أُميَّهْ

التفاؤل بالأسماء

عمر وظالم بن سراقة

١٥ سأل عمرُ بن الخطاب رضى الله عنه رجلا أراد أن يستعين به على عمل ، عن اسمه واسم أبيه ؛ فقال : ظالم بن سُراقة . فقال : تَظلم أنت ويَسرق أبوك ! ولم يستعن به فى شىء .

بين عمر وآخر

وأقبل رجل إلى عمر بن الخطاب ، فقال له عمر : ما اسمك ؟ فقال : شهاب ابن حُرْقة . قال : ممن ؟ قال : من أهل حَرَّةِ النـار . قال : وأين مسكنك ؟
٢٠ قال : بذاتِ لظى . قال : اذهب فإن أهلك قد احترقوا . فكان كما قال عمر رضى الله عنه .

ولقى عمر بن الخطاب رضى الله عنه مسروق بن الأجدع ، فقال له من أنت ؟

قال : مسروق بن الأجدع . قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : الأجدع شيطان .

للنبي صلى الله عليه وسلم فى البريد

وروى سفيان عن هشام الدستُوائى عن يحيى بن أبى كثير ، قال : كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أمرائه : لا تبْرِدوا بَريداً إلا حسَن الوجه حَسَن الاسم . ٥

الحجاج ورسول المهلب

ولما فرغ المهلَّبُ بن أبى صُفرة من حرب الأزارقة . وجّه بالفتح إلى الحجاج رجلا يقال له مالك بن بشير ؛ فلما دخل على الحجاج قال له : ما اسمك ؟ قال : مالك بن بشير . قال : مُلْكٌ وبشارة .

لبعض الشعراء

وقال الشاعر :

وإذا تكون كريهةٌ فَرَّجْتُها * أدعو بأسلمَ مَرَّةً ورَبَاحِ ١٠

يريد التطيُّر بأسلم ورباح ، للسلامة والرِّبح .

من تفاؤل الرسول صلى الله عليه وسلم

الرياشى عن الأصمعى قال: لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، نزل على رجل من الأنصار ، فصاح الرجل بغلامَيْه : يا سالم ، ويا يسار ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : سَلِمَتْ لنا الدار فى يُسْر .

الرسول صلى الله عليه وسلم وحزن ابن أبى وهب

وقال سعيد بن المُسيِّب بن حَزن بن أبى وهب المخزومى : قدم جَدِّى حَزْن بن أبى وهب على النبى صلى الله عليه وسلم ؛ فقال له : كيف اسْمُك ؟ قال : حَزْن ! قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : بل سهْل . قال : ما كنت لأدَع اسما سَمَّتْنى به أمى . قال سعيد : فإنا لنجد تلك الحزُونة فى أخلاقنا إلى اليوم . ١٥

العرب والغراب

وإنما تطَيَّرت العرب من الغراب للغرْبة ، إذ كان اسمه مشتقا منها . ٢٠

وقال أبو الشيص :

أشاقك والليل مُلْقِى الجِران * غرابٌ ينوحُ على غصنِ بانِ

وفى نَعَباتِ الغرابِ اغترابٌ * وفى البان بين بعيد التَّدانِى

لشاعر فى السفرجل

ولآخر فى السَّفَرجل :

أهدى إليه سَفَرْجـلا فتطيَّرا ، منه فظلَّ مفكِّراً مُسْتَعْبِرَا

خوْف الفِراق لأنَّ شَطْرِ هجائه ، سَفرٌ وحقٌّ له بأنْ يَتطيرَا

لآخر فى السوسن

ولآخر فى السَّوْسَن :

٥ ياذا الذى أهدَى لنا السَّوْسَنا ، ما كنتَ فى إهدائِه مُحْسنا

شَطْرُ اسمِه سوْءٌ فقد سُؤْتَنى ، ياليت أنى لم أرَ السَّوْسَنا

لشاعر فى الأترج

ولآخر فى الأُتْرُجّ :

أهـدَى إليـه حبيبُه أُتْرُجَّةً ، فبكى وأشفَقَ من عِيافَةِ زاجِرِ

خاف التَّبـدُّل والتَّـلوُّن إنهـا ، لوْنان باطِنهـا خلاف الظَّاهِر

للطائى فى الحمام

١٠ وقال الطائى فى الحَمام :

هُنَّ الحَمامُ فإنْ كَسَرْتَ عِيافةً ، من حائِهنَّ فإنهُنَّ حِمَامُ

أشعب وقينة بالمدينة

وكان أشعب يختلف إلى قَينة بالمدينة ، فلما أراد الخروج سألهـا أن تعطيه خاتَمَ ذهبٍ فى يدها ليذكُرَها به . قالت : إنه ذَهَب ، وأخاف أن تَذْهَب ؛ ولـكن [خُذْ] هذا العود ، فلعلك أن تعود .

١٥ باب الطـــيرة

للنبى صلى الله عليه وسلم

قال النبي صلى الله عليه وسلم : ثلاثةٌ لا يكاد يَسلم منهن أحد : الطِّيَرة ، والظنّ ، والحسـد . قيل : فمـا المخرج منهن يارسول الله ؟ قال : إذا تطيرت فلا تَرجع ، وإذا ظننتَ فلا تُحقِّق ، وإذا حَسَدْت فلا تَبْغِ .

لأبى حاتم فى كلمات لغوية

وقال أبو حاتم : السانح ما وَلَّاك مَيامنَه ، والبارحُ ما ولَّاك مَياسِرَه ، والجابه ٢٠ ما استقبلك من تجاهك ، والقعيد الذى يأتيك من خلفك .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : لا عَدوى ولا طيَرة .

وقال : ليس منا من تَطيَّر .

وقال : إذا رأى أحدكم الطيرة فقال : اللهم لا طَيْرَ إلا طيرك ، ولا خير إلا خيْرك ، ولا إله غيرك ، لم تَضُرّه .

العرب والطيرة — وقد كانت العرب تتطير ، ويأتى ذلك فى أشعارهم ، وقال بعضهم :

وما صدَقتْكَ الطَّيْرَ يوم لقيتَنا * وما كان مَن دلّاك فينا بخابرِ

لحسان — وقال حسان رضى الله تعالى عنه : ٥

ياليت شِعْرى وليت الطَّيْرُ تُخْبِرُنى * وما كان بين علىٍّ وابن عَفّانا

لَتَسْمَعَنّ وشيكا فى ديارهمُ * الله أكبر ياثارات عُثْمانا

للحسن بن هانىء — وقال الحسن بن هانئ :

قام الأمير بأمرِ الله فى البشَرِ * واستَقبَلَ المُلكَ فى مُستقبل العُمُر

فالطير تخبرُنا والطير صادقةٌ * عن طِيب عيْش وعن طول مِنَ العُمُر ١٠

قتيبة وشىء من تطيره — وقال الشَّيبانى : لما قَدِم قُتيبة بن مُسلم والياً على خراسان ، قام خطيباً ، فسقطت المخصرة من يده ، فتطيّر به أهلُ خراسان ؛ فقال : أيها الناس ، ليس كما ظننتم ، ولكنه كما قال الشاعر :

فألقت عَصاهاواستقرّت بهاالنّوى * كما قرّ عيْناً بالإيابِ المسافرُ

اتخاذ الإخوان وما يجب لهم ١٥

داود يوصى ابنه سليمان عليهما السلام — روى الأوزاعى عن يحيى بن أبى كثير أنّ داود قال لابنه سليمان ـ عليهما السلام : يا بُنىّ ، لا تستقل عدُوًّا واحداً ولا تستكثر ألف صديق ، ولا تستبدل بأخٍ قديم أخا مستحدثا ما أستقام لك .

فى الحديث — وفى الحديث المرفوع : المرء كثير بأخيه .

وقال شبيب بن شيبة : إخوانُ الصفا خيرٌ من مكاسب الدنيا ، هم زينةٌ فى الرخاء ، وعُدَّةٌ فى البلاء ، ومعونةٌ على الأعداء . ٢٠

لابن الأعرابى — وأنشد ابن الأعرابى :

لعَمْرُك ما مالُ الفتى بذخيرةٍ * ولكنّ إخوانَ الصّفاء الذّخائرُ

للأحنف

وقال الأحنف بن قَيس : خير الإخوان ما إن آستغنيت عنه لم يزدْك فى المودّة ، وإن آحتجت إليه لم يَنقُصك منها ، وإن كُوثِرت عَضّدَك ، وإن اسْترفدْت رَفَدَك . وأنشد :

أخوكَ الذى إنْ تدْعُه لِمُلِمّةٍ * يُجبْك وإن تَغضَب إلى السيْف يَغضَبِ

لبعض الشعراء

٥ ولآخر :

أخاكَ أخاكَ إنّ من لا أخا له * كساعٍ إلى الهيْجا بغيْرِ سلاحِ

وإنّ ابن عمّ المرءِ فاعلم جناحُه * وهل يَنهض البازى بغيرِ جَناحِ

فى الصديق

ومما يجب للصديق على الصديق النصيحةُ جهده ؛ فقد قالوا : صديقُ الرجل مِرْآته ، تُريه حسناتِه وسيآتِه .

١٠ وقالوا : الصديقُ من صَدقك ودّه ، وبذل لك رِفدَه .

وقالوا : خير الإخوان من أقبل عليك إذا أدبر الزمان عنك .

وقال الشاعر(١) :

فإنّ أوْلى الموالى أن تواليه * عندالسُّرور لَمنْواساكفىالحزَن

إنّ الكرامإذا ماأسْهلوا ذكروا * من كان يألَفُهم فى المنزِل الخشِن

١٥ ولآخر :

الصبر من كرَم الطَّبيعهْ * والمَنُّ مفْسَدة الصَّنِيعهْ

تَرْكُ التَّعهُّد للصَّديـــق يكون داعيةَ القَطيعهْ

لابن المعذل فى الحسن بن إبراهيم

أنشد محمد بن يزيد المُبرد لعبد الصمد بن المُعذَّل فى الحسن بن إبراهيم :

يامن فَدَتْه نفسَه نفسىومنجُعِلَت * له وِقاءً لما يَخشى وأخشاهُ

٢٠ أبلغْ أخاك وإن شَطّ المَزارُ به * أنى وإن كنتُ لا ألقاهُ ألقاهُ

وأنّ طرْفِىَ موصولٌ برؤْيتِه * وإنْ تباعَدَ عن مثْواىَ مثواهُ

الله يعلم أنى لست أذكرُه * وكيف يذكرُهُ من ليس ينساهُ

(١) هو أبو تمام.

عدوا فهل حسن لم يحوِهِ حَسَنٌ * وهل فتًى عَدَلتْ جدواهُ جَدواهُ
فالدهرُ يَفنَى ولا تَفنَى مكارِمُهُ * والقَطرُ يُحصَى ولا تُحصَى عَطاياهُ

لبعض الولاة فى الأصدقاء

وقيل لبعض الوُلاة : كم صديقاً لك ؟ قال : لا أدرى ؛ الدنيا مُقبلة علىّ والناس كلهم أصدقائى ، وإنما أعرِف ذلك إذا أدبرتْ عنى .

المنصور وشاعر يهنئه بالخلافة

٥ ولما صارت الخلافة إلى المنصور كتب إليه رجل من إخوانه كتاباً فيه هذه الأبيات :

إنّا بِطانتُكَ الأُلى * كنا نُكايِدُ ما تُكابِدْ
ونُرَى فنُعرَفُ بالعَدا * وةِ والبِعادِ لِمَن تُباعِد
ونَبِيتُ مِن شَفَقٍ عليكَ رَبِيئةً والليلُ هاجِد

١٠ فلما وصلت الأبيات إلى أبى جعفر وقّع على كل بيت منها : صدقت . ودعا به فألحقه بإخوانه .

معاتبة الصديق واستبقاء مودّته

للحكماء

قالت الحكماء : مما يجب للصديق على الصديق ، الإغضاء عن زلاته ، والتجاوزُ عن سيآته ، فإن رجع وأعتب وإلا عاتبتَه بلا إكثار ؛ فإن كثرةَ العتاب مدرجة للقطيعة .

١٥

لعلى

وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه : لا تَقطع أخاك على آرتياب ، ولا تهجُره دون استعتاب .

لأبى الدرداء

وقال أبو الدرداء : مَن لك بأخيك كلِّه ؟

وقالوا : أىُّ الرجالِ المهذَّب ؟

لبشار

٢٠ وقال بشّار العُقيلى :

إذا أنتَ لم تَشرَبْ مِراراً على القَذَى * ظَمِئتَ ، وأىُّ الناسِ تصفو مشارِبُهْ

وقالوا : معاتبة الأخ خير من فقده .

لبعض الشعراء

وقال الشاعر :

إذا ذهب العِتابُ فليس وُدٌّ ٭ ويبقى الوُدُّ ما بَقِيَ العتابُ

لابن أبان

ولمحمد [1] بن أبان :

إذا أنا لم أصبرْ على الذّنب من أخٍ ٭ وكنتُ أجازيه فأين التفاضُلُ

٥ إذا ما دهانى مفصلٌ فقطعته ٭ بقيتُ ومالى للنهوض مفاصل

ولكنْ أداويه ، فإن صَحّ سَرّنى ٭ وإنْ هو أعْيا كان فيه تحامُلُ

للأحنف

وقال الأحنف : مِن حقِّ الصديق أن يتحمل ثلاثا : ظلمَ الغضب ، وظلم الدّالّة ، وظلم الهفوة .

لعبد الله بن معاوية

لعبد الله بن معاوية :

١٠ ولستُ بِبادى صاحبى بقطيعةٍ ٭ ولستُ بمُفْشٍ سِرَّهُ حين يغضَبُ

عليك بإخوان الثِّقاتِ فإنهم ٭ قليلٌ فَصِلْهُمْ دون مَن كنتَ تَصْحَبُ

وما الخِدْنُ إلا مَن صفا لك وُدُّهُ ٭ ومَن هو ذو نُصحٍ وأنت مُغَيَّبُ

فضل الصداقة على القرابة

لبزرجمهر

قيل لبزرجمهر : مَن أحب إليك : أخوك أم صديقك ؟ فقال : ما أُحِب أخى

١٥ إلا إذا كان لى صديقا .

لأكثم

وقال أكثم بن صيفى : القرابة تحتاج إلى مودة ، والمودة لا تحتاج إلى قرابة .

وقال عبد الله بن عباس : القرابة تُقْطَع والمعروف يُكْفَر ، وما رأيت كتقارُب القلوب .

لبعضهم

وقالوا : إياكم ومَن تكرهه قلوبُكم ، فإن القلوب تُجازِى القلوب .

٢٠ وقال عبد الله بن طاهر الخراسانى :

أَمِيلُ مع الرِّفاقِ على ابنِ أُمّى ٭ وأحمِلُ للصَّدِيق على الشقيقِ

(١) فى بعض الأصول : « أحمد » .

وإن ألفيتنى ملكا مُطاعاً * فإنك واجدى عبدَ الصديقِ
أفرّقُ بين معروفى ومَنّى * وأجمعُ بين مالى والحُقوق

حبيب. وقال حبيب الطائى :

ولقد سَبَرْتُ الناسَ ثم خَبَرْتُهُمْ * وبَلَوْتُ ما وَصَلوا من الأسبابِ
فإذا القرابةُ لا تُقَرِّبُ قاطِعاً * وإذا المودّةُ أقربُ الأنسابِ ٥

المبرد. وللمبرّد :

ما القُرْبُ إلا لمن صَحّتْ مودّتُهُ * ولم يَخُنْكَ وليس القربُ للنَسَبِ
كم من قريبٍ دوِيِّ الصدرِ مُضطغِنٍ * ومن بعيدٍ سليمٍ غيرِ مقتربِ

الحكماء. وقالت الحكماء : رُبَّ أخٍ لك لم تَلِدْه أمُّك .

وقالوا : القريب من قَرُبَ نفعُه . ١٠

وقالوا : رُبَّ بعيدٍ أقربُ من قريب .

لبعض الشعراء. وقال آخر :

رُبَّ غريبٍ ناصِحُ الجَيْبِ * وابنِ أبٍ مُتَّهَمُ الغيبِ

وقال آخر :

أخو ثقةٍ يُسَرُّ ببعضِ شأنِى * وإن لم تُدْنِهِ منى قَرابَهْ ١٥
أحَبُّ إلىّ من ألفَىْ قريبٍ * تَبيتُ صدورُهم لى مُستَرابَهْ

وقال آخر :

فَصِلْ حِبالَ البعيدِ إنْ وَصَلَ الْـ * ـحبلَ وأقْصِ القريبَ إن قَطَعَهْ
قد يَجمعُ المالَ غيرُ آكِلِهِ * ويأكلُ المالَ غيرُ مَن جَمَعَهْ
فارضَ من الدهرِ ما أتاكَ به * مَن قَرَّ عيناً بعيشِه نَفَعَهْ ٢٠

وقال :

لكل ضِيقٍ (١) من الهُمومِ سَعَهْ * والليلُ والصبحُ لا بَقاءَ معهْ

---

(١) فى بعض الأصول : « لكل شىء . . . »

لا تَحْقِرَنَّ الفقيرَ عَلَّكَ أَنْ * تَرْكَعَ يوماً والدهرُ قد رَفَعَهْ

لابن هرمة

وقال ابن هرمة :

لِلّهِ دَرُّكَ من فتًى فَجَعتْ به * يومَ البَقيعِ حوادثُ الأيامِ

هَشٍّ إذا نزلَ الوفودُ ببابِهِ * سَهْلِ الحِجابِ مؤدَّبِ الخُدّامِ

٥ وإذا رأيتَ صديقَه وشقيقَه * لمْ تدرِ أيُّهما أخو الأرحامِ

التحبب إلى الناس

في الحديث

فى الحديث المرفوع : أَحَبُّ الناسِ إلى الله أكثرهم تَحَبُّباً إلى الناس .

وفيه أيضاً : إذا أحب اللهُ عبداً حبَّبه إلى الناس .

لابن عبد ربه

ومن قولنا فى هذا المعنى :

١٠ وجهٌ عليه من الحياءِ سكينةٌ * ومحبَّةٌ تجرى مع الأنفاسِ

وإذا أحبَّ اللهُ يوماً عَبْدَهُ * أَلْقَى عليه محبَّةً للناسِ

من عمر إلى ابن أبى وقاص

وكتب عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلى سعد بن أبى وقاص : إن الله إذا أحب عبداً حَبَّبه إلى خَلْقه . فاعتبِر منزلتَك من الله بمنزلتك من الناس . واعلم أنّ مالك عند الله مثلُ ما للناس عندك .

أبو دهمان وابن مسلم

١٥ وقال أبو دُهمان لسعيد بن مسلم ، ووقف إلى بابه فحجبه حيناً ثم أذن له ، فمثل بين يديه وقال : إن هذا الأمر الذى صار إليك وفى يديك ، قد كان فى يَدَىْ غيرِك ، فأمسى والله حديثا ، إنْ خيراً فخير وإنْ شرًّا فشرّ . فتحبَّبْ إلى عباد الله بحُسْنِ البِشر ، وتسهيلِ الحجاب ، ولِينِ الجانب ؛ فإن حبَّ عبادِ الله موصولٌ بحب الله ، وبُغضَهم موصول ببغض الله ؛ لأنهم شُهداء الله على خلقه ، ورقباؤه

٢٠ على من اعْوَجَّ عن سبيله .

للجارود

وقال الجارود : سوء الخلق يُفسد العمل كما يُفسد الخلُّ العسل .

لمعاوية

وقيل لمعاوية : مَن أحب الناس إليك ؟ قال : مَن كانت له عندى يد صالحة .

قيل له : ثم من ؟ قال : من كانت لى عنده يد صالحة .

المبرد والخليل — وقال محمد بن يزيد النّحوىّ : أتيت الخليل ، فوجدتُه جالساً على طُنفسة صغيرة ، فوسَّع لى وكرهتُ أن أُضيِّق عليه . فانقبضت ، فأخذ بعَضُدى وقرّبنى إلى نفسه ، وقال : إنه لايضيق سَمُّ الخِياط بمتحابّين ، ولا تَسَعُ الدنيا متباغِضَيْن .

لابن عبد ربه — ومن قولنا فى هذا المعنى :

صِلْ من هَوِيتَ وإنْ أبْدَى مُعاتَبة ۞ فأطيَبُ العيشِ وصْلٌ بين إلْفَيْنِ ٥

واقْطَعْ حبائلَ خِدْنٍ لا تُلائِمُهُ ۞ فرُبَّما ضاقتِ الدنيا بإثنَيْن

صفة المحبة

لابن طاهر يصف الحب للمأمون — أبو بكر الورّاق قال : سأل المأمونُ عبد الله بن طاهر ذا الرياستين عن الحب ، ماهو ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، إذا تقادَحت جواهرُ النفوس المتقاطعة بوصل المشاكلة ، انبعثتْ منها لمحةُ نورٍ تستضىء بها بواطنُ الأعضاء ، فتتحرّك ١٠ لإشراقها طبائعُ الحياة ، فيتصوّر من ذلك خلق حاضر للنفس ، متصل بخواطرها ، يسمى الحب .

لحماد الراوية — وسئل حمّاد الراوية عن الحب ، ما هو ؟ قال : الحب شجرةٌ أصلها الفكر ، وعروقها الذكر ، وأغصانها السهَر ، وأوراقها الأسقام ، وثمرتها المنيّة .

لمعاذ بن سهل — وقال معاذ بن سهل : الحب أصعبُ ما رُكِب ، وأسكَرُ ما شرِب ، وأفظع ما لُقِى ، ١٥ وأحلى ما اشْتُهِى ، وأوجَعُ ما بَطَن ، وأشْهَى ما عَلَن .

وهو كما قال الشاعر :

ولِلْحبِّ آفاتٌ إذا هى صَرَّحتْ ۞ تبَدَّتْ علاماتٌ لها غُرَرٌ صُفْرُ

فباطِنُهُ سُقْمٌ وظاهِرُهُ جَوًى ۞ وأوّلُه ذِكْرٌ وآخِرُهُ فِكْرُ

لبعضهم — وقالوا : لا يكنْ حبُّك كَلَفاً ، ولا بُغْضُك سرَفا . ٢٠

وقال بشّار العُقيلى :

هل تعلَمِينَ وراء الحبِّ منزِلةً ۞ تُدْنِى إليكِ ، فإنّ الحبَّ أقصانى

لبعض الشعراء

وقال غيره :

أُحِبُّكِ حُبًّا لو تُحبِّين مثله ٭ أصابكِ مِن وَجْدٍ علىَّ جُنونُ
لطيفاً مع الأحشاء أما نهارُهُ ٭ فدمْعٌ وأما ليـــلُه فأَنينُ

مواصلتك لمن كان يواصل أباك

للنبي صلى الله عليه وسلم

٥ من حديث ابن أبي شيْبة عن النبي صلى الله عليه وسلم : لا تَقطع من كان يُواصلُ أباك ، تُطفئْ بذلك نورَه ؛ فإن وُدَّك ودُّ أبيك .

لابن مسعود

وقال عبد الله بن مسعود : مِن بِرِّ الحيِّ بالميت ان يصل مَن كان يصل أباه .

لأبي بكر

وقال أبو بكر : الحب والبغض يُتوارثان .

من أمثالهم

ومن أمثالهم في هذا المعنى : لا تَقْتَنِ من كلب سوءٍ جَرْواً .

١٠ وقال الشاعر :

تَرجو الوليدَ وقد أعْياك والِدُه ٭ وما رجاؤك بعد الوالِدِ الوَلَدَا

ابن مر وابن وائل عند ملك العرب

واجتمع عند ملك من ملوك العرب تميم بن مُرّ وبكر بن وائل ؛ فوقعت بينهما منازعة ومفاخرة ، فقالا : أيها الملك ، أعطنا سَيفين نتجالد بهما بين يديك ، حتى تعلم أيُّنا أَجْلد . فأمر الملك فنحِت لهما سيفان من عودين ، فأعطاهما إياهما ، فجعلا

١٥ يضطربان مليًّا من النهار ؛ فقال بكر بن وائل :

٭ لو كان سَيْفانا حَديداً قطعَا ٭

قال تميم بن مُر :

٭ أو نحِتَا من جَنْدَل تصدَّعا ٭

وحال الملك بينهما ، فقال تميم بن مر لبكر بن وائل :

٢٠ ٭ أُساجِلُكَ العداوة ما بَقِينا ٭

فقال له بكر :

٭ وإنْ مِتْنا نوَرِّثْها البَنينا ٭

فيقال إن عداوة بكر وتميم من أجل ذلك إلى اليوم .

عداوة تميم وبكر وشعر ابن حلزة

أبو زيد : قال أبو عبيدة . بُنى دُكّانٌ بسجستان ، بَنَتْهُ بكر بن وائل ، فهدمتْه تميم ؛ ثم بنتْه تميم فهدمته بكر ؛ فتواقعوا فى ذلك أربعاً وعشرين وقعة ، فقال ابن حِلِّزة اليَشْكرى فى ذلك :

٥ قرِّبى يا خــلىُّ ويحكِ دِرْعِى ☆ لَقِحَت حَرْبُنا وحربُ تميم
إخوة قَرَّشوا الذُّنوبَ علينا ☆ فى حديثٍ من دهرِهِمْ وقديم
طلبوا صُلحَنا ولَاتَ أوانٍ ☆ إنَّ ما يَطلبون فوْق النُّجوم

الحســـد

لعلى

قال على رضى الله عنه : لا راحة لحسود ، ولا إخاء لِمَلول ، ولا مُحِبَّ لسيِّئ الخُلُق . ١٠

للحسن

وقال الحسن : ما رأيت ظالماً أشبهَ بمظلوم من حاسد : نَفَسٌ دائم ، وحُزْن لازم ، وغمٌّ لا يَنْفَد .

للنبى صلى الله عليه وسلم

وقال النبى صلى الله عليه وسلم : كاد الحسد يغلب القدر .

وقال معاوية : كلُّ الناس أقدِر أرْضيهم ، إلا حاسدَ نعمة ، فإنه لا يُرضيه إلا زوالها . ١٥

لبعض الشعراء

وقال الشاعر :

كلُّ العداوةِ قد تُرْجى إماتتُها ☆ إلا عداوة مَن عاداك من حسدِ

لابن مسعود

وقال عبد الله بن مسعود : لا تُعادوا نِعَم الله ! قيل له ومن يُعادى نعم الله ؟ قال : الذين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله . يقول الله فى بعض الكتب : الحسود عدوٌّ نعمتى ، مُتسخِّط لقضائى ، غير راض بقسمتى . ٢٠

لبعضهم

ويقال : الحسد أول ذنبٍ عُصىَ الله به فى السماء ، وأول ذنب عصى الله به فى الأرض ؛ فأمّا فى السماء فحَسَدُ إبليس لآدم ، وأمّا فى الأرض فحَسَدُ قابيل هابيل .

وقال بعض أهل التفسير فى قوله تعالى : ﴿ربَّنا أرنا اللَّذَيْن أَضَلَّانا من الجن والإنس نجعلهما تحت أقدامنا ليكونا من الأسفلين﴾ . إنه أراد بالذى من الجن إبليس ، والذى من الإنس قابيل . وذلك أن إبليس أول من سَنّ الكفر ، وقابيل أول من سَنّ القتل ؛ وإنما كان أصل ذلك كله الحسد .

لأبى العتاهية

٥ ولأبى العتاهية :

يارَبِّ إنّ الناس لا يُنصِفونى ۞ وكيف ولو أنصفتُهم ظلمونى

وإن كان لِى شىءٌ تصدَّوْا لأخذه ۞ وإن جئتُ أبغى سَيْبَهم مَنعونى

وإن نالهمْ بَذْلى فلا شكر عندَهم ۞ وإنْ أنا لم أبذُلْ لهم شتَموني

وإنْ طرَقتْنى نِقْمةٌ فرِحوا بها ۞ وإنْ صَحِبتْنى نِعْمةٌ حسدونى

١٠ سأَمنع قلبى أنْ يَحِنَّ إليهمُ ۞ وأَحجُبُ عنهم ناظِرى وجُفونى

قيس بن زهير وغطفان

أبو عبيدة مَعمر بن المُثَنَّى قال : مرّ قيس بن زهير ببلاد غطفان ، فرأى ثروة وعددا ، فكره ذلك ، فقيل له : أيسوءك ما يسُرُّ الناس؟ قال : إنك لاتدرى أنّ مع النعمة والثروة التحاسد والتخاذل ، وأن مع القلة التحاشد والتناصر .

لبعضهم

قال : وكان يقال : ما أرى قومٌ قطُّ إلا تحاسدوا وتجادلوا .

١٥ وقال بعض الحكماء : ألزَمُ الناس كآبة أربعة : رجل حَديد ، ورجل حسود ، وخليط الأدباء وهو غير أديب ، وحكيم محقَّر لدى الأقوام .

لابن المبارك

على بن بِشر المرْوَزِى قال : كتب إلىّ ابن المبارك هذه الأبيات :

كل العداوةِ قد تُرْجى إماتَتُها ۞ إلا عداوةَ مَن عاداك مِن حسدِ

فإنّ فى القلبِ منها عُقْدةً عُقِدتْ ۞ وليس يفتحُها راقٍ إلى الأبد

٢٠ إلا الإله فإنْ يَرحَم تُحَلَّ به[1] ۞ وإنْ أباهُ فلا ترْجوه من أحدِ

سئل بعض الحكماء : أى أعدائك لا تحبّ أن يعود لك صديقا ؟ قال : الحاسد الذى لا يرده إلى مودتى إلا زوال نعمتى .

---

(١) فى بعض الأصول : « يحللها » .

لسليمان التيمى وقال سليمان التَّيمى : الحسد يُضعف اليقين ، ويُسهر العين ، ويُكثر الهمّ .

الأحنف بن قيس ، صلى على حارثة بن قُدامة السّعدى ، فقال : رحمك الله ، كنت لا تحسُد غنيا ، ولا تحقِر فقيرا .

لبعضهم وكان يقال : لا يوجد الحر حريصا ، ولا الكريم حسودا .

لبعض الحكماء وقال بعض الحكماء : أجْهَدُ البلاء أن تَظْهر الخَلّة ، وتطول المدة ، وتعجِزَ الحيلة ، ثم لا تَعْدَم صديقاً مولّياً ، وابن عم شامتاً ، وجاراً حاسدا ، ووليا قد تحوّل عدوا ، وزوجة مُختلعة[1] ، وجارية مستبيعة[2] ، وعبدا يَحقرك وولدا ينتهرك ؛ فانظر أين موضع جَهدك فى الهرب .

لقرشى لرجل من قريش :

حَسَدوا النّعمة لمّا ظَهَرت ٭ فرموْها بأباطيلِ الكَلِمْ
وإذا ما اللهُ أسْدَى نِعمةً ٭ لم يَضِرْها قوْل أعْداءِ النِّعم

لبعضهم وقيل : إذا سرَّك أن تَسلم من الحاسد فغَمّ عليه أمرَك .

لعائشة فى شعر تتمثل به وكانت عائشة رضى الله عنها تتمثّل بهذين البيتين :

إذا ما الدهرُ جَرّ على أُناس ٭ حوادِثَهُ أناخَ بآخرينا
فقل للشامِتين بنا أفيقوا ٭ سيَلقَى الشامِتُون كما لقينا

ولبعضهم :

إياكَ والحسدَ الذى هو آفةٌ ٭ فتَوقّهُ وتَوَقَّ غِرّةَ مَنْ حسدْ
إنّ الحسود إذا أراكَ مَودّةً ٭ بالقولِ فهْو لكَ العدُوُّ المجتهِدْ

إبليس ونوح الليث بن سعد قال : بلغنى أن إبليس لقى نوحاً صلى الله عليه وسلم ، فقال له إبليس : اتق الحسدَ والشحّ ، فإنى حسدتُ آدم فخرجت من الجنّة ، وشَحّ آدم على شجرة واحدة مُنع منها حتى خرج من الجنة .

(١) مختلعة : تطلب الخلع والطلاق .
(٢) مستبيعة : تطلب أن تباع .

للحسن

وقال الحسن : أصول الشر وفروعه ستة : فالأصول الثلاثة : الحسد ، والحرص ، وحُب الدنيا ، والفروع كذلك : حُب الرياسة ، وحُب الثناء ، وحب الفخر .

وقال الحسن : يحسد أحدهم أخاه حتى يقع فى سريرته وما يعرف علانيته ، ويلومه على ما لا يعلمه منه ، ويتعلم منه فى الصداقة مايعيِّره به إذا كانت العداوة ؛ والله ما أرى هذا بمُسلم .

لابن ذر

ابن أبى الدُّنيا قال : بلغنى عن عمر بن ذَرّ أنه قال : اللهم من أرادنا بشر فاكفِناه بأىِّ حُكْمَيك شئت ، إما بتوبة وإما براحة .

لابن عباس

قال ابن عباس : ماحسدتُ أحداً ماحسدتُ على هاتين الكلمتين .

وقال ابن عباس : لا تحقرنّ كلمة الحكمة أن تسمعها من الفاجر ؛ فإنما مثله كما قال الأول : رُبَّ رَمية من غير رام .

للحكماء

وقال بعض الحكماء : ما أحقَ للإيمان ولا أهتكَ للستر من الحسد ، وذلك أنّ الحاسد مُعاند لحكم الله ، باغٍ على عباده ، عاتٍ على ربه ، يعتدّ نِعَم الله نِقَما ، ومَزيدَهُ غِيَراً ، وعدْل قضائه حَيْفا ، للناس حال وله حال ، ليس يهدأ لَيله ، ولا ينام جشعُه ، ولا ينفعه عيشُه ، محتقِر لنعم الله عليه ، متسخِّط ماجرت به أقدارُه ، لا يبرُد غليله ، ولا تؤمَن غوائله ، إن سالَمْتَه وتَرَك ، وإن واصلتَه قطَعك ، وإن صرَمْته سبقك .

ذُكر حاسد عند بعض الحكماء فقال : ياعجباً لرجل أسلكه الشيطان مهوى الضلالة ، وأورده قُحَم الهَلكة ، فصار لنعم الله تعالى بالمِرصاد ، إن أنالها مَن أحبَّ من عباده ، أشعرَ قلبه الأسف على مالم يُقْدَر له ، وأغاره الكلفُ بما لم يكن لينالَه .

لبعض الشعراء

أنشدنى فتى بالرملة :

اصبِرْ على حسدِ الحَسودِ ... فإنّ صبرَكَ قاتِلُهْ

كالنارِ تأكُلُ بعضَها ... إن لم تجِدْ ما تأكُلُهْ

عبدالملك والحجاج — وقال عبد الملك بن مروان للحجاج : إنه ليس من أحد إلا وهو يعرف عيبَ نفسه ، فصِف لى عيوبك . قال : أعفِنى يا أمير المؤمنين . قال : لستُ أفعل . قال : أنا لحوح ، لَدود ، حَقود ، حسود . قال : ما فى إبليس شَرٌّ من هذا .

المنصور وسليمان ابن معاوية — وقال المنصور لسليمان بن معاوية المُهلَّبى : ما أسرع حَسَدَ الناس إلى قومك ! فقال : يا أمير المؤمنين : ٥

إنّ العَرانينَ تَلْقاها مُحَسَّدَةً ٭ ولا ترَى لِلئامِ الناسِ حُسَّادَا

لابن سيار — وأنشد أبو موسى لنصر بن سيار :

إنى نشأْتُ وحُسَّادى ذَوُو عدد ٭ ياذا المَعارج لا تنقُصْ لهم عددَا

إنْ يَحسُدونِى على حُسنِ البَلاءِ بهم ٭ فمِثلُ حُسنِ بَلائى جَرَّ لى حَسَدَا

لبعض الشعراء — وقال آخر : ١٠

إنْ يَحسُدونى فإنى غيرُ لائمِهم ٭ قبلِى من الناسِ أهلُ الفضلِ قد حُسِدُوا

فدامَ لى ولهم ما بى وما بِهِمُ ٭ ومات أكثرُنا غيظاً بما يَجِدُ

وقال آخر :

إنّ الغرابَ وكان يمشى مِشيةً ٭ فيما مضى من سالِف الأحوالِ

حَسَدَ القَطاةَ فرامَ يمشى مَشْيَها ٭ فأصابه ضربٌ من العُقّالِ ١٥

فأضلَّ مشيته وأخطأ مَشْيَها ٭ فلذاك كَنَّوه أبا مِرْقال

لحبيب — وقال حبيب الطائى :

وإذا أراد اللهُ نشْرَ فضيلةٍ ٭ طُوِيتْ أتاح لها لِسانَ حَسودِ

لولا اشتعالُ النارِ فيما جاورتْ ٭ ماكان يُعرَفُ طِيبُ عَرْفِ العُودِ

لابن مناذر — وقال محمد بن مناذر : ٢٠

يا أيُّها العائبى وما بِىَ مِنْ ٭ عيب ألا ترْعَوِى وتزْدجِرُ

هل لك عندى وِتْرٌ فتطلُبَهُ ٭ أم أنت مما أتيتَ مُعتذِرُ

إن يكُ قَسْمُ الإلهِ فَضلَنى ٭ وأنت صَلْدٌ ما فيكَ مُعتصَرُ

فالحمدُ والشكرُ والثناء له * وللحسودِ الترابُ والحجرُ
فما الذى يَجتنِى جليسُكَ أو * يبدو له منكَ حين يَختبِرُ
اِقرأْ لنا سورةً تُذكِّرُنا * فإنّ خيرَ المَواعِظِ السُّوَرُ
أوْصِفْ لنا الحكمَ فى فرائضِنا * ما تستحِقُّ الانثى أو الذكرُ
٥ أو آرْوِ فِقهاً تحيا القلوبُ بهِ * جاء به عن نبيِّنا الأثَرُ
أو من أحاديثِ جاهليَّتنا * فإنها حكْمةٌ ومُختَبرُ [1]
أو آرْوِ عن فارسٍ لنا مثلًا * فإنّ أمثالَها لنا عِبَرُ
فإن تكن قد جَهِلْتَ ذاك وذا * ففيكَ للناظرينَ معتبَرُ
فغنِّ صوتاً تُشْجَى القلوبُ [2] به * وبعضُ ما قد أتيتَ يُغتفَرُ

بصرى يحسده قومه

١٠ الأصمعى قال : كان رجل من أهل البصرة بَذِيًّا شِرِّيرا ، يؤذى جيرانه ويشتُم أعراضهم ؛ فأتاه رجل فوعظه فقال له : ما بال جيرانِك يشكونك ؟ قال : إنهم يحسدوننى ! قال له : على أىِّ شىء يحسدونك ؟ قال : على الصَّلْب ! قال : وكيف ذاك ؟ قال أقبِل معى . فأقبل معه إلى جيرانه ، فقعد مُتحازِناً ؛ فقالوا : مالَك ! قال : طرق الليلةَ كتابُ معاوية أن أُصْلَبَ أنا ومالك بن المنذر ، ١٥ وفلان ، وفلان . فذكر رجالا من أشراف أهل البصرة ؛ فوثبوا عليه وقالوا : يا عدوّ الله ! أنت تُصْلَبُ مع هؤلاء ولا كرامة لك ! فالتفت إلى الرجل فقال : أما تراهم قد حسدونى على الصَّلْب ؟ فكيف لوكان خيراً .

لأبى عاصم النبيل

وقيل لأبى عاصم النبيل : إن يحي بن سعيد يحسُدك وربما قرَّضك . فأنشأ يقول :

٢٠ فلستَ بحَىٍّ ولا ميِّت * إذا لم تُعادَ ولم تُحسَدِ

(١) فى بعض الاصول : «ومعتبر» .
(٢) فى بعض الأصول : «النفوس» .

محاسدة الأقارب

من عمر إلى أبى موسى

كتب عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلى أبى موسى الأشعرى : مُرْ ذوى القَرابات أن يتزاوروا ولا يتجاوروا .

لأكثم

وقال أكثم بن صيفى : تباعدوا فى الديار تقاربوا فى المودّة .

لبعضهم

وقالوا : أزهدُ الناس فى عالِمٍ أهلُه . ٥

فرج بن سلام قال : وقف أُمية بن أبى الأسكر على ابن عم له فقال :

نشدتُكَ بالبيتِ الذى طاف حوله * رجالٌ بَنَوْهُ من لُؤىِّ بنِ غالبِ

فإنكَ قد جَرَّبْتَنى فوجَدْتَنِى * أُعِينُكَ فى الجُلَّى وأَكفيكَ جانِبى

وإن دَبَّ من قومٍ إليكَ عداوةٌ * عقارِبُهم دَبَّت إليهم عقارِبى

قال : نعم ، كذلك أنت . قال : فما بال مِنبرك لا يزال إلىّ دسيساً ؟ قال : لا أعود ! قال : قد رضيتُ وعفا الله عما سلف . ١٠

ليحيى بن سعيد

وقال يحيى بن سعيد : من أراد أن يَبين عملهُ ويظهر عِلْمه ، فليجلس فى غير مجلس رهطه .

وقالوا : الأقارب هم العقارب .

لابن مصعب فى غلبته على البرامكة

وقيل لعطاء بن مُصعب : كيف غلبت على البرامكة وكان عندهم من هو آدب منك ؟ قال : كنت بعيد الدار منهم ، غريب الاسم ، عظيم الكِبر ، صغير الجرم ، كثير الالتواء ، فقرّبنى إليهم تباعُدى منهم ، ورغَّبهم فىّ رغبتى عنهم ، وليس للقرباء ظَرافة الغرباء . ١٥

بين خالد بن صفوان ورجل

وقال رجل لخالد بن صفوان : إنى أُحبك . قال : وما يَمنعك من ذلك ولست لك بجارٍ ولا أخ ولا ابن عم ؟ يريد أنّ الحسد موكَّل بالأدنى فالأدنى . ٢٠

الشيبانى قال : خرج أبو العباس أمير المؤمنين متنزِّها بالأنبار ، فأمعن فى نزهته وانتبذ من أصحابه ، فوافى خِباءً لأعرابى ؛ فقال له الأعرابى : ممن الرجل ؟ قال : من كنانة . قال : من أىِّ كنانة ؟ قال : من أبغض كنانة إلى كنانة . قال :

فأنت إذاً من قريش ؟ قال : نعم . قال : فمن أىّ قريش ؟ قال : من أبغض قريش إلى قريش . قال : فأنت إذاً من ولد عبد المطلب ؟ قال : نعم . قال : فمن أىّ ولد عبد المطلب أنت ؟ قال : من أبغض ولد عبد المطلب إلى ولد عبد المطلب . قال : فأنت إذاً أمير المؤمنين ! السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته .

٥ فاستحسن ما رأى منه وأمر له بجائزة .

لذى الأصبع

وقال ذو الإصبع العدْوانى :

لِىَ ابن عمٍ على ما كان من خُلُق * مُحاسِدٌ لِىَ أَقليه ويَقلينى
أَزْرَى بنا أننا شالتْ نَعامتُنا * فخالَنى دونَه أو خِلتُه دونى
يا عمرو إلا تَدع شتْمى ومَنقصتى * أضرِبْك حتى تقول الهامةُ اسْقونى
١٠ ماذا علىّ وإن كنتم ذوِى رَحِمى * ألّا أُحِبَّكم إنْ لم تُحبونى
لا أسألُ الناس عما فى ضمائرِهم * ما فى ضميرى لهم مِن ذاك يَكفينى

لبعض الشعراء

وقال آخر :

مَهلاً بنى عمِّنا ، مهلاً مَوالينا * لا تَنبُشوا بينَنا ما كان مدفونا
لا تطمعوا[1] أنْ تُهينونا ونُكرمَكم * وأن نَكفَّ الأذى عنكم وتُؤْذونا
١٥ الله يَعلم أنّا لا نُحبُّكمُ * ولا نلومُكمُ إنْ لم تُحبُّونا

وقال آخر :

ولقد سَبَرْتُ الناس ثم خَبَرْتُهم * ووصفت ما وصفوا من الأسباب
فإذا القرابة لا تُقرِّب قاطعاً * وإذا المودة أقربُ الأنساب

المشاكلة ومعرفة الرجل لصاحبه

٢٠ قالوا : أقرب القرابة المشاكلة . وقالوا : الصاحب المناسب .

لأبى

وقال حبيب :

وقلت أخى ، قالوا أخٌ من قرابة ؟ * فقلت لهم إنّ الشكول أقارب

(١) فى بعض الأصول : « لا تجمعوا » .

وقال أيضاً :

ذو الودِّ منى وذو القُرْبى بمنزلة * وإخوتى أُسوةٌ عندى وإخوانى

عصابةٌ جاورتْ آدابُهم أدبى * فهم وإن فُرِّقوا فى الأرض جيرانى

وقال أيضاً :

إنْ تَفترق نسباً يُؤَلِّفْ بيننا * أدبٌ أقمناه مُقامَ الوالدِ ٥

أو تختلف فالوصلُ منا ماؤُه * عذْبٌ تحدّرَ من غَمام واحدِ

ولآخر وقال آخر :

إنَّ النفوس لَأجنادٌ مُجندةٌ * بالإذن من ربِّنا تجرى وتختلف

فما تعارفَ منها فهْو مُؤْتلِفٌ * وما تناكَر منها فهْو مختلف

للنبى صلى الله عليه وسلم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الأنفس أجنادٌ مجندة، وإنها ١٠ لتتشامُّ فى الهوى كما تتشامُّ الخيل : فما تعارف منها آئتلف ، وما تناكر منها آختلف .

وقال صلى الله عليه وسلم : الصاحب رقعةٌ فى الثوب ، فلينظر الإنسان بِمَ يرقع ثوبه .

وقال عليه الصلاة السلام : آمتحنوا الناس بإخوانهم . ١٥

لبعض الشعراء وقال الشاعر :

فاعتبروا الأرض بأشباهها[1] * واعتبروا الصاحبَ بالصاحِب

لبعضهم وقالوا : كل إلف إلى إلفه ينزِع .

وقال الشاعر :

والإلفُ يَنزِعُ نحو الآلفين كما * طيرُ السماء على أُلَّافِها تقعُ ٢٠

لامرئ القيس قال امرؤ القيس :

أجارتَنا إنا غريبان هاهنا * وكلُّ غريبٍ للغريبِ نَسِيبُ

---

[1] فى بعض الأصول : « بسكانها » .

لبعض الشعراء

وقال آخر :

إذا كنت في قوم فصاحب خيارَهم ٭ ولا تصحبِ الأرْدَى فتَرْدَى مع الرَّدِي

عن المرءِ لا تسأل وسل عن قرينه ٭ فكلُّ قرينٍ بالمُقارِن يَقتدي

وقال آخر :

٥ اصحبْ ذوي الفضلِ وأهلَ الدين ٭ فالمرءُ منسوبٌ إلى القرين

سليمان عليه السلام وحديث النسر والقصر

أيوب عن سُليمان قال : حدثنا أبان بن عيسى عن أبيه عن ابن القاسم ، قال : بينما سليمان بن داود عليهما السلام تحمله الريح إذ مر بنَسر واقع على قصر ، فقال له : كم لك مُذْ وقعت هاهنا ؟ قال : سبعمائة سنة . قال : فمن بَنى هذا القصر ؟ قال : لا أدري ، هكذا وجدته . ثم نظر فإذا فيه كتاب منقور بأبيات من شعر ، وهي:[1]

١٠ خَرجنا من قرى اَصْطَخْر ٭ إلى القصر فقِلْناهُ

فمن يَسأل عن القصر ٭ فمَبْنِيًّا وَجَدناهُ

فلا تَصْحَب أخا السّوء ٭ وإيّاك وإيّاهُ

فكم من جاهلٍ أرْدى ٭ حَكيماً حين آخاهُ

يُقاسُ المرءُ بالمرءِ ٭ إذا ما المرءُ ما شاهُ

١٥ وفي الناس من الناس ٭ مقاييسٌ وأشباهُ

وفي العيْن غِنًى للعين أن تَنطِقَ أفواهُ

السعاية والبغي

قال الله تعالى ذكره : ﴿ يأيها الناس إنما بَغْيُكُمْ على أنفسكم ﴾ .

وقال عز وجل : ﴿ . . . ثمّ بُغِيَ عليه لَيَنْصُرَنَّهُ اللهُ ﴾ .

٢٠ وقال الشاعر : فلا تسبقْ إلى أحدٍ ببغْيٍ ٭ فإنّ البَغْيَ مَصرعُه وخيم

المتابي

وقال العتّابي: بَغيتَ فلمْ تَقع إلا صريعاً ٭ كذاك البغيُ يَصرَع كل باغ

(١) وردت بعض هذه الأبيات في ثلاثة مواضع من عيون الأخبار منسوبة لأبي العتاهية، ولم نجدها في ديوانه .

المأمون يوصى بعض ولده

وقال المأمون يوماً لبعض ولده : إياك أن تصغى لاستماع قول السُّعاة ، فإنه ماسَعَى رجل برجل إلا انحط من قدره عندى ما لا يتلافاه أبدا .

ووقّع فى رُقعةِ ساعٍ : سننظرُ أصدَقْتَ أم كنتَ من الكاذبين .

ووقّع فى رقعة رجل سَعَى إليه ببعض عماله : قد سمعنا ماذكره الله عز وجل فى كتابه ، فانصرِفْ رحِمك الله .

فكان إذا ذُكر عنده السعاة قال : ما ظَنُّكم بقوم يلعنهم الله على الصدق .

بلال ورجل سعى إليه

وسعى رجل إلى بلال بن أبى بُردة ، فقال له : انصرف حتى أكشف عما ذكرتَ . ثم كشف عن ذلك فإذا هو لغير رِشْدة ؛ فقال : أنا أبو عمرو ، ما كذَبْت ولا كُذِبت .

للنبى صلى الله عليه وسلم

حدّثنى أبى عن جدى أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « الساعى لغير رِشْدة [1] » .

عبدالملك ورجل سعى إليه

وسأل رجل عبد الملك الخَلوة ، فقال لأصحابه : إذا شئتم فقوموا . فلما تهيّأ الرجل للكلام قال له : إياك أن تمدحنى ؛ فأنا أعْلَمُ بنفسى منك ؛ أو تكذِبَنى ، فإنه لا رأىَ لكَذُوب ؛ أو تسعى إلىّ بأحد . وإن شئتَ أقلْتُك . قال : أقِلْنى .

ودخل رجل على الوليد بن عبد الملك ، وهو والى دمشق لأبيه ، فقال : للأمير عندى نصيحة . فقال : إن كانت لنا فاذكرها ، وإن كانت لغيرنا فلا حاجة لنا فيها . قال : جارٌ لى عصَى وفرّ من بَعْثِه . قال : أما أنت فتُخْبِر أنك جارُ سُوء ؛ فإن شئت أرسلْنا معك ، فإن كنت صادقاً أقصيناك ، وإن كنت كاذبا عاقبْناك ، وإن شئت تاركناك . قال : تارِكْنى .

من سير العجم

وفى سِيَر العجم : أنّ رجلا وَشَى برجل إلى الإسكندر ، فقال : أتحب أن نقبل منه عليك ومنكَ عليه ؟ قال : لا . قال : فكفّ عن الشرّ يكفّ عنك الشر .

---

(١) لغير رشدة : لغير أبيه الذى ينسب إليه .

وقال الشاعر : لبعض الشعراء

إذا الواشى بَغَى[1] يوماً صديقاً * فلا تَدَعِ الصَّديقَ لقولِ واشِ

وقال ذو الرياستين : قبول النميمة شرٌّ من النميمة ؛ لأن النميمة دلالة والقبول إجازة ، وليس مَن دَلّ على شيء كَمَنْ قَبِله وأجازه . لذى الرياستين

٥ ذُكِر السُّعاة عند المأمون فقال : لو لم يكن فى عيبهم إلا أنهم أصدقَ مايكونون أبغَضُ مايكونون إلى الله تعالى لكفاهم . للمأمون فى السعاة

وعاتب مصعب بن الزبير الأحنف فى شيء ، فأنكره ، فقال : أخبرَنى الثقة . قال : كلا ، إنّ الثقة لا يُبَلِّغ . مصعب بن الزبير والأحنف

وقد جعل الله السامع شريك القائل فقال : ﴿ سَمَّاعونَ للكذِبِ

١٠ أَكَّالونَ للسُّحْتِ ﴾ .

وقيل : حَسْبُك من شَرٍّ سَمَاعُه . لبعضهم

وقال الشاعر : لبعض الشعراء

لَعَمْرُكَ ما سَبَّ الأميرَ عدُوُّه * ولكنّما سَبَّ الأميرَ المُبلِّغُ

وقال آخر :

١٥ لا تَقبَلَنَّ نميمةً بُلِّغتَها * وتَحَفَّظَنَّ من الذى أنباكَها

لا تنقُشَنَّ برِجلِ غيرِكَ شوكةً * فتَقِى برِجْلِكَ رِجْلَ مَنْ قدشاكَها

إنّ الذى أنْباكَ عنه نميمةً * سيدبُّ عنك بمِثلِها قد حاكَها

وقال دِعبل : لدعبل

وقد قطع الواشونَ ماكان بيننا * ونحن إلى أن يوصلَ الحبلُ أحوجُ

٢٠ رأَوْا عوْرةً فاستقبَلوها بألْبهم * فلم يَنهَهم حِلم ولم يتحرَّجوا

وكانوا أُناساً كنتُ آمَنُ غَيبَهم * فراحوا على ما لا نُحِبُّ فأدْلَجوا

(١) فى عيون الأخبار « لحى ».

الغيبـــة

النبى صلى الله عليه وسلم

قال النبى صلى الله عليه وسلم : إذا قلت فى الرجل مافيه فقد اغْتَبْتَهُ ، وإذا قلتَ ما ليس فيه فقد بَهَتَّه .

ابن سيرين وقوم نالوا منه

ومرّ محمد بن سيرين بقوم ، فقام إليه رجل منهم فقال : أبا بكر ، إنا قد نلنا منك فحلِّلنا فقال : إنى لا أُحِلُّ ما حَرَّم الله عليك ، فأما ما كان إلىّ فهو لك . ٥

رقبة بن مصقلة وبعض جلسائه

وكان رقبة بن مَصْقلة جالساً مع أصحابه ، فذكروا رجلاً بشىء ، فاطلع ذلك الرجل ، فقال له بعض أصحابه : ألا أُخبره بما قلنا فيه لئلا تكون غيبة ؟ قال : أخبِره حتى تكون نميمة .

قتيبة بن مسلم ورجل مغتاب

اغتاب رجل رجلا عند قتيبة بن مُسلم ، فقال له قتيبة : أمسِك عليك أيها الرجل ، فوالله لقد تَلمَّظْت بمضغةٍ طالما لفَظها الكِرام . ١٠

ابن سيرين ورجل حسب أنه اغتابه

محمد بن مُسلم الطائفى قال : جاء رجل إلى ابن سيرين فقال له : بلغنى أنك نِلتَ منى . قال : نفسى أعزُّ علىّ من ذلك .

بين بكر بن محمد ورجل فى مثله

وقال رجلٌ لبكر بن محمد بن عِصْمة[1] . بلغنى أنك تقع فىّ ! قال أنت إذاً علىّ أكرمُ من نفسى .

ابن أبى وقاص ورجل اغتاب طلحة والزبير

ووقع رجل فى طلحة والزبير عند سعد بن أبى وقّاص ، فقال له : اسكت ، فإنّ الذى بيننا لم يَبْلُغ دينَنا . ١٥

شريف ورجل عاب عليه

وعاب رجل رجلا عند بعض الأشراف ، فقال له : قد استدللتُ على كثرة عُيوبك بما تُكثر من عيوب الناس ؛ لأنّ طالب العيوب إنما يطلبها بقدر مافيه منها .. أما سمعتَ قول الشاعر :

لا تَهتِكَنّ مِنْ مَساوى النّاسِ ما سَتَرُوا * فيَهْتِكَ اللهُ سِتْراً مِنْ مَساوِيكا ٢٠
واذْكُر محاسِنَ ما فيهِمْ إذا ذُكِرُوا * ولا تعِبْ أحداً مِنْهُم بما فيكا

---

(١) فى عيون الأخبار : « علقمة » .

وقال آخر : لبعض الشعراء

لا تَنْهَ عن خُلقٍ وتأْتِىَ مِثلهُ * عارٌ عليْكَ إذا فعلْتَ عظِيمُ
ابْدَأْ بنفْسِكَ فانْهَهَا عن غَيِّها * فإذا انْتَهت عنْهُ فأنْتَ حكِيمُ

لابن السماك وقال محمد بن السماك : تجنَّبْ القول فى أخيك لخلَّتين : أمّا واحدة فلعلك ٥ تعيبه بشىء هو فيك ، وأما الأخرى فإن يكن الله عافاك بما ابتلاه كان شُكرك الله فيه على العافية تعييراً لأخيك على البلاء .

لبعض الحكماء وقيل لبعض الحكماء : فلان يَعيبك ! قال : إنما يَقرض الدرهمَ الوازِن .

لبزرجمهر وقيل لبزرجمهر : هل تعلم أحداً لا عيبَ فيه ؟ قال : إن الذى لا عيب فيه لا يموت .

١٠ لعمرو بن عبيد وقيل لعمرو بن عُبيد : لقد وقع فيك أيوبُ السّختيانى حتى رحمناك . قال : إياه فارحموا .

لابن عباس وقال ابن عباس : اذكر أخاك إذا غاب عنك بما تُحب أن يَذكرك به ، ودَعْ منه ما تحب أن يَدَعَ منك .

النبي صلى الله عليه وسلم وابن الحضرمى وقدم العلاء بن الحضرمىّ على النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال له : هل تَروى ١٥ من الشعر شيئا ؟ قال : نعم . قال : فأنشدْنى . فأنشده :

تَحبَّبْ ذوِى الأضغَانِ تَسْبِ نفوسَهُمْ * تحبُّبَكَ القُرْبَى فقَدْ تُرقعُ النَّعلْ
وإن دَحَسوا[1] بالكُرْهِ فاعفُ تكرُّماً * وإن غيَّبُوا عنْكَ الحديثَ فلا تسَلْ
فإنَّ الّذِى يُؤذِيك مِنه سماعُهُ * وإن الّذِى قالوا وراءَك لم يُقَلْ

فقال النبي عليه السلام : إن من الشعر لحكمة .

٢٠ للحسن البصرى وقال الحسن البصرىّ : لا غيبة فى ثلاثة : فاسق مجاهر بالفسق ، وإمامٍ جائر وصاحبِ بِدْعة لم يَدع بدعته .

---

(١) فى بعض الأصول : « حسدوا » .

من الكسائى إلى الرقاشى

وكتب الكسائىّ إلى الرقاشىّ :

تركتَ المسْجدَ الجامِ * عَ والتّركُ لهُ ريبَهْ
فلا نافِلَةً تقْضِى * ولا تقْضِى لمكْتُوبَهْ
وأخبارُكَ تأتينَا * على الأعْلَامِ مَنْصُوبَهْ
فإن زِدْتَ مِنَ الغيبَ * ـةِ زِدْناكَ مِنَ الغِيبَهْ ٥

مداراة أهل الشر

للنبى صلى الله عليه وسلم

وقال النبى عليه الصلاة والسلام : شرُّ الناس من اتّقاه الناسُ لِشرّه .

وقال عليه الصلاة والسلام : إذا لقيتَ اللئيم فخالفه ، وإذا لقيتَ الكريمَ فخالطه .

لأبى الدرداء

وقال أبو الدّرداء : إنا لنكشر فى وجوه قوم وإن قلوبَنا لتلْعَنُهُمْ . ١٠

لابن شيبة فى ابن صفوان

وسئل شبيب بن شيبة عن خالد بن صفوان ، فقال : ليس له صديق فى السرّ ولا عدو فى العلانية .

للأحنف

وقال الأحنف . رُبَّ رجُل لا تغيبُ فوائدُه وإن غاب ، وآخرَ لا يَسلم منه جليسُه وإن احترس .

لابن هراسة

وقال كثير بن هَرَاسة : إن من الناس ناساً ينقصُونك إذا زِدْتهم ، وتهُون عندهم إذا خاصصتَهم ، ليس لرضاهم موضع تعرفه ، ولا لسخطهم موضع تحذره . فإذا عرفت أولئك بأعيانهم فابذُل لهم موضع المودّة ، وأحرمهم موضع الخاصة ، يكُنْ ما بذلتَ لهم من المودّة حائلا دون شرّهم ، وما حَرَمْتهم من الخاصة قاطعا لحرمتهم . ١٥

للعتبى

وأنشد العتبى : ٢٠

لى صديقٌ يَرى حُقوقِى عليْهِ * نافلَاتٍ وحقَّه الدّهرَ فرْضا
لو قطعْتُ البلاد طولًا إليْهِ * ثمّ مِنْ بعْدِ طولِها سِرْتُ عرْضَا
لرَأى ما فعَلْتُ غيْرَ كثِير * واشْتَهى أنْ يَزِيدَ فى الأرْضِ أرْضَا

وفى هذه الطبقة من الناس يقول دِعْبل الخزاعى : لدعبل

أسْقِهِمُ السّمّ إن ظفِرْت بهِمْ ٭ وامْزُجْ لهم مِن لسانِك العسَلا

كتب سهل بن هارون إلى موسى بن عمران فى أبى الهذيل العلّاف . لسهل فى العلاف

إنّ الضمير إذا سألتُك حاجةً ٭ لأبى الهُذَيْلِ خلافُ ما أُبْدِى

٥ فألِنْ له كنفاً ليحسُن ظنُّه ٭ فى غيرِ منفعة ولا رِفْد

حتّى إذا طالتْ شقاوةُ جدِّهِ ٭ وعَناؤُه فاْجْبَهْهُ بالرّدّ

وقال صالح بن عبد القُدوس : لابن عبد القدوس

تجنبْ صديقَ السُّوءِ واصْرِمْ حِباله ٭ وإن لم تجِدْ عنهُ مَحِيصاً فدارِهِ

ومن يطلُبِ المعْروف مِن غيْرِ أهْلِهِ ٭ يجِدْهُ وراءَ البحرِ أوْ فى قرارِهِ

١٠ ولله فى عرْضِ السّمٰواتِ جنّة ٭ ولكنّها محفوفةٌ بالمَكارِهِ

وقال آخر : لبعض الشعراء

بلاءٌ ليس يُشْبِهُهُ بلاءٌ ٭ عداوةُ غيْرِ ذى حسَب ودينِ

يُبيحُك منه عرْضاً لم يصُنْهُ ٭ ليرْتع منْك فى عِرْضٍ مصونِ

عُرِض على أبى مُسلم صاحب الدعوة فرسٌ جواد ، فقال لقُوّاده : لماذا يصلحُ مثل هذا الفرس ؟ قالوا : إنا نغزو عليه العدو . قال : لا ، ولكن يركبه الرجل فيهرب عليه من جار السّوء . أبو مسلم وأصحابه فى جواد

١٥

ذمّ الزمان

قالت الحكماء : جُبِل الناس على ذمّ زمانهم وقلة الرضا عن أهل عصرهم . الحكماء

فمنه قولهم : رضا الناس غاية لا تدرك .

٢٠ وقولهم : لا سبيل إلى السلام من ألسنة العامة .

وقولهم : الناس يُعيِّرون ولا يغفرون ، والله يغفر ولا يُعيِّر .

وفى الحديث : « لو أن المؤمن كالقِدح لقال الناس ليس ولولا . . . ! » فى الأثر

لبعض الشعراء

وقال الشاعر :

مَن لابَس الناسَ لم يَسْلَمْ من الناسِ ❊ وضَرَّسوه بأنيـــابٍ وأضراسِ

لعائشة فى لبيد

هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أنها قالت : رحم الله لَبيدا ، كان يقول :

ذهب الذين يُعاشُ فى أكنافِهم ❊ وبَقِيتُ فى خَلَفٍ كجِلْدِ الأجربِ

فكيف لو أبصر زماننا هذا ؟ ٥

قال عروة : ونحن نقول : رحم الله عائشة ، فكيف لو أدركتْ زمانَنا هذا .

لبعضهم فى معنى ماسبق

وكان بعضهم يقول : ذهب الناس وبقى النسناس ، فكيف لو أدرك زماننا هذا ؟

دخل مسلم بن يزيد بن وهب على عبد الملك بن مروان ، فقال له عبد الملك : أىّ زمان أدركتَ أفضَل ، وأىّ الملوك أكمل ؟ قال : أما الملوك فلم أر إلا حامداً أو ذامًّا ، وأما الزمان فيرفع أقواماً ويضع أقواما ، وكلهم يَذُمُّ زمانَه ، لأنه يُبْلِى جديدَهم ، ويُفرّق عديدَهم ، ويُهْرِمُ صغيرَهم ، ويُهلك كبيرَهم . ١٠

لبعض الشعراء

وقال الشاعر :

أَيا دهرُ إن كنتَ عاديْتَنا ❊ فما قد صنَعتَ بنا ما كَفاكا

جعلتَ الشِّرارَ علينا خِياراً ❊ ووَلَّيتنا بعدَ وجهٍ قَفاكا

وقال آخر : ١٥

إذا كان الزمانُ زمانَ تَيْمٍ ❊ وعُكْلٍ فالسلامُ على الزمانِ

زمانٌ صار فيه الصدرُ عَجْزاً ❊ وصار الزُّجُّ قُدامَ السِّنانِ

لعـــلَّ زمانَنا سيعودُ يوما ❊ كما عاد الزمانُ على بِطانِ

أبو مياس وقوم يذكرون الزمان

أبو جعفر الشيبانى قال : أتانا يوماً أبو مَيّاس الشاعر ونحن فى جماعة فقال : ما أنتم فيه وما تتذاكرون ؟ قلنا : نذكر الزمان وفساده . قال : كلا ، إنما الزمان وِعاء ، وما أُلقِى فيه من خير أو شرّ كان على حاله . ثم أنشأ يقول : ٢٠

أرى حُلَلًا تُصانُ على أُناسٍ ❊ وأخلاقاً تُداس[1] فما تُصانُ

(١) فى بعض الأصول : « تدال » .

يقولون الزمانُ بهِ فسادٌ * وهم فَسَدوا وما فسد الزمانُ

لفرج بن سلام

أنشد فرج بن سلّام :

هذا الزمانُ الذى كنّا نُحَذَّرُه * فيما يُحدِّثُ كعبٌ وابن مسعودِ

إنْ دامَ ذا الدهرُ لم نحزَنْ على أحدٍ * يموتُ منّا ولم نفرحْ بمولودِ

لحبيب

٥ وقال حبيب الطائى :

لمْ أَبْكِ فى زمنٍ لم أرْضَ خلّتَهُ * إلا بكيتُ عليه حين ينصرمُ

لطاهر بن الحسين

وقال آخر فى طاهر بن الحسين :

إذا كانت الدنيا تُنالُ بطاهرٍ * تجنَّبْتُ منها كلَّ ما فيه طاهِرُ

وأعرضتُ عنها عِفّةً وتكرُّمًا * وأرجأتُها حتى تدورَ الدوائر

لابن سعيد فى معقل وابن أخيه

١٠ وقال مؤمن بن سعيد فى معقل الضبىّ وابن أخيه عثمان :

لقد ذَلّت الدنيا وقد ذَلَّ أهلُها * وقد مَلَّها أهلُ النّدَى والتفضُّلِ

إذا كانت الدنيا تميل [1] بخيرِها * إلى مثلِ عثمانَ ومثلِ المُحوَلِ

ففى آستِ آمِّ دُنيانا وفى آستِ آمِّ خَيْرِها * وفى آستِ آمِّ عثمانٍ وفى آستِ آمِّ معْقلِ

لابن مناذر

وقال محمد بن مُناذر :

١٥ يا طالبَ الأشعارِ والنحوِ * هذا زمانٌ فاسدُ الحَشْوِ

نهارُه أوحَشُ من ليلِهِ * ونَشْوُهُ من أخبثِ النَّشْوِ

فدَعْ طِلابَ النحوِ لا تبغِهِ * ولا تقُلْ شِعراً ولا ترْوِ

فما يجوزُ اليومَ إلا امْرُؤٌ * مُستحكِمُ العزفِ أو الشَّدْوِ

أوْ طِرْمِذانٌ قولُهُ كاذبٌ * لا يفعَلُ الخيرَ ولا ينْوِ

لابن عبد ربه

٢٠ ومن قولنا فى هذا المعنى :

رجاءٌ دون أقربِهِ السَّحابُ * ووعد مِثل ما لَمَعَ السَّرابُ

ودَهْرٌ سادتِ العُبْدانُ فيه * وعاثَتْ فى جوانِبه الذِّئابُ

(١) فى بعض الأصول : « تجرد ».

وأيامٌ خلَتْ من كلِّ خيرٍ * ودُنيا قد توَزَّعها الكلابُ
كلابٌ لو سألتَهُم تُرابا * لقالوا: عندَنا انقطع التُّرابُ
تُعاقَب من أساء القوْلَ فيهم * وإن يُحسِن فليس له ثوابُ

الجاحظ فى ذم الزمان

كتب عمرو بن بحر الجاحظ إلى بعض إخوانه فى ذم الزمان :

بسم الله الرحمن الرحيم . حَفظك الله حِفْظ من وفّقه للقناعة ، وٱستعمله بالطاعة ٥ كتبتُ إليك وحالى حال من كَثُفَت غُمومُه ، وأشكلت عليه أمورُه ، وٱشتبه عليه حالُ دهرِه ، ومَخْرَج أمرِه ، وقلّ عنده مَن يثق بوفائه ، أو يحمد مَغَبّةَ إخائه ، لاستحالة زمانِنا ، وفسادِ أيامنا ، ودولة أنذالنا ، وقِدْماً كان مَن قَدَّم الحياء على نفسه ، وحكَّم الصدق فى قوله ، وآثر الحقّ فى أموره ، ونَبَذ المشتبهات عليه من شُئونه . تمت له السلامة ، وفاز بوفور حظّ العافية ، وحَمد مَغَبّة مكروهِ العاقبة ، ١٠ فنظرْنا إذ حال عندنا حُكمُه ، وتحولت دولته . فوجدنا الحياءَ متصلا بالحرمان ، والصدق آفةً على المال ، والقَصْد فى الطلب بترك ٱستعمال القِحَة وإخلاقِ العِرض من طريق التوكل دليلاً على سَخافة الرأى ؛ إذ صارت الحُظوة الباسقة والنِّعمة السابغة فى لؤم النية[1] ، وتناول[2] الرِّزق من جهة محاشاة الوقار[3] ، وملابسة مَعَرَّة العار . ١٥

ثم نظرنا فى تعقُّب المتعقِّب لقولنا ، والكاسِر لحجتنا ، فأقمنا له عَلَمًا واضحا ، وشاهدا قائما ، ومنارا بيِّنا ؛ إذ وجدنا مَن فيه السّفوليّة الواضحة ، والمثالب الفاضحة ، والكذب المبَرِّح ، والخُلف المصرّح ، والجهالة المُفرطة ، والركاكة المُستخَفَّة ، وضعف اليقين والاستيثاب ، وسرعة الغضب والخفة[4] ، قد استكمل سروره ، واعتدلت أمورُه ، وفاز بالسهم الأغلب ، والحظِّ الأوفر ، والقدر الرفيع ، ٢٠

(١) فى بعض الأصول : «المشيئة» .
(٢) فى بعض الأصول : «وسناء» .
(٣) فى بعض الأصول : «الرخاء» .
(٤) فى بعض الأصول : «الجرأة» .

والجواب[١] الطائع ، والأمر النافذ ، إن زَلّ قيل حَكَمَ ، وإن أخطأ قيل أصاب ، وإن هَذَى فى كلامه وهو يقظان قيل رؤيا صادقة فى سِنَة[٢] مباركة .

فهذه حُجتنا ـ أبقاك الله ـ على من زَعَم أن الجهل يَخفِض ، وأن الحق يضع ، وأن النَّوْكَ يُرْدِى وأن الكذب يَضُر ، وأن الخُلف يُزْرِى .

٥ ثم نظرنا فى الوفاء والأمانة ، والنُّبل والبراعة[٣] وحُسْن المذهب ، وكمال المروءة ، وسعة الصدر ، وقلة الغضب ، وكرم الطبيعة ، والفائق فى سعة علمه ، والحاكم على نفسه ، والغالب لهواه ؛ فوجدنا فلان بن فلان ، ثم وجدنا الزمان لم يُنْصِفْه من حقّه ، ولا قام له بوظائف فرضه ؛ ووجدنا فضائله القائمة له قاعدة به . فهذا دليل على أن الطَّلاح أجدى من الصَّلاح ، وأن الفضل قد مضى زمانه ، ١٠ وعَفَت آثارُه ، وصارت الدائرة عليه كما كانت الدائرة على ضده ؛ ووجدنا العقل يَشقى به قرينُه ، كما أنّ الجهل والحُمْقَ يحظى به خدينُه ووجدنا الشعر ناطقا على الزمان ، ومُعْرِبا عن الأيام ، حيث يقول :

تَحامَقْ مع الحَمْقى إذا ما لقِيتَهم ﴿﴾ ولاقِهِمُ بالجهلِ فِعْل أخى الجهلِ
وخَلِّطْ إذا لاقَيْتَ يوماً مُخلِّطاً ﴿﴾ يُخلِّطُ فى قولٍ صحيحٍ وفى هَزْلِ
١٥ فإنى رأيتُ المرءَ يَشقى بعقــله ﴿﴾ كما كان قبل اليوم يَسعَدُ بالعقلِ

فبقيتُ أبقاك الله مثل من أصبح على أوْفاز ، ومن النُّقلة على جَهاز ، لا تَسُوغُ له نَعْمَة ولا يُطعم عينيه غَمْضة ، فى أهاويل يُباكِره مكروهُها وتُراوحه عقابيلها فلو أن الدعاء أُجيبَ والتضرُّع سُمع ، لكانت الهَدّة العُظمى ، والرجفَة الكبرى ؛ فليت الذى يا أخى ما أَسْتَبْطِئُه من النفخة ، ومن فَجْأة الصيْحة ، قُضىَ فحان ، ٢٠ وأذن به فكان ؛ فوالله ما عُذِّبَت أُمةٌ برجفةٍ ولا ريح ولا سَخْطة ، عذابَ عَينى برؤية المُغايظة المضنية[٤] ، والأخبار المُهلكة ، كأن الزمان توكل بعذابى ،

(١) فى بعض الأصول : « الجواز » .
(٢) فى بعض الأصول : « من نسمة » .
(٣) فى بعض الأصول : « والبلاغة » .
٢٥ (٤) فى بعض الأصول : « المدنية » .

أو أنتصب لإيلامى[1] ؛ فما عيْشُ مَن لا يُسَرّ بأخ شقيق ، ولا خِدن شفيق ، ولا يَصْطبح فى أول نهاره إلا برؤية من تُكره رؤيتُه ، ونَغْمة من تَغُمّه طلعته فبدل الله لى ـ أى أخى ـ بالمسكن مَسْكنا ، وبالربع رَبْعا ! فقد طالت الغُمة ، وواطنت الكربة ، وادْلهَمّت الظُّلمة ، وخمد السراج ، وتباطأ الانفراج ، والسلام .

فساد الإخوان

٥

لأبى الدرداء

قال أبو الدرداء : كان الناس وَرَقا لا شوْكَ فيه ، فصاروا شوكا لا وَرَق فيه .

لعروة بن الزبير

وقيل لعُروة بن الزُّبير : ألا تنتقل إلى المدينة ؟ قال : مابقى بالمدينة إلا حاسدٌ على نعمة ، أو شامتٌ بمصيبة .

للرياشى

الخشنى[2] ، قال : أنشدنى الرياشى :

١٠

إذا ذهَب التَّكرُّمُ والوَفاء * وباد رجاله وبقى الغُثاء

وأسلمَنى الزَّمان إلى رجالٍ * كأمثالِ الذِّئابِ لها عُواء

صديق كلما استَغْنيْتُ عنهم * وأعداءٌ إذا جهدَ البلاء

إذا ما جئتُهم يتدافعونى * كأنى أجربٌ آذاه[3] داء

أقول ولا أُلامُ على مَقالٍ * على الإخوانِ كلِّهم العَفاء

١٥

للحكماء

وقالت الحكماء : لا شىء أضيَعُ من مودة مَن لا وفاء له ، واصطناع مَن لا شُكر عنده . والكريم يَوَدُّ الكريم عن لُقْية واحدة ، واللئيمُ لا يَصِل أحداً إلا عن رغبة أو رهبة .

للهند

وفى كتاب للهند : إن الرجل السَّوء لا يتغير عن طبعه ، كما أن الشجرة المرّة لو طليتَها بالعسل لم تُثمر إلا مُرًّا .

٢٠

(١) فى بعض الأصول : « لأيامى » .

(٢) الخشنى : محمد بن عبد السلام وفى بعض الأصول : « الحسنى » وهى تحريف .

(٣) فى بعض الأصول : « أعداه » .

لأبي العتاهية

وسمع رجل أبا العتاهية يُنشد :

فارمِ بطَرْفِك حيث شئـــت فلا تَرى إلا بخيلا

وقال أيضاً فى هذا المعنى :

للهِ دَرُّ أبيك أىّ زمانِ * أصبحت فيه وأىّ أهلِ زمانِ

٥ كلٌّ يُوازنُك المودّةَ جاهداً * يُعطِى ويأخذ منك بالميزانِ

فإذا رأى رُجحانَ حبّةِ خَرْدلٍ * مالت مودّتُه إلى الرُّجحان

وقال :

أرَى قوْماً وُجوهُهُم حِسانٌ * إذا كانت حوائجُهُم إلينـا

وإنْ كانت حوائجُنا إليهم * يُقبِّح حُسْنُ أوْجُهِهِم علينا

١٠ فإن مَنَع الأشحَّةُ ما لدَيهم * فإنا سوف نمنع ما لدَيْنـا

وقال :

مَوالِينا إذا احتاجوا إلينا * وليس لنا احتياجٌ للمَوالى

للبكرى

للبكرى :

وخليلٍ لم أخُنْـه ساعةً * فى دمِى كَفَّيْه ظلماً قد غَمَسَ

١٥ كان فى سرّى وجَهْرى ثِقَتى * لستُ عنه فى مُهِمّ أحْترِسْ

سَتَر البُغْض بألفاظ الهوى * وادّعى الوُدّ بغشٍّ ودَلَسْ

إن رآنى قال لى خيْراً وإن * غِبْت عنه قال شرًّا ودَحَسْ

ثم لمّا أمكنتْه فرْصَةٌ * حَمَل السيفَ على مَجْرى النَّفَس

وأراد الرُّوح لكن خانه * قدَرٌ أيقظ مَن كان نَعسْ

للعتبى

٢٠ وأنشد العتبى :

إذا كنت تَغضَبُ من غيْرِ ذنبٍ * وتَعْتِب مِن غيْر جُرْمٍ عَلَيَّا

طَلَبْت رضاك فإن عزَّنى * عدَدْتُك ميْتاً وإن كنت حيَّا

فلا تَعجبَنَّ بمــا فى يديْك * فأكثر منه الذى فى يدَيَّا

لابن أبى حازم وقال ابن أبى حازم :

وصاحبٍ كان لى وكنتُ لهُ * أشْفق مِنْ والدٍ على ولدِ
كنّا كساقٍ تسْعَى بها قدمٌ * أوْ كذِراعٍ نِيطَتْ إلى عضدِ
حَتّى إذا دانتِ الحوادثُ منْ * عظمى وحلّ الزّمانُ مِنْ عُقَدى
ازْوَرّ[1] عنّى وكان ينظُرُ مِنْ * طرْفى ويرْمى بساعِدِى ويدِى

وقال :

وخِلّ كان يَخفِضُ لى جَناحا * أفاد غِنى [2] فنابَذنى جِماحَا
فقلتُ له ولى نفسٌ عزُوفٌ * إذا حَمِيَتْ تقحّمت الرِّماحا
سأُبدلُ بالمطامِعِ فيك يأساً * وباليأسِ استراح مَنِ استراحَا

لعبد الله بن معاوية وقال عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر :

وأنتَ أخى مالم تكن لى حاجة * فإنْ عرضَتْ أيقنْتُ أن لا أخا ليا
فلا زادَ[3] ما بيْنى وبينَكَ بعدَما * بلَوْتُكَ فى الحاجاتِ إلّا تمادِيَا
كِلانا غنِيٌّ عن أخيه حياتَهُ * ونحنُ إذا مِتْنا أشدُّ تغانيَا
وعينُ الرِّضا عن كلِّ عيْب كليلَةٌ * كما أنّ عيْنَ السُّخْط تُبْدِى المساويا

البحترى وقال البحترى :

أُشَرِّقُ أم أُغرِّبُ يا سَعيدُ * وأَنْقُصُ من ذِمامى[4] أوْ أَزيد
عدَتْنى عن نصيبِينَ العوادِى * فبَخْتِى أبْلَهٌ فيها بليدُ
وخلّفنى الزّمانُ على رجال * وُجوهُهمُ وأيديهِمْ حدِيدُ
لهُمْ حُلَلٌ حَسُنّ فهُنّ بيض * وأخلاقٌ سَمُجْنَ فهُنّ سُودُ

---

(١) فى بعض الاصول : « احول » .
(٢) فى بعض الاصول : « فودعنى » .
(٣) فى بعض الاصول : « فلا زال » .
(٤) فى بعض الاصول : « رباعى » .

ألا ليْتَ المقادِرَ لم تُقدَّرْ * ولم تكُنِ العطايا والجدُودُ

وقال ابن أبي حازم : لابن أبي حازم

وقالوا : لو مَدَحتَ فتًى كريماً * فقُلتُ وكيفَ لي بفتًى كريمِ!

بلَوْتُ ومَرَّ بي خمسُونَ حوْلا * وحسْبُكَ بالمُجرِّبِ مِنْ عَليمِ

٥ فلا أحدٌ يُعَدُّ ليوْمِ خيْرٍ * ولا أحدٌ يعودُ على عديمِ

وقال :

قد بلوتُ النَّاسَ طرًّا * لم أجِد في النَّاسِ حُرَّا

صار حلْوُ النَّاسِ في العيْنِ إذا ما ذِيقَ مُرّا

وقال :

١٠ من سَلا عنِّيَ أطلقتُ حِبالي مِن حِبالِهْ

أو أجَدَّ الوصلَ سارعْتُ بجهدي في فِصالِهْ

إنَّما أحذُو على فِعْلِ صديقي بمِثالِهْ

غيرَ مُستخذٍ إذا ازْوَرَّ كأني من عِيالِهْ

لن يَراني أبداً أُعْظِمُ ذا مالٍ لمالِهْ

١٥ لا ولا أزْرَى بمَنْ يَعقِلُ عندي سوءُ حالِهْ

إنَّما أقضي على ذا * كَ وهذا بفَعالِهْ

كيفما صرَّفني الدهرُ فإني من رجالِهْ

ومن قولنا في هذا المعنى : لابن عبد ربه

أبا صالحٍ جاءتْ على النَّاسِ غَفلةٌ * على غفلةٍ ماتت بكلِّ كريمِ

٢٠ فليتَ الأُلَى بانوا [1] يُفادَوْنَ بالأُلَى * أقاموا ، فيُفدَى ظاعِنٌ بمُقيمِ

ويا ليتَها الكبرى فتُطْوَى سماؤنا * لها وتُمَدُّ الأرضُ مَدَّ أديمِ

فما الموتُ إلا عيشُ كلِّ مُبخَّلٍ * وما العيشُ إلا موتُ كلِّ ذَميمِ

(١) في بعض الأصول «كانوا» .

وأعذَرُ ما أدمَى الجفونَ من البُكا * كريمٌ رأى الدنيا بكفِّ لئيم

ومثله فى هذا المعنى :

أبا صالح ، أين الكرامُ بأسرهم * أفِدْنى كريماً فالكريمُ رضاء

أحقًّا يقول الناسُ فى جودِ حاتمٍ * وابن سِنانٍ [1] كان فيه سَخاء

عَذيرِىَ مِن خلقٍ تخَلَّقَ منهمُ * غباء ولؤمٌ فاضحٌ وجَفاء

حِجارةُ بُخْل ما تجودُ وربما * تفجَّرَ من صُمِّ الحجارةِ ماء

ولو أنّ موسى جاء يضربُ بالعصا * لَمَا انبَجستْ من ضربِه البخلاء

بَقاء لئامِ الناسِ موتٌ عليهمُ * كما أنّ موتَ الأكرمين بَقاء

عزيزٌ عليهم أن تَجودَ أكفُّهم * عليهم من اللهِ العزيز عَفاء

ومثله قولنا فى هذا المعنى :

ساقٌ ترَنّحَ يشدو فوقَه ساقُ * كأنه لِحَنينِ الصوتِ مُشتاقُ

ياضيعةَ الشِّعرِ فى بُلْهٍ جرامِقةٍ * تشابَهتْ منهم فى اللُّؤمِ أخلاقُ

غُلَّتْ بأعناقهم أيدٍ مقفَّعةٌ * لا بُورِكتْ منهمُ أيدٍ وأعناقُ

كأنما بينهم فى منع سائلهم * وحبس نائلهم عهدٌ وميثاق

كم سُقتهم بأماديحى وقُدْتُهمُ * نحو المعالى فما انقادوا ولا انساقوا

وإن نَبا بىَ فى ساحاتهم وطنٌ * فالأرض واسعةٌ والناس أفراق

ما كنتُ أولَ ظمآنٍ بِمَهْمَهةٍ * يغرُّه من سراب القفر رقراق

رزقٌ من الله أرضاهم وأسخطنى * واللهُ للأَنْوَكِ المعتوهِ رزّاق

يا قابض الكف لا زالت مُقبَّضة * فما أناملها للناس أرزاق

وغِبْ إذا شئتَ حتى لا تُرى أبداً * فما لفقدك فى الأحشاء إقلاق

ولا إليك سبيلُ الجود شارعةٌ * ولا عليك لنور المجد إشراق

(١) يعنى هرم بن سنان ، وقطع همزة الوصل للشعر ؛ وفى بعض الأصول : « وإن سنانا » .

لم يكتنفنى رجاءٌ لا ولا أمل ٭ إلا تكنَّفَهُ ذُلٌ وإمـــلاق

شعر لمؤمل ابن سعيد

وقال مؤمّل بن سعيد فى هذا المعنى :

إنمـا أزرَى بقدرى أننى ٭ لستُ من نابه أهـل البلدِ

ليس منهم غير ذى مَقْلِيَة ٭ لذوى الألباب أو ذى حسد

٥ يتحاموْن لقائى مثلَ ما ٭ يتحاموْن لقاء الأسد

طلعتى أثقـل فى أعينهم ٭ وعلى أنفسهم من أُحد

لو رأونى وَسْط بحرٍ لم يكن ٭ أحدٌ يأخُـذُ منهم بيدى

باب فى الكبر [١]

النبى صلى الله عليه وسلم

قال النبي صلى الله عليه وسلم : يقول الله تبارك وتعالى : العظمة إزارى ، والكبرياء

١٠ ردائى ، فمن نازعنى واحداً منهما قصمته وأهنته .

وقال عليه السلام : لا يدخل حضرة القدس متكبر .

وقال : فضل الإزار فى النار . معناه : من سحب ذيله فى الخيلاء قاده ذلك إلى النار .

ابن الأهتم وهو يخطر فى المسجد

ونظر الحسن إلى عبد الله بن الأهتم يخطِر فى المسجد ، فقال : انظروا إلى هذا ؛ ليس منه عضوٌ إلا ولله عليه نعمة وللشيطان فيه لعنة .

لابن أبى وقاص يوصى أبنه

١٥ وقال سعد بن أبى وقّاص لابنه : يا بُنَىّ ، إياك والكِبْر ، ولْيكنْ فيما تستعين به على تركه عِلمُك بالذى منه كنت ، والذى إليه تَصير . وكيف الكِبْر مع النُّطفة التى منها خُلقْتَ ، والرَّحم التى منها قُذِفْت ، والغِذاء الذى به غُذِيت .

لابن حيان

وقال يحي بن حيّان : الشريفُ إذا تقوّى تواضع ، والوضيع إذا تقوّى تكبّر .

لبعض الحكماء

وقال بعض الحكماء : كيف يَستقر الكِبر فيمن خُلق من تراب ، وطُوى على

٢٠ القَذَر ، وجرَى مجْرى البول !

للحسن

وقال الحسن : عجباً لابن آدم ، كيف يتكبّر وفيه تِسْعُ سُموم كلها يُقْذَر [٢]

(١) عنوان هذا الباب فى بعض الأصول : « من قاده الكبر إلى النار »

(٢) فى بعض الأصول : « يؤذى » .

وذكر الحسنُ المتكبرين فقال: يُلْوِى أحدهم يَنُص رقبته نصا، ينفُض مِذْرَوَيْه، ويضرب أَصْدَرَيْه، يَمْلَخ فى الباطن مَلْخا، يقول: ها أنا ذا فاعرفونى! قد عَرفناك يا أحمق! مقَتك اللهُ ومقتك الصالحون.

ابن حصن بباب عمر

ووقف عُيينة بن حِصْن بباب عمر بن الخطَّاب رضى الله عنه، فقال: استأذنوا لى على أمير المؤمنين وقولوا: هذا ابنُ الأخيار بالباب. فأذِن له؛ فلما دخل عليه قال له: ٥ أنتَ ابنُ الأخيار؟ قال: نعم. قال له: بل أنت ابن الأشرار، وأما ابن الأخيار فهو يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم.

لابن ظبيان

وقيل لعُبيد الله بن ظبيان: كثَّر اللهُ فى العشيرة أمثالك. فقال: لقد سألتم اللهَ شططا.

رجل من بنى عبد الدار

١٠ وقيل لرجل من عبد الدَّار عظيم الكِبْر: ألا تأتى الخليفة. قال: أخشى ألّا يحمل الجِسْرُ شرَفى.

وقيل له: ألا تَلْبَس؟ فإنّ البرد شديد. قال: حَسَبى يُدْفِئُنى.

للحجاج فى أربعة

قيل للحجاج: كيف وجدتَ منزلَك بالعراق أيها الأمير؟ قال: خيرَ منزل، لو أدركتُ بها أربعةَ نفرٍ لتقربت إلى الله سبحانه وتعالى بدمائهم. قيل له: ومَن هم؟ ١٥ قال: مُقاتل بن مِسمع، ولى سجستان فأتاه الناس فأعطاهم الأموال، فلما قَدِم البصرةَ بسط له الناسُ أرديتَهم فمشى عليها. فقال: لمثل هذا فليعمل العاملون. وعُبيد الله بن ظَبيان، خطب خطبة أوْجَز فيها، فناداه الناسُ من أعراض المسجد: كثَّر اللهُ فينا أمثالك. قال: لقد كلَّفتم ربَّكم شططا. ومَعبد بن زُرارة، كان ذات يوم جالساً على طريق؛ فمرّت به امرأةٌ فقالت: يا عبد الله، أين الطريق لمكان كذا؟ فقال: لمثلى يقالُ ٢٠ يا عبد الله؟ ويلك!. وأبو السَّمَّاك الحنفى، أضلَّ ناقتَه فقال: والله لئن لم يَرُدُد علىَّ ناقتى، لا صلَّيتُ أبدا.

وقال ناقل الحديث: ونسِىَ الحجاجُ نفسه وهو خامس هؤلاء الأربعة، بل هو أشدُّهم كِبرا، وأعظمهم إلحادا، حين كتب إلى عبد الملك فى عطسة عطسها فشمَّته أصحابُه وردّ عليهم: بلغنى ما كان من عطاس أمير المؤمنين وتشميت أصحابه له وردِّه عليهم،

فيا ليتني كنت معهم فأفوز فوزاً عظيما .

وكتابه إليه : إنّ خليفة الرجل فى أهله أكرم عليه من رسوله إليهم ، وكذلك الخلفاء يا أمير المؤمنين أعلى منزلةً من المرسلين .

العتبى ومحرز الباهلى

العتبى قال : رأيت مُحرزاً مولى باهلة يطوف على بغلة بين الصفا والمروة ، ثم رأيته بعد ذلك على جسر بغداد راجلا ، فقلت له : أراجلٌ أنت فى مثل هذا الموضع ؟ قال : نعم ، إنى ركبت فى موضع يمشى الناس فيه ، فكان حقيقاً على الله أن يُرْجِلَنى فى موضع يركب الناس فيه .

وصية بعض الحكماء لولده

وقال بعض الحكماء لابنه : يا بنى ، عليك بالترحيب والبشر ، وإياك والتقطيب والكبر ؛ فإن الأحرار أحب إليهم أن يُلْقَوْا بما يحبون ويحرَموا من أن يُلقوْا بما يكرهون ويُعطوْا ؛ فانظر إلى خصلة غطت على مثل اللؤم فالزمها ، وانظر إلى خصلة عفّت على مثل الكرم فاجتنبها . ألم تسمع إلى قول حاتم الطائى :

أُضاحك ضيفى قبل إنزال رحله * ويُخصب عندى والمحل جديب

وما الخصب للأضياف أن يكثر القِرى * ولكنّما وجه الكريم خصيب

لمحمود الوراق فى ذم التيه والبخل

وقال محمود الوراق :

التِّيه مَفْسدة للدين منقصة * للعقل مجلبة للذم والسَّخَط

مَنْعُ العطاء وبَسْطُ الوجه أحسنُ من * بذل العطاء بوجه غير منبسط

وقال أيضا :

بشْرُ البخيل يكاد يُصلح بخله * والتِّيه مفْسدة لكل جواد

ونقيصة تبقى على أيامه * ومَسَبَّة فى الأهل والأولاد

لبعض الشعراء

وقال آخر فى الكبر :

مع الأرض يا ابن الأرض فى الطيران * أتأمل أن ترقى إلى الدَّبَران

فوالله ما أبصرتُ يوما محلّقا * ولو حلّ بين الجَدْى والسرطان

حَماهُ مكانُ البُعد من أن تناله * بسهم من البلوى يدُ الحَدَثان

التسامح مع النعمة والتذلل مع المصيبة

لبعضهم قالوا : من عزَّ بإقبال الدهر ذل بإدباره .

وقالوا : من أبطره الغنى أذلَّه الفقر .

وقالوا : مَن ولِيَ ولاية يرى نفسَه أكبرَ منها لم يتغيَّر لها ، ومن ولىَ ولايةً يرى ولايتَه أكبر من نفسِه تغيَّر لها . ٥

ليحيى بن حيان وقال يحيى بن حيَّان : الشريف إذا تقوَّى تواضع والوضيعُ إذا تقوَّى تكبر

لكسرى وقال كسرى : احذروا صولةَ الكريم إذا جاع ، واللئيمِ إذا شبع .

من ابن الجهم إلى ابن الزيات وكتب على بن الجهم إلى ابن الزيات :

أبا جعفر عَرِّجْ على خُلطائكا * وأقصِرْ قليلا من مَدَى غُلَوائكا

فإن كنتَ قد أُوتيتَ فى اليومِ رِفْعَة * فإنَّ رجائِى فى غدٍ كرَجائكا ١٠

لابن زرارة الكلابى وقال عبد العزيز بن زُرارة الكلابىّ :

لقد عجبتْ منه اللَّيـالى لأنه * صَبورٌ على عَضْلاء تلك البلابلِ

إذا نالَ لم يفرحْ وليس لِنَكْبَةٍ * ألَمَّت به بالخاشع المُتَضائلِ

للحسن بن هانئ وقال الحسن بن هانئ :

ولقد حزِنتُ فلم أمُتْ حزَنًا[1] * ولقد فرِحتُ فلم أمُت فرحا ١٥

وكتب عَقيل بن أبى طالب إلى أخيه علىّ بن أبى طالب عليه السلام يسأله عن حاله ، فكتب إليه علىّ رضى الله عنه :

فإن تسألِنِّى كيف أنتَ فإنَّنى * جَليدٌ على عضِّ الزَّمانِ صَليبُ

عزيزٌ علىَّ أن تَرَى بِى كآبةٌ * فيفرحَ واشٍ أو يُساء حبيبُ

(١) فى بعض الأصول : ترحا .

باب فى التواضع

لنبى صلى الله عليه وسلم

قال النبىّ صلى الله عليه وسلم : من تواضع لله رفعه الله .

قالت الحكماء : كلُّ نعمة يُحسَد عليها إلا التواضع .

وقال عبد الملك بن مروان ، رفعه إلى النبى صلى الله عليه وسلم : أفضلُ الرجال
٥ مَن تواضع عن رفعة ، وزَهِد عن قُدرة ، وأنصف عن قوّة .

لابن السماك

وقال ابن السماك لعيسى بن موسى : تواضُعُك فى شرفك أكبر من شرفك .

من تواضع النجاشى

وأصبح النّجاشى يوماً جالسا على الأرض والتاج عليه ، فأعظمتْ بطارقتُهُ ذلك وسألوه عن السبب الذى أوجبه ؛ فقال : وجدتُ فيما أنزل اللهُ على المسيح: إذا أنعمتُ على عبدى نعمةً فتواضع أتممتها عليه . وإنه وُلد لى هذه الليلة غلامٌ
١٠ فتواضعتُ شكرا لله .

عمر وامرأة من قريش

خرج عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، ويده على المُعَلَّى بن الجارود العبدى ، فلقيته آمرأةٌ من قريش فقالت له : يا عمر ، فوقف لها . فقالت : كنا نعرفك مدّةً عُمَيْرا ، ثم صرت من بعد عُمَيْرٍ عُمَرَ ، ثم صرتَ من بعدِ عمر أميرَ المؤمنين . فاتق الله يا بن الخطاب وانظر فى أمور الناس ، فإنه من خاف الوعيدَ قرب عليه
١٥ البعيد ، ومن خاف الموت خَشِى الفوْت . فقال المعلى : إيهاً يا أمة الله ! لقد أبكيتِ أمير المؤمنين . فقال له عمر : اسكت . أتدرى من هذه ويحك ؟ هذه خَوْلة بنت حكيم التى سمع الله قولها من سمائه ، فعُمَر أحْرَى أن يسمع قولها ويقتدىَ به .

لأبى عباد

وقال أبو عبّاد : ما جلس إلىَّ رجل قط إلا خُيِّل إلىّ أنى سأجلس إليه .

للحسن

٢٠ وسئل الحسن عن التواضع فقال : هو أن تخرج من بيتك فلا تلْقَى أحداً إلا رأيت له الفضلَ عليك .

بين بكر بن عبد الله ورجل سأله أن يعلمه التواضع

وقال رجل لبكر بن عبد الله : علّمنى التواضع . فقال : إذا رأيت من هو أكبرَ منك فقل : سبقنى إلى الإسلام والعمل الصالح ، فهو خير منى ؛ وإن رأيت أصغر منك فقل : سبقتُه إلى الذنوب والعمل السيئ ، فأنا شرٌّ منه .

لأبى العتاهية — وقال أبو العتاهية :

يا مَنْ تشَرَّف بالدُّنيا وزينَتِها ＊ ليس التَّشَرُّفُ رفْعَ الطّين بالطِّين

إذا أردْتَ شريفَ النَّاسِ كلّهمُ ＊ فانظُرْ إلى مَلِكٍ فى زىِّ مِسكين

ذاك الذى عظُمت فى الناس همته ＊ وذاك يصلح للدنيا وللدين

٥

الرفق والأناة

للنبى صلى الله عليه وسلم — قال النبي صلى الله عليه وسلم : من أُوتىَ حظَّه من الرفق فقد أُوتى حظَّه من خير الدنيا والآخرة .

للحكماء — وقالت الحكماء : يُدرَك بالرفق ما لا يُدرَك بالعُنف ، ألا ترى أن الماء على لينه يقطع الحجر على شِدَّته .

١٠

شعر أشجع إلى جعفر — وقال أشجع بن عمرو السلمى لجعفر بن يحيى بن خالد :

ما كان يُدرَك بالرجال ولا ＊ بالمال ما أدركت بالرفق

للنابغة — وقال النابغة :

الرِّفقُ يُمنٌ والأناةُ سعادَةٌ ＊ فاسْتأْنِ فى رِفقٍ تُلاقِ نَجاحا

وقالوا : العجَل بريد الزَّلل .

أخذ القطامى التغلبىّ هذا المعنى فقال :

٥

قد يُدْرِكُ المُتَأَنّى بعْض حاجَتِه ＊ وقد يكُونُ مع المُسْتعجِلِ الزَّللُ

لعدى بن زيد — وقال عدىّ بن زيد :

قد يُدْرِكُ المُبْطِئُ من حظّه ＊ والخيْرُ قدْ يسْبِقُ جُهْد الحرِيص

استراحة الرجل بمكنون سره إلى صديقه

للعرب — تقول العرب : أفضيتُ إليكَ بشقورى ، وأطلعتُك على عُجَرى وبُجَرِى ، ولو كان فى جسدى بَرَصٌ ما كتمتُه .

٢٠

وقال الله تبارك وتعالى : (لِكُلِّ نبإٍ مُسْتَقر).

الحكماء وقالت الحكماء : لكل سِرٍّ مُستودَع .

وقالوا : مُكاتَمةُ الأذنين صريحُ العُقوق .

لبعض الشعراء وقال الشاعر :

وأَبْثَثْتُ عَمْرًا بعض ما فى جَوانحِى ٭ وجرّعتُه من مُرِّ ما أتجرّعُ

٥ ولا بُدّ مِنْ شكوَى إلى ذى حَفِيظة ٭ إذا جعلتْ أسرارُ نفسٍ تطلّعُ

لحبيب وقال حبيب :

شكَوْتُ وما الشَّكوَى لِمثْلِىَ عادَة ٭ ولكِنْ تفيضُ النفسُ عِنْدَ امْتِلَائِها

لأبى الحسن البصرى وأنشد أبو الحسن محمد البصرىّ [(١)] :

لَعِبَ الهوى بِمَعالِمِى ورُسومِى ٭ ودُفِنتُ حيًّا تحتَ رَدْمِ هُمومِى

١٠ وشكوت همى حين ضِقْتُ ومَن شَكا ٭ همًّا يَضيقُ به فغَيْرُ مَلومِ

وقال آخر :

إذا لم أُطِقْ صبراً رجعتُ إلى الشكوى ٭ وناديْتُ تحت الليلِ يأساً مع النجوَى

وأمطرتُ صَحْنَ الخدّ غيثاً من البُكا ٭ على كَبِدٍ حَرَّى ابْرَوَى فما تَرْوَى

الاستدلال باللحظ على الضمير

١٥ قالت الحكماء : العين باب القلب ؛ فما كان فى القلب ظهر فى العين .

لعثمان بن إبراهيم أبو حاتم عن الأصمعى عن يونس بن مصعب عن عثمان بن إبراهيم ابن محمد ، قال :

إنى لأعرف فى العين إذا عرَفتْ ، وأعرف فيها إذا أنكرتْ ، وأعرف فيها إذا لم تَعرف ولم تُنكِر ؛ أما إذا عرَفتْ فتَخْواصّ ، وأما إذا أنكرتْ فتَجْحَظ

٢٠ وأما إذا لم تعرف ولم تنكر فتسجو .

(١) فى بعض الأصول : « المصرى » .

لصريع الغوانى — وقال صريع الغوانى :

جعلْنا علاماتِ المَودّةِ بينَنا * مصايدَ لَحْظٍ هُنّ أخفَى من السِّحْرِ
فأعرفُ فيها الوصلَ فى لِينِ طرفِها * وأعرِفُ فيها الهَجْرَ فى النَّظَرِ الشَّزْرِ

للوراق — وقال محمود الوراق :

إنّ العيونَ على القلوبِ شواهِدٌ * فبَغيضُها لك بَيِّنٌ وحَبيبُها ٥
وإذا تَلاحظتِ العيونُ تفاوضتْ * وتحدّثت عما تُجِنّ قُلوبُها
يَنطِقْن والأفواه صامتةٌ فما * يَخفَى عليكَ بَريئُها ومُريبُها

لابن أبى حازم — وقال ابن أبى حازم :

خُذْ من العيشِ ما كَفَى * ومن الدهرِ ما صَفا
عيْنُ مَن لا يُحِبُّ وَصْلَكَ تُبْدى لكَ الجَفا ١٠

لابن عبد ربه — ومن قولنا فى هذا المعنى :

صادقٌ[1] فى الحبِّ مكذوبُ * دَمْعُه للشوقِ مسكوبُ
كلُّ ما تطوِى جوانحُه * فهْو فى العينينِ مكتوبُ

للحسن بن هانئ — وقال الحسن بن هانئ :

وإنى لِطيْرِ[2] العينِ بالعينِ زاجِرٌ * فقد كِدْتُ لا يَخفَى علىّ ضميرُ ١٥

الاستدلال بالضمير على الضمير

لحكيم — كتب حكيم إلى حكيم : إذا أردتَ معرفةَ مالَكَ عندى فضع يدَك على صدرك ، فكما تجدُنى كذلك أجدُك .

لبعضهم — وقالوا : إياكم ومن تُبغضه قلوبُكم ، فإن القلوب تُجازى القلوب .

لذى الإصبع — وقال ذو الإصبع : ٢٠

لا أسألُ الناسَ عما فى ضمائرِهم * مافى ضميرى لهم مِن ذاكَ يكفينى

---

(١) فى بعض الأصول : « صاحب » .
(٢) فى بعض الأصول : « لطرف » .

قال محمود الوراق :

لا تسألَنَّ المرءَ عما عنـــدَه ۞ واسْتمْلِ مافى قلبِه من قلبِكا

إن كان بُغضاً كان عندك مثلُهُ ۞ أو كان حُبًّا فاز منك بحبِّكا

الإصابة بالظن

قيـل لعمرو بن العاص : ما العقل ؟ قال : الإصابةُ بالظنّ ، ومعرفةُ ما يكون بمـا قد كان . لابن

وقال عمر بن الخطاب : من لم ينفعه ظنه لم ينفعه يقينه . لابن ا

وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه : لله درّ ابن عباس ، إن كان لينظر إلى الغيب من سِتْرٍ رقيق . لم

وقال الشاعر : لبعض ال

وقلَّما يَفْجأُ المكرُوهُ صاحبه ۞ حتى يَرى لوجوهِ الشَّرِّ أسبابا

وإنما ركّب الله العقل فى الإنسـان دون سـائر الحيوان ليستدلّ بالظاهر على الباطن ويفهم الكثير بالقليل .

ومن قولنا فى هذا المعنى : لابن عبد

يا غافلا ما يَرى إلّا محاسنَه ۞ ولو درَى ما رأى إلّا مَساويه

أنظرْ إلى باطنِ الدُّنْيا فظاهِرُها ۞ كلُّ البهائم يَجرى طرْفُها فيه

تقديم القرابة وتفضيل المعارف

قال الشّيبانى : أولُ من آثر القرابةَ والأولياء عثمان بن عفان رضى الله عنه . للشيبانى ز

وقال : كان عمر يمنع أقاربه ابتغاء وجه الله . ولا يُرى أفضل من عمر .

وقال لمـا آوى طريدَ النبى صلى الله عليه وسلم : مانقم الناس على أن وصَل رَحِماً وقرّب عمًّا .

وقيل لمعاوية بن أبى سفيان : إن آذِنَك يُقدِّم معارفه وأصدقاءه فى الإذن

على أشراف الناس ووجوههم . فقال ويلكم ، إن المعرفة لتنفع فى الكلب العقور والجمل الصّئول ؛ فكيف فى رجلٍ حَسيب ذى كرم ودين .

زياد ورجل يدل بمكانة منه

وقال رجل لزياد : أصلح الله الأمير ، إن هذا يُدِلّ بمكانة يدّعيها منك . قال : نعم ، وأخبرُك ما ينفعه من ذلك ، إن كان الحقُّ له عليك أخذتك به أخذاً شديداً ، وإن كان عليه قضيتُه عنه . ٥

لبعض الشعراء

وقال الشاعر :

أقول لجارى إذ أتانى مُخاصِما * يُدِلُّ بحقٍ أو يُدِلُّ بباطِلِ

إذا لم يَصِل خيْرى وأنت مُجاوِرى * إليك فما شَرّى إليك بواصِلِ

لعبدالله القسرى حين ولى قضاء البصرة

العتبى قال : ولِيَ عبد الله بن خالد بن عبد الله القسرى قضاء البصرة ، فكان يحابى أهلَ مودّته ، فقيل له : أىّ رجلٍ أنت لولا أنك تُحابى . قال : وما خير الصديق إذا لم يقطع لصديقه قطعة من دينه . ١٠

ابن شبرمة فى قضاء البصرة

وولى ابن شُبْرُمة قضاء البصرة وهو كاره ، فأحسن السيرة ، فلما عُزل اجتمع إليه أهل خاصته ومودته ، فقال لهم : والله لقد وَليت هذه الولايةَ وأنا كاره ، وعُزلت عنها وأنا كاره ، وما بى فى ذلك إلا مخافةُ أن يلىَ هذه الوجوه مَن لا يعرف حقها . ثم تمثّل بقول الشاعر : ١٥

فما السّجنُ أبكانِى ولا القيْدُ شَفَّنى * ولا أنّنى مِن خشْيةِ الموْتِ أجزَعُ

بلى إنّ أقواماً أخافُ عليهم * إذا مِتُّ أن يُعطوا الّذى كنتُ أمنعُ

للعامة

وتقول العامة : محبة السلطان أردُّ عليك من شهودك .

وقال الشاعر :

إذا كان الأمير عليك خَصْما * فليس بقابلٍ منك الشُّهودا ٢٠

لزياد

وقال زياد : أُحِبُّ الوِلايةَ لثلاث ، وأكرهها لثلاث : أُحبُّها لنفع الأولياء ، وضرّ الأعداء ، واسترخاص الأشياء . وأكرهها لروعة البريد ، وخوف العزل[1] ، وشماتة العدو .

---

(١) فى بعض النسخ : « وموت العزل » .

الحكماء ويقول الحكماء : أحقُّ من شاركك فى النعمة شركاؤك فى المصيبة .

أخذه الشاعر فقال :

وإنّ أولى الموالى أنْ تواسيَه ۞ عند السُّرور لمنْ واساك فى الحَزَن

إنّ الكِرام إذا ما أسْهلوا ذَكروا ۞ من كان يألفُهم فى المنزل الخشِن

٥ لحبيب وقال حبيب :

قَبَح الإلهُ عداوةً لا تُتّقى ۞ ومودّةً يُدْلَى بها لا تنفَعُ

فضل العشيرة

لعلى قال على بن أبى طالب رضى الله عنه : عشيرة الرُّجل خيرٌ للرجل من الرجل للعشيرة ، إنْ كَفّ عنهم يدا واحدة كَفّوا عنه أيدياً كثيرة ، مع مودتهم وحِفاظهم ١٠ ونصرتهم ، إن الرجل ليغضب للرجل لا يعرفه إلا بنسبه . وسأتلو عليكم فى ذلك آيات من كتاب الله تعالى ؛ قال الله عز وجل فيما حكاه عن لوط : ﴿ لو أنّ لى بكم قُوّةً أو آوِى إلى رُكْن شديد ﴾ يعنى العشيرة ، ولم يكن لِلُوط عشيرة ، فوالذى نفسى بيده ما بَعَث الله نبيا من بعده إلا فى ثروةٍ من قومه ، ومَنَعةٍ من عشيرته . ثم ذَكر شُعيبا إذ قال له قومه : ﴿ إنّا لنَراكَ فِينا ضَعِيفاً ولوْلا رَهْطُك ١٥ لَرَجَمْناكَ ﴾ وكان مكفوفا ، والله ماهابوا إلا عشيرته .

لبزرجمهر وقيل لبزرجمهر : ما تقول فى ابن العم ؟ قال : هو عدُوُّك وعدُوّ عدوِّك .

الدَّين

للنبى صلى الله عليه وسلم من حديث عائشة عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : الدَّيْنُ يَنقص ذا الحسَب .

٢٠ لعمر وقال عمر ألا إن الأسيفعَ[1] أسيفعَ جهينة رضى من دِينه وأمانته أن يقال سبق الحاج . ألا وإنه قد آدان معرضا ، وأصبح قد رِين به ، فمن كان له عنده

(١) الأسيفع : رجل من جهينة كان يشترى الرواحل فيغالى بها ثم يسرع فيسبق الحاج فأفلس ، فرفع أمره إلى عمر .

شىء فليأتنا بالغداة نقسم ماله بين غرمائه ، ثم إياكم والدَّيْن ، فإن أوله هَمٌّ وآخرَه حُزن .

لمولى قضاعة — وقال مولى قُضاعة :

فلو كنتَ مَوْلى قيْس عَيْلانَ لم تجد ✽ علىَّ لإنسانٍ من الناس درهما
ولكننى مَوْلى قضاعة كلِّها ✽ فلستُ أُبالى أن أدِين وتَغْرَما ٥

لبعض الشعراء — وقال آخر :

إذا ما قضَيْت الديْن بالديْن لم يكن ✽ قضاءً ولكن كان غُرْماً على غُرْمِ

لسفيان — وقال سفيان الثورى : الدَّيْنُ هَمٌّ بالليل وذُلٌّ بالنهار ، فإذا أراد الله أن يُذل عبدا جعله قلادةً فى عُنقه .

لابن الخطاب — ورأى عمر بن الخطاب رضى الله عنه رجلا متقنّعا ، فقال له : كان لقمان ١٠ الحكيم يقول : القناع رِيبة بالليل ذلٌّ بالنهار . فقال الرجل لقمان الحكيم لم يكن عليه دين .

للمقنع الكندى — وقال المقنّع الكندى :

يُعاتِبُنى فى الدَّيْن[1] قوْمى وإنما ✽ تدايَنْت فى أشياء تُكسِبُهُم حَمْدا
إذا أكلوا لحمى وفَرْتُ لحومَهُم ✽ وإن هَدَموا مجدى بَنَيْتُ لهم مَجدا ١٥

مجانبه الخلف والكذب

للنبى صلى الله عليه وسلم — قال النبى صلى الله عليه وسلم : الكذبُ مُجانِبُ الإيمان .

وقالت الحكماء : ليس لكذّاب مروءة .

وقالوا : من عُرِف بالكذب لم يجُزْ صِدْقه .

وقال النبى صلى الله عليه وسلم : لا يجوز الكذب فى جدٍ ولا هزل . ٢٠

وقال : لا يكون المؤمن كذابا .

وقال عبد الله بن عمر : خُلف الوعد ثلثُ النفاق .

(١) فى بعض الأصول « يعيبونى فى الدين قومى » .

لحبيب فى عياش

وقال حبيب الطائى فى عياش :

يا أكثرَ الناس وعداً حَشْوُهُ خُلْفٌ * وأكثرَ الناس قولاً حَشْوُهُ كَذِبُ

لابن عبد ربه

ومن قولنا فى هذا المعنى :

صحيفةٌ أُفنِيَت ليتٌ بهـــا وعَسَى * عُنوانها راحةُ الرَّاجى إذا يَئسا

وعْدٌ له هاجِسٌ فى القلبِ قد بَرِمَت * أحشاءُ صَدْرى به من طولِ ما احْتَبَسا ٥

مَواعِـــدٌ غَرَّنِى منها وميضُ سَناً * حتى مَدَدْتُ إليها الكَفَّ مُقتبِسا

فصادمتْ حجراً لو كنتَ تضرِبُهُ * من لؤمِهِ بعَصا موسى لما انْبَجَسا

كأنما صِيغَ من بُخْلٍ ومن كذبٍ * فكان ذاك له رُوحاً وذا نفَسا

التنزه عن استماع الخنا والقول به

١٠ اعلم أنّ السامع شريك القائل فى الشر ؛ قال الله : ﴿ سمّاعون للكذب ﴾ .

عمرو بن عتبة والقصير فى رجل يشتم رجلا

وقال العتبى : حدّثنى أبى عن سعد القصير [1] قال : نظر إلىّ عمرو بن عتبة ورجل يشتم رجلا بين يدى ؛ فقال لى : ويلك ! ـ وما قال لى « ويلك » قبلها ـ نَزِّهْ سَمْعَكَ عن استماع الخنا كما تُنَزِّهُ لسانك عن الكلام به ؛ فإن السامع شريك القائل ، وإنه عمد إلى شرّ ما فى وعائه فأفرعه فى وعائك ؛ ولو رُدّت كلمة جاهلٍ ١٥ فى فيه لَسَعِدَ رادُّها كما شقِىَ قائلُها .

باب فى الغلوّ فى الدين

لابن ذر فى رجل مذنب

تُوُفِّى رجل فى عهد عمر بن ذَرّ ممن أسرف على نفسه فى الذنوب ، وجاوز فى الطُّغيان ، فتجافى [2] الناس عن جِنازته ، فحضرها عمر بن ذرّ وصلَّى عليه ، فلما أُدْلِى فى قبره قال : يرحمك الله أبا فلان ، صحبتَ عُمرك بالتوحيد ، وعَفرت ٢٠ وجهك لله بالسجود ، فإن قالوا مذنب وذو خطايا ، فمن مِنا غيرُ مذنب وذى خطايا .

(١) فى الكامل : « القصر » . وفى بعض الأصول ونهاية الأرب : سعيد القصرى

(٢) فى بعض الأصول : فتحامى .

للنبي صلى الله عليه وسلم

ومن حديث أبى هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إنّ الله أمر المؤمنين بمــا أمر به المرسَلين ، فقال : ﴿ يا أيُّها الرُّسُلُ كلوا من الطيباتِ واعملوا صالحاً ﴾ وقال : ﴿ يا أيُّها الذين آمنوا كلوا من طيباتِ مارزقناكم ﴾ ثم ذكَرَ الرجل يُرى أشعثَ أغبرَ يمُد يديه إلى السماء يقول : يارب يارب ، ومطعمُه حرام ومشربُه حرام وملبسه حرام ؛ فأنى يُستجابُ له ؟ ٥

قال النبي صلى الله عليــه وسلم : إنّ الله بعثنى بالحنيفية السمحة ولم يبعثنى بالرَّهبانية المبتدَعة ، سُنّتى الصلاة والنوم ، والإفطار والصوم ؛ فمن رَغِب عن سُنّتى فليس منى .

وقال صلى الله عليه وسلم : إنّ هذا الدِينَ متينٌ فأوْغِلْ فيه برفق ؛ فإنّ المُنبتَّ لا أرضاً قطَعَ ولا ظهراً أبْقى . ١٠

لعلى

وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه : خير هذه الأمة هنا النَّمَط الأوسط ، يَرْجع إليهم الغالى ويلحقُ بهم التالى .

لمطرف ينصح ابنه

وقال مُطرِّف بن عبد الله بن الشِّخِّير لابنه ، وكان قد تعبّد : يا بُنىَّ ، إنّ الحسنة بين السيئتين ـ يعنى الدين : بين الإفراط والتقصير ـ وخيرُ الأمور أوسطها ، وشر السَّيْر الحَقْحَقة . ١٥

لسلمان الفارسى

وقال سلمان الفارسى : القصد والدّوام ، وأنت الجوادُ السابق .

وقالوا : عامِلُ البِرِّ كآكِلِ الطعام : إن أكل منه قوتاً عَصَمَه ، وإن أسرف منه أبْشَمَه .

عن عيسى عليه السلام

وفى بعض الحديث : أنّ عيسى ابن مريم عليه السلام لقى رجلا ، فقال له : ما تصنع ؟ قال : أتعبّـد . قال : فمن يعود عليـك ؟ قال : أخى . قال : هو أعبدُ منك . ٢٠

ونظير هـذا أنّ رُفْقةً من الأشعريِّين كانوا فى سَـفر ، فلما قدموا قالوا : ما رأينا يارسول الله بَعدَكَ أفضل من فلان ؛ كان يصوم النهار ، فإذا نزلنا قام

من الليل حتى نرتحل . قال : فمن كان يَهَنُ له ويَكفُله ؟ قالوا : كلنا . قال : كلكم أفضلُ منه .

الزهرى

وقيل للزهرى : ما الزهد فى الدنيا ؟ قال : إنه ماهو بتشعيث اللِّمّة ، ولا قَشَفِ الهيئة ، ولكنه ظَلَفُ النفس عن الشهوة .

محمد بن الحنفية

٥ علىّ بن عاصم عن أبى إسحاق عن الشيبانى قال : رأيت محمد بن الحنفية واقفاً بعرفات على بِرْذَوْن وعليه مُطْرَفُ خَزٍّ أصفر .

ابن عباس

السُّدِّىّ عن ابن جُريج عن عثمان بن أبى سليمان أنّ ابن عباس كان يرتدى رداء بألف .

رسول الله صلى الله عليه وسلم

إسماعيل بن عبد الله بن جعفر عن أبيه قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه ١٠ وسلم عليه ثوبان مصبوغان بالزعفران : رداءٌ وعمامة .

أيوب السختيانى

وقال معمر : رأيت قميص أيوب السختيانى يكاد يَمسُّ الأرض ، فسألته عن ذلك ، فقال : إن الشُّهرة كانت فيما مضى فى تذييل القميص وإنها اليوم فى تشميره .

برنس ابن سيرين

أبو حاتم عن الأصمعى : أن ابن عون اشترى بُرْنُسًا ، فمرّ على مُعاذة ١٥ العدَوِيّة ، فقالت : مِثْلُكَ يلبَس هذا ؟ فذكرتُ ذلك لابن سيرين ، فقال : أفلا أخبرتَها أن تميما الدَّارِىّ اشترى حُلّةً بألف يُصلّى فيها !

حماد وفرقد

قدم حمّاد بن سلمة البصرة ، فجاءه فرْقَدٌ السَّبَخِىُّ وعليه ثيابُ صوف ، فقال له حماد : دعْ عنكَ نصرانيّتَكَ هذه ! فقال له : لقد رأيتُنا ننظر إبراهيمَ فيخرج إلينا وعليه مُعَصْفَرة ، ونحن نرى أن المَيْتَة قد حلّت له .

قتيبة بن مسلم وابن واسع

٢٠ أبو الحسن المدائنى قال : دخل محمد بن واسع على قُتيبة بن مسلم والى خُراسان فى مِدْرعَةِ صوف ، فقال له : ما يَدْعُوك إلى لباس هذه ؟ فسكت ؛ فقال له قتيبة: أكلِّمك فلا تُجيبنى ؟ قال : أكرهُ أن أقول زُهْداً فأزكِّىَ نفسى ، أو أقول فقراً فأشكو ربى ؛ فما جوابك إلا السكوت .

لابن السماك

قال ابن السماك لأصحاب الصوف : والله لئن كان لباسكم وفْقاً لسرائركم لقد

أحببتم أن يطّلع الناس عليها ، وإن كان مخالفا لقد هلكتم .

القاسم وسالم

وكان القاسم بن محمد يلبس الخزّ وسالمُ بن عبد الله يلبس الصوف ويقعدان فى مسجد المدينة ؛ فلا يُنكر هذا على هذا ولا ذا على هذا .

ابن المنكدر

ودخل رجل على محمد بن المُنكدر فوجده قاعدا على حشايا مُضاعفة وجارية تغلّفه بالغالية ؛ فقال : رحمك الله ! جئت أسألك عن شىء وجدتك فيه - يريد التّزيّن - قال : على هذا أدركتُ الناس . ٥

الأعمش وإمام

وصلى الأعمش فى مسجد قوم فأطال بهم الإمام ، فلما فرغ قال له : يا هذا ، لا تُطِل صلاتك ؛ فإنه يكون خلفك ذو الحاجة والكبير والضعيف . قال الإمام : وإنها لكبيرةٌ إلا على الخاشعين . فقال له الأعمش : أنا رسولُ الخاشعين إليك ، إنهم لا يحتاجون إلى هذا منك . ١٠

الربيع بن زياد وعلى فى عاصم

العتبى قال : أصابت الربيع بن زياد نُشّابة فى جبينه ، فكانت تنتقض عليه كل عام . فأتاه علىّ بن أبى طالب عائدا ، فقال : كيف تجدُك يا أبا عبد الرحمن ؟ قال : أجدنى لو كان لا يَذْهَبُ ما بى إلا بذهاب بصرى لتمنيت ذهابه . قال : وما قيمة بصرك عندك ؟ قال : لو كانت لى الدنيا فديتُه بها . قال : لا جَرَم ، يُعطيك الله على قدر الدنيا ، لو كانت لكَ لأنفقتَها فى سبيل الله . إن الله يُعطى على قدر الألم والمصيبة ، وعنده بعدُ تضعيفٌ كثير . ١٥

قال له الربيع : يا أمير المؤمنين ، إنى لأشكو إليك عاصم بن زياد . قال : وماله ؟ قال : لبس العَباء ، وترك المُلاء ، وغمّ أهلَه ، وأحزن ولدَه . قال : علىّ عاصما . فلما أتاه ، عبَس فى وجهه ، وقال : ويلك يا عاصم ! أترى الله أباح لك اللذاتِ وهو يكره منك أخذك منها ؟ أنت أهونُ على الله من ذلك . أو ما سَمِعتهُ يقول : ﴿ مَرَجَ البَحْرَيْنِ يلتقِيانِ . بيْنَهُما بَرْزَخٌ لا يبغِيانِ ﴾ حتى قال : ﴿ يَخْرُجُ مِنْهُما اللُّؤْلُؤُ والمَرْجانُ ﴾ . وتالله لابْتِذالُ نعم الله بالفِعال أحبُّ إلىّ من ابتذالها بالمقال ، وقد سمعتُه يقول : ﴿ وأمَّا بِنِعْمَةِ ربِّك فَحدِّثْ ﴾ وقولَه : ﴿ قلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ التى أخْرَجَ لِعبادِهِ والطَّيِّباتِ مِنَ الرِّزْقِ ﴾ . ٢٠

قال عاصم : فعـــلامَ اقتصرتَ أنت يا أمير المؤمنين على لُبْس الخشِن وأكْلِ الحشف ؟

قال : إن الله افترض على أئمة العـدل أن يقدروا أنفسهم بالعوام ، لئلا يَشْنَعَ بالفقير فقره .

٥ قال : فما خرج حتى لبس المُلاء وترك العَباء .

النبي صلى الله عليه وسلم وعبد الله ابن عمرو وقد شكته زوجه

محمد بن حاطب الجُمحى قال : حدثنى من سمع عمرو بن شعيب ، وكنتُ سمعتُه أنا وأبى جميعا ، قال : حدثنى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن عبد الله بن مسعود ، قال : أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم أم عبد الله بن عَمْرو ابن العاص ، وكانت امرأته تَلْطِفُ برسـول الله صلى الله عليه وسـلم ، فقال : ١٠ كيف أنتِ يا أم عبد الله ؟ قالت : كيف أكون وعبدُ الله بن عمرو رجلٌ قد تخلَّى من الدنيا ! قال لهـا . كيف ذاك ؟ قالت : حرَم النوم فلا ينام ، ولا يفطر ، ولا يطْعَمُ اللحم ، ولا يؤدِّى إلى أهله حقَّهم . قال : فأين هو ؟ قالت : خَرَج ويُوشك أن يَرْجع الساعة . قال : فإذا رجع فاحبسيه علىَّ . فخرج رسـول الله صلى الله عليه وسلم ، وجاء عبد الله وأوشك رسول الله صلى الله عليه وسـلم فى ١٥ الرَّجعة ، فقال يا عبد الله بن عمرو ، ما هـذا الذى بلغنى عنك أنك لا تنام . قال : وما ذاك يا رسول الله ؟ قال : بلغنى أنك لا تنام ولا تفطر . قال : أردتُ بذلك الأمنَ من الفزَع الأكبر . قال : وبلغنى أنك لا تطعم اللحم . قال : أردت بذلك ما هو خيرٌ منه فى الجنة ! قال : وبلغنى أنك لا تؤدِّى إلى أهلك حقَّهم . قال : أردتُ بذلك نساءً هُنّ خيرٌ منهن . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا عبدالله ٢٠ ابن عمرو ، إن لك فى رسـول الله أسوة حسنة : فرسول الله يصومُ ويُفطر ، ويأكل اللحم ، ويؤدِّى إلى أهـله حقوقهم . يا عبد الله بن عمرو ، إن لله عليك حقا ، وإن لبدنك عليك حقا ، وإن لأهلك عليك حقا . فقال : يا رسول الله ، ما تأمرنى أن أصوم ؟ خمسة أيام وأفطر يوماً ؟ قال : لا . قال : فأصوم أربعة وأفطر يوماً ؟ قال : لا . قال : فأصوم ثلاثة وأفطر يوما ؟ قال : لا . قال :

فيومين وأفطر يوما ؟ قال : لا . قال : فيوما ؟

قال : ذاك صيام أخى داود . يا عبد الله بن عمرو ؛ كيف بك إذا بقيت فى حُثالة من الناس قد مَرِجَتْ عهودُهم ومواثيقهم فكانوا هكذا ؟ وخالف بين أصابعه . قال : فما تأمرنى به يا رسول الله ؟ قال: تأخذ ما تعْرفُ وتَدَع ما تنكر، وتعمل بخاصة نفسك ، وتدع الناس وعوام أمرِهم . قال : ثم أخذ بيده وجعل يمشى به حتى وضع يده فى يد أبيه ، وقال له : أطِعْ أباك .

فلما كان يوم صِفّين قال له أبوه عمرو بن العاص : يا عبد الله ، اخرُجْ فقاتل . فقال : يا أبتاه ، أتأمرنى أن أخرج فأقاتل وقد سمعتُ من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما سمعتُ وعهِدَ إلىّ ما عهد ؟ قال : أنشدك الله ، ألم يكنْ آخر ما قال لك أن أخذ بيدك فوضعها فى يدى وقال : أطع أباك ؟ قال : اللهم بلى . قال : فإنى أعزم عليك فلتخرج فتقاتل ، قال : فخرج فقاتل متقلّدا بسيفين .

القول فى القَدَر

محمد بن المنكدر

أتى قوم من أهل القدر محمدَ بن المنكدر ، فقالوا له : أنت الذى تقول إن الله يعذّب الخلق على ما قدّرَ عليهم ؟ فصرف وجهه عنهم ولم يُجبهم ، فقالوا له : أصلحك الله ! إن كنتَ لا تُجيبنا فلا تُخلِنا من بركة دعائك ، فقال : اللهم لا تُردْنا بعقوبتك ، ولا تمكرْ بنا فى حيلتك ، ولا تؤاخذنا بتقصيرنا عن رضاك ، قليل أعمالنا تقبّل ، وعظيمَ خطايانا تَغْفِر ، أنت الله الذى لم يكن شىء قبلك ، ولا يكون شىء بعدك ، ولىّ الأشياء ، ترفع بالهدى من تشاء ، لا مَن أحسَنَ استَغْنى عن عَونك ، ولا مَن أساء غَلَبك ، ولا استبدّ شىء عن حكومتك وقدرتك ، لاملجأ إلا إليك ؛ فكيف لنا بالمغفرة وليست إلا فى يديك ؟ وكيف لنا بالرحمة وليست إلا عندك ؟ حفيظ لا يَنسى ، وقديمٌ لا يَبْلَى ، حىٌّ لا يموت ؛ بك عَرَفناك ، وبك اهتدينا إليك ، ولولا أنت لم نَدْرِ ما أنت ، سبحانك وتعاليت .

فقال القوم : قد والله أخبر وما قصّر .

الحسن البصرى

وقال : ذُكر القَدرُ فى مجلس الحسن البصرى ، فقال : إنّ الله خلق الخلق للابتلاء ، لم يُطيعوه بإكراه ، ولم يعصوه بغَلَبة ، لم يهملهم من الملك ، وهو القادر على ما أقدَرَهم عليه ، والمالكُ لما مَلَّكهم إياه ، فإن يأتمر العبادُ بطاعة الله لم يكن مثبِّطا لهم . بل يزيدهم هُدى إلى هداهم ، وتقوى إلى تقواهم ؛ وإن يأتمروا بمَعصية الله كان الله قادراً على صَرفهم إن شاء ، وإن خَلَّى [1] بينهم وبين المعصية فمن بعد إعذار وإنذار .

غيلان وربيعة

مروان بن موسى قال : حدثنا أبو ضَمْرة أنّ غَيلان قَدِم بكلمة قد صاغها حتى وقف على ربيعة ، فقال له : أنت الذى تزعُم أنّ الله أحبّ أن يُعصَى ؟ فقال له ربيعة : أنت الذى تزعم أن الله يُعصَى كَرْها ؟ فكأنما أَلْقَمَه حَجَرا .

طاووس وقتادة

قيل لطاووس : هذا قتادة يُحب أن يأتيك . فقال : إن جاء لأقومن . قيل له : إنه فقيه . قال : إبليس أفقه منه . قال : ﴿ رَبِّ بما أَغْوَيْتَنِى ﴾ .

للشعبى فى قتادة

وقيل للشعبى : رأيت قتادة ؟ قال : نعم . رأيت كُناسة بين حشَّيْن .

القَدَر هو العلم والكتاب والكلمة والإذْن والمشيئة .

لأعرابى فى القدر

قال الأصمعى : سألت أعرابيا فقلت له : ما فضل بنى فلان على بنى فلان ؟ قال : الكتاب ، يعنى القدَر .

وقال الله عز وجل : ﴿ إنّا كلَّ شىْءٍ خَلَقْناهُ بقَدَر ﴾ . وقال : ﴿ كلٌّ فى كِتابٍ مُبين ﴾ . وقال : ﴿ ولقدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنا لِعِبادِنا المُرْسَلين ﴾ . يعنى القدر ، وقال : ﴿ ولوْلا كلمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَبّك لكانَ لِزاما ﴾ .

للخشنى فى الأعشى ولبيد

قال الخُشنى أبو عبد الله محمد بن عبد السلام : شاعران من فحول الجاهلية ذهب أحدهما فى بيته مذهب العَدْليّة والآخر ذَهَب مذهب الجَبْريّة ، فالذى ذهب مذهب العدلية فأعشى بكر حيث يقول :

استأْثَرَ اللهُ بالوفاء وبالـــعَدْلِ ووَلَّى المَلامَةَ الرجُلا

(١) فى بعض الأصول : « حال » .

والذى ذهب مذهب الجَبرية فلبيد بن ربيعة حيث يقول :

إنَّ تقوى ربِّنا خيرُ نَفَلْ ٭ وبإذنِ الله رَيْثٌ وعَجَــلْ

مَن هَداه سُبلَ الخيْر آهتَدى ٭ ناعِمَ البال ومَن شاء أضلّ

لإياس بن معاوية

وقال إياس بن معاوية : كلمت الفِرَق كلَّها ببعض عقلى ، وكلمت القَدَرىَّ بعقلى كلِّه ، فقلت له : دُخولُك فيما ليس لك ظلم منك[1] ؟ قال : نعم . قلت : فإن الأمر كله لله .

ومن قول الله عز وجل فى القدر : ﴿ قُلْ فلله الحُجَّةُ البالِغَةُ فلَوْ شاءَ لهدَاكُمْ أجْمَعِين ﴾ . وقال : ﴿ يَمُنُّونَ عليْكَ أنْ أسْلَموا قُلْ لا تَمُنُّوا علَىَّ إسْلامَكُمْ بلِ اللهُ يَمُنُّ عليكم أنْ هَداكُمْ للإيمانِ إن كنتُمْ صادِقين ﴾ .

لابن شهاب

ابن شِهاب قال : أنزل الله على نبيه آيةً فى القَدَرية : ﴿ الَّذينَ قالوا لإخوانِهِم وقَعَدُوا لو أطاعونا ما قُتِلوا ٭ قلْ فادْرَءوا عن أنفسِكُمُ الموْتَ إنْ كنتُمْ صادقين ﴾ . وقال ﴿ قُلْ لو كنتم فى بُيوتِكمْ لبرَزَ الَّذين كُتِب عليهمُ القَتْلُ إلى مَضاجِعِهِم ﴾ .

لابن سيرين

وقال محمد بن سيرين : ما يُنكر القدرية أن يكون الله عَلِمَ من خلْقه عِلماً فكتبه عليهم .

بين على وقدرى

وقال رجل لعلى بن أبى طالب رضى الله عنه : ما تقول فى القَدَر ؟ قال : ويحك ! أخبرنى عن رحمة الله ، أكانت قبل طاعة العباد ؟ قال : نعم قال علىٌّ : أسلَم صاحبُكم وقد كان كافراً . فقال الرجل له : أليس بالمشيئة الأولى التى أنشأنى بها أقوم وأقعد ، وأقبض وأبسط ؟ قال له على : إنك بَعد فى المشيئة أما إنى أسألك عن ثلاث ، فإن قلت فى واحدة منهن : لا ، كَفرْت ؛ وإن قلت : نعم ، فأنت أنت . فمدّ القوم أعناقهم ليسمعوا ما يقول ؛ فقال له على : أخبِرْنى عنك ، أخَلقَك الله كما شئت أو كما شاء ؟ قال : بل كما شاء . قال : فخلقك الله لِمَا شئت

(١) فى بعض الأصول : « منا » .

أو لما شاء؟ قال: بل لما شاء. قال فيَوْم القيامة تأتيه بما شئت أو بما شاء؟ قال: بل بما شاء، قال: قم فلا مشيئة لك.

هشام وغيلان والأوزاعى

قال هشام بن محمد السائب الكلْبي: كان هشام بن عبد الملك قد أنكر على غيلان التكلم فى القدَر، وتقدم إليه فى ذلك أشدَّ التقدم، وقال له فى بعض ما توعَّده به من الكلام: ما أحسبك تنتهى حتى تنزل بك دعوة عمر بن عبد العزيز إذ احتجَّ عليك فى المشيئة بقول الله عز وجل: ﴿وما تَشاؤُنَ إلا أنْ يَشاء الله﴾ فزعمت أنك لم تُلْقِ لها بالا. فقال عمر: اللهم إن كان كاذبا فاقطع يده ورجله ولسانَه، واضربْ عُنُقه. فانْتَه أوْلى لك، ودع عنك ماضرُّه إليك أقرَبُ من نفعه. فقال له غَيلان، لحينِه وشِقْوتِه: ابعث إلىّ يا أمير المؤمنين مَن يُكلمنى ويحتجُّ علىّ، فإن أخذتْه حُجتى أمسكت عنى فلا سبيل لك إلىّ، وإن أخذتْنى حجتُه فسألتك بالذى أكرمك بالخلافة إلا نَفَّذْت فىّ ما دعا به عمر علىّ. فغاظ قوله هشاماً. فبعث إلى الأوزاعى فحكى له ما قال لغيلان وما رَدَّ غيلان عليه؛ فالتفت إليه الأوزاعى فقال له: أسألك عن خمس أو ثلاث؟ فقال غَيلان: عن ثلاث. قال الأوزاعى: هل علمت أن الله أعان على ما حَرَّم؟ قال غيلان: ما علمت وعظُمَتْ عنده. قال: فهل علمت أن الله قَضى على ما نَهى؟ قال غيلان: هذه أعظم، مالى بهذا من علم. قال: فهل علمت أن الله حال دون ما أمَر؟ قال غيلان: حال دون ما أمَر؟ ما علمت. قال الأوزاعى: هذا مرتاب[1] من أهل الزَّيغ. فأمر هشام بقطع يده ورجله، ثم ألقى به فى الكُناسة. فاحتَوَشَه الناس يعجبون من عظيم ما أنزل الله به من نِقْمته. ثم أقبل رجلٌ كان كثيراً ما يُنكر عليه التكلم فى القدر، فتخلل الناس حتى وصل إليه، فقال: يا غيلان، اذكر دُعاء عمر. فقال غيلان: أفلح إذاً هشام، إن كان الذى نزل بى بدعاء عمر أو بقضاء سابق فإنه لا حَرج على هشام فيما أمر به فبلَغتْ كلمتُه هشاماً، فأمر بقطع لسانه وضرْب عُنقه، لتمام دعوة عمر. ثم التفت هشام إلى الأوزاعى

(١) فى بعض الأصول: «موات».

وقال له قد قلت يا أبا عمرو ففسّر ، فقال : نعم ؛ قَضى على ما نَهى عنه : نهى آدم عن أكل الشجرة ، وقضى عليه بأكلها . وحال دون ما أمر ، أمر إبليس بالسجود لآدم وحال بينه وبين ذلك . وأعان على ما حرَّم ، حرّم الميتة وأعان المضطر على أكلها .

ابن أبى عروبة وقتادة

٥ الرياشيّ عن سعيد بن عامر عن جُويرية عن سعيد بن أبى عَروبة قال : لما سألت قتادة عن القدر فقال : رَأْىَ العرب تريد أم رأى العجم ؟ فقلت : بل رأى العرب . قال : فإنه لم يكن أحدٌ من العرب إلا وهو يُثبت القدر ، وأنشد :

ماكان قَطْعِى هولَ كلِّ تنوفةٍ * إلا كِتاباً قد خلا مسْطورَا

لأعرابى

وقال أعرابىّ : الناظر فى قدر الله كالناظر فى عين الشمس ، يعرف ضَوْءها ولا يَهْجُم على حدودها .

١٠

لكعب بن زهير

وقال : كعب بن زُهير :

لو كنتُ أَعجبُ من شىءٍ لأعجبَنى * سعْىُ الفتى وهْو مخبوءٌ له القدَرُ
يسعى الفتى لِأُمور ليس يُدركها * فالنفس واحدةٌ والهمُّ مُنتشِرُ
والمرءُ ماعاش ممدودٌ له أملٌ * لاتنتهى العيْنُ حتى ينتهى الأثرُ

لبعض الشعراء

وقال آخر :

١٥

والجدُّ أنهض بالفتى من عقلِه * فانهَضْ بِجدٍّ فى الحوادثِ أوْ ذَرِ
ما أَقربَ الأشياءَ حين يسوقُها * قَدَر وأبعدَها إذا لم تُقْدرِ

بين النبى صلى الله عليه وسلم وقدرى

عبد الرحمن القصير[1] قال حدّثنا يونس بن بلال عن يزيد بن أبى حبيب أنّ رجلا قال للنبى صلى الله عليه وسلم : يارسول الله ، أيُقدّر الله علىّ الشرّ ثم يعذّبنى عليه ؟ قال : نعم ، وأنت أظلم .

٢٠

وحدّثنى[2] أبو عبد الرحمن المقرى ، يرفعه إلى أبى هريرة ، عن عمر

(١) فى بعض الاصول : « عبد الرحمن بن القصير » .

(٢) فى بعض الاصول : « قال وحدثنى » .

ابن الخطاب رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تجالسوا أهل القدَر ولا تُفاتحوهم .

لابن مسعود

ومن حديث عبد الله بن مسعود ، قال : ما كان كفرٌ بعد نُبُوّةٍ قط إلا كان مفتاحَه التكذيب بالقدر .

أبو العتاهية وابن أشرس بين يدى المأمون

٥ ثمامة بن أشرس قال : دخل أبو العتاهية على المأمون لما قدم العراق ، فأمر له بمال وجعل يُحادثه ، فقال له يوما : ما فى الناس أجهلُ من القدَرية . فقال له المأمون : أنت بصناعتك أبْصَر ، فلا تتخطاها إلى غيرها . قال له : يا أمير المؤمنين ، اجمع بينى وبين من شئت منهم . فأرسل إلىّ ، فدخلت عليه ، فقال لى : هذا يزعُم أنك وأصحابَك لا حُجّةَ عندكم . قلت : فليسأل عما بدا له .

١٠ فحرّك أبو العتاهية يدَه وقال : من حرّك هذه ؟ قلت : مَن ناك أمّه ! فقال : يا أمير المؤمنين ، شتمنى . قلت له : نَقضْتَ أصلَك يا ماصّ[1] بَظْر أمّه ! فضحك المأمون . فقلت له : يا جاهل ! تحرّك يدك ثم تقول : من حرّكها ؟ فإن كان الله حرّكها فلم أشتمك ؛ وإن كنت أنت المحرّكَ لها فهو قولى . قال له المأمون : عندك زيادة فى المسألة .

الكندى

١٥ قال الكِندى فى الفن التاسع من التوحيد : اعلم أنّ العالم كلّه مَسُوس بالقضاء والقدر ـ أعْنى بالقضاء ـ ما قُسِم لكل معلول[2] بما هو أصلح وأحكم وأتقَن فى بِنية الكل ، لأنه جل ثناؤه خلق وأبدع مضطرا ومختاراً بتمام القدرة ، فلما كان المختار غير تام[3] الحكمة ؛ لأنّ تمام الحكمة لُمبدع الكل ، كان لو أُطلق واختيارَه لآختار كثيراً مما فيه فسادُ الكل ، فقدّرَ جل ثناؤه بِنيةً للكل تقديراً مُحكما ، فصيّر بعضَه

٢٠ سوانح لبعض ، يختار بإرادته ومشيئته غيرَ مقهور مما هو أصلح وأحكم فى بنية الكل ؛ فتقدير هذه السوانح هو القدر . فبالقضاء والقدَر ساسَ جلّ ثناؤه جميعَ

(١) فى بعض الأصول « ياعاض » .
(٢) فى بعض الأصول : « مفعول » .
(٣) فى بعض الأصول : « عن تمام » .

ما أبدع ، فهذه السياسة المحكمة المُتْقَنةُ التى لا يدخلها زلل ولا نقص . فاتضح أنّ كل معلول فيما قَسَم له ربُّه من الأحوال لا خارجٌ عنها ، وأنّ بعضَ ذلك بآضطرار وبعضَه بآختيار ، وأن المختار عن سوانح قدَره اختار ، وبإرادته لا بالكُرْهِ منه فعَل .

لأعرابى

سئل أعرابىّ عن القدر فقال : ذاك علم اختصمتْ فيه الظنون ، وكثُر فيه المختلفون ، والواجب علينا أن نردَّ ما أشكَلَ من حُكمه إلى ما سبق من علمه .

مجوسى وقدرى

واصطحب مجوسىٌّ وقدَرِى فى سفر ، فقال القدَرىّ للمجوسى : مالك لا تُسلِم قال : إن أذِنَ اللهُ فى ذلك كان . قال : إنّ الله قد أذن ، إلا أن الشيطانَ لا يَدَعُك . قال : فأنا مع أقواهما .

هشام وقدرى

وقال رجل لهشام بن الحكم : أنت تزعم أنّ الله فى فضله وكرمه وعدله كلّفنا ما لا نُطيقه ثم يعذّبنا عليه ؟ قال هشام : قد واللهِ فعَلَ ، ولكن لا نستطيع أن نتكلم .

عمرو بن عبيد وابن مسكين

اجتمع عمرو بن عُبيد مع الحارث بن مِسكين بمِنًى ، فقال له : إنّ مِثلى ومِثلَك لا يجتمعان فى مثل هذا الموضع فيفترقان من غير فائدة ؛ فإن شئتَ فقل ، وإن شئت فأنا أقول . قال له : قل . قال : هل تعلم أحداً أقْبَلَ للعذر من الله عز وجل ؟ قال : لا . قال : فهل تعلم عُذراً أبْيَنَ من عُذر مَن قال « لا أقدِر » فيما تعلم أنت أنه لا يقدِر عليه ؟ قال : فلِمَ لا يَقبل ، منْ لا أقبل للعذر منه ، عُذر مَن لا أَبْيَنُ من عُذره [1] ؟ فانقطع الحارث بن مسكين فلم يردّ شيئاً .

ردّ المأمون على الملحدين وأهل الأهواء

بين المأمون وثنوى

قال المأمون للثَّنوى الذى تكلم عنده : أسألك عن حرفين لا أزيد عليهما : هل نَدِم مُسىءٌ قط على إساءته ؟ قال : بلى . قال : فالندم على الإساءة إساءة

(١) فى بعض الأصول : « فلم تقبل قول من لا أقبل للعذر منه عذراً ولا أبين من عذر » .

أم إحسان ؟ قال : بل إحسان . قال : فالذى نَدِم هو الذى أساء أم هو غيرُه ؟ قال : بل هو الذى أساء . قال : فأرى صاحب الخير هو صاحب الشرّ قال : فإنى أقول : الذى نَدِمَ غيرُ الذى أساء . قال : فنَدِم على شىء كان منه أم على شىء كان من غيره . فسكت .

٥ وقال له أيضا : أخبرنى عن قولك باثنين ، هل يستطيع أحدهما أن يخلق خَلقاً لا يستعين فيه بصاحبه ؟ قال : نعم . قال : فما تصنع باثنين ؟ واحدٌ يَخلق كل شىء خير لك وأصحّ .

بينه وبين مرتد خراسان

وقال المأمون للمرتدّ الخراسانى الذى أسلم على يديه وحملَه معه إلى العراق فارتدّ عن الإسلام ، أخبِرْنى : ما الذى أوحشك مما كنت به آنِساً مِن ديننا ؟ ١٠ فوالله لَأنْ أستحْيِيك بحق أحبُّ إلىّ من أن أقتلَك بحق ، وقد صرتَ مُسلما بعد أن كنتَ كافرا ، ثم عدت كافرا بعد أن صرت مُسلما . فإن وجدتَ عندنا دواء لدائك تداويتَ به ، وإن أخطأك الشفاء ونبا عليك الدواء ،كنت قد أبْليْت العُذر فى نفسك ولم تُقصِّر فى الاجتهاد لها ، فإن قتلناك قتلناكَ فى الشريعة ، وترجع أنت فى نفسك إلى الاستبصار واليقين ولم تُفرِّط فى الدخول من باب ١٥ الحزم . قال المرتد : أوْحَشَنى منكم ما رأيتُ من الاختلاف فى دينكم . قال المأمون : لنا اختلافان : أحدهما كاختلافنا فى الأذان ، والتكبير فى الجنائز ، وصلاة العيدين والتشهد ، والتسليم من الصلاة ، ووجوه القراءات ، واختلاف وجوه الفُتْيا ، وما أشبه ذلك ؛ وهذا ليس باختلاف ، وإنما هو تخيير وتوْسِعة وتخفيف من السُّنّة ؛ فمن أذَّنَ مثْنَى وأقام مثْنَى لم يأثمْ ، ومن ربّع لم يأثم . والاختلاف الآخر ٢٠ كنحو آختلافِنا فى تأويل الآية من كتاب الله ، وتأويلِ الحديث عن نبينا ، مع اجتماعنا على أصل التنزيل ، وآتفاقِنا على عيْن الخبر ؛ فإن كان إنما أوحشك هذا فينبغى أن يكون اللفظُ بجميع التوراة والإنجيل مُتَّفَقاً على تأويله كما يكون مُتَّفَقاً على تنزيله ، ولا يكون بين اليهود والنصارى اختلافٌ فى شىء من التأويلات ولو شاء اللهُ أن يُنْزل كتبَه مُفسرة ، ويجعل كلام أنبيائه ورسله لا يُختَلفُ فى

تأويله لفعَل ؛ ولكنّا لم نجد شيئا من أمور الدين والدُّنيا وقع إلينا على الكفاية إلا مع طول البحث والتّحصيل والنظر ، ولو كان الأمر كذلك لسقطت البلوى والمِحَن ، وذهب التفاضل والتباين ، ولما عُرِف الحازمُ من العاجز ، ولا الجاهلُ من العالم ، وليس على هذا بُنِيت الدنيا . قال المرتد: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن المسيح عبدُ الله ، وأن محمداً صادق ، وأنك أمير المؤمنين . ٥

بينه وبين على ابن موسى

وقال المأمون لعليّ بن موسى الرِّضا : بم تدّعون هذا الأمر . قال : بقرابة عليّ من رسول الله صلى الله عليه وسلم وبقرابة فاطمة منه . فقال له المأمون : إن لم يكن ها هنا إلا القرابة فقد خلّف رسول الله صلى الله عليه وسلم مِن أهل بيته ، من كان أقربَ إليه من على أو مَن فى مثل قُعْدده [1] ، وإن كان بقرابة فاطمة من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإن الحق بعد فاطمة للحَسَن والحُسين، ١٠ وليس لِعليّ فى هذا الأمر حقّ وهما حيَّان ، فإذا كان الأمر كذلك فإن عليا قد ابتزّهما حقَّهما وهما صحيحان ، واستولى على ما لا يَجِبُ له .

فما أجابه عليّ بن موسى بشىء .

من واصل إلى ابن عبيد

كتب واصل بن عطاء الغزّال إلى عمرو بن عُبيد :

أما بعد ، فإن استلاب نعمة العبد بيد الله ، وتعجيل المعاقبة بيد الله ، ومهما ١٥ يكن ذلك فباستكمال الآثام ، والمجاورة للجدال الذى يحول بين المرء وقلبه ، وقد عرفتَ ما كان يُطعَنُ به عليك ويُنسب إليك ونحن بين ظهرانى الحسَن بن أبى الحسن رحمه الله ، لاستبشاع قُبح مذهبك، نحن ومن قد عرفتَهُ من جميع أصحابنا، ولُمّةِ إخواننا الحاملين الواعين عن الحسن ؛ فتلكم [2] لُمَّةٍ وأوعياء [3] وحفَظة ، ما أدمَثَ الطبائع ، وأرزَنَ المجالس ، وأبين الزُّهد وأصدَق الألسنة ، اقتدَوْا والله ٢٠ بمن مضى شهابهم ، وأخذوا بهديهم ؟ عهدى والله بالحسن وعهدُهم أمس فى مسجد

(١) فى بعض الأصول : « قدره » ، والقعدد : قرب النسب .
(٢) فى بعض الأصول : « فبالله بل كم » .
(٣) فى بعض الأصول : « وأعيان » .

رسول الله صلى الله عليه وسلم بشرق الأجنحة ، وآخِرُ حديث حدّثنا إذْ ذكر الموت وهَوْلَ المطّلع ، فأسِف على نفسه واعترف بذنبه ، ثم التفت والله يَمنة ويسرة معتبرا باكيا ؛ فكأنى أنظر إليه يمسح مُرْفضّ العرَقِ عن جبينه ، ثم قال : اللهم إنى قد شددتُ وضينَ راحلتى ، وأخذتُ فى أُهْبَةِ سفرى إلى محل القبر وفرْش العَفْر ، فلا تؤاخذْنى بما يَنْسُبُون إلىّ من بعْدى . اللهم إنى قد بلّغت ما بلَغنى عن رسولك ، وفسّرت من محكم تأويلك [1] ما قد صدّقه حديثُ نبيك ؛ ألا وإنى خائف عمْرا ! ألا وإنى خائف عَمرا ! شكايةً لك إلى ربّه جهراً ، وأنت عن يمين أبى حذيفة أقرَبنُا إليه ؛ وقد بلغنى كبيرُ ما حَمّلتهُ نفْسك ، وقلّدْتهُ عُنقك ، من تفسير التنزيل ، وعبارة التأويل ؛ ثم نظرتُ فى كتبك، وما أدّته [2] إلينا روايتك من تنقيص المعانى ، وتفريق المبانى ، فدلّت شكايةُ الحسن عليك بالتحقيق بظهور ما ابتدعت ، وعظيمِ ما تحمّلت ؛ فلا يغررْك أى أخى تدبيرُ مَن حوْلك ، وتعظيمُهم طَوْلَك ، وخفضُهم أعيُنَهم عنك إجلالًا لك ، غدا والله تمضى الخُيلاء والتماُخر ، وتُجزَى كلُّ نفس بما تسعى . ولم يكن كتابى إليك ، وتجليي عليك ، إلا ليُذكِّرَك بحديث الحسن رحمه الله ، وهو آخِرُ حديث حدّثناه . فأدِّ المسموع وآنطق بالمفروض ، ودع تأويلَك الأحاديث على غير وجهها ؛ وكن من الله وجِلا . فكأنْ قد .

ما جاء فى ذم الحمق والجهل

النبى صلى الله عليه وسلم

قال النبى صلى الله عليه وسلم : الجاهل يظلم من خالطَه ، ويَعتدى على من هو دونه ، ويتطاول على مَن هو فوقه ، ويتكلّم بغير تمييز ، وإن رأى كريمة أعرض عنها ، وإنْ عَرَضتْ فتنَةٌ أرْدَتْهُ وتهوَّر فيها .

لأبى الدرداء

وقال أبو الدَّرداء : علامة الجاهل ثلاث : العُجْب ، وكثرةُ المنطق ، وأنْ ينهى عن شىء ويأتيه .

(١) فى بعض الاصول : «كتابك» .
(٢) فى بعض الأصول : «أهدته» .

لأردشير وقال أرْدشير : حسبكم دلالةً على عيب الجاهل أنّ كل الناس تنفر منه وتغضب من أن تُنسب إليه .

لبعضهم وكان يقال : لا تغررك من الجاهل قرابةٌ ولا أُخوّةٌ ولا إلف ؛ فإنّ أحقّ الناس بتحريق النار أقربُهم منها .

٥ وقيل : خَصلتان تُقرِّبانك من الأحمق : كثرة الالتفات ، وسُرعة الجواب .

وقيل : لا تصطحب الجاهل ، فإنه يريد أن ينفعك فيضرّك .

لبعض الشعراء ولبعضهم :

لكلّ داءٍ دواءٌ يُستطَبُّ به * إلّا الحماقةَ أعيتْ مَن يُداويها

لأبى العتاهية ولأبى العتاهية :

١٠ احذَرِ الأحمقَ أن[1] تصْحَبهُ * إنمـا الأحمَقُ كالثَّوْبِ الخَلَقْ

كلمـا رقَّعتَـهُ من جانبٍ * زعْزَعتْهُ الرِّيحُ يوماً فانخرَقْ

أو كصَدْعٍ فى زُجاجٍ فاحِشٍ * هل ترى صَدْعَ زُجاجٍ يلتَصِقْ

فإذا عاتبْتهُ كىْ يَرْعوى * زاد شرًّا وتَمـادَى فى الحُمُقْ

أصناف الإخوان

١٥ للعتابى قال العتابى : الإخوان ثلاثة أصناف : فرْع بائن من أصله ، وأصل متّصل بفرعه ، وفَرع ليس له أصل . فأما الفرع البائن من أصله ، فإخاءٌ بُنِي على مودّة ثم انقطعت تُحفظ على ذمام الصُّحبة . وأما الأصل المتصل بفَرعه ، فإخاءٌ أصله الكرم وأغصانه التقوى . وأما الفرع الذى لا أصل له ، فالمُمَوَّهُ الظاهر الذى ليس له باطن .

٢٠ للنبى صلى الله عليه وسلم وقال النبى صلى الله عليه وسـلم : الصاحبُ رُقْعةٌ فى قميصك فانظر بِمَ ترْقعُه .

(١) فى بعض الأصول : « لا » .

لبعضهم وقالوا: من علامة الصديق أن يكون لصديق صديقه صديقاً، ولعَدُوِّه عدُوًّا.

وفد دِحية[1] الكلبي على عليّ رضى الله عنه، فما زال يذكر معاوية ويُطْرِيه في مجلسه؛ فقال عليّ عليه السلام:

صديقُ عدوِّى داخِلٌ فى عداوتى * وإنى لِمَنْ ودَّ الصديقَ ودُودُ

٥ فلا تقْرَبَنْ مِنِّى وأنتَ صديقُه * فإنَّ الّذِى بيْنَ القُلوب بعيـدُ

للعتابى وفى هذا المعنى قول العتّابى:

تَوَدُّ عـدوِّى ثم تزْعُمُ أننى * صديقُكَ إنّ الرأىَ عنك لعازِبُ

وليس أخى مَن ودَّنى رأىَ عينِه * ولكنْ أخى مَن ودَّنى وهْو غائبُ

لبعض الشعراء وقال آخر:

١٠ ليس الصديقُ الذى إنْ زَلَّ صاحِبُهُ * يوما رأى الذنْبَ منه غيرَ مغفورِ

وإن أضاع له حَقًّا فعاتَبَهُ * فيـه أتاه بتَزويق المعاذيرِ

إنّ الصديقَ الذى ألقاه يَعْذِرُ لى * ما[2] ليس صاحبُهُ فيه بمعذورِ

وقال آخر:

كم من أخٍ لك لم يلِدْه أبوكا * وأخٍ أبوه أبوك قد يجفوكا

١٥ صافِ الكرامَ إذا أردتَ إخاءهم * واعلَمْ بأنّ أخا الحِفاظِ أخوكا

والناسُ ما استغنيْتَ كنتَ أخاهُمُ * وإذا افتقرتَ إليهِمُ رفَضُوكا

وقال بعضهم:

أخوكَ الذى إن قمتَ بالسيفِ عامِداً * لِتضرِبَه لم يستغِشَّـك فى الوُدِّ

ولوْ[3] جئتَ تبغى كفَّهُ لِتُبينَها * لَبادَرَ إشفاقا عليك من الردِّ

٢٠ يَرى أنه فى الوُدِّ كان مقصِّراً * على أنه قد زادَ فيه على الجهدِ

(١) فى بعض الأصول: «دحيم».
(٢) فى بعض الأصول: «تلقاه يعذر فيما».
(٣) فى بعض الأصول: «إن جئت».

وقال آخر :

إن كنتَ متّخذاً خليلَا * فتنَقَّ وانتقِدِ الخليلا
مَن لم يكن لك مُنصِفاً * فى الوُدِّ فابْغِ به بَديلَا
ولَقلَّما تَلْقَى اللئيمَ عليك إلا مُستطيلا

للعطوى ٥ وللعَطَوىّ :

صُنِ الوُدَّ إلا عن الأكرمين * ومَن بمؤاخاتِه تَشْرُفُ
ولا تَغْتَرِرْ من ذوى خَلّة * بما مَوّهوا لك أو زَخرَفوا
فكم مِن أخٍ ظاهرٍ وُدُّه * ضميرُ مَودّتِه أَجْيَفُ
إذا أنت عاتَبْتَه فى الإخاء * تُنكِرُ منه الذى تعرفُ

شعر ابن جرير إلى ابن مخلد ١٠ وكتب العباس بن جرير إلى الحسن بن مخلد :

ارْعَ الإخاء أبا مُحمّدَ للذى يَصْفو وَصُنْهُ
وإذا رأيتَ مُنافسًا * فى نَيْل مَكْرُمَةٍ فكُنه
إنّ الصَّديق هوَ الذى * يَرعاك حيث تَغيب عنه
وإذا كَشَفْت إخاءهُ * أحمدْتَ ما كَشَّفتَ عنه
مثل الحُسام إذا انْتضا * هُ أخو الحفيظة لم يَخُنه ١٥
يسعى لمَا تَسعى له * كَرَماً وإن لم تَسْتعِنه

لبعض الشعراء ولآخر :

خيْرُ إخوانِك المشارِكُ فى المُـرِّ وأين الشريكُ فى المُرِّ أينا
الذى إن شَهِدْت زادك فى البِـرِّ[1] وإن غِبْت كان أُذْناً وعَيْنا

٢٠ ولآخر :

ومن البلاء أخٌ جِنايتُه * عَلَقٌ بنا ولغيْرِنا سَلَبُه

---

(١) فى بعض الأصول : « إن شهدت فى الحضر السر » .

وقال آخر :

إذا رأيتُ انحرافاً من أخى ثقةٍ ٭ ضاقت علىَّ برحْب الأرض أوطانى

فإن صَددْتُ بوجهى كىْ أكافئَهُ ٭ فالعينُ غَضْبى وقلبى غيرُ غضبانِ

بين بعض الشعراء وابن بشار

وكتب بعضهم إلى محمد بن بشار :

٥ من لم يُرِدْكَ فلا تُرِدْ ٭ هُ وكن كمن لم تستفِدْهُ

باعِــد أخاك لبُعْدِه ٭ وإذا دنا شبْراً فزِدْهُ

كم من أخٍ لك يابن بَشّــارٍ وأُمُّك لم تَــلِدْه

وأخى مُناسَــبةٍ يسو ٭ ءك عيبُه لم تفتقِــدْه

وأجابه محمد بن بشار :

١٠ غَلِط الفتى فى قــوله ٭ مَن لم يُرِدْك فلا تُرِدْه

مَن نافسَ الإخوانَ لم ٭ يُبْدِ العِتابَ ولم يُعِدْهُ

عاتبْ أخاك إذا هَفــا ٭ واعطِفْ بوُدِّك واستعِدْهُ

وإذا أتاك بعيْبِــه ٭ واشٍ فقل لمْ تَعْتمِدْهْ

ومما يستجلب الإخاء والمودة ولين الكلمة

لعلى بن أبى طالب

١٥ قال على بن أبى طالب كرم الله وجهه : من لانَتْ كلمتُه وجبت محبتُه .

ويُنشَد :

« كيف أصبحت كيف أمسيت » مما ٭ يُنْبِت[1] الوُدَّ فى فُؤادِ الكريمِ

وعلى الصديق ألّا يلقَى صديقه إلا بما يُحب ، ولا يؤذى جليسَه فيما هو عنه بمعزل ، ولا يأتىَ بما يَعيب مثله ، ولا يَعيب ما يأتى شكلَه .

للمتوكل الليثى

٢٠ وقد قال المتوكل اللَّيثى :

لا تَنْهَ عن خُلُقٍ وتأتىَ مثلَه ٭ عارٌ عليك إذا فعلت عظيمُ

(١) فى بعض الاصول : « يثبت »

لابن الخطاب — وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : ثلاثٌ يُثبِتن لك الوُدَّ فى صدر أخيك : أن تبدأه بالسلام ، وتوسع له فى المجلس ، وتدعوَه بأحبِّ الأسماء إليه .

وقال : ليس شىء أبلغَ فى خير ولا شرّ من صاحب .

لبعض الشعراء — وقال الشاعر :

إن كنتَ تبغى المرء[1] أوأصلَه * وشاهدا يُخبِرُ عن غائبِ

فاعتبر الأرض بأشباهها[2] * واعتَبِرِ الصاحبَ بالصاحبِ

لعدى بن زيد :

عن المرء لا تَسأَلْ وأَبصِرْ قرينَه[3] * فكل قرين بالمُقارِن يَقتدى

ولعمرو بن جَميل التَّغلبى :

سأصبرُ من صديق إنْ جَفانى * على كلِّ الأذى إلّا الهَوانا

فإنّ الحُرَّ يأنف فى خَلاء * وإنْ حَضَرَ الجماعةَ أن يُهانا

بين مطيع وخاطب مودة — قال رجل لمُطيع بن إياس : جئتك خاطباً مودتك . فقال له : قد زوجتُك ، على شرط أن تجعل صَداقَها ألّا تسمع فىّ مقالة الناس .

فى المثل — ويقال فى المثل : من لم يَزْدَرِدِ الريقَ لم يَستكثر من الصديق .

وما أحسن ما قال إبراهيم[4] بن عباس :

يا صديقِى الذى بَذَلت لهُ الوُ * دَّ وأنزلتُه على أحشائى

إنَّ عيناً أقذيتَها لتراعيــك على ما بها منَ الأقذاء

ما بها حاجةٌ إليك ولكن * هىَ مَعقودَة بحبْلِ الوفاء

لابن أبى حازم — ولابن أبى حازم :

اِرْضَ منَ المرء فى مودّتِه * بما يُؤدّى إليك ظاهرُه

(١) فى بعض الأصول : « الأمر » .
(٢) فى بعض الأصول : « بأسمائها » .
(٣) فى بعض الأصول : « لاتسأل وسل عن قرينه » .
(٤) فى بعض الأصول : « على » .

من يكشفِ الناس لم يجد[1] أحدا * تَصحُّ منــه له[2] سَرائِرُهُ
يُوشِك ألّا تُتمَّ وصل أخٍ * فى كلِّ زلّاتِه تُنافِرُه
إنْ ساءنى صاحبى احتمَلْت وإنْ * سَرَّ فإنى أخوهُ شاكرُهُ
أَصفحُ عن ذنبِه وإن طَلَب الــعذر فإنى علیــه عاذِرُهُ

٥ ولغيره : لبعض الشعراء

إنى إذا أبطأتُ[3] عنك فلمْ أزل[4] * لِأحداثِ دهْر لايزال يعوقُ
لقد أصبحَت نفْسى عليك شفيقةً * ومِثلى على أهــلِ الوفاءِ شفيقُ
أُسَرُّ بمـا فيــه سُرورُك إننى * جدير بمكْنونِ الإخاءِ حقيقُ
عدوٌّ لِمَنْ عاديْتَ سِــلْمٌ مُسالمٌ * لكلِّ امرئٍ يهوى هَواكَ صديقُ

١٠ ولأبى عبد الله بن عُرْفة : لابن عرفة

هُمومُ رجالٍ فى أُمورٍ كثيرةٍ * وهَمِّى منَ الدُّنيا صديقٌ مُساعدُ
يكون كروحٍ بين جسميْنِ فُرِّقا * فجِسْماهُما جسمان والرُّوحُ واحدُ

وقال بعض الحكماء : الإخاء جوهرة رقيقة ، وهى مالم تُوقِّها وتَحرسها معرَّضةٌ للآفات . فرُض الإخاء بالحِلْم له[5] حتى تصِل إلى قُرْبه ، وبالكظم حتى ١٥ يَعتذر إليك مَن ظَلمك ، وبالرِّضى حتى لا تستكثر من نفسك الفضل ولا من أخيك التقصير . لبعض الحكماء

ولمحمود الوراق : للوراق

لا بِرَّ أعظمُ من مُساعدةٍ * فاشكرْ أخاك على مُساعدتِه
وإذا هَفا فأَقِلْهُ هَفْوتَه * حتى يعود أخاً كعادتِه

٢٠ (١) فى بعض الأصول : « لايرى » .
(٢) فى بعض الأصول : « غدا » .
(٣) فى بعض الأصول : « لعمرى لئن » .
(٤) فى بعض الأصول : « فلم أزر » .
(٥) فى بعض الأصول : « فرض الآبى بالجداء له » .

فالصفحُ عنْ زللِ الصَّديقِ وإنْ ۞ أعْياكَ خيرٌ من مُعاندتِهْ

لابن المعذل ولعبد الصمد بن المُعذَّل :

من لم يُرِدْكَ ولم تُرِدْه ۞ لم يَستفِدْكَ ولم تُفِدْهُ
قرِّبْ صديقَكَ ما نأَى ۞ وَزِدِ التَّقارُبَ واستزِدْهُ
وإذا وَهَتْ أركانُ ودٍّ من أخى ثقةٍ فشِدْهُ

باب من أخبار الخوارج

الخوارج وعلى ابن أبى طالب لما خرجت الخوارج على علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه ، وكانوا من أصحابه ، وكان من أمر الحكمين ما كان واختداع عمرو لأبى موسى الأشعرى ، قالوا : لا حُكم إلا لله . فلما سمع علىٌّ رضى الله عنه نداءهم . قال : كلمةُ حقٍّ يُرادُ بها باطل ، وإنما مذهبهم ألّا يكونَ أميرٌ ، ولا بد من أمير بَرًّا كان أو فاجرا . ١٠ وقالوا لعلىٍّ : شككتَ فى أمرك ، وحكَّمت عدوَّك فى نفسك . وخرجوا إلى حَرُوراء ، وخرج إليهم علىّ رضى الله عنه ، فخطبهم متوكِّئاً على قوسه ، وقال :

هذا مقامٌ من فَلَجَ فيه فلج يوم القيامة [1] ، أنشدكم الله ، هل علمتم أن أحداً كان أكرهَ للحكومة منى ؟ قالوا : اللهم لا . قال : أفعلمتم أنكم أكرهتُمونى عليها حتى قبلتُها ؟ قالوا اللهم نعم . قال : فعَلَامَ خالفتُمونى ونابذْتمونى ؟ قالوا : إنا أتينا ١٥ ذنباً عظيما فتُبنا إلى الله منه ، فتُب إلى الله منه . واستغفره نَعُدْ إليك . فقال على : إنى أستغفر الله من كل ذنب . فرجعوا معه وهم فى ستة آلاف . فلما استقروا بالكوفة أشاعوا أنّ عليًّا رجع عن التحكيم وتاب منه ورآه ضلالا . فأتى الأشعثُ بن قيس عليّا رضى الله عنه ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إن الناس قد تحدّثوا أنك رأيت الحكومة ضلالا والإقامة عليها كفراً وتُبت . فخطب علىٌّ ٢٠ الناس فقال : من زعم أنى رجعت عن الحكومة فقد كذَب ، ومن رآها ضلالا فهو أضلّ منها . فخرجت الخوارج من المسجد فحكمت ، فقيل لعلىّ : إنهم خارجون

(١) فى بعض النسخ : « من أفلح فيه أفلح يوم القيامة » . والفلج : النصر .

عليك . فقال : لا أقاتلهم حتى يقاتلونى ، وسيفعلون .

محاجة ابن عباس لهم

فوجّه إليهم عبد الله بن العباس ، فلما صار إليهم رحّبوا به وأكرموه ، فرأى منهم جباها قَرِحَتْ لطول السجود ، وأيديا كثَفِنات الإبل ، وعليهم قُمص مُرَحَضة ، وهم مشمّرون . قالوا : ماجاء بك يابن عباس ؟ قال : جئتكم من عند صهر رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عمه ، وأعلَمِنا بربّه وسنة نبيّه ، ومن عند المهاجرين والأنصار : فقالوا : إنا أتينا عظيما حين حكّمنا الرجال فى دين الله ؛ فإن تاب كما تُبنا ونَهض لمجاهدة عدوّنا رجعنا . فقال ابن عباس : نشدتكم الله إلا ما صدَقتم أنفسكم ، أمَا علمتم أن الله أمر بتحكيم الرجال فى أرنب تساوى رُبع درهم تُصاد فى الحرم ، وفى شقاق رجل وامرأته ؟ فقالوا : اللهم نعم . قال : فأنشُدكم الله هل عَلمتم أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم أمسك عن القتال للهدنة بينه وبين أهل الحُديبية ؟ قالوا : نعم ، ولكن عليّا محا نفسَه من خِلافة المسلمين . قال ابن عباس : ليس ذلك يُزيلها عنه وقد محا رسول الله صلى الله عليه وسلم اسمَه من النبوة ، وقال سُهيل[1] بن عمرو : لو علمت أنك رسولُ الله ماحاربتُك فقال للكاتب : اكتب « محمد بن عبد الله » . وقد أخذ علىّ على الحكمين ألّا يجورا ، وإن يجورا فعلىّ أولى من معاوية وغيره . قالوا : إنّ معاوية يدّعى مثل دعوى علىّ . قال : فأيهما رأيتموه أوْلى فولّوه . قالوا : صدقت . فقال ابن عباس : ومتى جار الحكمان فلا طاعة لهما ولا قبول لقولهما . فاتبعه منهم ألفان وبقى أربعة آلاف .

قتال على لهم

فصلى بهم صلواتِهم ابن الكوّاء وقال : متى كانت حرب فرئيسكم شبث بن رِبْعىّ الرّياحى . فلم يزالوا على ذلك حتى اجتمعوا على البيعة لعبد الله بن وهب الرّاسبى ، فخرج بهم إلى النّهروان ، فأوقع بهم علىّ ، فقتل منهم ألفين وثمانمائة ، وكانَ عددهم ستة آلاف . وكان منهم بالكوفة زُهاء ألفين ممن يُسِرُّ أمرَه ؛ فخرج منهم رجل بعد أن قال على رضى الله عنه : ارجعوا وادفعوا إلينا قاتل عبد الله ابن خبّاب . قالوا : كلنا قتَله وشرَك فى دمه .

(١) فى بعض الأصول : « سهل » .

قتلهم ابن خباب

وذلك أنهم لما خرجوا إلى النهروان [1] لَقُوا مسلماً ونصرانيا ، فقتلوا المسلم وأوصوا بالنّصرانى خيرا ، وقالوا : احفظوا ذِمّة نبيكم . ولقوا عبد الله ابن خَبّاب ، وفى عنقه المصحف ومعه امرأته وهى حامل ، فقالوا : إنّ هذا الذى فى عُنقك يأمرنا بقتلك . فقال لهم : أحْيُوا ما أحيا القرآنُ ، وأميتوا ما أمات القرآن . قالوا : حدِّثنا عن أبيك . قال : حدثنى أبى قال : سمعت رسول الله ٥ صلى الله عليه وسلم يقول : تكون فتنةٌ يموت فيها قلبُ الرجل كما يموتُ بدنُه ، يُمسى مؤمناً ويُصبح كافرا ، فكن عبد الله المقتول ولا تكن عبد الله القاتل . قالوا : فما تقول فى أبى بكر وعمر ؟ فأثنى خيرا ؛ قالوا : فما تقول فى الحكومة والتحكيم ؟ قال : أقول إن عليا أعلمُ بالله منكم وأشدُّ توقّياً على دينه وأبعد بصيرة . قالوا : إنك لست تتبع الهدى ، بل الرجالَ على أسمائها . ثم قرّبوه إلى شاطئ ١٠ البحر فذبحوه ، فامذقَرّ [2] دمه ـ أى جرى مستقيما على دقة ـ وساموا رجلا نصرانيا بنخلة . فقال : هى لكم هِبَة . قالوا : ما كنا نأخذها إلا بثمن . فقال : ما أعجب هذا ! أتقتلون مثلَ عبد الله بن خبّاب ولا تقبلون منا جَنَى نخلة إلا بثمن .

فرقهم

ثم افترقت الخوارج على أربعة أضرب : الإباضية ، أصحاب عبد الله بن إباض ١٥ والصُّفرية واختلفوا فى تسميتهم [3] . فقال قوم : سُمّوا بابن الصَّفّار . وقال قوم : نَهكتهم العبادة فاصفرت وجوههم . ومنهم البَيْهسية : وهم أصحاب ابن بيهس . ومنهم الأزارقة ، أصحاب نافع بن الأزرق الحنفى ، وكانوا قبلُ علَى رأيٍ واحد لا يختلفون إلّا فى الشىء الشاذّ .

هم وابن الزبير

فبلغهم خروجُ مسلم بن عُقبة إلى المدينة وقتْلُه أهل حَرّة ، وأنه مُقبل إلى ٢٠ مكة ، فقالوا : يجب علينا أن نمنع حَرَمَ الله منهم ونمتحن ابنَ الزبير ، فإن كان على

(١) فى بعض الأصول : « إليهم » .
(٢) فى بعض الأصول : « فاندفر » .
(٣) فى بعض الأصول : « فى نسبهم » .

رأينا تابعناه . فلما صاروا إلى ابن الزبير عَرَّفوه أنفسهم وما قدِمُوا له ، فأظهر لهم أنه على رأيهم ، حتى أتاهم مسلم بن عُقبة وأهل الشام ، فدافعوه إلى أن يأتى رأىُ يزيد بن معاوية ، ولم يتابعوا ابن الزبير ؛ ثم تناظروا فيما بينهم ، فقالوا : ندخل إلى هذا الرجل فننظر ما عنده ، فإن قدّم أبا بكر وعمر وبرِئ من عثمان ٥ وعلىّ وكفّر أباه وطلحة بايعناه ؛ وإن تكن الأخرى ظهَر لنا ما عنده فتشاغلنا بما يُجْدِى علينا . فدخلوا على ابن الزبير وهو مُتَبذِّل وأصحابه متفرّقون عنه ، فقالوا له : إنا جئناك لتُخبرنا رأيك ، فإن كنت على صواب بايعناك ، وإن كنت على خلافٍ دعوناك إلى الحق ؛ ما تقول فى الشيخين ؟ قال : خيراً ، قالوا : فما تقول فى عثمان الذى حَمَى الحِمَى ، وآوى الطريد ، وأظهر لأهل مصر شيئاً ١٠ وكَتَبَ بخلافِه ، وأوطأ آل بنى مُعيط رقابَ الناس وآثرهُم بفىء المسلمين ؛ وفى الذى بعده الذى حكّمَ الرجالَ فى دين الله وأقام على ذلك غير تائب ولا نادم ؛ وفى أبيك وصاحبه وقد بايعا عليّا ، وهو إمام عادل مرضى لم يظْهَر منه كفر ، ثم نكثا بيعته وأخرجا عائشة تقاتل ، وقد أمرها الله وصواحبَها أن يقرْن فى فى بُيوتهن ، وكان لك فى ذلك ما يدعوك إلى التوبة ؛ فإن أنت قبلت كلّ ما نقول ١٥ لك الزُّلفى عند الله ، والنصرُ على أيدينا إن شاء الله ، ونسأل الله لك التوفيق ، وإن أبيتَ خذَلَكَ اللهُ وانتصر منك بأيدينا .

فقال ابن الزبير : إن الله أمر وله العزّة والقدرة فى مخاطبة أكْفَر الكافرين وأعْتَى العاتين بأرقّ من هذا القول ؛ قال لموسى وأخيه صلى الله عليهما : ﴿ إذْهَبا إلى فِرْعَوْنَ إنَّهُ طَغَى ، فقولَا لهُ قوْلًا ليِّناً لعَلَّهُ يتذَكَّرُ أوْ يَخْشَى ﴾ . وقال ٢٠ رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تُؤذوا الأحياء بسَبِّ الموتى . فنهى عن سَبِّ أبى جهل من أجل عكرمة ابنه ، وأبو جهل عدوُّ الله ورسوله ، والمقيمُ على الشرك ، والجادُّ فى محاربة رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الهجرة والمحاربُ له بعدها ، وكفى بالشرك ذنباً ؛ وقد كان يُغنيكم عن هذا القول الذى سمّيتم فيه طلحة

وأبى أن تقولوا : أتبرأ من الظالمين ؟ فإن كانا منهم دخلا فى غُمار الناس [1] ، وإن لم يكونا منهم لم تحفظونى بسبِّ أبى وصاحبه، وأنتم تعلمون أن الله جلّ وعزّ قال للمؤمن فى أبويه : ﴿ وإنْ جاهَدَاكَ على أنْ تُشرِكَ بى ما ليسَ لكَ بهِ عِلْمٌ فلا تُطِعْهُما وصاحِبْهُما فى الدُّنيا مَعْروفاً ﴾ وقال : ﴿ وقولُوا لِلنّاسِ حُسناً ﴾ . وهذا الذى دعوتم إليه أمرٌ له ما بعدَه ، وليس يُقنعكم إلا التوقيف والتّصريح ، ولعمرى إنّ ذلك أحْرَى بقطع الحجج ، وأوْضَحُ لمنهاج الحق ، وأوْلَى بأن يعرف كُلٌّ صاحبه من عدوّه . فرُوحوا إلىّ من عشيّتكم هذه أكشفْ لكم ما أنا عليه إن شاء الله تعالى .

خطبة ابن الزبير فيهم

فلمّا كان العشى راحوا إليه ، فخرج إليهم وقد لبس سلاحه ، فلمّا رأى ذلك نَجْدةُ [2] ، قال : هذا خُروج منابذ لكم . فجلس على رفع من الأرض فحمدالله وأثنى عليه وصلى على نبيّه . ثم ذكر أبا بكر وعمر أحسنَ ذكر ، ثم ذكر عثمان فى السنين الأوائل من خلافته ؛ ثم وصلهن بالسّنين التى أنكروا سيرتَه فيها فجعلها كالماضية ، وأخبر أنه آوى الحكم بن أبى العاصى بإذن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذكر الحِمَى وما كان فيه من الصلاح ، وأنّ القوم استعتبوه من أمورٍ ما كان له أن يفعلها أولا مصيباً ثم أعتبهم بعد ذلك محسنا . وأن أهل مصر لمّا أتوه بكتاب ذكروا أنه منه بعد أن ضَمِن لهم العُتْبى ثم كُتب ذلك الكتاب بقتلهم . فدَفعوا الكتاب إليه ، فحلف بالله أنه لم يكتبه ولم يأمر به ؛ وقد أمر الله عزّ وجلّ بقبول اليمين من ليس له مثلُ سابقته ، مع ما اجتمع له من صِهر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومكانه من الإمامة ، وأن بيعة الرضوان تحت الشجرة إنّما كانت بسببه ، وعثمانُ الرجل الذى لزمتْه يمينٌ لو حلف عليها حلف على حق ، فافتداها بمائة ألف ولم يحلف ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مَنْ حَلَفَ بالله فلْيَصْدُق ، ومن حلف بالله فلْيَقْبَل . وعثمان أمير المؤمنين كصاحبيه .

(١) فى بعض الأصول : « المسلمين » .

(٢) نجدة : ابن عاصم الحنفى الخارجى .

وأنا وليُّ وليِّه وعدوُّ عدوِّه ، وأبي وصاحبه صاحبا رسول الله صلى الله عليه وسلم ورسولُ الله يقول عن الله عز وجل يوم أُحد لما قُطعت أصبعُ طلحة : سبقتْه إلى الجنة . وقال : أوْجَبَ طلحة . وكان الصّديق إذا ذكر يوم أحد قال : ذلك يوم كله أو جُلّه لطلحة . والزبيرُ حواريُّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وصفوتُه ، وقد ذكر أنه فى الجنة . وقال عز وجل : ﴿ لقد رضِيَ ٱللهُ عَنِ المُؤْمِنينَ إذْ يُبايعُونَكَ تحتَ الشَّجَرة ﴾ . وما أخبرَنا بعدُ أنه سخط عليهم ؛ فإن يكن ما صنعوا حقًّا فأهلُ ذلك هُمْ ، وإن يكن زلّةً ففى عفو الله تمحيصُها ، وفيما وفّقهم له من السابقة مع نبيهم صلى الله عليه وسلم ، ومهما ذكرتموهما به فقد بدأتكم بأمّكم عائشة ، فإن أبَى آبٍ أن تكون له أمًّا ، نَبَذ اسمَ الإيمان عنه ؛ وقد قال جلَّ ذكره : ﴿ النبيُّ أَوْلَى بالمُؤْمنينَ من أنفُسِهِمْ وأزواجُهُ أُمَّهاتُهُمْ ﴾. فنظر بعضهم إلى بعض ثم انصرفوا عنه .

كتاب ابن الأزرق إلى ابن الزبير

وكتب بعد ذلك نافعُ بن الأزرق إلى عبد الله بن الزُّبير يدعوه إلى أمره : أما بعد ، فإني أحذّرك من الله : يوم تَجِدُ كلُّ نفسٍ ما عَمِلَتْ من خَيْرٍ مُحْضَراً وما عَمِلَتْ من سُوءٍ تَوَدُّ لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً ، ويُحذِّرُكم الله نفسَه ، فاتق الله ربَّك ولا تتولَّ الظالمين ، فإن الله يقول : ﴿ ومَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنكُمْ فإنه مِنْهُمْ ﴾ وقال : ﴿ لا يَتَّخِذِ المؤْمِنونَ الكافرينَ أولياءَ مِنْ دونِ المؤْمنين ومَن يفْعَلْ ذلِك فليسَ مِن ٱللهِ فى شيءٍ ﴾ ، وقد حضرت عثمان يوم قُتل . فلعَمْرِى لئن كان قُتل مظلوما لقد كفَر قاتِلوه وخاذِلُوه ، ولئن كان قاتِلوه مهتدين ، وإنهم لمهتدون ، لقد كفَر من تَوَلَّاه ونصره ولقد علمت أنّ أباك وطلحة وعليًّا كانوا أشدّ الناس عليه ، وكانوا فى أمره بين قاتل وخاذِل ، وأنت تتولى أباك وطلحة وعثمان ، فكيف ولايةُ قاتلٍ متعمّد ومقتولٍ فى دين واحد ؟ ولقد ولِيَ على بعده فنفَى الشُّبهات ، وأقام الحدود ، وأجرى الأحكام مجاريها ، وأعطى الأمور حقَّها فيما عليه وله ، فبايعه أبوك وطلحة ، ثم خلعا بيعته ظالمين له ، وإن القول فيك وفيهما لكما قال ابن عباس رحمه الله : إن يكن عليٌّ فى وقت معصيتكم ومحاربتكم له كان

مؤمنا لقد كفرتم بقتال المؤمنين وأئمة العدل ، وإن كان كافراً كما زعمتم وفى الحكم جائراً لقد بُؤتم بغضب من الله لفِراركم من الزحف ، ولقد كنتَ له عدوًّا ، ولسيرته عائبا ، فكيف توليته بعد موته .

بين نجدة وابن الأزرق

وكتب نجدة . وكان من الصُّفرية القَعَدية . إلى نافع بن الأزرق لمّا بلغه عنه استعراضه للناس وقتلُه الأطفال ، واستحلالُه الأمانة : ٥

بسم الله الرحمن الرحيم ، أما بعد ، فإن عهدى بك وأنت لليتيم كالأب الرحيم ، وللضعيف كالأخ البَرّ ، لا تأخذك فى الله لومةُ لائم ، ولا ترى معونةَ ظالم ؛ كذلك كنت أنت وأصحابك . أما تذكر قولك : لولا أنى أعلم أن للإمام العادل مثلَ أجر جميع رعيته ما توليت أمر رجلين من المسلمين ، فلما شَرَيتَ نفسك فى طاعة ربك ابتغاء رضوانه ، وأصبتَ من الحق فصّه وركبتَ ١٠ مُرّه ، تجرّد لك الشيطان فلم يكن أحدٌ أثقلَ وطأةً عليه منك ومن أصحابك ، فاستمالك واستغواك ، فغويتَ وأكفرْتَ الذين عذَرهم اللهُ فى كتابه من قَعَدِ المسلمين وضَعَفَتهم ، فقال جل ثناؤه ، وقوله الحق ووعده الصدق : ﴿ ليس على الضعفاءِ ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما يُنفِقون حرجٌ إذا نصحوا لِلّهِ ورسولِهِ ﴾ ثم سمّاهم أحسنَ الأسماء فقال : ﴿ ما على المحسنينَ ١٥ من سبيل ﴾ ثم استحللتَ قتل الأطفال ، وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتلهم ، وقال جل ثناؤه : ﴿ ولا تَزِرُ وازرةٌ وِزْرَ أُخرى ﴾ وقال فى القَعَد خيرا ، وفَضّل اللهُ مَن جاهد عليهم ، ولا يدفع منزلةُ أكثرِ الناس عملا منزلة من هو دونه . إلا إذا اشتركا فى أصل . أوَ ما سمعت قوله تبارك وتعالى : ﴿ لا يستوى القاعدون من المؤمنين غيرُ أُولِى الضررِ والمجاهدون فى سبيل الله ﴾ فجعلهم الله ٢٠ من المؤمنين ، وفَضّل عليهم المجاهدين بأعمالهم . ورأيتَ من رأيك أن لا تؤدّى الأمانة إلى من يُخالفك ، والله يأمرك أن تؤدّىَ الأماناتِ إلى أهلها . فاتق الله وانظر لنفسك ، واتق ﴿ يوماً لا يَجزى والدٌ عن ولدِه ولا مولودٌ هو جازٍ عن والده شيئا ﴾ فإن الله بالمرصاد ، وحُكمه العدْل ، وقوله الفصل . والسلام .

جواب نافع

فكتب إليه نافع بن الأزرق :

بسم الله الرحمن الرحيم ، أما بعد ، فقد أتانى كتابك تعظنى فيه وتذكرنى ، وتنصح لى وتزجرنى ، وتصف ما كنت عليه من الحق ، وما كنت أوثره من الصواب ؛ وأنا أسأل الله أن يجعلنى من الذين يستمعون القولَ فيتّبعون أحسنَه ، ٥ وعِبْتَ علىّ ما دِنْتُ به من إكفار القَعَد ، وقتل الأطفال ، واستحلال الأمانة . وسأفسّر لك لِمَ ذلك إن شاء الله : أما هؤلاء القَعد فليسوا كمن ذكرتَ ممن كان بِعَهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لأنهم كانوا بمكة مقهورين محصورين ، لا يجدون إلى الهرب سبيلا ، ولا إلى الاتصال بالمسلمين طريقاً ؛ وهؤلاء قد فقهوا فى الدين ، وقرءوا القرآن ، والطريقُ لهم نَهج واضح . وقد عرفت ما يقول الله ١٠ فيمن كان مثلهم ، إذ قال : ﴿ إنّ الذين تَتوَفّاهُمُ الملائكةُ ظالِمِى أنفُسِهِمْ قالوا فيمَ كنتُمْ ، قالوا كنا مُسْتَضْعَفِين فى الأرضِ ، قالوا ألَمْ تَكُنْ أرضُ اللهِ واسِعَةً فتُهاجِروا فيها ﴾ . وقال ﴿ فَرِح المخلَّفون بمَقْعَدِهم خِلافَ رسولِ الله ﴾ . وقال : ﴿ وجاء المُعَذِّرونَ من الأعْرابِ لِيُؤْذَنَ لهُمْ . وقعد الذينَ كذَبوا اللهَ ورسولَه . سَيُصِيبُ الذينَ كفَرُوا مِنهُمْ عذابٌ أليمٌ ﴾ . فانظر إلى أسمائهم وسِماتهم[1] .

١٥ وأما أمر الأطفال فإن نبى الله نوحا عليه السلام كان أعرفَ بالله يا نجدةُ منى ومنك ، فقال : ﴿ رَبِّ لا تَذَرْ على الأرضِ منَ الكافرين دَيّارا ، إنّكَ إنْ تَذَرْهُم يُضِلُّوا عبادَكَ ولا يَلِدُوا إلا فاجِراً كَفّارا ﴾ فسماهم بالكفر وهم أطفال وقبل أن يُولدوا ؛ فكيف جاز ذلك فى قوم نوح ولا يجوز فى قومنا والله يقول : ﴿ أكفّارُكُمْ خيرٌ مِنْ أُولئِكُمْ أمْ لكُمْ براءةٌ فى الزُّبُرِ ﴾ وهؤلاء كمشركى العرب ، ٢٠ لا تُقبل منهم جزْية ، وليس بيننا وبينهم إلا السيف أو الإسلام .

وأما استحلالُ الأمانات ممن خالفَنا فإن الله عز وجل أحل لنا أموالهم ، كما أحلَّ لنا دماءهم ، فدماؤهم حلال طِلْق ، وأموالهم فَىْءٌ للمسلمين ، فاتق الله

(١) فى بعض الاصول : « فسماهم بالكفر » . مكان عبارة « فانظر إلى أسمائهم وسماتهم » .

وراجع نفسَك ، فإنه لاعذر لك إلّا بالتوبة ، ولا يَسَعُك خذْلانُنا والقُعود دوننا ، وترك ما نهجناه لك من طريقتنا ومقالتنا . والسلام على من أقرّ بالحق وعمل به .

مرداس وابن زياد

وكان مرداس أبو بلال من الخوارج ، وكان مستترا ، فلما رأى جِدّ[1] ابن زياد فى قتل الخوارج وحبسِهم ، قال لأصحابه : إنه والله لا يسعُنا المقام بين هؤلاء الظالمين ، تجرى علينا أحكامُهم مُجانبين للعدل ، مفارقين للعقل ؛ والله إنّ الصبر على هذا لعظيم ، وإن تجريد السيف وإخافة السبيل لعظيم ، ولكنا لا نَبتدئهم ، ولا نجرّد سيفا ، ولا نقاتل إلا من قاتَلَنا . فاجتمع أصحابه وهم ثلاثون رجلا ، فأرادوا أن يُولُّوا أمرهم حُرَيْثَ بن حَجْل[2] ، فأبى . فولَّوا أمرهم مرداساً أبا بلال . فلما مضى بأصحابه لقيه عبد الله بن رَبَاح الأنصارىّ ، وكان له صديقا ، فقال له : يا أخى ، ؟ قال : أُريد أن أهرُب بدينى ودين أصحابى هؤلاء من أحكام الجَوَرَة والظلمة . فقال له : أعلِمَ بكم أحد ؟ قال : لا . قال : فارجع . قال : أو تخاف علىّ مكروها ؟ قال : نعم وأن يُؤتَى بك . قال : فلا تخفْ ؛ فإنى لا أُجَرِّدُ سيفا ، ولا أُخيف أحداً ، ولا أُقاتل إلا من قاتلنى .

ثم مضى حتى نزل آسَك[3] وهو موضع دون خُراسان ، فمر به مال يُحمَل إلى ابن زياد ، وقد بلغ أصحابه أربعين رجلا ، فحط ذلك المال ، وأخذ منه عطاءه وأعطِيَات أصحابه ، وردّ الباقى على الرسل ، وقال : قولوا لصاحبكم إنما قَبضنا أعطياتنا . فقال بعضُ أصحابه : فعلامَ نَدَع الباقى ؟ فقال : إنهم يقسمون هذا الفىء كما يُقيمون الصلاة ، فلا نقاتلهم[4] .

شعر مرداس

ولأبى بلال مرداس هذا أشعار فى الخروج ؛ منها قوله :

أَبعدَ ابن وهب ذى النَّزاهة والتُّقى ٭ ومَن خاض فى تلك الحروب المهالكا

(١) فى بعض الأصول : « حزم » .
(٢) فى بعض الأصول : « حريث بن حجر » . وما أثبتناه من الكامل .
(٣) فى بعض الأصول : « آبل » .
(٤) فى بعض الأصول : « فلا نقاتلهم مع الصلاة » .

أُحِبُّ بقاءً أو أُرَجَّى سَــلامةً ٭ وقد قَتلوا زَيْدَ بن حِصْنٍ ومالِكا
فيــاربِّ ســلِّمْ نيَّتى وبصيرتى ٭ وهبْ لى البقا حتى أُلاقى أُولئكا

وقالوا إن رجلا من أصحاب زياد، قال: خرجنا فى جيش تريد خراسان، فمررنا بآسَك، فإذا نحن بمرداس وأصحابه وهم أربعون رجلا، فقال: أقاصدون لقتالنا أنتم؟ قلنا: لا، إنما نريد خراسان. قال: فأبلغوا مَن لقيتم أنّا لم نخرج لنُفسد فى الأرض ولا لنروّع أحدا، ولكن هربنا من الضرر، ولسنا نُقاتل إلا مَن يقاتلنا؛ ولا نأخذ من الفيء إلا أُعْطِياتنا. ثم قال: أَنُدِب لنا أحد؟ فقلنا: نعم، أسلم بن زُرعة الكلابى. قال: فمتى تَرَوْنه يصل إلينا؟ قلنا له: يوم كذا وكذا. فقال أبو بلال: حَسْبُنا الله ونعم الوكيل.

ونَدب عُبيد الله بن زياد أسلم بن زُرعة الكلابى، ووجّهه إليهم فى ألفين، فلما صار إليهم صاح به أبو بلال: اتّق الله يا أسلم فإنا لانريد قتالا ولا نحتجز مالا، فما الذى تريد؟ قال: أريد أن أردّكم إلى ابن زياد. قال: إذاً يقتلنا. قال: وإن قتلكم. قال: أفتشْرَكه فى دمائنا؟ قال: نعم، إنه مُحق وأنتم مُبطِلون. قال أبو بلال: وكيف هو مُحِق وهو فاجر يطيع الظَّلَمَة؟

ثم حملوا عليه حملة رجل واحد، فانهزم هو وأصحابه. فلما ورد على ابن زياد غضب عليه غضباً شديداً، وقال: انهزمت وأنت فى ألفين عن أربعين رجلا! قال له أسلم: والله لأنْ تَذُمَّنى حيًّا أحبُّ إلىّ مِن أن تحمدنى ميتا. وكان إذا خرج إلى السوق ومر بالصبيان صاحوا به: أبو بلال وراءك! حتى شكا إلى ابن زياد، فأمر الشرط أن يكفّوا الناس عنه.

ردّ عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه على شوذب الخارجى

الهيثم بن عدىّ قال: أخبرنى عَوانة بن الحكم عن محمد بن الزُّبير قال: بعثنى عمر بن عبد العزيز مع عَون بن عبد الله بن مَسعود إلى شوذب الخارجى وأصحابه، إذ خرجوا بالجزيرة، وكتب معنا كتابا إليهم. فقدمْنا عليهم ودفعْنا كتابه إليهم.

فبعثوا معنا رجلا من بنى شَيبان ورجلا فيه حبشية يقال له شَوذب ، فقدما معنا على عمر وهو بخُناصِرة[١] ، فصعدنا إليه ، وكان فى غرفة ومعه آبنه عبد الملك وحاجبه مزاحم ، فأخبرناه بمكان الخارِجيّيْن . فقال عمر : فتشوهما لا يكن معهما حديد ، وأدخلوهما . فلما دخلا قالا : السلام عليكم . ثم جلسا . فقال لهما عمر : أخبرانى : ما الذى أخرجكم عن حكمى هـذا وما نقَمْتم ؟ فتكلم الأسود منهما ، ٥ فقال : إنا والله مانقمنا عليك فى سيرتك وتحرّيك العدل والإحسان إلى من وُلِّيت ولكنْ بيننا وبينك أمر إن أعطيْتَناه فنحن منك وأنت منا ، وإن منَعْتناه فلست منا ولسنا منك . قال عمر : ما هو ؟ قال : رأيناك خالفت أهل بيتك وسميتَها مظالم ، وسلكت غير طريقهم، فإن زعمت أنك على هدى وهم على ضلال فالعنْهُم وابْرَأ منهم ، فهذا الذى يجمع بيننا وبينك أو يفرق . ١٠

فتكلم عمر فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : إنى قد علمت أو ظننت أنكم لم تخرجوا مَخْرَجكم هذا لطلب الدنيا ومتاعِها ، ولكنكم أردتم الآخرة فأخطأتم سبيلَها ، وإنى سائلكما عن أمر ، فبالله آصْدُقانى فيه مبلغَ علمِكما . قالا : نعم . قال : أخبرانى عن أبى بكر وعمر ، أليسا من أسلافكما ومن تتوليان وتشهدان لهما بالنجاة ؟ قالا : اللهم نعم . قال : فهل علمتما أن أبا بكر حين قُبض رسول الله صلى الله ١٥ عليه وسلم فارتدت العرب قاتلهم ، فسفك الدماء ، وأخـذ الأموال ، وسبى الذرارى ؟ قالا : نعم . قال : فهل علمتم أن عمر قام بعد أبى بكر فردّ تلك السبايا إلى عشائرها ؟ قالا ، نعم . قال : فهل برئ عمر من أبى بكر أو تبْرَءون أنتم من واحد منهما ؟ قالا : لا . قال : فأخبرانى عن أهل النَّهروان ، أليسوا من صالحى أسلافكم وممن تشهدون لهم بالنجاة ؟ قالا : نعم . قال : فهل تعلمون ٢٠ أن أهل الكوفة حين خرجوا كفّوا أيديهم ، فلم يسفكوا دما ، ولم يُخيفوا آمنا ، ولم يأخذوا مالا ؟ قالا : نعم . قال : فهل علمتم أن أهل البصرة حين خرجوا مع مِسْعر بن فُديك استعرضوا النـاس يقتلونهم ، ولقوا عبد الله

---

(١) خناصرة : بلدة من أعمال حلب .

ابن خبّاب بن الأرتّ صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقتلوه وقتلوا جاريته ، ثم قتلوا النساء والأطفال ، حتى جعلوا يلقونهم فى قدور الأقط وهى تفور ؟ قالا : قد كان ذلك . قال : فهل برئ أهل الكوفة من أهل البصرة ؟ قالا : لا . قال : فهل تبرءون من إحدى الفئتين ؟ قالا : لا . قال : أفرأيتم الدين ، أليس ٥ هو واحداً أم الدين اثنان ؟ قالا : بل واحد . قال : فهل يسعكم منه شئ يُعجزُنى ؟ قالا : لا . قال : فكيف وَسِعَكم أن تولّيتم أبا بكر وعمر ، وتولى كلٌ واحد منهما صاحبَه ، وتوليتم أهلَ الكوفة والبصرة ، وتولى بعضُهم بعضا ؛ وقد اختلفوا فى أعظم الأشياء : فى الدماء والفروج والأموال ، ولا يسعنى إلا لعنُ أهل بيتى والتبرؤ منهم أوَ رأيت لَعْن أهل الذنوب فريضةً مفروضة لابد منها ؛ فإن كان ١٠ ذلك فمتى عهدُك بلعنِ فرعون وقد قال : أنا ربكم الأعلى ؟ قال : ما أذكر أنى لعنتُه . قال : ويحك ! أيسعك ألّا تلعنَ فرعون وهو أخبثُ الخلق ، ولا يسعنى إلا أن ألعن أهل بيتى والبراءة منهم ؟ ويحكم ! إنكم قوم جهال ، أردتم أمراً فأخطأتموه ، فأنتم تَرُدُّون على الناس ما قَبِلَ منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم . بعثه الله إليهم وهم عَبَدَةُ أوثان ، فدعاهم إلى أن يخلعوا الأوثان ، وأن يشهدوا ١٥ أن لا إله إلا الله وأنّ محمداً عبده ورسوله ، فمن قال ذلك حقَن بذلك دمه ، وأحرز ماله ، ووَجبتْ حُرمتُه ، وأمِن به عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان أسوة المسلمين ، وكان حسابُه على الله . أفلستم تلقونَ مَن خلَع الأوثان ، ورفَض الأديان ، وشهد أن لا إله إلا الله وأنّ محمداً رسول الله ، تستحِلون دمَه وماله ، ويُلعَن عندكم ، ومَن ترَك ذلك وأباه ، من اليهود والنصارى وأهل الأديان ٢٠ فتحرّمونه دمَه ومالَه ويأمن عندكم ؟ فقال الأسود : ماسمعتُ كاليوم أحداً أبْيَنَ حجة ، ولا أقربَ مأخذا ، أما أنا فأشهد أنك على الحق ، وأنى برىء ممن برئ منك ! فقال عمر لصاحبه : يا أخا بنى شيبان ، ماتقول أنت ؟ قال : ما أحسنَ ما قلت ووصفت ! غير أنى لا أفتات على الناس بأمر حتى ألقاهم بما ذكرت وأنظرَ ماحُجّتُهم . قال : أنت وذاك ! فأقام الحبشى مع عمر وأمر له بالعطاء ، فلم

يلبث أن مات ، ولحق الشيبانىُّ بأصحابه فقُتِل معهم بعد وفاة عمر

القول فى أصحاب الأهواء

رجل ذُكر عند النبى صلى الله عليه وسلم بالاجتهاد

وذُكر رجل عند النبى صلى الله عليه وسلم ، فذكروا فضلَه، وشدةَ اجتهاده فى العبادة ، فبينما هم فى ذكره حتى طلع عليهم الرجل ؛ فقالوا : يارسول الله ، هو هذا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أما إنى أرى بين عينيه سفعة من الشيطان ! فأقبل الرجل حتى وقف فسلّم عليهم ، فقال هل حدثَتْك نفسُك إذ طلعتَ علينا أنه ليس فى القوم أحسنُ منك ؟ قال : نعم . ثم ذهب إلى المسجد يصفّ بين قدميه يصلى ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : أيكم يقوم إليه فيقتله ؟ فقال أبو بكر : أنا يا رسول الله . فقام إليه فوجده يصلى ، فهابه فانصرف . قال : ما صنعتَ ؟ قال : وجدُته يصلى يا رسول الله فهِبْتُه . فقال النبى صلى الله عليه وسلم : أيكمْ يقوم إليه فيقتله ؟ قال عمر : أنا يا رسول الله . فقام إليه فوجده يصلى ، فهابه فانصرف . فقال : يا رسول الله ، وجدتُه يصلى فهِبْتُه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أيكم يقوم إليه فيقتله ؟ فقال علىّ : أنا يارسول الله . قال : أنت له إن أدركتَه . فقام إليه فوجده قد انصرف ؛ فقال النبى عليه الصلاة والسلام : هذا أولُ قرْنٍ يطلُع فى أمّتى ، لو قتلتموه ما اختلف بعده اثنان : إنّ بنى إسرائيل افترقت على اثنتين وسبعين فرقة ، وإن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة ، كلها فى النار إلا فرقة واحدة ، وهى الجماعة .

الرافضـــة

تسميتهم بذلك الاسم

وإنما قيل لهم رافضة لأنهم رفضوا أبا بكر وعمر ، ولم يرفضهما أحدٌ من أهل الأهواء غيرهم ، والشيعة دونهم ، وهم الذين يفضلون عليا على عثمان ويتولّون أبا بكر وعمر ، فأما الرافضة فلها غلوٌّ شديد فى علىّ ، ذهب بعضهم مذهبَ النصارى فى المسيح ، وهم السّبئية أصحاب عبد الله بن سبأ ، عليهم لعنة الله .

للسيد الحميري فيهم

وفيهم يقول السيد الحِمْيَرِى :

قوم غلَوْا فى علىٍّ لا أبا لهم ، وأجشموا أنفساً فى حُبّه تَعَبَا

قالوا هو الله جلّ الله خالقُنا ، من أنْ يكونَ له ابنٌ أو يكونَ أبا

وقد أحرقهم على رضى الله عنه بالنار .

المغيرة بن سعد والأعمش

٥ ومن الروافض المُغيرة بن سعد مولى بجيلة ، قال الأعمش : دخلت على المغيرة ابن سعد فسألته عن فضائل علىّ ، فقال : إنك لا تحتملها ! قلت : بلى . فذكر آدم صلوات الله عليه ، فقال : علىٌّ خيرٌ منه ! ثم ذكر من دونه من الأنبياء ، فقال : علىٌّ خيرٌ منهم ! حتى انتهى إلى محمد صلى الله عليه وسلم ، فقال : علىٌّ مثله . فقلت : كذبتَ عليك لعنة الله . قال : قد أعلمتك أنك لا تحتملها .

المنصورية

١٠ ومن الروافض مَن يزعم أن عليًا رضى الله عنه فى السحاب ، فإذا أظلّتْ عليهم سحابة قالوا : السلام عليك يا أبا الحسن ! وقد ذكرهم الشاعر فقال :

بَرِئتُ من الخوارج لستُ منهم ، من الغَزّالِ منهم وابنِ بابِ [1]

ومِن قومٍ إذا ذكروا عليًّا ، يَرُدُّون السلامَ على السحاب

ولكنى أُحِبُّ بكلّ قلبى ، وأعلم أنّ ذاكَ من الصواب

١٥ ... رسولَ اللهِ والصِّدِّيقَ حقًّا ، به أرجو غداً حُسْنَ الثوابِ

وهؤلاء من الرافضة يقال لهم المنصورية ، وهم أصحاب أبى منصور الكِسْف . وإنما سمى الكِسف لأنه كان يتأول فى قول الله عز وجل : ﴿ وإن يَرَوْا كِسفاً من السماء ساقطا يقولوا سحابٌ مركوم ﴾ فالكِسف علىٌّ ، وهو السحاب .

المغيرة ومقتله

وكان المغيرة بن سعد من السبئية الذين أحرقهم علىّ رضى الله تعالى عنه بالنار ، ٢٠ وكان يقول : لو شاء علىّ لأحيى عاداً وثمودا وقروناً بعد ذلك كثيرا ، وخرج لخالد ابن عبد الله ، فقتله خالد وصلبه بواسط عند قنطرة العاشر .

كثير عزة

ومن الروافض كُثَيّر عزّة الشاعر ، ولما حضرته الوفاةُ ، دعا ابنة أخ له فقال :

---

(١) فى بعض الأصول : « وابن داب » ، والتصويب من الكامل .

يابنة أخى ، إن عمك كان يُحب هذا الرجل فأَحِبِّيه ـ يعنى علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه ـ فقالت : نصيحتُك ياعمّ مردودةٌ عليك ، أُحبه والله خلاف الحبّ الذى أحببتَه أنت . فقال لها : برئت منك . وأنشد يقول :

برئتُ إلى الإلهِ منَ ابن أرْوَى ٭ ومِن قوْل الخوارج أجمعِينا
ومن عُمَر برئتُ ومن عَتِيق ٭ غَداةَ دُعِى أمير المؤمنينا ٥

ابن أروى : عثمان .

من رأيهم والروافض كلها تُؤمن بالرّجعة ، وتقول : لا تقوم الساعة حتى يخرج المهدى وهو محمد بن على ، فيملؤها عدلا كما مُلئت جَورا ، ويُحيى لهم موتاهم فيرجعون إلى الدنيا ، ويكون الناس أُمة واحدة ، وفى ذلك يقول الشاعر :

ألا إنَّ الأئمةَ من قُريْشٍ ٭ وُلَاة العدْل أربعةٌ سواء ١٠
علِى والثلاثة من بنيه ٭ همُ الأسباطُ ليس بهم خَفاء
فسِبْطٌ سِبْطُ إيمانٍ وبِرّ ٭ وسِبط غيَّبتْه كَرْبلاء

أراد بالأسباط الثلاثة : الحسن والحسين ومحمد بن الحنفية ، وهو المهدى الذى يخرج فى آخر الزمان .

السيد الحميرى ومن الروافض السيد الحميرى ، وكان يُلقى له وسائد فى مجلس الكوفة يجلس عليها ، وكان يؤمن بالرَّجعة ، وفى ذلك يقول : ١٥

إذا ما المرء شابَ له قَذالٌ ٭ وعلّله المواشط بالخِضاب
فقد ذَهَبت بَشاشتُه وأَوْدى ٭ فقمْ بأبيك وابْك على الشباب
فليس بعائدٍ ما فات منه ٭ إلى أحدٍ إلى يوم المآبِ
إلى يوْم يؤوب الناسُ فيه ٭ إلى دنياهمُ قبل الحسابِ ٢٠
أدِينُ بأن ذاك كذاك حقًّا ٭ وما أنا فى النُّشور بذِى ارتيابِ
لأنَّ الله خَبَّر عن رجالٍ ٭ حَيُوا من بَعد دَسٍ فى الترابِ

وقال يرثى أخاه :

يابن أُمى فدتْك نفسى ومالى ٭ كنت رُكنى ومَفْزعى وجمالى
ولَعَمْرى لئن تركتُك[1] ميْتاً ٭ رهْن رَمْس ضَنْك عليك مُهالِ
لوَشِيكا ألقاك حيًّا صحيحا ٭ سامعا مُبْصراً على خير حالِ
قد بُعِثْتم من القبور فأُبْتم ٭ بَعد مارَمَّتِ العظامُ البوالى
أو كسبعين وافداً مع موسى ٭ عاينوا هائلا من الأهوالِ
حين راموا من خُبْثِهم رؤيةَ الله وأَنَّى برؤيةِ المتعالى
فرماهُمْ بصَعْقةٍ أحرقتهم ٭ ثم أحياهُمُ شديدُ المِحالِ

المأمون ورجل من الحسبانية

دخل رجل من الحِسْبانية على المأمون ، فقال : لثُمامة بن أشرس : كلِّمه ، فقال له : ما تقول ؟ وما مذهبك ؟ فقال : أقول إن الأشياء كلها على التوهُّم والحِسْبان ، وإنما يُدرِك منها الناسُ على قَدْر عقولهم ، ولا حقَّ فى الحقيقة . فقام إليه ثمامة فلطَمه لطمةً سَوّدت وجهَه . فقال : يا أمير المؤمنين ، يَفعل بى مثل هذا فى مجلسك ؟ فقال له ثُمامة : وما فعلت بك ؟ قال : لطمتَنى ، قال : ولعل إنما دهنتك بالبان . ثم أنشأ يقول :

ولعلَّ آدم أُمُّنا ٭ والأبُ حَوًّا فى الحسابْ
ولعلَّ ما أبْصَرْت من ٭ بِيض الطُّيور هو الغرابْ
وعساك حين قعدْت قُمْـ ٭ ـتَ وحين جئتَ هو الذَّهابْ
وعسى البنفسَجُ زَنْبقا ٭ وعسى البَهار هوَ السَّذابْ
وعساك تأكلُ من خرًا ٭ ك وأنت تحسَبُه كبابْ

ابن عباس ورافضى

ومن حديث ابن أبى شيبة أن عبد الله بن شدّاد قال : قال لى عبد الله بن عباس : لأخبرنك بأعجب شىء : قَرَع اليوم علىّ الباب رجلٌ لمّا وضعت ثيابى للظهيرة ، فقلت : ما أتى به فى مثل هذا الحين إلا أمرٌ مُهم ، أدْخِلوه . فلما دخل قال :

---

(١) فى بعض الأصول : « لاتركتك » .

متى يُبْعث ذلك الرجل ؟ قلت : أى رجل ؟ قال : علىّ بن أبى طالب . قلت : لا يُبْعَث حتى يَبعث الله من فى القبور . قال : وإنك لتقول بقول هذه الجهلة ! قلت : أخرجوه عنى لعنه الله .

الكيسانية

ومن الروافض : الكيسانية ، قلت : وهم أصحاب المختار بن أبى عبيد، ويقولون إن اسمه كيسان . ٥

الحسينية

ومن الرافضة الحُسينية ، وهم أصحاب إبراهيم بن الأشتر ، وكانوا يطوفون بالليل فى أزقّة الكوفة وينادون : ياثارات الحسين . فقيل لهم الحسينية .

الغرابية

ومن الرافضة الغُرابية ، سميت بذلك لقولهم : علىّ أشبه بالنبى من الغراب بالغراب .

الزيدية

ومن الرافضة الزيدية ، وهم أصحاب زيد بن علىّ المقتول بخراسان ، وهم أقلُّ الرافضة غُلُوّا ، غير أنهم يرون الخروج مع كل من خرج . ١٠

الرافضة والشعبى

مالك بن معاوية قال : قال لى الشّعبى وذَكَرْنا الرافضة : يامالك ، لو أردت أن يُعطونى رقابَهم عبيداً وأن يملئوا بيتى ذهبا على أن أكْذِبَهم على علِىّ كِذبةً واحدة لفعلوا ، ولكنى والله لا أكذب عليه أبداً ، يامالك ، إنى درست[1] الأهواء كلها ، فلم أرَ قوماً أحمقَ من الرافضة ؛ فلو كانوا من الدواب لكانوا حميرا ، ١٥ أو كانوا من الطير لكانوا رَخَما : ثم قال : أحذرك الأهواء المُضِلّة ، شرُّها الرافضة ، فإنها يهود هذه الأمة ، يُبغِضون الإسلام كما يُبغض اليهود النصرانية ، ولم يدخلوا فى الإسلام رغبةً ولا رهبة من الله ، ولكن مقتاً لأهل الإسلام وبَغْياً عليهم ، وقد حرّقهم علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه بالنار ، ونفاهم إلى البلدان ، منهم عبد الله بن سبأ ، نفاه إلى ساباط ؛ وعبد الله بن سباب ، نفاه إلى ٢٠ الجازر[2] وأبو الكروّس ؛ وذلك أن محنة الرافضة محنة اليهود ، قالت اليهود :

(١) فى بعض الاصول : «دست» .

(٢) الجازر : قرية من نواحى النهروان . وفى بعض الأصول : «الحازر» .

لا يكون المُلْك إلا فى آل داود ، وقالت الرافضة : لا يكون الملك إلا فى آل على ابن أبى طالب . وقالت اليهود : لا يكون جهاد فى سبيل الله حتى يخرج المَسيح المنتظر ، وينادِى منادٍ من السماء . وقالت الرافضة : لا جهاد فى سبيل الله حتى يخرج المهدى وينزل سببٌ من السماء . واليهود يؤخرون صلاة المغرب حتى تشتبك النجوم ، وكذلك الرافضة . واليهود لا ترى الطلاق الثلاث شيئا ، وكذا الرافضة . واليهود لا ترى على النساء عِدَّة ، وكذلك الرافضة : واليهود تستحل دَمَ كلِّ مسلم ، وكذلك الرافضة ، واليهود حرَّفوا التوراة ، وكذلك الرافضة حرَّفت القرآن واليهود تُبغض جبريل وتقول : هو عدونا من الملائكة ، وكذلك الرافضة تقول : غلط جبريل فى الوحى إلى محمد بترك على بن أبى طالب . واليهود لا تأكل لحم الجَزور ، وكذلك الرافضة . ولليهود والنصارى فضيلةٌ على الرافضة فى خصلتين : سئل اليهود : مَنْ خيرُ أهل مِلَّتِكم ؟ فقالوا : أصحاب موسى : وسئلت النصارى ، فقالوا : أصحاب عيسى . وسئلت الرافضة : من شر أهل ملتكم ؟ فقالوا : أصحاب مُحمد : أمَرَهم بالاستغفار لهم فشتموهم ، فالسيف مسلولٌ عليهم إلى يوم القيامة ، لا تثبُت لهم قدم ، ولا تقوم لهم راية ، ولا تجتمع لهم كلمة ، دعْوتهم مدحورة ، وكلمتهم مختلفة ، وجمعُهم مفرَّق ، كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله .

وذُكِرَت الرافضة يوما عند الشعبي فقال : لقد بَغَّضوا إلينا حديث علىّ ابن أبى طالب .

وقال الشعبي : ما شبَّهت تأويل الروافض فى القرآن إلا بتأويل رجل مضعوف من بنى مخزوم من أهل مكة ، وجدته قاعدا بفناء الكعبة . فقال : يا شعبي ماعندك فى تأويل هذا البيت ؟ فإن بنى تميم يغلطون فيه ، يزعمون أنه مما قيل فى رجل منهم ، وهو قول الشاعر :

بيْتاً زُرارةُ مُحتبٍ بفنائه * ومُجاشِعٌ وأبو الفوارس نَهشل

فقلت له : وما عندك أنت فيه ؟ قال : البيت هو هذا البيت ـ وأشار بيده إلى الكعبة ـ وزرارة الحجر ، زرِّر حول البيت . فقلت : فمجاشع ؟ قال : زمزم

جشِعَتْ بالماء . قلت : فأبو الفوارس ؟ قال : هو أبو قُبَيْس جبل مكة . قلت : فنهشل ؟ ففكر فيه طويلا ، ثم قال : أصَبْتُه ، هو مصباح الكعبة ، طويلٌ أسوَدُ وهو النهشل .

قولهم فى الشيعة

الجاحظ — قال أبو عثمان بن بحر الجاحظ ، أخبرَنى رجل من رؤساء التجار قال : كان معنا فى السفينة شيخ شَرِس الأخلاق ، طويل الإطراق ، وكان إذا ذُكِر له الشيعة غضب واربدّ وجهه وزَوَى من حاجبيه ، فقلت له يوما : يرحمك الله ، ما الذى تكرهه من الشيعة ، فإنى رأيتك إذا ذُكروا غضبت وقبضت ؟ قال : ما أكره منهم إلا هذه الشِّين فى أول اسمهم ، فإنى لم أجدها قطُّ إلا فى كل شرٍّ وشؤم وشيطان وشغَب وشقاء وشَنار وشَرَر وشَيْن وشَوك وشكوى وشهوة وشَتم وشُح . قال أبو عثمان : فما ثَبت لشيعىّ بعدها قائمة .

باب من كلام المتكلمين

دخل المُوبَذُ على هشام بن الحكم ، والموبذ هو عالم الفرس ، فقال له : ياهشام ، حول الدنيا شىء ؟ قال : لا . قال : فإن أخرجت يدى فثمّ شىء يردُّها ؟ قال هشام : ليس ثَمَّ شىء يردها ولا شىء تُخرج يدك فيه . قال : فكيف أعلم هذا ؟ قال له : ياموبذ ، أنا وأنت على طرف الدنيا ، فقلت لك : ياموبذ ، إنى لا أرى شيئا . فقلت لى : ولم لا ترى ؟ فقلت ليس ها هنا ظلام يمنعنى . فقلت لى أنت : ياهشام ، إنى لا أرى شيئا . فقلت لك : ولم لا ترى ؟ قلت : ليس ضياء أنظر به . فهل تكافأت المِلّتان فى التناقض ؟ قال : نعم . قال : فإذا تكافأتا فى التناقض لم تتكافآ فى الإبطال أنْ ليس شىء ؟ فأشار الموبذ بيده أن أصبت .

قال رجل لبعض ولاة بنى العباس : أنا أجعل هشام بن الحكم [1] أن يقول فى على رضى الله عنه إنه ظالم ؛ فقال : إن فعلت ذلك فلك كذا وكذا . ثم أحضر

(١) فى بعض الأصول : « هشام بن عبد الحكم » وهو تحريف .

هشام ، فقال له : نشدتك الله أبا محمد ، أما تعلم أن عليّا نازع العباس عند أبى بكر ؟ قال : نعم . قال : فمن الظالمُ منهما ؟ فكرِه أن يقول العباس ، فيُواقع سخط الخليفة ، أو يقول علىّ ؛ فينقص أصلَه ، فقال : مامنهما ظالم ؟ قال : فكيف يتنازع اثنان فى شىء لا يكون أحدهما ظالما ؟ قال : قد تنازع الملَكان عند داود عليه السلام وما فيهما ظالم ، ولكن ليُنبِّها داود على الخطيئة ، وكذلك هذان أرادا تنبيه أبى بكر من خطيئته ، فأسكت الرجل ، وأمر الخليفة لهشام بصِلة عظيمة .

دخل إبراهيم النَّظَّام على أبى الهذيل العلّاف ، وقد أسنّ وبعُد عهده بالمناظرة ، وإبراهيم حدَث السن . فقال : أخبرنى عن قراركم : أن يكون جوهراً مخافة أن يكون جسما : فهل قررتم ألا يكون جوهراً مخافة أن يكون عَرَضا ، والعرض أضعف من الجوهر ؟ فبصق أبو الهذيل فى وجهه . فقال له إبراهيم : قبّحك الله من شيخ ، ما أضعف حجتك وأسفه حلمك .

قال : لقى جَهْمٌ رجلا من اليونانيين ؛ فقال له : هل لك أن تكلمنى وأكلمك عن معبودك هذا ، أرأيته قط ؟ قال : لا ؛ قال : فلمستَه ؟ قال : لا ؛ قال : فذُقته ؟ قال : لا ؛ قال : فمن أين عرفته وأنت لم تدركه بحِسٍّ من حواسِّك الخمس وإنما عقلُك معبِّر عنها فلا يدرك إلا ما أوصلتْ إليه من جميع المعلومات ؟ قال : فتلجلج جهم ساعة ، ثم استدرك فعكس المسألة عليه فقال له : ما تُقرّ أن لك روحا ؟ قال : نعم ؛ قال : فهل رأيته أو ذقته أو سمعته أو شممته أو لمسته ؟ قال : لا ؛ قال : فكيف علمت أن لك روحا ؟ فأقر له اليونانى .

باب فى الحيـــاء

قال النبي صلى الله عليه وسلم : الحياء خيركله . الحياء شعبة من الإيمان . وقال عليه السلام : إن الله تبارك وتعالى يحب الحيي الحليم المتعفف ، ويكره البذىء السَّئَّال الملحف .

وقال عَون بن عبد الله : الحياء والحِلم والصمت من الإيمان .

وقال ابن عمر : الحياء والإيمان مقرونان جميعا . فإذا رفع أحدهما ارتفع الآخر معه .

وقال : مكتوب فى التوراة : إذا لم تستح فاصنع ما تشاء . وقال : أحيوا الحياء بمجالسة من يُسْتَحْيا منه .

وذكر أعرابى رجلا حيًّا فقال : لاتراه الدهرَ إلا كأنه لاغنى به عنك ، وإن كنت إليه أحوج ، وإن أذنبتَ غفر وكأنه المذنب ، وإن أسأتَ إليه أحسن وكأنه المسىء .

لليلى الأخيلية :

فتًى هو أحيا من فتاة حَيِيّة ٭ وأشجع من لَيث بخِفَّان خادِر

ولابن قيس أيضاً :

تخالهُمُ للحلم صُمًّا عن الخَنا ٭ وخُرْساً عن الفحشاء عند التهاجر

ومرضى إذا لوقُوا حياءً وعِفَّة ٭ وعند الحِفاظ كاللُّيوث الخوادر

وقال الشعبى : تعاشر الناسُ فيما بينهم زماناً بالدين والتقوى ، ثم رُفع ذلك فتعاشروا بالحياء والتذمم ، ثم رُفع ذلك ، فما يتعاشر الناس إلا بالرغبة والرهبة . وسيجىء ماهو شرٌّ من ذلك .

وقيل : الحياء يزيد فى النُّبل .

ولبعضهم :

فلا وأبيك ما فى العيش خير ٭ ولا الدنيا إذا ذهب الحياء

وقال آخر :

إذا رُزق الفتى وجهاً وَقاحا ٭ تقلَّب فى الأمور كما يشاء

ولم يك للدواء ولا لشىء ٭ تُعالجه به فيه غَناء

ورُبَّ قبيحة ما حال بينى ٭ وبين رُكوبها إلا الحياء

وقال علىّ بن أبى طالب كرم الله وجهه : قُرنت الهيبة بالخيبة ، والحياء بالحرمان .

وقد قيل :

ارفع حياءك فيما جئتَ طالبَه ٭ إنّ الحياء مع الحرمان مقرون

وفى المثل : كثرة الحياء من التخنُّث .

قال الحسن : من استتر بالحياء لبس الجهل سرباله ، فقطّعوا سرابيل الحياء ، فإنه من رقّ وجهه رق علمه .

وصف رجلٌ الحياء عند الأحنف فقال : إنّ الحياء ليتم لمقدار من المقادير ، فما زاد على ذلك فسمه بما أحببت .

وقال بعضهم :

إنّ الحياء مع الحِرمانِ مقترنٌ ٭ كذاك قال أمير المؤمنين علِى

واعلم بأن من التخنيث أكثره ٭ فارفعه فى طلب الحاجات والأمل

وللشمّاخ :

أُجامل أقواماً حياءً وقد أرى ٭ صـــدورهم بادٍ علىّ مِراضُها

ولابن أبى حازم :

وإنى ليثنينى عن الجهل والخَنا ٭ وعن شتم ذى القربى خلائق أربع :

حياءٌ ، وإســلام ، وتقوى ، وأننى ٭ كــريم ومِثلى قد يَضر ويَنفع

وقال آخر :

إذا حُرم المرء الحيــاء فإنه ٭ بكل قبيح كان منه جدير

له قِحة فى كل أمر وسرُّه ٭ مُباح وجدواه جفاً وغرور

يرى الشّتمَ مَدحاً والدناءة رِفعة ٭ وللسمع منه فى العِظات نُفور

فرجِّ الفتى ما دام حيًّا فإنه ٭ إلى خير حالات المُنيب يصير

باب جامع الآداب

آداب الله لنبيّه صلى الله عليه وسلم

لابن عبد ربه قال أبو عمر أحمد بن محمد: أوّل ما نبدأ به: أدبُ النبى صلى الله عليه وسلم، ثم أدبه صلى الله عليه وسلم لأمته، ثم الحكماء والعلماء.

٥ وقد أدّب الله نبيّه بأحسن الآداب كلها، فقال له: ﴿ولا تجعلْ يَدَكَ مغْلولةً إلى عُنُقِكَ ولا تبْسُطْها كلَّ البسْطِ فتقعُدَ ملوماً محْسُوراً﴾ فنهاه عن التقتير كما نهاه عن التبذير، وأمر بتوسّط الحالتين؛ كما قال عز وجل: ﴿والذين إذا أَنْفَقوا لمْ يُسْرِفوا ولمْ يقْتُروا وكان بيْنَ ذلك قَواماً﴾.

وقد جمع الله تبارك وتعالى لنبيّه صلى الله عليه وسلم جوامعَ الكلم فى كتابه ١٠ المُحْكم، ونظَم له مكارم الأخلاق كلها فى ثلاث كلمات، فقال: ﴿خُذِ العفوَ وأْمُرْ بالعُرْفِ وأعْرِض عنِ الجاهِلين﴾ ففى أخذِه العفوَ صلةُ من قطَعه، والصفحُ عمّن ظلَمه؛ وفى الأمر بالمعروف تقوى الله، وغضُّ الطَّرْف عن المحارم، وصونُ اللسان عن الكذب. وفى الإعراض عن الجاهلين تنزيهُ النفس عن مُماراة السفيه ومنازعةِ اللجوج.

١٥ ثم أمره تبارك وتعالى فيما أدبه، باللين فى عريكته، والرّفق بأُمّته، فقال: ﴿واخْفِضْ جَناحَك لِمَنِ اتّبعكَ مَنَ المُؤْمِنين﴾ وقال: ﴿ولو كنْتَ فظًّا غليظ القلْبِ لانْفَضُّوا منْ حوْلِكَ﴾ وقال تبارك وتعالى: ولا تَسْتوى الحَسَنةُ ولا السّيِّئةُ ادْفع بالَّتِى هىَ أحسنُ فإذا الذى بيْنَكَ وبينهُ عداوَةٌ كأنَّهُ ولِىٌّ حَميمٌ، وما يُلقّاها إلّا الذين صبَرُوا وما يُلقّاها إلّا ذُو حظٍّ عظيم.

٢٠ فلما وعَى عن الله عز وجل وكَمُلتْ فيه هذه الآداب، قال الله تبارك وتعالى: ﴿لقد جاءَكم رسولٌ منْ أنْفُسِكم عزيزٌ عليهِ ما عنِتُّم حريصٌ عليْكُمْ بالمؤمنين رءوفٌ رحيمٌ. فإنْ تَوَلَّوْا فقُلْ حسْبِىَ اللهُ لا إلهَ إلّا هوَ عليه توكّلْتُ وهو ربُّ العرشِ العظيمِ﴾.

باب آداب النبي صلى الله عليه وسلم لأمّته

للنبي صلى الله عليه وسلم

قال النبي صلى الله عليه وسلم فيما أدّب به أمّته وحضّها عليه من مكارم الأخلاق وجميل المعاشرة وإصلاح ذات البين وصلة الأرحام : أوْصانى ربّى بتسْعٍ وأنا أوصيكم بها ، أوصانى بالإخلاص فى السرّ والعلانية ، والعدل فى الرضا والغضب ، والقصْد فى الغنى والفقر ، وأن أعفوَ عمّنْ ظلَمني ، وأُعْطِىَ مَنْ حرَمنى ، وأصِل مَن قطَعنى ، وأن يكون صَمْتى فكراً ، ونُطقى ذكرا ، ونَظَرى عِبَرا .

وقد قال صلى الله عليه وسلم : نهيتُكم عن قِيل وقالَ وإضاعةِ المالِ وكثرةِ السؤال .

وقد قال صلى الله عليه وسلم : لا تقعدوا على ظهور الطرق ، فإن أبيْتُم فغُضُّوا الأبصار ، وأفْشُوا السلام ، وآهْدوا الضالّ ، وأعينوا الضعيف .

وقال صلى الله عليه وسلم : أوْكُوا السّقاء ، وأكفِئُوا الإناء ، وأغلِقُوا الأبواب ، وأطفِئُوا المصباح ؛ فإن الشيطان لا يفتح غلقا ولا يحُلُّ وِكاء ولا يكشف الإناء .

وقال صلى الله عليه وسلم : ألا أنبئُكم بشرِّ الناس ؟ قالوا : بَلَى يارسول الله قال : منْ أكل وحدهُ ، ومنَع رِفْدَهُ ، وجلَدَ عبدَهُ .

ثم قال : ألا أنبئكم بشرٍّ من ذلك ؟ قالوا : بلى يارسول الله . قال : مَن يُبْغِض الناس ويُبغضونه .

وقال : حصّنوا أموالكم بالزكاة ، وداوُوا مرضاكم بالصّدقة ، واستقبلوا البلاء بالدعاء .

وقال : ما قلّ وكَفَى خيرٌ مما كثُر وألْهَى .

وقال : المسلمون تتكافأ دماؤهم ، ويسعَى بذمّتهم أدناهم ، وهم يدٌ على مَن سواهُم .

وقال : اليَدُ العُليا خيرٌ من اليد السفلى وابدأ بمن تعُول .

وقال : لا تجْن يمينُك على شمالِك . ولا يُلْدَغ المؤمن من جُحر مرتين .

وقال : المرء كثيرٌ بأخيه .

وقال آفصلوا بين حديثكم بالاستغفار ، وآستعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان .

وقال : أفضل الأصحابِ من إذا ذَكرْت أعانكِ ، وإذا نسِيت ذكرك .

وقال : لا يُؤَمّ ذو سلطان فى سلطانه ولا يجلس على تكرمته إلا بإذنه .

وقال صلى الله عليه وسلم : يقول ابن آدم : مالى مالى ! وإنما لهُ من ماله ما أكل فأفنى ، أو لبس فأبْلَى ، أو وهَبَ فأَمضَى .

وقال : ستحرصون على الإمارة ، فنِعْمَتِ المُرْضِعة وبِئست الفاطمة .

وقال : لا يحكم الحاكم بين اثنين وهو غضبان .

وقال : لو تكاشفتم ما تدافنتم ، وما هَلك امرؤٌ عرف قدْره .

وقال : الناس كإبل مائةٍ لا تكاد تجد فيها راحلة . والناس كلهم سواء كأسنان المشْط .

وقال : رحِمَ الله عبداً قال خيراً فغَنِمَ ، أو سكتَ فسَلِم .

وقال : خير المال سِكّةٌ مأبورة ، ومُهْرة مأمورة . وخير المال عينٌ ساهرة لعين نائمة .

وقال فى إناث الخيل : بطونها كنز ، وظهورها حِرز .

وقال : ما أمْلقَ تاجرٌ صَدوق ، وما أقْفرَ بيت فيه خلّ .

وقال : قيّدوا العلم بالكتابة .

وقال : زُرْ غِبًّا تَزْدَدْ حُبًّا .

وقال : علّقْ سوْطَك حيثُ يَراه أهلُك .

باب فى آداب الحكماء والعلماء

منه فى فضيلة الأدب

لبعض الحكماء

أوصَى بعض الحكماء بنيه فقال : الأدب أكرم الجواهر طبيعة ، وأنفَسُها قيمة ، يَرفع الأحسابَ الوضيعة ، ويُفيدُ الرَّغائب الجليلة ، ويُعِزّ بلا عشيرة ، ويُكثِر الأنصار بغير رزية ؛ فالبسوه حُلّة ، وتزيّنُوه حِلية ؛ يؤنسكم فى الوحْشة، ويجمع لكم القلوب المختلفة .

لعلى

ومن كلام علىّ عليه السلام ، فيما يروى عنه أنه قال : من حَلُم ساد ، ومن ساد استفاد ، ومن استحيا حُرِم ، ومن هاب خاب ، ومن طلب الرياسة صبَر على السياسة ، ومن أبصر عيبَ نفسه عَمِى عن عيب غيره ، ومن سلّ سيف البغْى قُتِل به ، ومن آحتفر لأخيه بئرا وقع فيها ، ومن نَسِى زلتَهُ آستعظم زلّة غيره ، ومن هَتَك حجاب غيره آنهتكتْ عوراتُ بيته ، ومن كابر فى الأُمور عطِب ، ومن آقتحم اللُّججَ غرق ، ومن أعجب برأيه ضلّ ، ومن آستغنى بعقله زلّ ، ومن تجبّر على الناس ذلّ ، ومن تعمّق فى العمل ملّ ، ومن صاحب الأنذال حُقّر ، ومن جالس العلماء وُقّر ، ومن دخل مداخل السوء أُتهِم ، ومَن حَسُن خُلُقُهُ سهُلت له طُرُقهُ ، ومن حسُن كلامُه كانت الهيبة أمامه ، ومن خَشِى الله فاز ؛ ومن استقاد الجهل ترَك طريق العدل ، ومن عرَف أجله قصر أمله ، ثم أنشأ يقول :

إلبَسْ أخاكَ علَى عُيوبِهْ ۞ واسْتُر وغطّ على ذُنوبِهْ
واصْبِر على بَهتِ السَّفِيـــهِ وللزَّمَانِ على خُطوبِهْ
ودعِ الجوابَ تفَضُّلا ۞ وَكِلِ الظَّلُومَ إلى حسيبِهْ

لشبيب

وقال شَبيب بن شَيبة : اطلبوا الأدب فإنه مادةُ العقل ، ودليلٌ على المروءة، وصاحبٌ فى الغُربة ، ومؤنسٌ فى الوحشة ، وحليةٌ فى المجلس ، ويجمع لكم القلوب المختلفة .

لعبد الملك ينصح بنيه

وقال عبد الملك بن مروان لبنيه : عليكم بطلب الأدب ؛ فإنّكم إن احتجْتم

إليه كان لكم مالا ، وإن استغنيتم عنه كان لكم جمالا .

لبعض الحكماء — وقال بعض الحكماء : اعلم أنّ جاها بالمال إنما يصحَبُك ما صَحِبَك المال ، وجاهاً بالأدب غيرُ زائل عنك .

لابن المقفع — وقال ابن المُقفّع : إذا أكرمك الناسُ لمالٍ أو لسلطانٍ فلا يُعجِبْك ذلك : فإن الكرامة تزول بزوالهما ، ولكن ليُعْجِبْك إذا أكرموك لِدينٍ أو أدب . ٥

للأحنف — وقال الأحنف بن قيس : رأس الأدب المنطق ، ولا خير فى قول إلا بفعل ولا فى مالٍ إلا بجود ، ولا فى صديق إلا بوفاء ، ولا فى فقهٍ إلا بِوَرَع ؛ ولا فى صِدق إلا بنيّة .

وقال مصقلة الزُّبيرى [1] : لا يستغنى الأديبُ عن ثلاثة واثنين : فأمّا الثلاثة: فالبلاغة والفصاحة وحسن العبارة . وأما الاثنان فالعلم بالأثر والحفظُ للخير . ١٠

لبعضهم — وقالوا : الحسَبُ محتاجٌ إلى الأدب ، والمعرفة محتاجةٌ إلى التجربة .

لبزرجمهر — وقال بُزُرْجمهر : ما ورَّث الآباء الأبناء شيئا خيراً من الأدب لأنّ بالأدب يكسِبون المال وبالجهل يُتْلِفونه .

للفضيل بن عياض — وقال الفُضيل بن عِياض : رأسُ الأدب معرفة الرجل قَدْرَه .

وقالوا : حُسن الخلق خير قرين ، والأدب خير ميراث ، والتوفيق خير قائد . ١٥

لسفيان الثورى — وقال سُفيان الثَّورى : من عرف نفسه لم يَضِرْه ما قال الناس فيه .

أنوشروان والموبذ — وقال أنوشروان للموبَذ ، وهو العالم بالفارسية : ماكان أفضل الأشياء ؟ قال الطبيعة النقية تكتفى من الأدب بالرائحة ، ومن العِلم بالإشارة ؛ وكما يموت البَذر فى السّباخ ، كذلك تموت الحكمة بموت الطبيعة . قال له : صدقت ، ونحن لهذا قَلّدْناك ما قلدناك . ٢٠

لأردشير — وقيل لأردشير : الأدب أغْلَبُ أم الطبيعة ؟ فقال : الأدب زيادةٌ فى العقل

(١) فى بعض الأصول : « مطلقة الزبيدى » .

ومَنْبَهةٌ للرأى ، ومَكْسَبة للصواب ؛ والطبيعة أمْلَك ، لأن بها الاعتقاد ونماء الفراسة وتمام الغذاء .

لبعض الحكماء — وقيل لبعض الحكماء : أىُّ شىء أعْوَن للعقل بعد الطبيعة المولودة ؟ قال : أدبٌ مكتَسب .

٥ وقالوا : الأدب أدَبان : أدبُ الغريزة ، وهو الأصل ؛ وأدب الرواية ، وهو الفرع . ولا يتفرع شىء إلا عن أصله ، ولا يَنْمى الأصل إلا باتصال المادة .

لبعض الشعراء — وقال الشاعر :

ولم أرَ فرعاً طال إلا بأصله ✽ ولم أر بدء العلم إلا تعلُّما

لحبيب — وقال حبيب :

١٠ وما السيفُ إلا زُبْرةٌ لو تركتَه ✽ على الحالة[1] الأُولى لَمَا كان يَقطع

وقال آخر :

ما وَهَب الله لِامْرئ هِبَةً ✽ أفضلَ من عقلِه ومن أدبِهْ

هما حياةُ الفتى فإنْ فُقِدا ✽ فإنّ فَقْدَ الحياةِ أحسنُ بِهْ

لابن عباس — وقال ابن عباس : كَفاك من عِلم الدين أن تَعرف ما لا يَسَعُك جهلُه ، وكفاك

١٥ من علم الأدب أن تَروِىَ الشاهد والمثال .

لابن قتيبة — قال ابن قتيبة : إذا أردت أن تكون أديباً فتفنَّنْ فى العلوم .

وقالت الحكماء : إذا كان الرجل طاهر الأثواب ، كثير الآداب ، حَسَن المذهب ؛ تأدّب بأدبه وصلُح لصلاحه جميعُ أهلِه وولده .

قال الشاعر :

٢٠ رأيتُ صلاحَ المرء يُصلِح أهله ✽ ويُفسِدُهم ربُّ الفسادِ إذا فَسَدْ

يُعظَّم فى الدنيا لفضل صَلاحِه ✽ ويُحفظ بعدالموتِ فى الأهل والولَد

لديوجانس — وسئل ديُوجانس : أى الخصال أحْمَدُ عاقبة ؟ قال : الإيمان بالله عز وجل ،

(١) فى بعض الأصول : « الخلقة » .

وبرُّ الوالدين ، ومحبةُ العلماء ، وقَبول الأدب .

النبي صلى الله عليه وسلم

روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : من لا أدب له لا عقل له .

وقالوا : الأدب يَزيد العاقل فضلا ونباهة ، ويُفيده رقة وظرفا .

وفى رقة الأدب

العباس

قال أبو بكر بن أبى شيبة : قيل للعباس بن عبد المطلب ، أنت أكبر أم رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : هو أكبر منى وأنا أسَنُّ منه .

أبو وائل وابن خثيم

وقيل لأبى وائل : أيكما أكبر ، أنت أم الربيع بن خُثيم[1] ؟ قال أنا أكبر منه سنا وهو أكبر منى عقلا .

أبان وطويس

وقال أبان بن عُثمان لطُوَيْس المُغنى : أنا أكبر أم أنت ؟ قال : جُعِلتُ فِداك ! لقد شهدت زِفاف أمك المباركة .

لابن ذر فى ابنه

وقيل لعمر بن ذر : كيف برُّ ابنك بك ؟ قال : ما مشيْت نهاراً قطُّ إلا مشى خلفى ، ولا ليلا إلا مشى أمامى ولا رَقِىَ عِلِّيَّةً وأنا تحته .

الرسول صلى الله عليه وسلم والعباس

ومن حديث عائشة ، قالت : ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يُبجّل أحداً تبجيلَه لعمّه العباس .

وكان عمر وعثمان إذا لقيا العباس نَزَلا إعظاماً له إذا كانا راكبين .

الرشيد وعبد الملك ابن صالح

الرياشى عن الأصمعى قال : قال هارون الرشيد لعبد الملك بن صالح : أهذا منزلك .

وقد تقدم هذا الخبر فى الخبر الذى فيه مخاطبة الملوك ، وكذلك قول الحجاج للشعبى : كم عطاءك .

لابن عبد ربه

ومن قولنا فى رقة الأدب :

أدبٌ كمثل الماء لو أفرغْتَه ٭ يوماً لسالَ كما يسيل الماء

من أدب على ابن يحيى

أحمد بن أبى طاهر قال : قلت لعلى بن يحيى : ما رأيت أكمل أدبا منك !

---

(١) فى أكثر الأصول : « خيثم » وهو تحريف .

قال : كيف لو رأيت إسحاق بن إبراهيم ! فقلت ذلك لإسحاق بن إبراهيم ، فقال : كيف لو رأيت إبراهيم بن المهدى ! فقلت ذلك لإبراهيم ، فقال : كيف لو رأيت جعفر بن يحيى .

من روءة عمر بن عبد العزيز

وقال عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز : قال لى رجاء بن حَيْوَة : ما رأيت أكرم أدباً ، ولا أكرم عِشْرَة من أبيك ؛ سَمَرْت عنده ليلة ، فبينا نحن كذلك إذ غَشِى المصباح ونام الغلام . فقلت : يا أمير المؤمنين ، قد غَشِى المصباح ونام الغلام ، فلو أذِنْت لى أصلحتُه ! فقال : إنه ليس من مروءة الرجل أن يَستخدم ضيْفَه ، ثم حط رداءه عن منكبيه ، وقام إلى الدَّبَّة فصبّ من الزيت فى المصباح ، وأشخص الفَتيلة ، ثم رجع . وأخذ رداءه وقال : قمت وأنا عمر ورجعت وأنا عمر .

عمر بن الخطاب ورجل أحدث صوتاً فى المسجد

العتبى عن أبيه قال : صوّت رجل عند عمر بن الخطاب فى المسجد . فلما كانت الصلاة قال عمر : عزمت على صاحب الصوت إلا قام فتوضأ . فلم يقم أحد . فقال جرير بن عبد الله : يا أمير المؤمنين ، اعزم علينا كلّنا أن نقوم فنتوضأ قال : صدَقت ! ولا علمتُك إلا سَيِّدا فى الجاهلية ، فقيهاً فى الإسلام ، قوموا فتوضئوا .

الشحام والحسن

الرياشى عن الأصمعى قال : حدثنى عثمان الشحّام ، قال : قلت للحسن : يا أبا سعيد . قال : لبيك . قلت : أتقول لى لبيك ؟ قال : إنى أقولها لخادمى .

لبعض الشعراء

وقال الشاعر :

يا حبّذا حين تمسى الرّيح باردةً ◦ وادِى أُشَىّ وفتيانٌ به هُضُمُ

مُخَدَّمون ، كرامٌ فى مجالسهم ◦ وفى الرِّحال إذا رافقْتَهم خدَمُ

وما أصاحِبُ من قوْم فأذكُرهُمْ ◦ إلا يزيدُهُمُ حُبًّا إلىّ هُمُ

الأدب فى الحديث والاستماع

للحكماء

وقالت الحكماء : رأس الأدب كلّه حُسنُ الفهم والتفهُّم ، والإصغاءُ للمتكلِّم .

للشعبي في قوم

وذَكر الشعبي قوماً فقال: مارأيت مثلهم أسدّ تناوبا فى مجلس، ولا أحسن فهماً من محدّث.

وله فى عبدالملك

وقال الشعبي فيما يصف به عبد الملك بن مروان: والله ما علمتُه إلا آخِذاً بثلاث، تاركا لثلاث: آخذا بحسن الحديث إذا حدَّث، وبحسن الاستماع إذا حُدِّث، وبأيسر المؤونة إذا خُولف؛ تاركا لمجاوبة اللئيم، ومماراة السفيه، ومنازعة اللجوج. ٥

لبعض الحكماء يوصى ابنه

وقال بعض الحكماء لابنه: يابنيّ، تعلم حسن الاستماع كما تتعلم حسن الحديث؛ وليعلم الناس أنك أحرص على أن تسمع منك على أن تقول؛ فاحذر أن تُسرع فى القول فيما يجب عنه الرجوع بالفعل، حتى يعلم الناس أنك على فعل مالم تقل أقرب منك إلى قول مالم تفعل. ١٠

لبعضهم

قالوا: من حُسن الأدب ألّا تغالب أحداً على كلامه، وإذا سئل غيرُك فلا تجب عنه، وإذا حدَّث بحديث فلا تُنازعه إياه، ولا تقتحم عليه فيه، ولا تُرِه أنك تعلمه، وإذا كلمت صاحبك فأخذتْه حجتُك فحسِّن مخرج ذلك عليه ولا تُظهر الظفَر به، وتعلم حُسن الاستماع، كما تعلّم حسن الكلام.

للحسن البصرى

وقال الحسن البصرى: حدِّثوا الناس ما أقبلوا عليكم بوجوهكم. ١٥

لأبى عباد

وقال أبو عبّاد الكاتب: إذا أنكر المتكلم عين [1] السامع فليسأله عن مقاطع حديثه، والسببِ الذى أجرى ذلك له؛ فإن وجده يقف على الحق أتمّ له الحديث، وإلا قطعه عنه وحَرمه مؤانسته، وعرَّفه مافى سوء الاستماع من الفُسولة والحِرمان للفائدة.

الأدب فى المجالسة ٢٠

للنبي صلى الله عليه وسلم

ومن حديث أبى بكر بن أبى شيبة أنّ النبي صلى الله عليه وسلم قال: لا يقم الرجل للرجل عن مجلسه ولكن ليوسِّع له.

---

(١) فى بعض الأصول: «خبر».

ابن عمر فيمن يقوم له

وكان عبد الله بن عمر إذا قام له الرجل عن مجلسه لم يجلس فيه . وقال : لا يقم أحد عن مجلسه ؛ ولكن افسحوا يَفْسَحِ اللهُ لكم .

النبي صلى الله عليه وسلم

أبو أمامة قال : خرج إلينا النبي صلى الله عليه وسلم فقمنا إليه ؛ فقال : لاتقوموا كما يقوم العجم لعظمائها . فما قام إليه أحد منا بعد ذلك .

٥ ومن حديث ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إن خرجتُ عليكم وأنتم جلوس فلا يقومن أحدٌ منكم فى وجهى ؛ وإن قمت فكما أنتم ، وإن جلست فكما أنتم . فإن ذلك خُلق من أخلاق المشركين .

وقال صلى الله عليه وسلم : الرجل أحق بصدر دابّته وصدر مجلسه وصدر فراشه . ومن قام عن مجلسه ورجع إليه فهو أحق به .

١٠ وقال صلى الله عليه وسلم : إذا جلس إليك أحدٌ فلا تقم حتى تستأذنه .

الحسن بن على وجالس له

وجلس رجل إلى الحسن بن علىّ ـ عليهما الرضوان ـ فقال له : إنك جلست إلينا ونحن نريد القيام ، أفتأذن ؟

لسعيد بن العاص

وقال سعيد بن العاص : مامددتُ رجلى قطُّ بين يدى جليس ، ولا قمتُ عن مجلسى حتى يقوم .

١٥ وقال إبراهيم النَّخعى : إذا دخل أحدكم بيتاً فليجلس حيث أجلسه أهلُه .

وطرح أبو قِلابة لرجل جلس إليه وسادة فردَّها ، فقال : أما سمعتَ الحديث : لا تردَّ على أخيك كرامتَه .

وقال على بن أبى طالب رضوان الله عليه : لا يأبى الكرامة إلا حمار .

وقال سعيد بن العاص : لجليسى علىّ ثلاث : إذا دنا رحّبت به ، وإذا جلس

٢٠ وسّعت له ، وإذا حدث أقبلت عليه .

وقال : إنى لأكره[1] أن يَمر الذباب بجليسى مخافة أن يؤذيه .

معاوية والأحنف

الهيثم بن عدى عن عامر الشعبي قال : دخل الأحنف بن قيس على معاوية ؛

(١) فى بعض الأصول : « لأخاف » .

فأشار إليه إلى وسادة ، فلم يجلس عليها ؛ فقال له : ما منعك يا أحنف أن تجلس على الوسادة ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، إن فيما أوصى به قيس بن عاصم ولده أن قال : لا تَغْشَ السلطان حتى يَمَلَّك ولا تقطعه حتى يَنساك ، ولا تجلس له على فراش ولا وسادة ، واجعل بينك وبينه مجلس رجل أو رجلين .

الحسن

٥ وقال الحسن : مجالسة الرجل من غير أن يُسأل عن اسمه واسم أبيه ، مجالسةُ النوكى .

ابن شيبة وأبو جعفر

ولذلك قال شبيب بن شيبة لأبي جعفر ، ولقيه فى الطواف وهو لا يعرفه ، فأعجبه حسن هيئته وسمته : أصلحك الله ، إنى أحب المعرفة ، وأجلُّك عن المسألة . فقال : أنا فلان بن فلان .

لزياد

١٠ قال زياد : ما أتيت مجلساً قط إلا تركت منه مالو جلست فيه لكان لى ، وتَرْكُ مالى أحبُّ إلىّ من أخذ ما ليس لى .

وقال : إياك وصدور المجالس وإن صدَّرك صاحبُها ؛ فإنها مجالس قُلْعة .

الشعبي

وقال الشعبي : لأنْ أُدْعَى من بُعْدٍ إلى قُربٍ أحبُّ إلىّ من أن أُقْصَى من قُرب إلى بُعد .

ابن طاهر وأبو السمراء

١٥ وذكروا أنه كان يوما أبو السَّمراء عند عبد الله بن طاهر ، وعنده إسحاق ابن إبراهيم ، فاستدنى عبد الله إسحاق فناجاه بشيء ، وطالت النجوى بينهما . . . قال : فاعترتنى حيرة فيما بين القعود على ما هما عليه والقيام ، حتى انقطع ما بينهما وتنحى إسحاق إلى موقفه ، ونظر عبد الله إلىّ . فقال : يا أبا السمراء :

إذا النجيَّان سَرَّا عنك أمرَهما ٭ فانزحْ بسمعك تجهَلْ مايقولانِ

٢٠ ولا تُحمِّلْهما ثقلا لخوفِهما ٭ على تَناجيهما بالمجلس الدَّانى

فما رأيت أكرم منه ولا أرفقَ أدبا ، تَرك مطالبتى فى هفوتى بحق الأمراء ، وأدبنى أدب النظراء .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : إنما أحدكم مرآة أخيه ، فإذا رأى عليه أذًى

فلْيُمِطْه عنه ، وإذا أخذ أحدكم عن أخيه شيئا فليقل : لا بِكَ السوء ، وصَرَف الله عنك السوء .

لبعضهم

وقالوا : إذا آجتمعت حُرمتان أسقطت الصغرى الكبرى .

للمهلب

وقال المهلب بن أبى صفرة : العيش كله فى الجليس المُمْتِع .

٥

الأدب فى المماشاة

هشام بين ابنه وابن أخيه

وجه هشام بن عبد الملك ابنَه على الصائفة ، ووجه معه آبن أخيه ، وأوصى كلَّ واحد منهما بصاحبه ، فلما قدِم عليه قال لآبن أخيه : كيف رأيت آبن عمِّك؟ فقال : إن شئت أجملت وإن شئت فسَّرت . قال : بل أجْمِلْ . قال : عرضت بيننا جادَّة فتركها كلُّ واحد منا لصاحبه ، فما ركبناها حتى رجعنا إليك .

المأمون وابن أكثم

١٠ وقال يحيى بن أكثم : ماشيت المأمون يوماً من الأيام فى بستان مؤنسة بنت المهدى ، فكنت من الجانب الذى يستره من الشمس فلما انتهى إلى آخره وأراد الرجوع ، أردت أن أدور إلى الجانب الذى يستره من الشمس ، فقال : لا تفعل ، ولكن كن بحالك حتى أسترك كما سترتَنى ! فقلت : يا أمير المؤمنين ، لو قدرتُ أن أقيَك حرَّ النار لفعلت ، فكيف الشمس ؟ فقال : ليس هذا من كرم الصُّحبة .

١٥ ومشى سائراً لى من الشمس كما سترتُه .

ابن ذر وولده

وقيل لعمر بن ذَرّ : كيف برُّ ابنك بك ؟ قال : ما مشيت نهاراً قط إلا مشى خلفى ، ولا ليلا إلا مشى أمامى ، ولا رقى سطحا وأنا تحته .

لزياد فى حارثة

وقيل لزياد : إنك تستخلص حارثة بن زيد وهو يواقع الشراب . فقال : وكيف لا أستخلصه وما سألته عن شىء قطُّ إلا وجدتُ عنده منه علماً ، ولا آستودعته سِرّا قط نَضَّيَعه ، ولا راكبنى قط فمَسَّت ركبتى ركبتَه .

٢٠

بين الهادى وابن يزيد فى سفر

محمد بن يزيد بن عمر بن عبد العزيز قال : خرجتُ مع موسى الهادى أمير المؤمنين من جُرجان ، فقال لى : إمّا أن تحملنى وإمّا أن أحملك ، فعلمت ما أراد ، فأنشدته أبيات ابن صِرْمة :

أُوصيكمُ بالله أوّلَ وَهْلةٍ ٭ وأحسابِكم والبِرِّ بالله أوّلُ

وإن قومُكم سادوا فلا تحسدوهمُ * وإن كنتمُ أهلَ السِّيادة فاعدلوا
وإن أنتمُ أعْوَزتمُ فتعفَّفوا * وإن كان فضل المال فيكم فأفْضِلوا
وإن نزلتْ إحدى الدَّواهى بقومِكم * فأنفسكم دون العشيرة فاجعلوا
وإن طلبوا عُرفا فلا تحرموهُمُ * وما حملوكم فى المُلِمات فاحملوا

قال : فأمر لى بعشرين ألف درهم . ٥

بين الهادى وابن سلم وعبد الله ابن مالك

وقيل إن سعيد بن سَلْم راكب موسى الهادى والحربةُ بيد عبد الله بن مالك ، وكانت الريحُ تَسفى التراب ، وعبد الله يلحظ موضع مسير موسى فيتكلف أن يسير على مُحاذاته ، وإذا حاذاه ناله ذلك التراب ، فلما طال ذلك عليه أقبل على سعيد ابن سلم فقال : أما ترى ما نَلْقَى من هذا الخائن ؟ قال : والله يا أمير المؤمنين ما قصَّر فى الاجتهاد ، ولكن حُرم التوفيق . ١٠

باب السلام والإذن

النبى صلى الله عليه وسلم

قال النبى صلى الله عليه وسلم : أطيبوا الكلام ، وأفشوا السلام ، وأطعموا الأيتام ، وصلُّوا بالليل والناس نِيام .

وقال صلى الله عليه وسلم : إنّ أبخل الناس الذى يبخل بالسلام .

وأتى رجلٌ النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال : عليك السلام يا رسول الله . ١٥
فقال : لا تقل : عليك السلام ؛ فإنها تحية الموتى ، وقل : السلام عليك .

عمر بن عبد العزيز وجماعة سلموا عليه

وقال صاحب حرس عمر بن عبد العزيز : خرج عمر فى يوم عيد وعليه قميص كتّان وعمامة على قلنسوة لاطئة ، فقمتُ إليه وسلّمت عليه ، فقال : مه ، أنا واحد وأنتم جماعة ؛ السلام علىّ والردُّ عليكم . ثم سلّم ورَدَدْنا عليه ، ومشى فمشينا معه إلى المسجد . ٢٠

وقال النبى صلى الله عليه وسلم : يُسلِّم الماشى على القاعد ، والراكبُ على الراجل ، والكبير على الصغير .

ودخل رجل على النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال له : أبى يُقرئك السلام .

فقال : عليك وعلى أبيك السلام .

ابن مسعود وابن الخطاب والأسود

إبراهيم عن [1] الأسود قال : قال عبد الله بن مسعود : إذا لقيتَ عمر فاقرأ عليه السلام . قال : فلقيته فأقرأته السلام ، فقال : عليك وعليه السلام .

سليمان بن هشام وابن مهران

دخل ميمون بن مِهْران على سليمان بن هشام وهو والى الجزيرة ، فقال : السلام عليكم . فقال له سليمان : مامنعك أن تسلِّم بالإمْرة ؟ فقال : إنما يُسَلَّم على الوالى بالإمرة إذا كان عنده الناس .

الحسن وإبراهيم وابن مهران

أبو بكر بن أبى شَيبة قال : كان الحسن وإبراهيم وميمون بن مهران يكرهون أن يقول الرجل ، حياك الله . حتى يقول السلام .

وسئل عبد الله بن عمر عن الرجل يدخل المسجد أو البيت ليس فيه أحد ، قال : يقول : السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين .

النبى ومسلم عليه

ومر رجل بالنبى صلى الله عليه وسلم وهو يبول ، فسلّم عليه ، فلم يردّ عليه السلام .

وقال رجل لعائشة : كيف أصبحتِ ؟ قالت : بنعمة من الله .

وقال رجل لشُريح : كيف أصبحتَ ؟ قال : أصبحت طويلا أملى ، قصيراً أجلى ، سيئاً عملى .

بين سفيان وآخر فى مثله

وقيل لسفيان الثورى : كيف أصبحت ؟ قال : أصبحت فى دار حارَتْ فيها الأدِلّاء .

الرسول صلى الله عليه وسلم ومستأذن

واستأذن رجل من بنى عامر على النبى صلى الله عليه وسلم وهو فى بيت ، فقال : أَلِجُ ؟ فقال النبى صلى الله عليه وسلم لخادمه : اخرج إلى هذا فعلّمه الاستئذان ، وقل له يقول : السلام عليكم ، أأدْخل ؟

جابر بن عبد الله قال : استأذنت على النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال : من أنت ؟ فقلت : أنا . قال : أنا أنا !

(١) فى بعض الأصول : « إبراهيم بن الأسود » .

للنبي صلى الله عليه وسلم

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : الاستئذان ثلاثة ؛ فإن أُذِن لك وإلا فارجِعْ .

وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه : الأُولى إذْن ، والثانية مؤامرة ، والثالثة عزيمة ؛ إما أن يأذنوا ، وإما أن يَرُدُّوا .

باب فى تأديب الصغير

للحكماء

قالت الحكماء : من أدب ولدَه صغيراً سُرَّ به كبيراً . ٥

وقالوا : أطْبَعُ الطين ماكان رطبا ، وأغْمَزُ العودِ ماكان لَدْناً .

وقالوا . من أدَّب ولده غَمَّ حاسدَه .

لابن عباس

وقال ابن عباس : من لم يجلس فى الصغر حيث يكره ، لم يجلس فى الكبر حيث يُحِبّ .

لبعض الشعراء

قال الشاعر : ١٠

إذا المرء أعيته المُروءةُ ناشِئاً * فمطلبُها كهلًا عليه شديدُ

وقالوا : ما أشد فطامَ الكبير ، وأعْسَرَ رياضة الهرم .

قال الشاعر :

وترُوضُ عِرْسَك بعد ماهَرِمَت * ومن العَنَاء رِياضَةُ الهرِمِ

شريح يوصى معلم ولده

كتب شريح إلى معلم ولده : ١٥

تَرَكَ الصَّلاةَ لِأَكْلُب يسعى بها * يَبغِى الهِراش مع الغُواة الرُّجّسِ

فليأتينَّك غدوةً بصحيفة * كُتبت له كصحيفة المتلمّس

فإذا أتاك فعَضّه بملامةٍ * أوْعِظْه موْعظة الأديب الكيِّس

فإذا هَمَمْتَ بضربِه فبِدِرَّةٍ * وإذا بلَغْت ثلاثةً لك فاحبِسِ

واعلم بأنّك ما أتيتَ فنفْسُه * مع ما يُجَرِّعُنى أعزُّ الأنفُس ٢٠

لابن عبد القدوس

وقال صالح بن عبد القُدّوس :

وإنَّ مَن أدّبتَه فى الصِّبا * كالعُود يُسقَى الماء فى غَرْسِه

حتى تراه مُسورقاً ناضراً * بعد الذى أبصرْت من يُبسِه
والشيْخُ لا يَترُكُ أخلاقَه * حتى يوارَى فى ثرى رَمْسِه
إذا ارْعوَى عادَ له جهله * كذِى الضَّنَى عاد إلى نُكسِه
ما تَبلُغ الأعداء من جاهلٍ * ما يَبلُغ الجاهل من نفسه

لعمرو بن عتبة يوصى معلم ولده

٥ وقال عمرو بن عُتبة لمعلِّم ولده : ليكن أولَ إصلاحِك لولدى إصلاحُك لنفسك ، فإنّ عيونهم معقودةٌ بعينك ، فالحَسَنُ عندهم ماصَنَعْت ، والقبيح عندهم ماتركت ؛ علِّمهم كتاب الله ولا تُكرههم عليه فيملُّوه[1] ، ولا تتركهم منه فيهجروه . روِّهم من الحديث أشْرَفَه ، ومن الشعر أعَفَّه ، ولا تَنْقلهم من علم إلى علم حتى يُحكموه ، فإنّ آزدحام الكلام فى السَّمْع مَشْغَلةٌ للفهم . وعلِّمهم
١٠ سُنَن الحكماء ، وجنِّبْهم محادثة النساء ، ولا تتّكل على عُذر منى لك ، فقد آتكلت على كفايةٍ منك .

باب فى حب الولد

بن معاوية والأحنف فى الولد

أرسل معاوية إلى الأحنف بن قيس ، فقال : يا أبا بَحر ، ما تقول فى الولد ؟ قال : ثِمار قلوبنا ، وعماد ظُهورنا ، ونحن له أرضٌ ذليلة ، وسماء ظليلة ، فإن
١٥ طلبوا فأعطِهم ، وإن غَضِبوا فأرْضِهم ، يَمنحوك ودَّهم ، ويُحبوك جهدَهم ؛ ولا تكن عليهم ثقيلا فيملوا حياتك ، ويُحِبُّوا وفاتك . فقال : لله أنت يا أحنف . لقد دخلت علىّ وإنى لمملوءٌ غضباً على يزيد ، فسللته من قلبى .

فلما خرج الأحنف من عنده بعث معاوية إلى يزيد بمائتى ألف درهم ومائتى ثوب . فبعث يزيد إلى الأحنف بمائة ألف درهم ومائة ثوب ،
٢٠ شاطره إياها[2] .

عبد الله بن عمر وابن سالم

وكان عبد الله بن عمر يذهب بولده سالم كل مذهب ، حتى لامه الناس

(١) فى بعض الأصول : « ولا تملهم فيه فيتركوه » .
(٢) فى بعض الأصول : « البعثة » .

فيه ، فقال :

يَلومونني فى سالمٍ وألومُهم * وجِلدةُ بين العينِ والأنفِ سالِمُ

وقال : إنّ ابنى سالماً ليُحب الله حُبّا لو لم يَخَفْه لم يعصه .

ابن اليمان وولده

وكان يحيى بن اليمان يذهب بولده داود كل مذهب ؛ حتى قال يوما : أئمة الحديث أربعة : كان عبد الله ، ثم كان علقمة ، ثم كان إبراهيم ، ثم أنت ياداود . ٥

وقال : تزوجت أم داود ، فما كان عندنا شيء ألفّه فيه ، حتى اشتريت له كُسوة بدانِق .

لزيد بن على يوصى ابنه

وقال زيد بن على لابنه : يابنىّ ، إن الله لم يَرْضَكَ لى فأوصاك بى ، ورضينى لك فحذَّرَنيك . واعلم أن خير الآباء للأبناء من لم يدعه الحبُّ إلى التفريط ، وخير الأبناء للآباء من لم يدعه التقصير إلى العقوق . ١٠

فى الحديث

وفى الحديث المرفوع : ريح الولد من ريح الجنة .

وفيه أيضاً : الأولاد من ريحان الله .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم لما بُشّر بفاطمة : ريحانةٌ أشُمُّها ورزقها على الله .

معاوية وابن العاص وعائشة بنت معاوية

ودخل عمرو بن العاص على معاوية وبين يديه بنته عائشة ، فقال : من هذه ؟ ١٥ فقال : هذه تُفاحة القلب ! فقال له : انبُذها عنك ، فوالله إنهن لَيلِدْن الأعداء ، ويقرِّبْنَ البُعَداء ، ويورثْن الضغائن . قال : لا تقل ذاك ياعمرو ، فوالله مامَرّض المرضى ، ولا نَدَب الموتى ، ولا أعانَ على الأحزان مثلُهن . ورُبّ ابنِ أُختٍ قد نَفَعَ خالَه .

لحطان

وقال حطّان بن المعلى الطائى : ٢٠

لولا بُنَيّاتٌ كزُغْبِ القَطَا * حُطِطْنَ من بعضٍ إلى بعضِ

لكانَ لى مُضطَرَبٌ واسعٌ * فى الأرض ذاتِ الطُّولِ والعَرْضِ

وإنما أولادُنا بيننا * أكبادُنا تمشى على الأرضِ

لابن أبي بكرة

وقال عبيد الله بن أبي بكرة : موتُ الولد صَدْعٌ فى الكبد ، لا ينجبر آخر الأبد .

عمر ورجل يحمل طفلا

ونظر عمر بن الخطاب إلى رجل يحمل طفلا على عنقه ، فقال : ماهذا منك ؟ قال : ابنى يا أمير المؤمنين ! قال أما إنه إن عاش فتَنَك ، وإن مات حزَنَك .

لفاطمة وهى ترقص الحسين

٥ وكانت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم تُرَقِّص الحسين بن على رضى الله عنهما وتقول :

وَا بِأَبِي شِبْهُ النَّبِي * ليس شَبِيهاً بِعَلِي

للزبير وهو يرقص عروة

وكان الزبير يرقص عروة ويقول :

أَبْيَضُ من آلِ أبى عَتِيقِ * مُبارَكٌ مِن وَلَدِ الصِّدِّيقِ

١٠ * أَلَذُّهُ كما أَلَذُّ رِيقِى *

لأعرابى وهو يرقص ولده

وقال أعرابىٌّ وهو يُرَقِّص ولدَه :

أُحِبُّهُ حُبَّ الشَّحِيحِ مالَهْ * قد كان ذاقَ الفقرَ ثم نالَهْ

* إذا يُرِيدُ بَذْلَهُ بَدَا لَهْ *

وقال آخر وهو يرقِّص ولده :

١٥ أعرِف منه قلَّة النُّعاس * وخفَّةً من رأسِه فى راسى

وكان رجل من طيئ يقطع الطريق ، فمات وترك بُنَيًّا رضيعا ، فجعلت أمّه ترقِّصه وتقول :

ياليته قد قَطَعَ الطريقا * ولم يرِدْ فى أمرِه رَفِيقا

وقدأخافَ الفَجَّ والمَضِيقا * فقلَّ أن كان به شفيقا

لعبد الملك فى الوليد

٢٠ وقال عبد الملك : أضرَّ بنا فى الوليد حبُّنا له فلم نؤدِّبه ، وكأن الوليد أدَّبنا .

وقال هارون الرشيد لابنه المعتصم : ما فعل وصيفُك فلان ؟ قال : مات فاستراح من الكُتّاب . قال : وبلَغ منك الكتّاب هذا المبلغ . والله لاحَضَرْتَه أبداً . ووجهه إلى البادية فتعلم الفصاحة ، وكان أُمِّيا ، وهو المعروف بابن ماردة .

إبراهيم عليه السلام وملك الموت

وفى بعض الحديث أن إبراهيم خليل الرحمن كان من أغْيَرِ الناس ، فلما حضرتْه الوفاة دخل عليه مَلَكُ الموت فى صورة رجلٍ أنكره ، فقال له : من أدخلك دارى ؟ قال : الذى أسكنك فيها منذ كذا وكذا سنة . قال : ومن أنت ؟ قال : أنا ملَك الموت ، جئت لِقَبْض روحك . قال : أتاركى أنت حتى أودِّع ابنى إسحاق ؟ قال : نعم . فأرسل إلى إسحاق . فلما أتاه أخبره ، فتعلّق إسحاق بأبيه وجعل يتقطع عليه بكاء ، فخرج عنهما ملك الموت . وقال : يارب ، ذبيحُك إسحاق متعلق بخليلك ! فقال له الله : قل له إنى قد أمهلتُك . ففعل ، وانحل إسحاق عن أبيه ، ودخل إبراهيم بيتاً ينام فيه ؛ فقبض ملك الموت روحه وهو نائم .

باب الاعتضاد بالولد

قال الله تبارك وتعالى فيما حكاه عن عبده زكريا ودعائه إليه فى الولد : ﴿ وزكريّا إذْ نادى رَبّهُ ربِّ لا تَذَرْنِى فَرْداً وأَنتَ خيْرُ الْوَارِثين ﴾ .

وقال : ﴿ وإنِّى خِفْتُ المَوَالِىَ مِنْ ورائِى وكانتِ آمْرَأَتِى عاقِراً فهَبْ لى مِنْ لدُنْكَ ولِيًا يَرِثُنِى ويَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ واجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴾ .

والموالى هاهنا : بنو العم .

لبعض الشعراء

وقال الشاعر :

من كان ذا عَضُدٍ يُدْرِكْ ظُلامتَه * إنّ الذليل الذى ليْسَت له عَضُدُ
تَنْبُو يَداه إذا ما قلّ ناصِرُهُ * ويأنَفُ الضَّيْمَ إن أثْرَى له عَدَدُ

لأبى براء

العتبى قال : لما أسنّ أبو براء عامر بن مالك وضعّفه بنو أخيه وخرّفوه ولم يكن له ولد يحميه ، أنشأ يقول :

دفعتُكُمُ عنى وما دفْعُ راحةٍ * بشىء إذا لم تَسْتَعِنْ بالأنامِلِ
يُضَعِّفُنى حلمى وكثرةُ جهلِكم * علىّ وأنى لا أصولُ بجاهِلِ

وقال آخر :

تعْدو الذِّئابُ على مَن لا كلاب له * وتتقى سَورة المستنفِر الحامى

باب فى التجارب والتأدّب بالزمان

للحكماء

قالت الحكماء : كفى بالتجارب تأديبا ، وبتقلب الأيام عظة .

وقالوا : كفى بالدهر مؤدِّبا وبالعقل مُرْشِدا .

لحبيب

وقال حبيب :

٥ أحاوَلْتَ إرْشادى فعقْلِىَ مُرْشِدِى ۞ أم اسْتَمْت تأديبى فدهْرِى مُؤَدِّبِى

لابن شكلة

وقال إبراهيم بن شَكْلة :

من لم يُؤدِّبْه والداهُ ۞ أدَّبَه الليْل والنهارُ

كم قد أذَلّا كريمَ قوْمٍ ۞ ليس له منهما انتصارُ

من ذا يدُ الدهر لم تنَلْه ۞ أو اطمأنّت به الدِّيارُ

١٠ كلٌّ عن الحادِثاتِ مُغْضٍ ۞ وعنده للزمانِ ثارُ

لبعض الشعراء

وقال آخر :

وما أبْقت لك الأيام عُذْراً ۞ وبالأيام يَتَّعِظُ اللبيبُ

وقالوا : كفى بالدهر مُخبِرا بما مضى عما بقى .

وقالوا : كفى مُخبراً لذوى الألباب ما جرَّبوا .

لعيسى عليه السلام

١٥ وقالوا لعيسى ابن مريم عليهما السلام : مَن أدَّبك ؟ قال : ما أدّبنى أحد ؛ رأيت الجهل قبيحاً فاجتنبته .

باب فى صحبة الأيام بالموادعة

قالت الحكماء : اصحب الأيام بالموادعة ، ولا تسابق الدهر فتكبو .

وقال الشاعر :

٢٠ مَن سابق الدهر كبَا كَبْوَة ۞ لم يَسْتَقِلْها من خُطا الدهر

فاخطُ مع الدهر إذا ما خَطا ۞ واجْرِ مع الدهر كما يَجرى

لبشار — وقال بشار العقيلى :

أعاذِلُ إنّ العُسر سوْف يُفيقُ * وإنَّ يَساراً من غَدٍ لخليقُ
وما كنتُ إلّا كالزمانِ إذا صحا * صحوْتُ وإنْ ماقَ الزمانُ أموقُ

لبعض الشعراء — وقال آخر :

تَحامَقْ مع الحَمْقى إذا ما لقِيتَهم * ولاقِهِم بالجهل فعل ذوِى الجهلِ
وخَلِّطْ إذا لاقيْتَ يوْماً مُخَلِّطاً * يُخَلِّطُ فى قول صحيحٍ وفى هَزْلِ
فإنى رأيت المرء يَشقى بعقلِهِ * كما كان قبل اليوم يَسعَد بالعقل

وقال الآخر :

إن المقاديرَ إذا ساعَدتْ * ألحقَتِ العاجزَ بالحازمِ

وقال الآخر :

والسببُ المانعُ حظَّ العاقِلِ * هو الذى سَبَّب حظَّ الجاهِلِ

فى أمثالهم — ومن أمثالهم فى ذلك قولهم : تَطامَنْ لهـا تَخطُك .

لابن عبد ربه — ومن قولنا فى هذا المعنى :

تَطامنْ للزمانِ يَجُزْك عفواً * وإن قالوا ذليلٌ قُل ذليلُ

لحبيب — وقال حبيب :

وكانت لوْعةً ثم اطمأَنّتْ * كذاك لكلِّ سائلةٍ قرارُ

وقال حبيب :

ماذا يُريك الدهرُ من هوانِه * ازْفِن لقرْدِ السَّوءِ فى زمانِه

ولآخر :

الدهرُ لا يبقى على حالة * لابد أن يُقبِل أو يُدبِرْ
فإن تَلَقَّاك بمكروهه * فاصبِر فإن الدهرَ لا يَصبِرْ

ولآخر :

اصبر لدهرٍ نال منـــك فهكذا مضتِ الدُّهورُ

فَرَحاً وحُــــزنا مرةً * لا الحُزْنُ دام ولا السُّرور

ولآخر :

عفا الله عمن صيَّرَ الهمَّ واحداً * وأيقن أنَّ الدائراتِ تَدور

تروح لنا الدُّنيا بغير الذى غَدت * وتَحْدُثُ من بَعد الأمور أُمورُ

وتَجرى الليــالى باجتِماعٍ وفُرْقةٍ * وتطلُع فيهــا أنجُمٌ وتَغــــورُ ٥

وتطمع أن يبقى السُّرورُ لأهلِهِ * وهــذا مُحــالٌ أن يَدومَ سُرورُ

ولآخر :

سأنتظر[1] الأيامَ فيك لعلَّها * تعودُ إلى الوَصْلِ الذى هو أجملُ

باب التحفظ من المقالة القبيحة

وإن كانت باطلا ١٠

للحكماء

قالت الحكماء : إياك وما يُعتذَر منه .

وقالوا : من عَرَّض نفسه للتهم فلا يأمن من إساءة الظن .

وقالوا : حَسْبُك من شرٍّ سماعُه .

وقالوا : كفى بالقول عاراً وإن كان باطلا .

لبعض الشعراء

وقال الشاعر : ١٥

ومَنْ دَعا النــاسَ إلى ذَمِّهِ * ذَمُّوهُ بالحقِّ وبالبــاطِلِ

مَقالَةُ السُّوءِ إلى أهْلِها * أسْرعُ مِن مُنْحدرٍ سائلِ

وقال آخر :

قد قيل ذلك إنْ حَقًّا وإنْ كَذِباً * فمــا اعتِذارُكَ من قولٍ إذا قيلا

لأرسطاطاليس ينصح الإسكندر

وقال أرسطاطاليس للإسكندر : إن الناس إذا قدروا أن يقولوا قدروا أن يفعلوا ، فاحترس من أن يقولوا تسلمْ من أن يفعلوا . ٢٠

(١) فى بعض الأصول : « أما تنظر » .

لامرىء القيس وقال امرؤ القيس :

* وجرحُ اللّسانِ كجُرْحِ اليَـدِ *

للأخطل وقال الأخطل :

* والقولُ يَنْفذُ ما لا تَنفُذُ الإبر *

للحمدونى وقال يعقوب الحمدونى [1] : ٥

وقد يُرْجَى لِجَرْحِ السيفِ بُرْءٌ * ولا بُرْءٌ لِمَا جَرَحَ اللّسانُ

لبعض الشعراء ولآخر :

قالوا ولو صَحَّ ما قالوا لُفزْتُ به * مَنْ لى بتصديقِ ما قالوا وتكذيبى

باب الأدب فى تشميت العطاس

للنبى صلى الله عليه وسلم ومن حديث أبى بكر بن أبى شَيبة قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم : لا تشمِّت العاطس حتى يحمد الله ، فإن لم يحمده فلا تشمِّته . ١٠

وقال : إذا عطس أحدكم فحمد الله فشمّتوه ، وإن لم يحمد الله فلا تُشمّتوه .

لعلى وقال علىّ رضى الله عنه : يشمّت العاطس إلى ثلاث ، فإن زاد فهو داءٌ يخرج من رأسه .

لابن عمر عطس ابن عمر ، فقالوا له : يرحمك الله . فقال : يهديكم الله ويُصلح بالكم . ١٥

لعلى بن أبى طالب وعطس علىّ بن أبى طالب فحمد الله ، فقيل له : يرحمك الله . فقال : يغفر الله لنا ولكم .

لعمر بن الخطاب وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : إذا عطس أحدكم فشمّتوه ثلاثا ، فإن زاد فقولوا : إنك مَضنوك .

لبعضهم وقال بعضهم : التشميت مرة واحدة . ٢٠

(١) فى بعض الأصول : « الحمدى » .

باب الإذن فى القبلة

في تقبيل يد النبى صلى الله عليه وسلم

عبد الرحمن بن أبى ليلى عن عبد الله بن عمر ، قال : كنا نقبّل يدَ النبى صلى الله عليه وسلم .

وكيع عن سفيان قال : قبّل أبو عبيدة يدَ عمرَ بن الخطاب .

في تقبيل النبى صلى الله عليه وسلم لجعفر

ومن حديث الشّعبى قال : لقى النبى صلى الله عليه وسلم جعفر بن أبى طالب ، فالتزمه وقبّل بين عينيه .

وقال إياس بن دَغْفل : رأيت أبا نَضرة يقبّل خدّ الحسن .

في تقبيل يد على

الشّيبانى عن أبى الحسن عن مصعب قال : رأيت رجلا دخل على علىّ بن الحسين رضى الله عنهما فى المسجد فقبّل يده ووضعها على عينيه ، ولم يَنْهه .

العُتبى قال : دخل رجلٌ على هشام بن عبد الملك فقبّل يده ، فقال : أُفٍّ له . إنّ العرب ماقبّلت الأيدى إلا هلوعا ولا قبلتها العجم إلا خضوعا .

في تقبيل يد المأمون

واستأذن رجل المأمون فى تقبيل يده ، فقال : إنّ القبلة من المؤمن ذِلّة ، ومن الذّمىّ خديعة ؛ ولا حاجة بك أن تَذِلّ ، ولا حاجة بنا أن نُخْدَع .

أبو دلامة والمهدى

واستأذن أبو دلامة المهدىّ فى تقبيل يده فمنعه ، فقال : ما منعتَنى شيئاً أيسرَ على عيالى فقداً من هذه .

الهجرى والمنصور

الأصمعى قال : دخل أبو بكر الهجرى على المنصور ، فقال : يا أمير المؤمنين ، نَغَضَ فمى ، وأنتم أهل بيتِ بركة ، فلو أذنت لى فقبّلتُ رأسك لعلّ الله كان يُمسك على ما بقى من أسنانى . قال : اختر بينها وبين الجائزة . فقال : يا أمير المؤمنين، إن أهوَن علىّ من ذهاب دِرهم من الجائزة ألّا تبقى فى فمى حاكّةٌ . فضحك المنصور وأمر له بجائزة .

لبعضهم

وقالوا : قبلة الإمام فى اليد ، وقبلة الأب فى الرأس ، وقبلة الأخ فى الخد ، وقبلة الأخت فى الصدر ، وقبلة الزوجة فى الفم .

باب الأدب فى العيادة

أبو عمرو بن العلاء وعائد

مرض أبو عمرو بن العلاء، فدخل عليه رجل من أصحابه، فقال له : أريد أن أساهرك الليلة . قال له : أنت معافًى وأنا مُبتَلى، فالعافية لا تَدَعُك أن تسهر، والبلاء لا يَدَعُنى أن أنام . وأسأل الله أن يَهبَ لأهل العافية الشكر، ولأهل البلاء الصبر . ٥

عبدالعزيز بن مروان وكثير

ودخل كُثيّر عزّة على عبد العزيز بن مروان وهو مريض، فقال : لو أن سرورك لا يتمّ إلا بأن تسلم وأسقم لدعوتُ ربى أن يصرف ما بك إلىّ، ولكن أسأل الله لك أيها الأمير العافية، ولى فى كَنفك النعمة . فضحك وأمر له بجائزة. فخرج وهو يقول :

ونعودُ سيّدَنا وسيّدَ غيْرِنا * ليْتَ التّشكّى كان بالعُوّادِ ١٠

لو كان يقبلُ فِدْيةً لَفَدَيْتُه * بالمُصطفَى مِن طارِفى وتِلادِى

من أديب إلى عليل

وكتب رجل من أهل الأدب إلى عليل :

نُبِّئْتُ أنّكَ مُعْتلٌّ فقلتُ لهُمْ * نفْسِى الفِداءُ له مِنْ كُلِّ محذُورِ

ياليْتَ عِلّتَهُ بِى ثمّ كان لهُ * أجْرُ العليلِ وأنّى غيرُ مأْجُورِ

لآخر فى مثله

وكتب آخر إلى عليل : ١٥

وقيْناك لو يُعطَى الهوَى فيكَ والمُنى * لكانَ بنا الشكْوى وكان لك الأجرُ

بين يحيى بن خالد وشاعر اعتل

وكان شاعر يختلف إلى يحيى بن خالد بن برمك ويمتدحه، فغاب عنه أياماً لعلةٍ عرضت له، فلم يفتقدْه يحيى ولم يسأل عنه ؛ فلما أفاق الرجلُ من علّته كتب إليه :

أيهذا الأميرُ أكرَمك اللـهُ وأبقاك لى بقاءً طويلَا ٢٠

أجَميلًا تَراهُ أصلحكَ اللـهُ لِكَيْما أراهُ أيضاً جَميلَا

أنّى قد أقمْتُ عنكَ طويلًا * لا تُرى مُنْفِذاً إلىَّ رسُولا

ألِذَنْبٍ فما علِمْتُ سوَى الشُّكْـ * ـرِ لِمَا قد أوْليْتَنِيه جزيلَا

أَمْ مَلالًا فما عَلِمتُكَ لِلْحا * فِظِ مِثْلِى على الزَّمان مَلُولَا
قد أَتى اللهُ بالصَّلاحِ فما أَنْـ * ـكرْتُ مِمَّا عهِدْتُ إلَّا قليلَا
وأَكلتُ الدُّرَّاجَ وهْوَ غذاءٌ * أَفلتَتْ عِلَّتى عليه أُفولَا
وكأنِّى قدِمْتُ قَبْلَكَ آتيـ * ـكَ غداً إنْ أَجِدْ إليْك سبيلَا

٥ فكتب إليه الوزير يعتذر :

دفع اللهُ عنك نائبةَ الدهْـ * ـرِ وحاشاكَ أن تكون عليلا
أُشْهِدُ الله ما عَلِمتُ وماذا * لكَ مِنَ العُذْرِ جائزاً مقبولَا
ولَعلِّى لو قدْ علِمْتُ لعاوَدْ * تُكَ شهْراً وكان ذاكَ قليلا
فاْجعلنَ لى إلى التَّعلُّقِ بالعُذْ * رِ سبيلا إن لمْ أَجِدْ لى سبيلَا
١٠ فقديماً ماجاء ذوالفضْلِ بالفضْـ * ـلِ وما سامَحَ الخليلُ خليلَا

من المعتصم إلى ابن طاهر

وكتب المعتصم إلى عبد الله بن طاهر :

أَعزِزْ علَىَّ بأَنْ أَراكَ عليلَا * أوأنْ يكونَ بكَ السّقامُ نزيلَا
فوَددْت أنِّى مالِكٌ لِسلامَتى * فأُعيرَها لكَ بُكْرَةً وأَصِيلا
فتكونَ تبْقَى سالماً بسلامَتى * وأكونَ مِمَّا قد عراكَ بدِيلا
١٥ هٰذا أَخٌ لكَ يشتكى ماتشْتكى * وكذا الخليلُ إذا أحبَّ خليلَا

ابن صبيح ويحيى حين اعتل

ومرض يحيى بن خالد ، فكان إسماعيل بن صبيح الكاتب إذا دخل عليه يعوده وقف عند رأسه ودعا له ، ثم يخرج فيسأل الحاجبَ عن منامه وشرابه وطعامه ؛ فلما أفاق قال يحيى بن خالد : ما عادَنى فى مرضى هذا إلا إسماعيل ابن صبيح .

لبعض الشعراء

٢٠ وقال الشاعر :

عِيادةُ المرءِ يَومٌ بين يَوْمَيْنِ * وجِلسَةٌ لكَ مِثْلَ اللَّحظِ بالعَيْنِ
لا تُبْرِمنَّ مريضاً فى مُساءلةٍ * يكْفِيك مِنْ ذاكَ تسآلٌ بحرْفَيْنِ

لبكر بن عبد الله في قوم عادوه

وقال بكر بن عبد الله لقوم عادوه فى مرضه فأطالوا الجلوس عنده : المريض يُعادُ والصحيح يُزار .

لسفيان الثورى

وقال سُفيان الثورى : حُمْقُ القرّاء أشدُّ على المرضى من أمراضهم : يجيئون فى غير وقت ويُطيلون الجلوس .

عمر بن عبد العزيز وعائد

ودخل رجل على عمر بن العزيز يعوده فى مرضه ، فسأله عن علّته ، فلما أخبره قال : مِن هذه العلة مات فلان ، ومات فلان . فقال له عمر : إذا عُدْتَ المرضى فلا تنْعَ إليهم الموتى ، وإذا خرجتَ عنا فلا تعُدْ إلينا.

لابن عباس

وقال ابن عباس : إذا دخلتم على الرجل وهو فى الموت فبشّروه ليلقى ربّه وهو حَسَنُ الظن ، ولقّنوه الشهادة ، ولا تُضْجِروه .

للأعمش فى مرضه

ومرض الأعمش فأبرمه الناسُ بالسؤال عن حاله ، فكتب قصتَه فى كتاب وجعله عند رأسه ، فإذا سأله أحد قال : عندك القصة فى الكتاب فاقرأْها .

لبعض الشعراء

ولبعضهم :

مرض الحبيب فعدتُهُ ٭ فمرضتُ من حذرى عليه
وأتى إلىّ يعــودنى ٭ فبرئتُ من نظرى إليه

بين محمد بن عبد الله وهو مريض وأخيه

ومرض محمد بن عبد الله بن طاهر ، فكتب إلى أخيه عبيد الله بن عبد الله :

إنى وجَدْتُ على جَفا ٭ ئِك من فَعالِكَ شاهدا
إنى اعتَلَلْتُ فما فقَدْ ٭ تُ سِوَى رسولِكَ عائدا
ولَوِ اعْتَللت فلم أجِــد ٭ ســبباً إليْك مُساعِداً
لاسْتشعَرتْ عيْنى الكرَى ٭ حتّى أعُــودك راقِدَا

فأجابه :

كُحِلَتْ مُقْلتى بشوكِ القتاد ٭ لم أذُق حرقةً لطعم الرُّقادِ
يا أخى الباذِلَ المَودّةِ والثّنا ٭ زِلَ من مُقْلتى مكان السّوادِ
منعَتْنى عليــكَ رِقّةُ قلبى ٭ من دخولِى إليْك فى العُوّاد
لو بأُذْنى سَمِعْتُ منْكَ أنيناً ٭ لتَفَرّى مع الأَنينِ فُؤادى

لمحمد بن يزيد

ولمحمد بن يزيد :

يا عليلًا أفديكَ من أَلَمِ العِـلَّةِ هـل لى إلى اللّقـاء سبيلُ
إنْ يَحُلْ دونَكَ الحِجابُ فما يُحْـجَبُ عنى بِكَ الضَّنَى والعَويل

لأبى دهمان فى عيادته لأمير

وأنشد محمد بن يزيد ، قال : أنشدنى أبو دُهمان لنفسه وقد دخل على بعض
٥ الأمراء يعوده :

بأنفُسِنا لا بالطَّوارِفِ والتُّـلْدِ ﴿ نَقِيكَ الذى تُخْفِى من السُّقْمِ أو تُبْدِى
بِنا معشرَ العُوَّادِ مابكَ من أذًى ﴿ فإنْ أشفقوا مما أقولُ فبِى وَحْدى

من أبى تمام إلى ابن طوق

وكتب أبو تمام الطائى إلى مالك بن طوق فى شَكاةٍ له :

كم لَوْعةٍ للنَّدَى وكم قلَقٍ ﴿ للحمدِ والمَكرُمَاتِ من قَلَقِكْ
١٠ أَلْبَسَكَ اللهُ منه عافِيــةً ﴿ فى نَوْمِكَ المُعترِى وفى أَرَقِكْ
تُخرِجُ من جسمِكَ السَّقامَ كما ﴿ أُخْرِج ذَمُّ الفَعَالِ مِن خُلُقِكْ

لمحمد بن عبد الله حين دخل على المتوكل يعوده

ودخل محمد بن عبد الله على المتوكل فى شكاة له يعوده ، فقال :

اللهُ يَدْفع عن نفسِ الإمامِ لَنا ﴿ وكُلُّنا للمَنايا دونَهُ غَرَضُ
فليتَ أنّ الذى يَعرُوهُ من مرض ﴿ بالعائدين جميعـاً لا به المرَضُ
١٥ فبالإمامِ لنا من غيرنا عِوَضٌ ﴿ وليس فى غيرِه منه لنا عِوَضُ
فما أُبَالِى إذا ما نفسُه سَلِمَتْ ﴿ لو بادَ كلُّ عِبادِ اللهِ وانقَرَضُوا

لآخر فى بعض الأمراء

وقال آخر فى بعض الأمراء :

واعتَـلَّ فاعتَلَّتْ الدنيا لِعِلَّته ﴿ واعتَلَّ فاعتَلَّ فيه البأْسُ والكرم
لمَّا استَقلَّ أثارَ المجدُ وانقشعتْ ﴿ عنه الضَّمانة والأحزانُ والسَّقَمُ

لمجنون بنى عامر فى ليلى

٢٠ وبلغ قيساً مجنونَ بنى عامر أن ليلى بالعراق مريضة ، فقال :

يقولون ليلَى بالعراقِ مريضةٌ ﴿ فما لك تجفوها وأنت صديقُ
شفَى اللهُ مَرْضَى بالعراقِ فإننى ﴿ على كلِّ شاكٍ بالعراقِ شفيقُ

لمحمد بن عبد الله — ولمحمد بن عبد الله بن طاهر :

أَلْبَسَكَ اللهُ منــه عافِيَةً * تُغنيكَ عن دعوتى وعن جَلَدِكْ
سُقْمُكَ ذا لا لِعِلَّةٍ عَرَضتْ * بل سُقْمُ عينيكَ رُدَّ فى جسدِكْ
فيامريض الجفون أَحْيِ فتًى * قتلتَـه بالجفونِ لا بيدكْ

لبعض الشعراء — وقال غيره :

يا أملى ، كيف أنت من أَلَمِكْ * وكيف ما تشتكيهِ من سَقَمِكْ
هذانِ يومانِ لى أَعُدُّهما * مُذْ لم تَلُحْ لى بُرُوقُ مُبْتَسِمِكَ
حَسدْتُ حُمَّاكَ حين قيل لها * بأنها قَبَّلَتْـكَ فوق فمِكْ

لسحيم — ولُسحيم عبد بنى الحَسحاس :

تَجَمَّعْنَ شتَّى من ثلاثٍ وأربعٍ * وواحدةٍ حتى كَمُلْنَ ثمانيا
وأقبلنَ من أَقصى الخيامِ يَعُدْنَنِى * أَلا إنما بعضُ العوائدِ دائيا

لابن الأحنف — وللعباس بن الأحنف :

قالت مَرِضتُ فعُدْتُها فتبرَّمتْ * وهى الصحيحة والمريضُ العائدُ
واللهِ لو قَسَتِ القلوبُ كقلبها * ما رَقَّ للولَدِ الضعيفِ الوالِدُ

للواثق — وقال الواثق :

لا بِكَ السُّقْمُ ولكنْ كان بى * وبنفسى وبأُمّى وأبى
قيــل لى إنك صُدِّعْتَ فما * خالَطَتْ سمعِىَ حتى دِيرَ بى

لعلية بنت المهدى — وأنشد محمد بن يزيد المبرّد لعلية بنت المهدى :

تمارَضْتِ كى أَشْجَى ومابكِ عِلَّةٌ * تُريدين قتلى قد ظَفِرْتِ بذلكِ
وقولكِ للعُوَّاد كيف ترَوْنه * فقالوا قتيلا قلت أَهْونُ هالِكِ
لئن ساءنى أن نِلْتِنى بمساءةٍ * لقد سرَّنى أنى خَطَرْتُ ببالِكِ

لابن عبد ربه — ومن قولنا فى هذا المعنى :

رُوحُ الندى بين أثوابِ العُلا وصِبُ * يَعْتَنُّ فى جَسَدِ المجدِ مَوْصوب

ما أنت وحدك مكسوٌّ شُحُوبَ ضَنى ٭ بل كلنا بك مِن مُضْنًى ومَشْحوبِ
يا من عليه حِجابٌ من جلالتِه ٭ وإن بدا لك يوماً غير محجوبِ
ألقَ عليك يداً للضُّرِّ كاشفةً ٭ كَكَشَّافُ ضُرِّ نَبِيِّ اللهِ أيُّوبِ

ومثله من قولنا :

٥ لا غَرْوَ إن نال منك السُّقْمُ والضررُ ٭ قد تُكسَف الشمسُ لا بل يُخسَف القمرُ
يا غُـــرَّة القمر الداوى غَضارتُها ٭ فِـــدًى لنورك منى السمعُ والبصرُ
إن يُمْسِ جسمُك مدْعوكا بِصالِيَة ٭ فهكذا يُوعَكُ الضِّرْغامةُ الهَصِرُ
أنت الحُسامُ فإن تُفْلَل مَضارِبُه ٭ فقبلَه ما يُفَلُّ الصارمُ الذَّكَرُ
روح من المجدِ فى جُثمان مَكْرُمَةٍ ٭ كأنما الصبحُ من خَـــدَّيه يَنفجرُ
١٠ لو غال مَجْـــلودَه شيءٌ سوى قدَرٍ ٭ أكبَرْتُ ذاك ولكن غاله القدَرُ

ومن قولنا فى هذا المعنى :

لا غَرْوَ إن نال منك السُّقْمُ ما سَألا ٭ قد يُكسَف البدرُ أحياناً إذا كَمَلا
ما تشتكى عِـــلةً فى الدهر واحدةً ٭ إلا اشتكى الجودُ من وَجدٍ بها عِللا

الادب فى الاعتناق

١٥ أبو بكر بن محمد قال : حدثنا سعيد بن إسحاق عن ابن يونس المدينى قال : كنت جالساً عند مالك بن أنس ، فإذا سفيان بن عيينة يستأذن بالباب ، فقال مالك : رجل صالح صاحب سُنَّه ، أدْخِلوه . فدخل فقال : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . فردّ السلام ، فقال : سلامٌ خاص وعام عليك يا أبا عبد الله ورحمة الله . فقال مالك : وعليك السلام يا أبا محمد ورحمة الله . فصافحه مالك وقال :
٢٠ يا أبا محمد ، لولا أنها بدعة لعانقناك . فقال سفيان : قد عانق من هو خيرٌ منا ، رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال مالك : جعفراً ؟ قال : نعم . فقال مالك : ذاك حديث خاص يا أبا محمد ليس بعام . فقال سفيان : ما عمَّ جعفرا يعُمّنا وما خصه يخصنا إذا كنا صالحين ؛ أفتأذن لى أن أحدِّث فى مجلسك ؟ قال : نعم

سفيان بن عيينة ومالك

يا أبا محمد . فقال : حدّثنى عبد الله بن طاوس عن أبيه عن عبد الله بن عباس : أنه لما قدم جعفر من أرض الحبشة اعتنقه النبي صلى الله عليه وسلم ، وقبل بين عينيه وقال : جعفر أشبه الناس بى خَلْقا وخُلُقا .

باب الأدب فى إصلاح المعيشة

لبعضهم — قالوا : من أشبع أرضه عملا أشبعت بيته خُبزاً . ٥

وقالوا : يقول الثوب لصاحبه : أكرمْنى داخلا أُكرمْك خارجا .

لعائشة — وقالت عائشة : المَغزل بيد المرأة أحسن من الرمح بيد المجاهد فى سبيل الله .

عمر بن الخطاب — وقال عمر بن الخطاب : لا تنهكوا وجه الأرض فإن شحمها فى وجهها .

وقال : فرّقوا بين المنايا واجعلوا الرأس رأسين .

وقال : أمِلكوا العجين فإنه أحد الرَّيعين .

لأبى بكر — وقال أبو بكر لغلام له كان يتجر بالثياب : إذا كان الثوب سابغا فانشره وأنت قائم ، وإذا كان قصيراً فانشره وأنت جالس ، وإنما البيع مِكاس .

لعبد الملك — وقال عبد الملك بن مروان : مَن كان فى يده شىء فليُصلحْه ، فإنه فى زمان إن احتاج فيه فأول ما يبدل دينُه .

باب الأدب فى المؤاكلة

١٥

النبى صلى الله عليه وسلم — قال النبي صلى الله عليه وسلم : إذا أكل أحدكم فليأكل بيمينه وليشرب بيمينه ، فإن الشيطان يأكل بشماله ويشرب بشماله .

بلال والجارود — محمد بن سلام الجمحى قال : قال بلال بن أبى بُردة . وهو أمير على البصرة ، للجارود بن أبى سَبرة الهذلى : أتحضر طعام هذا الشيخ ؟ يعنى عبد الأعلى بن عبد الله بن عامر ؛ قال : نعم . قال : فصِفْه لى . قال : نأتيه فنجده مُنبطحاً ، يعنى نائماً ، فنجلس حتى يستيقظ ، فيأذن فنساقطه الحديث ، فإن حدّثناه أحسن الاستماع ؛ وإن حدثنا أحسن الحديث ، ثم يدعو بمائدته ، وقد تقدم إلى جواريه ٢٠

وأمهات أولاده ألّا تلفظ واحدة منهن إذا وضعت مائدة ، ثم يُقبِل خَبّازه فيمثُل بين يديه قائماً ، فيقول له : ما عندك ؟ فيقول : عندى كذا وكذا . فيعدّد ما عنده . يريد بذلك أن يَحبس كلُّ رجل نفسه وشهوته على ما يريد من الطعام . وتُقبل الألوان من هاهنا ومن هاهنا فتوضع على المائدة ، ثم يؤتى بثريدة شهباء من الفلفل رقطاء من الحِمّص ، ذات حفافين من العُراق ، فيأكل مُعْذِرا ، حتى إذا ظن أن القوم قد كادوا يمتلئون ، جَثَا على ركبتيه ؛ ثم آستأنف الأكل معهم .

قال ابن أبى بُردة : لله دَرّ عبد الأعلى ، ما أربط جأشه على وقع الأضراس .

هشام وأعرابى حضر سفرته

وحضر أعرابى سُفرة هشام بن عبد الملك ؛ فبيناه يأكل معه إذ تعلقت شعرة فى لقمة الأعرابى ، فقال له هشام : عندك شعرة فى لقمتك يا أعرابى . فقال : وإنك لتلاحظنى ملاحظة من يرى الشعرة فى لقمتى ! والله لا أكلت عندك أبدا ، ثم خرج وهو يقول :

وللموْتُ خيرٌ من زيارةِ باخلٍ * يُلاحِظُ أطراف الأكيلِ على عَمْدِ

بين المنصور وأعرابى

محمد بن زيد قال : أكل قائد لأبى جعفر المنصور معه يوماً ، وكان على المائدة محمد المهدىُّ وصالحٌ ابناه ، فبينا الرجل يأكل من ثريدة بين أيديهم ، إذ سقط بعض الطعام من فيه فى الغَضارة ، فكأن المهدى وأخاه عافا الأكل معه ، فأخذ أبو جعفر الطعام الذى سقط من فم الرجل فأكله ، فالتفت إليه الرجل فقال : يا أمير المؤمنين ، أما الدنيا فهى أقلُّ وأيسر من أن أتركها لك ، والله لأترُكَنّ فى مرضاتك الدنيا والآخرة .

المنصور وهاشمى والربيع حاجبه

وحدّث إبراهيم بن السندى قال : كان فتى من بنى هاشم يدخل على المنصور كثيراً ، يسلم من بعيد وينصرف ، فأتاه يوماً فأدناه ، ثم دعاه إلى الغداء . فقال : قد تغدّيت ! فأمهله الرّبيع حاجب المنصور حتى ظن أنه لم يفهم الخطيئة ، فلما انصرف وصار وراء الستر دفعه فى قفاه ، فلما رأى من الحاجب دَفْعَه فى قفاه ، شكا الفتى حالته وما ناله إلى عُمومته ، فأقبلوا من غدٍ إلى أبى جعفر ، وقالوا : إن الربيع نال من هذا الفتى كذا وكذا . فقال لهم أبو جعفر : إن الربيع لا يُقْدم على

مثل هـذا إلا وفى يده حُجة ، فإن شئتم أمسكنا عن ذلك وأغضينا ، وإن شئتم سألتُه وأسمعتُكم . قالوا : بل يَسأله أمير المؤمنين ونسمع . فدعاه فسأله ، فقال : إن هذا الفتى كان يأتى فيسلِّم وينصرف من بعيد؛ فلما كان أمس أدناه أمير المؤمنين حتى سلَّم من قُرب ؛ وتبذّل بين يديه ودعاه إلى غدائه ؛ فبلغ من جهله بحق المرتبة التى أحلّه فيها أن قال : قد تغديت . وإذا هو ليس عنده لِمَنْ أكل مع أمير المؤمنين وشاركه فى يده إلا سَدُّ خَلّةِ الجوع ، ومثل هـذا لا يُقوِّمه القول دون الفعل . فسكت القوم وانصرفوا .

لبكر بن عبيد الله — وقال بكر بن عبيد الله : أحق الناس بلطمة مَن أتى طعاما لم يُدْعَ إليه ، وأحق الناس بلطمتين من يقول له صاحب البيت : اجلس هاهنا . فيقول : لا ، هاهنا ، وأحق الناس بثلاث لطمات من دُعِى إلى طعام فقال لصاحب المنزل : ادعُ ربة البيت تأكل معنا .

للجاحظ — وقال أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ : لا ينبغى للفتى أن يكون مُكحلا ؛ ولا مُقبِّباً ، ولا مُكوكِباً ، ولا شُكامداً ، ولا حُرامدا ، ولا نُقامدا . ثم فسره فقال : أما المكحل ، فالذى يتعرق العظم حتى يدعه كأنه مكحلة عاج ، والمقبِّب ، فالذى يركّب اللحم بين يديه حتى يجعله كأنه قبة ؛ والموكِب ، الذى يبصق فى الطست وينخم فيها حتى يصير بصاقه كأنه الكواكب فى الطست : والحرامد ، الذى يأتى فى وقت الغداء والعشاء فيقول : ما تأكلون ؟ فيقولون من بغضه : سمًّا ! فيدخل يده ويقول : فى حِرِ أمِّ العيش بعدكم ؛ والشُّكامد . الذى يتبع اللقمة بأخرى قبل أن يُسيغها فيخنق ، كأنه ديك قد ابتلع فأرة ، والنقامد ، الذى يضع الطعام بين يديه ويأكل من بين يدى غيره .

غسل اليد — ومن الأدب : أن يبدأ صاحب الطعام بغسل يده قبل الطعام ، ثم يقول لجلسائه : من شاء منكم فليغسلْ . فإذا غسل بعد الطعام : فليقدِّمهم ويتأخر .

أدب الملوك

للعلماء — قال العلماء : لا يُؤَمُّ ذو سلطان فى سلطانه ولا يُجلس على تكرمته إلا بإذنه .

لزياد — وقال زياد : لا يُسَلَّم على قادم بين يدى أمير المؤمنين .

ودخل عبد الله بن عباس على معاوية وعنده زياد، فرحّب به معاوية ووسع له إلى جنبه ، وأقبل عليه يسائله ويحادثه وزياد ساكت ، فقال له ابن عباس : كيف حالك أبا المغيرة ، كأنك أردت أن تُحدث بيننا وبينك هِجرة ؟ فقال : لا ، ولكنه ٥ لا يُسَلَّم على قادم بين يدى أمير المؤمنين . قال ابن عباس : ما أدركتُ الناس إلا وهم يُسلمون على إخوانهم بين يدى أمرائهم . فقال له معاوية : كُفّ عنه يا بن عباس ، فإنك لا تشاء أن تَغلِب إلا غلبْتَ .

لعبد الملك — الشيبانى قال : بصق ابن مروان فقصّر فى بصقته ، فوقعتْ فى طرف البساط فقام رجل من المجلس فمسحه بكمه ، فقال عبد الملك بن مروان : أربعة لا يُسْتَحَى ١٠ من خدمتهم : الإمام ، والعالم ، والوالد ، والضيف .

ليحيى بن خالد — وقال يحيى بن خالد : مُساءلةُ الملوك عن حالها من تحية النَّوْكى ، فإذا أردت أن تقول : كيف أصبح الأمير ، فقل : صَبَّحَ اللهُ الأمير بالنعمة والكرامة . وإن كان عليلا فأردت أن تسأله عن حاله ، فقل : أنزل اللهُ على الأمير الشفاء والرحمة.

لبعضهم — وقالوا : إذا زادك الملك إكراماً فزده إعظاما ، وإذا جعلك عبدا فاجعله ربّا ١٥ ولا تُديمن النظر إليه ، ولا تُكثر من الدعاء له فى كل كلمة ولا تتغيَّر له إذا سَخط ولا تغترّ به إذا رضى ، ولا تُلحِف فى مسألته .

وقالوا : الملوك لا تُسْأَل ولا تشمّت ، ولا تُكيّف .

لبعض الشعراء — وقال الشاعر :

إن الملُوك لا يُخاطَبُونا * ولا إذا ملُّوا يُعاتَبونا

٢٠ وفى المقالِ لا يُنازَعُونا * وفى العُطاسِ لا يُشمَّتُونا

وفى الخطابِ لا يُكَيَّفُونا * يُثْنَى عليْهِمْ ويُبَجَّلُونا

فافْهَمْ وصاتِى لا تكن مَجْنونا

وقالوا : مِن تمـام خدمة الملوك أن يُقرِّب الخادم إليه نعليه ، ولا يدعه يمشى

إليهما ، ويجعل النعل اليمنى قُبالة الرجل اليمنى ، واليُسرى قُبالة الرجل اليسرى ؛ وإذا رأى متكأً يحتاج إلى إصلاح أصلحه ، ولا ينتظر فيه أمره ، ويتفقد الدواة قبل أن يأمره ، وينفُض عنها الغبار إذا قرّبها إليه ، وإن رأى بين يديه قِرطاسا قد تباعد عنه قرّبه إليه ووضعه بين يديه على كِسَره .

معاوية وأصحابه

وقال أصحابُ معاوية لمعاوية : إنا ربما جلسنا عندك فوق مقدار شهوتك ، فأنت تكره أن تستخفَّنا فتأمرنا بالقيام ، ونحن نكره أن نُثْقِلَ عليك فى الجلوس ، فلو جَعلت لنا علامة نعرف بها ذلك ؟ فقال : علامة ذلك أن أقول : إذا شئتم .

ليزيد فى مثله

وقيل مثل ذلك ليزيد بن معاوية ، فقال : إذا قلت : على بركة الله .

وقيل مثل ذلك لعبد الملك بن مروان ، فقال : إذا وضعت الخيزرانة .

أبو جعفر وشبيب

وما سمعتُ بألطف معنى ، ولا أكمل أدباً ، ولا أحسن مذهباً فى مساءلة الملوك من شبيب بن شيبة وقوله لأبى جعفر : أصلحك الله ، إنى أحب المعرفة وأُجلك عن السؤال . فقال له : فلان بن فلان .

باب الكناية والتعريض

لعمر بن عبد العزيز

ومن أحسن الكناية اللطيفة عن المعنى الذى يقبح ظاهره : قيل لعمر ابن عبد العزيز ، وقد نبت له حِبْنٌ تحت أُنثييه : أين نبت بك هذا الحبن ؟ قال : بين الرانفة والصَّفْن .

لآخر

وقال آخر ، ونبت به حِبَن فى أبْطه ، أين نبت بك هذا الحِبن ؟ قال : تحت مَنكبى .

وقد كنى الله تعالى فى كتابه عن الجماع بالملامَسة ، وعن الحدث بالغائط فقال : ﴿ أو جاء أحد منكم مِنَ الغائِطِ أو لامَسْتُمُ النِّساء ﴾ ـ والغائط : الفحص ، وجمعه غيطان ـ ﴿ وقالُوا مالِ هٰذا الرَّسُولِ يأْكلُ الطَّعام ﴾ وإنما كَنّى به عن الحدَث . وقال تعالى : ﴿ واضْمُمْ يَدكَ إلى جَناحِك تَخْرُجْ بيضاء مِنْ غيْر سُوء ﴾ فكنى عن البرص .

النعمان والربيع

ودخل الربيع بن زياد على النعمان بن المنذر وبه وَضَحٌ ، فقال : ما هذا البياضُ بك ؟ فقال : سيف الله جلاه .

حارثة بن بدر وزياد

ودخل حارثة بن بدر على زياد وفى وجهه أثر ، فقال زياد : ما هذا الأثر الذى فى وجهك ؟ قال : ركبت فرسى الأشقر فجمح بى . فقال : أما إنك لو ركبت الأشهب لما فعل ذلك . فكنى حارثة بالأشقر عن النبيذ ، وكنى زياد بالأشهب عن اللبن .

معاوية والأحنف

وقال معاوية للأحنف بن قيس : أخبرنى عن قول الشاعر :

إذا ما مات مَيْتٌ مِنْ تَمِيمٍ ٭ وسَرَّك أن يعيشَ فجِئْ بزادِ

بخُبْزٍ أوْ بتَمْر أو بِسَمْن ٭ أوِ الشَّىءِ المُلفَّفِ فى البجادِ

تراهُ يطوف فى الآفاقِ حِرْصاً ٭ ليأكُلَ رأسَ لُقْمان بن عادِ

ما هذا الشىء الملفف فى البجاد ؟ قال الأحنف : السخينة يا أمير المؤمنين . قال معاوية : واحدة بأخرى والبادى أظلم .

السخينة : طعام كانت تعمله قريش من دقيق ، وهو الحريرة ، فكانت تُسَبُّ به ؛ وفيه يقول حسان بن ثابت :

زعَمت سخينَةُ أنْ ستَغْلِبُ ربَّها ٭ وليُغْلَبَنَّ مُغالبُ الغَلَّابِ

وقال آخر :

٭ تعشَّوْا مِنْ حريرَتِهِمْ فنامُوا ٭

عثمان وعمرو بن العاص حين عزله عن مصر

ولما عزل عثمانُ بن عفان عمرَو بن العاص عن مصر وولَّاها ابن أبى سرح دخل عمرو على عثمان وعليه جبة مَحْشُوَّة ، فقال له عثمان : ما حشو جُبتك يا عمرو؟ قال : أنا . قال : قد علمتُ أنك فيها . ثم قال له : يا عمرو ، أشعرْت أن اللّقاح درَّت بعدَك ألبانُها ؟ فقال : لأنكم أعجفتم أولادها .

فكنَّى عثمان عن خراج مصر باللّقاح ، وكنَّى عمرو عن جور الوالى بعده وأنه حرم الرزق أهل العطاء ووفَّره على السلطان ، بالإعجاف .

لشاعر يعرض بجعدة

وكان فى المدينة رجل يسمى جعدة ، يرجّل شعره ويتعرّض للنساء المغْزِيات ، فكتب رجل من الأنصار كان فى الغزو إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه :

ألَا أبْلِغْ أبا حَفْصٍ رسولًا ٭ فِدًى لك من أخى ثِقةٍ إزارى
قَلائصَنا هَداكَ اللهُ إنّا ٭ شُغِلْنا عنكمُ زَمَنَ الحِصارِ
يُعقِّلُهُنَّ جَعْدٌ شِيظَمِىٌّ ٭ وبئسَ مُعَقِّلُ الذَّوْدِ الظُّؤَارِ ٥

فكنى بالقلائص عن النساء ، وعرّض برجل يقال له جعدة . فسأل عنه عمرُ فدُلَّ عليه ، فجزَّ شَعْرَه ونفاه عن المدينة .

عمر وامرأة فى الطواف

وسمع عمر بن الخطاب امرأةً فى الطواف تقول :

فمنهُنَّ مَن تُسْقَى بِعَذْبٍ مُبَرَّدٍ ٭ نُقاخٍ فتِلْكُمْ عند ذلك قَرَّتِ
ومنهنَّ مَنْ تُسْقَى بأخضرَ آجِنٍ ٭ أُجاجٍ ولولا خَشيةُ اللهِ فَرَّتِ ١٠

ففهم شكواها ، فبعث إلى زوجها فوجده متغيِّرَ الفم ، فخيّره بين خمسمائة درهم وطلاقها . فاختار الدراهم ، فأعطاه وطلّقها .

زياد وشريف بصرى

ودخل على زيادٍ رجلٌ من أشراف البصرة ، فقال . أين مسكنك من البصرة ؟ قال : فى وسطها قال له : كم لك من الولد ؟ قال : تسعة . فلما خرج من عنده قيل له : إنه ليس كذلك فى كل ما سألته ، وليس له من الولد إلا واحد ، وهو ساكن فى طرف البصرة . فلما عاد إليه سأله زياد عن ذلك ، فقال له : ما كذَبْتُك . لى تسعة من الولد ، قدَّمْتُ منهم ثمانية فهُم لى ، وبقى معى واحد ، فلا أدرى ألِى يكونُ أم علىّ ؛ ومنزلى بين المدينة والجبّانة ؛ فأنا بين الأحياء والأموات ، فمنزلى فى وسط البصرة . قال : صدقت . ١٥

الكناية يورّى بها عن الكذب والكفر ٢٠

بين الحجاج وابن جبير ومطرف

لما هزم الحجاج عبد الرحمن بن الأشعث وقَتل أصحابَه وأَسَر بعضهم ، كتب إليه عبد الملك بن مروان أن يَعْرِض الأسرى على السيف ، فمن أقرّ منهم بالكفر خلّى سبيله ، ومن أبى يقتله . فأُتى منهم بعامر الشَّعبى ، ومُطرِّف بن

عبد الله بن الشِّخّير ، وسعيد بن جُبير . فأما الشعبي ومُطرِّف فذهبا إلى التعريض والكناية ولم يصرّحا بالكفر ، فقبل كلامَهما وعفا عنهما ؛ وأما سعيد بن جبير فأبى ذلك فقُتل .

وكان مما عَرّض به الشعبي فقال : أصلح الله الأمير ، نبا المنزل ، وأحزن بنا الجَناب ، واستحلَسْنا الخوف ، واكتحلنا السهر ، وخبطتنا فتنةٌ لم نكن فيها بررة أتقياء ، ولا فجرة أقوياء . قال : صَدَق . والله ما برّوا بخروجهم علينا ولا قَوُوا ، خلّيا عنه . ثم قُدم إليه مطرف بن عبد الله ، فقال له الحجاج : أتقرّ على نفسك بالكفر ؟ قال : إنّ من شق العصا ، وسفك الدماء ، ونكث البيعة ، وأخاف المسلمين ، لجدير بالكفر . قال : خلّيا عنه . ثم قُدم إليه سعيد بن جبير ؛ فقال له : أتُقرّ على نفسك بالكفر ؟ قال : ما كفرتُ بالله مذ آمنتُ به . قال : اضربوا عنقه .

الواثق وابن مسكين وابن نصر فى محنة القرآن

ولما وَلِيَ الواثقُ وأقعد للناس أحمد بن أبى دُوَاد للمحنة فى القرآن ودعا إليه الفقهاء ، أُتى فيهم بالحارث بن مسكين ، فقيل له : اشهدْ أن القرآن مخلوق ! قال : أشهد أن التوراة والإنجيل والزبور والقرآن ، هذه الأربعة مخلوقة . ومدّ أصابعه الأربع ؛ فعرّض بها وكنّى عن خلق القرآن وخلّص مهجتَه من القتل . وعجز أحمد بن نصر فقيه بغداد عن الكناية فأباها ، فقُتل وصُلب .

بين خليفة وناسك فى طعام

ودخل بعض النُّساك على بعض الخلفاء فدعاه إلى طعامه ، فقال : الصائم لا يأكل يا أمير المؤمنين ، وما أُزكّى نفسى ، بل الله يُزكّى من يشاء . وإنما كره طعامَه .

ابن عرباض والخوارج

الأصمعى عن عيسى بن عمر قال : بينما ابن عِرباض يمشى مقدّما بطنه ، إذ استقبلته الخوارج يجزّون الناس بسيوفهم ؛ فقال لهم : هل خرج إليكم فى اليهود شىء ؟ قالوا : لا . قال : فامضوا راشدين . فمضوا وتركوه .

الخوارج وشيطان الطاق

ولقى شيطان الطاق رجلا من الخوارج وبيده سيف ؛ فقال له الخارجى : والله لأقتلنّك أو تبرأ من علىّ . فقال : أنا من علىٍّ ومن عثمان

برىء يريد أنه من علىّ ، وبرىءٌ من عثمان .

بين الوليد ورجل سماه

أبو بكر بن أبى شيبة قال : قال الوليد بن عقبة على المنبر بالكوفة : أُقسم على مَنْ سمّانى أشْعَرَ بَرْكاً إلا قام . فقام إليه رجل من أهل الكوفة فقال له : ومَنْ هذا الذى يقوم إليك فيقول : أنا الذى سميتُك أشعر بركا ؟ وكان هو الذى سمّاه بذلك . ٥

معاوية وابن صوحان فى لعن على

وقال معاوية لصعصعة بن صوحان : اصعد المنبر فآلعن عليّا . فامتنع من ذلك وقال : أو تعفينى ؟ قال : لا . فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : معاشرَ الناس ، إن معاوية أمرنى أن ألعن عليًّا ، فالعنوه لعنه الله .

الكناية عن الكذب فى طريق المدح

ابن الهيثم وغلام سكران

المدائنىّ قال : أُتِىَ العُريانُ بن الهيثم بغلام سكران ، فقال له : من أنت ؟ فقال : ١٠

أنا ابنُ الذى لا ينزلُ الدهرَ[1] قِدْرُهُ * وإن نزَلتْ يوما فسوفَ تعودُ

ترى الناسَ أفواجاً إلى ضوءِ نارِهِ * فمنهم قِيامٌ عندها وقُعودُ

فظنه ولداً لبعض الأشراف ، فأمر بتخليته ، فلما كُشف عنه قيل له : إنه ابن باقِلّانى . ١٥

عيسى بن موسى وابن شبرمة فى متهم

ودخل رجل على عيسى بن موسى وعنده ابن شبرمة القاضى ، فقال له : أتعرف هذا الرجل ؟ وكان رُمِىَ عنده بريبة ، فقال : إن له بيتاً وقَدَماً وشرفا . فخلّى سبيله . فلما انصرف ابنُ شُبرمة قال له أصحابُه : أكنت تعرف هذا الرجل ؟ قال : لا ، ولكنى عرفتُ أن له بيتاً يأوى إليه ، وقَدَماً يمشى عليها ، وشرفه أُذناه ومَنكباه . ٢٠

خاطب لبائع سنانير

وخطب رجل لرجل إلى قوم ، فسألوه : ما حرفته ؟ فقال : نخاس الدوابّ . فزوّجوه ، فلما كشف عنه وجدوه يبيع السنانير ؛ فلما عنّفوه فى ذلك قال :

(١) فى بعض الأصول : « الأرض » .

أَوَ ما السَّنانير دوابّ ؟ ماكذبتكم فى شىء .

معلى وابن السرى فى مرضه

ودخل معلّى الطائى على ابن السّرىّ يعوده فى مرضه . فأنشده شعراً يقول فيه :

فأُقْسِم إن مَنَّ الإلٰهُ بِصِحَّةٍ ، ونالَ السَّرىُّ بنُ السَّرىِّ شِفاء

٥ لأرتَحِلَنَّ العيسَ شهراً بحَجَّةٍ ، وأُعتق شكراً سالماً وصَفاء [١]

فلما خرج من عنده قال له أصحابه : والله ما نعلم عبدك سالما ، ولا عبدك صفاء ، فمن أردت أن تُعتق ؟ قال : هما هِرّتان عندى ، والحجّ فريضة واجبة ، فما علىّ فى قولى شىء إن شاء الله تعالى .

باب فى الكناية والتعريض فى طريق الدعابة

لابن سيرين فى رجل سئل عنه

١٠ سئل ابن سيرين عن رجل ، فقال : تُوفّى البارحة . فلما رأى جَزَع السائل قال : ﴿ اللهُ يتوفَّى الأنفُس حِينَ مَوْتِها والتى لم تَمُتْ فى منامِها ﴾ وإنما أردتُ بالوفاة النوم .

لشريح فى مرض زياد

ومرض زياد ، فدخل عليه شُريح القاضى يعوده ، فلما خرج بعث إليه مسروقُ بن الأجدع يسأله : كيف تركت الأمير ؟ قال : تركته يأمر وينهى . فقال

١٥ مسروق : إن شريحاً صاحب تعريض ، فاسألوه . فسألوه . قال : تركته يأمر بالوصية ، وينهى عن البكاء .

بين سنان النميرى وابن هبيرة

وكان سنان بن مكمِّل النُّميرى [٢] يساير عمر بن هبيرة الفزارى يوماً على بغلة فقال له ابن هبيرة : غُضّ من عِنان بغلتك . فقال : إنها مكتوبة ، أصلح الله الأمير . أراد ابن هبيرة قول جرير :

٢٠ فغُضّ الطرْفَ إنك مِن نُميرٍ ، فلا كعباً بلغْت ولا كلابا

---

(١) فى بعض الأصول : « ويعتق . . . وخفاء » .

(٢) فى نهاية الأرب : « أيوب بن ظبيان النميرى » .

وأراد سنان قول الشاعر :

لا تأمَنَنَّ فزاريًّا خلوتَ به ٭ على قَلوصِك واكتُبْها بأسيارِ

نميرى وتميمى

ومر رجل من بنى نُمير برجل من بنى تميم على يده باز ، فقال التميمى للنُّميرى : هذا البازى ؟ قال له النّميرى : نعم ، وهو يصيد القطا . أراد التميمىُّ قول جرير :

أنا البازى المُطلُّ على نُميرٍ ٭ أُتِحْتُ له من الجوّ انصِبابا

وأراد النميرى قول الطِّرِمّاح :

تميمٌ بطُرْقِ اللُّؤْمِ أهدَى منَ القَطا ٭ ولو سَلَكَت سُبْلَ المكارِمِ ضَلَّتِ

ابن يزيد الهلالى ومحاربى

ودخل رجل من محارب على عبد الله بن يزيد الهلالى وهو والى أرمينية ، وقريبٌ منه غدير فيه ضَفادع ، فقال عبد الله بن يزيد : ماتركَتْنا شيوخ محارب ننام الليلة ! فقال له المحاربى : أصلح الله الأمير ، أو تدرى لِمَ ذلك ؟ قال : ولِمَ ؟ قال : لأنها أضلت بُرْقُعاً لها . قال قبّحك الله ، وقبّح ما جئت به ، أراد ابن يزيد الهلالى قول الأخطل :

تَنِقُّ بلا شىء شُيوخُ مُحارِبٍ ٭ وماخِلْتُها كانت تَرِيشُ ولا تَبرِى

ضَفادعُ فى ظَلْماءِ ليْل تَجاوَبَتْ ٭ فدلَّ عليها صوتُها حَيّةَ البحر

وأراد المحاربى قول الشاعر :

لكلّ هِلالِيٍّ من اللُّؤمِ بُرْقُعٌ ٭ ولابن هلال بُرْقُعٌ وقميص

بين معاوية وعبد الرحمن ابن الحكم

وقال معاوية لعبد الرحمن بن الحكم[1] : آستعرض لى هذين الفَرسين فقال : أحدهما أجش والآخر هَزيم . يعنى قول النّجاشى :

ونَجّى ابن هند سابحٌ ذو غُلالةٍ ٭ أَجَشُّ هزيمٌ والرّماحُ دَوانى

فقال معاوية : أما إنّ صاحبها على مافيه لا يشبّب بكنائنه . وكان عبد الرحمن يُرْمَى بكنّته .

(١) فى عيون الأخبار « عبد الرحمن بن حسان » .

زياد ومشير عليه في امرأة يتزوجها

وشاور زياد رجلا من ثقاته فى امرأة يتزوجها ، فقال : لا خير لك فيهـا : إنى رأيت رجلا يُقبلها ، فتركه وخالفه إليهـا وتزوجها ، فلـما بلغ زيادا خبره أرسل إليه وقال له : أما قلت لى إنك رأيت رجلا يقبلها ؟ قال : نعم ، رأيت أباها يقبلها .

عمر بن الخطاب وأعرابى

٥ وقال أعرابى لعمر بن الخطاب : يا أمير المؤمنين ، آحملنى وسُحيما على جمل . فقال : نشدتك الله يا أعرابى ، أسُحيم هذا زِق ؟ قال : نعم . ثم قال : من لم ينفعه ظَنُّه لم ينفعه يقينُه .

بين رجل ومودع له

وودّع رجلٌ رجـلا كان يُبغضه ، فقال : آمض فى سرّ من حفظ الله ، وحجاب من كلاءته . ففطن له الرجل ، فقال : رفع الله مكانك ، وشدّ ظهرك ، ١٠ وجعلك منظوراً إليك .

ابن أبى عتيق وزوج له

الشيبانى قال : كان ابن أبى عتيق صاحب هزل ولهو ، واسمه عبد الله بن محمد ابن أبى بكر الصديق ، رضى الله عنهم وكانت له امرأة من أشراف قريش ، وكان لهـا فتيات يُغنّين فى الأعراس والمـآتم ، فأمرت جارية منهن أن تغنى بشعر لهـا قالته فى زوجها ، فتغنت الجارية وهو يسمع :

١٥ ذَهَب الإله بمـا تعيش به ٭ وقَمِرْتَ لُبّك أيّما قَمْرِ
أنفقتَ مالَكَ غيرَ مُحتشِم ٭ فى كلِّ زانِيَة وفى الخَمرِ

فقال للجارية : لمن هذا الشعر ؟ قالت : لمولاتى . فأخذ قرطاسا فكتبه وخرج به ، فإذا هو بعبد الله بن عمر بن الخطاب ، فقال : يا أبا عبد الرحمن ، قِف قليلا أكلّمك . فوقف عبد الله بن عمر ، قال : ما ترى فيمن هجانى بهذا الشعر ؟ وأنشد ٢٠ البيتين . قال : أرى أن تعفو وتصفح . قال : أما والله لئن لقيتُه لأنيكنّه ! فأخذ ابن عمر ينكّله ويزجره ، وقال : قبّحك الله ! ثم لقيه بعد ذلك بأيام ، فلما أبصره ابن عمر أعرض عنه بوجهه ، فاستقبله ابن أبى عتيق فقال له : سألتُك بالقبر ومن فيه إلا سمعت منى حرفين . فولاه قفاه وأنصت له ، قال : علمت أبا عبد الرحمن أنى لقيت قائل ذلك الشعر ونِكْتُه . فصُعق عبد الله ولُبِط به فلـما رأى

ما نزل به دنا من أذنه وقال : أصلحك الله ، إنها امرأتى . فقام ابن عمر وقبّل ما بين عينيه .

باب فى الصمت

داود عليه السلام ولقمان الحكيم

كان لقمان الحكيم يجلس إلى داود صلى الله عليه وسلم مقتبساً ، وكان عبداً أسود ، فوجده وهو يعمل درعا من حديد ، فعجب منه ، ولم يرَ دِرْعا قبل ذلك، فلم يسأله لقمان عما يعمل ، ولم يخبره داود ، حتى تمت الدرع بعد سنة ، فقاسها داود على نفسه ، وقال : زرْد طافا ليوم قِرافا . تفسيره : درع حصينة ليوم قتال ؛ فقال لقمان : الصمت حكم وقليل فاعله .

لأبى عبيد الله الكاتب

وقال أبو عبيد الله كاتب المهدىّ : كن على آلتماس الحظ بالسكوت أحرص منك على آلتماسه بالكلام ؛ إن البلاء موكّل بالمنطق .

لأبى الدرداء

وقال أبو الدَّرداء : أنصِف أُذنيك من فيك ، فإنما جُعل لك أُذنان آثنتان وفمٌ واحد لتسمع أكثر مما تقول .

معاوية والأحنف

ابن عَوْف عن الحسن ، قال : جلسوا عند مُعاوية فتكلموا وسكت الأحنف فقال معاوية : مالك لا تتكلم أبا بَحر ، قال : أخافك إن صَدَقتُ وأخاف الله إن كذبت .

للمهلب

وقال المهلَّب بن أبى صُفرة : لَأنْ أرى لعقل الرجل فضلا على لسانه أحبُّ إلىّ من أن أرى للسانه فضلا على عقله .

لسالم بن عبد الملك

وقال سالم بن عبد الملك : فضل العقل على اللسان مروءة ، وفضل اللسان على العقل هُجْنة .

لبعضهم

وقالوا : من ضاق صدره آتسع لسانه ، ومن كثُر كلامه كثر سَقَطه ومن ساء خلقُه قل صديقُه .

لهرم بن حيان

وقال هَرِم بن حيّان : صاحب الكلام بين منزلتين : إن قصّر فيه خُصِم ، وإن أغرق فيه أثم .

لشبيب

وقال شَبيب بن شَيبة : من سمع الكلمة يكرهها فسكت عنها انقطع ضَرُّها عنه .

وقال أكثم بن صَيفى : مَقتل الرجل بين فكَّيْه .

لجعفر بن محمد

وقال جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب ، رضى الله عنهم :

يموتُ الفتى من عَثرة بلسانِه ٭ وليس يموت المرءُ من عَثرةِ الرِّجلِ

٥ فعَثرتُهُ مِن فيه ترمِى برأسِه ٭ وعَثرتُه بالرِّجلِ تَبرأ على مَهْلِ

لبعض الشعراء

وقال الشاعر :

الحلمُ زَيْنٌ والسُّكوتُ سَلامةٌ ٭ فإذا نَطقْت فلا تكن مِكثارَا

ما إنْ نَدِمْت على سُكوتى مَرَّة ٭ إلا نَدِمْت على الكلام مِرارَا

للحسن بن هانىء

وقال الحسن بن هانئ :

١٠ خَلِّ جَنْبَيْك لِرامِ ٭ وامضِ عنى بسلامِ

مُتْ بداءِ الصَّمْتِ خيرٌ ٭ لك من داءِ الكلامِ

رُبَّ لفظ ساق آجا ٭ لَ فِئام وفِئامِ

إنما السالمُ من ألْجَمَ فاهُ بلجامِ

لبعض الحكماء

وقال بعض الحكماء : حظّى من الصمت لى ، ونفعُه مقصورٌ علىّ وحظى من الكلام لغيرى ، ووباله راجع علىّ .

١٥

وقالوا : إذا أعجبك الكلام فاصمُت .

عمر بن عبد العزيز وسائل فى الكلام

وقال رجل لعمر بن عبد العزيز : متى أتكلم ؟ قال : إذا اشتهيت أن تَصمُت . قال : فمتى أصمُت ؟ قال : إذا اشتهيت أن تتكلم .

للنبى صلى الله عليه وسلم

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : ما أُعطِىَ العبد شرًّا من طلاقةِ اللسان .

٢٠ وسمع عبد الله بن الأهتم رجلا يتكلم فيُخطئ ، فقال : بكلامك رُزِقَ الصمتُ المحبة .



باب فى المنطق

في فضل النطق

قال الذين فضّلوا المنطق : إنما بُعِثت الأنبياء بالكلام ولم يُبْعَثوا بالسكوت ؛ وبالكلام وُصِف فضلُ الصمت ولم يوصف القولُ بالصمت ؛ وبالكلام يؤمَرُ بالمعروف ويُنْهَى عن المنكر ويعظَّم الله ويُسبَّح بحمده . والبيان من الكلام هو الذى منَّ اللهُ به على عباده فقال : ﴿ خَلَقَ الإنسانَ عَلَّمَهُ البَيان ﴾ . والعلم كله لا يؤدِّيه إلى أوعية القلوب إلا اللسان ؛ فنفع المنطقِ عامٌّ لقائله وسامعه ، ونفع الصمتِ خاصٌّ لفاعله .

وأعْدَلُ شيء قيل فى الصمت والمنطق ، قولُهم : الكلام فى الخير كلُّه أفضل من الصمت ، والصمتُ فى الشر كلِّه أفضل من الكلام .

لابن المبارك

وقال عبد الله بن المبارك صاحب الرَّقائق يرثى مالك بن أنس المدنى :

صَمُوتٌ إذا ماالصَّمْتُ زَيَّنَ أهلَهُ * وفَتَّاقُ أبكارِ الكلامِ المُخَتَّمِ
وَعَى ماوَعَى القرآنُ من كلِّ حِكمة * ونِيطَتْ له الآداب باللحمِ والدَّمِ

لابن الخطاب

وقال عمر بن الخطاب : ترك الحركة غَفْلة .

وقال بكر بن عبد الله المُزنى : الصمت حُبْسة [1] .

لبعضهم

وقالوا : الصمت نوم ، والكلام يقظة .

وقالوا : ماشيء ثنى إلا قصُر ، إلا الكلام فإنه كلما ثُنى طال .

وقال الشاعر :

الصمت شيمته فإن * أبدى مقالا كان فَصلا
أبدى السكوتَ فإن تكلّم لم يدع فى القول فضلا

باب فى الفصاحة

لابن سيرين

محمد بن سيرين قال : ما رأيت على امرأة أجمل من شحم ، ولا رأيت على رجل أجملَ من فصاحة .

(١) فى بعض الأصول : « خرسة » .

وقال الله تبارك وتعالى فيما حكاه عن نبيه موسى صلى الله عليه وسلم واستيحاشه لعدم الفصاحة: ﴿ وأخى هٰرون هُوَ أفصحُ منّى لِساناً فأَرْسِلْهُ مَعِىَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِى ﴾ .

آفات المنطق

ابن السماك وجارية له

تكلم ابن السماك يوما وجارية له تسمع كلامه ، فلما دخل قال لها : كيف سمعت كلامى ؟ قالت : ما أحسنه لولا أنك تردده . قال : أردّده ليفهمه من لم يفهمه . قالت : إلى أن يفهمه من لم يفهمه يملّه من فهمه .

معاوية وجلساؤه

الأصمعى قال : قال معاوية يوما لجلسائه : أىّ الناس أفصح ؟ فقال رجل من السماط : يا أمير المؤمنين ، قوم قد ارتفعوا عن رُتّة العراق ، وتياسروا عن كشكشة بكر ، وتيامنوا عن شِنْشنة تَغْلب ، ليس فيهم غمغمة قضاعة ، ولا طُمْطمانية حِمْير . قال : من هم ؟ قال : قومك يا أمير المؤمنين ، قريش . قال صدقت ! فمن أنت ؟ قال : من جَرْم . قال الأصمعى : جَرم فُصحاء الناس .

وهذا الحديث قد وقع فى فضائل قريش ؛ وهذا كان موضعه فذكرناه [1] .

قال أبو العباس محمد بن يزيد النَّحوى : التّمتمة فى المنطق : التردّد فى التاء . والعُقلة : هى التواء اللسان عند إرادة الكلام . والحُبْسه : تعذر الكلام عند إرادته . واللّففُ : إدخال حرف فى حرف . والطمطمة : أن يكون الكلام مُشْبِهاً لكلام العجم . واللُّكنة : أن تعترض عند الكلام اللغةُ الأعجمية ـ وسنفسر هذا حرفاً حرفا وما قيل فيه إن شاء الله ـ واللّثغة أن يُعْدَل بحرف إلى حرف . والغنّة : أن يُشْرَب الحرفُ صوتَ الخيشوم ؛ والخُنة ، أشد منها . والترخيم : حذف الكلام . والفأفأة : التردّد فى الفاء ؛ يقال : رجل فأفاء ، تقديره فاعال : ونظيره من الكلام ، ساباط ، وخاتام ؛ وقال الراجز :

يا مَىُّ ذاتَ الجورَبِ المُنْشقِّ ٭ أخذتِ خاتامِى بغـــيرِ حقِّ

(١) فى بعض الأصول : « فأعدناه » .

وقال آخر :

ليس بفأفاءٍ ولا تَمتامِ * ولا مُحِبٍّ سَقَطَ الكلامِ

والرُّتة ، كالرُّتَج : تمنُّع أول الكلام ، فإذا جاء منه شىء اتصل به . والغمغمة :
أن تسمع الصوت ولا تبين لك تقطيعُ الحروف .

وأما الرُّتة فإنها تكون غريزية . وقال الراجز : ٥

* يا أيُّها المُخلِّطُ الأرَتُّ *

ويقال إنها تكثر فى الأشراف . وأما الغمغمة . فإنها قد تكون من الكلام
وغيره ، لأنها صوت من لا يفهَم تقطيع حروفه . قال عنترة :

وصاحب ناديته فغمغما * يريد لبَّيك وما تكلّما
قد صار من خوف الكلام أعجما ١٠

وأما كشكشة تميم : فإن بنى عمرو بن تميم إذا ذَكَرْتْ كافَ المؤنث فوقفتْ
عليها أبدلت منها شِينا ، لقُرب الشين من الكاف فى المخرج ، وقال راجزهم :

هـلْ لَكِ أن تنتفِعى وأَنْفَعَشْ * وتُدْخِلِى الذى معى فى اللذْ مَعَشْ

وأما كسكسة بكر فقوم منهم يُبدلون من الكاف سيناً كما فعل التميميون فى
الشين . وأما طُمطُمانية حمير ففيها يقول عنترة : ١٥

تأوِى له قُلُص النَّعَامِ كما أَوَتْ * حِزَقٌ يمانِيَةٌ لأعْجَمَ طِمطِمِ

وكان صُهيب أبو يَحيى رحمه الله يَرتضخ لكنة رومية .

صهيب — وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : صُهيب سابقُ الروم .

ابن زياد — وكان عبيد الله بن زياد يرتضخ لُكنة فارسية من قِبَلِ زوج أمه
شِيرَوَيْه الأسوارىّ . ٢٠

زياد والأعجم — وكان زياد الأعجم ، وهو رجل من عبد القيس ، يرتضخ لكنة أعجمية ، وأنشد
المهلَّب فى مدحه إياه :

فَتى زادَهُ السُّلْتانُ فى الحمد رَغْبَةً * إذا غَيَّرَ السُّلْتانُ كلَّ خليلِ

يريد : السلطان ؛ وذلك أن بين التاء والطاء نسبا ، لأن التاء من مخرج الطاء . وأما الغُنة فتُستحسن من الجارية الحديثة السن . قال ابن الرقاع فى الظبية :

تُزجى أغنَّ كأنَّ إبرَةَ رَوْقِهِ * قلَمٌ أصابَ من الدَّواةِ مِدَادَها

٥ وقال ابن المُقفع : إذا كثُر تقليب اللسان رقّت حواشيه ولانت عَذَبته . لابن المقفع

وقال العتّابى : إذا حُبِس اللسان من الاستعمال اشتدت عليه مخارج الحروف . للعتابى

وقال الراجز : لراجز

كأنّ فيــه لَفَفاً إذا نطَقْ * من طُولِ تحبيسٍ وهَمّ وأرَقْ

باب فى الإعراب واللحن

١٠ أبو عبيدة قال : مر الشعبي بقوم من الموالى يتذاكرون النحو ، فقال لهم : لئن أصلحتموه إنكم لأول من أفسده . الشعبي وقوم من الموالى

قال أبو عبيدة : ليته سمع لحن صفوان وخالد بن صفوان وخاقان والفتح ابن خاقان والوليد بن عبد الملك .

وقال عبد الملك بن مروان : اللحن فى الكلام أقبح من التَّفتيق فى الثوب ، لعبد الملك

١٥ والجدرىّ فى الوجه .

وقيل له لقد عَجِل عليك الشيب يا أمير المؤمنين ، قال : شيّبنى ارتقاء المنابر وتوقُّع اللحن .

وقال الحجاج لابن يَعْمَر : أتسمعنى ألحَنُ ؟ قال : ألا ربما سبقك لسانُك ببعضه فى آن وآن . قال : فإذا كان ذلك فعرّفنى . الحجاج وابن يعمر

٢٠ وقال المأمون لأبى على المعروف بأبى يعلى المِنقرىّ : بلغنى أنك أُمّىّ ، وأنك لا تُقيم الشعر ، وأنك تلحن فى كلامك . فقال : يا أمير المؤمنين ، أمّا اللحن فربما سبقنى لسانى بالشىء منه ، وأما الأمّية وكسر الشعر فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم أُميا وكان لا يُنشد الشعر . قال المأمون : سألتك عن ثلاث عيوب فيك فزدتنى للمأمون والمنقرى

عيبا رابعا ، وهو الجهل . يا جاهل ، إن ذلك فى النبى صلى الله عليه وسلم فضيلة ، وفيك وفى أمثالك نقيصة ، وإنما مُنع ذلك النبى صلى الله عليه وسلم لنفى الظِّنَّة عنه ، لا لعيب فى الشعر والكتاب ، وقد قال تبارك وتعالى : ﴿ وما كنت تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَاب ولا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إذاً لارْتَابَ المُبْطِلون ﴾ .

لعبد الملك

وقال عبد الملك بن مروان : الإعراب جمال للوضيع ، واللحن هُجنة على الشريف . ٥

وقال : تعلموا النحو كما تتعلمون السنن والفرائض .

الحسن ورجل يصف إماما

وقال رجل للحسن : إن لنا إماماً يلحن . قال : أميطوه .

وقال الشاعر :

النحوُ يَبْسُط من لسانِ الألكَنِ ... والمرءُ تُكرِمُه إذا لم يَلحَنِ ١٠

فإذا طَلَبْت من العلوم أجَلَّها ... فأَجَلُّها منها مُقيمُ الألسُنِ

وقال آخر :

الشِّعرُ صعبٌ وطويل سُلَّمُهْ ... إذا ارْتَقى فيه الذى لا يعلمهْ

زَلَّتْ به إلى الحَضِيضِ قَدَمُهْ ... يُريد أن يُعْرِبَه فيُعْجِمُهْ

الحسن ورجل يلحن

وقال رجل للحسن : يا أبو سعيد ، فقال : أحسب أن الدوانيق شغلتْك عن أن تقول يا أبا سعيد . ١٥

من لحن الوليد

وكان عمر بن عبد العزيز جالسا عند الوليد بن عبد الملك ، وكان الوليد لَحَّانا ، فقال : يا غلام ، ادع لى صالح . فقال الغلام : يا صالحا . قال له الوليد : أنقص ألِفا . فقال عمر : وأنت يا أمير المؤمنين فزِدْ ألِفا .

ودخل على الوليد بن عبد الملك رجلٌ من أشراف قريش ، فقال له الوليد : من خَتَنَكَ ؟ قال له : فلان اليهودى . فقال : ما تقول ؟ ويحك ! قال : لعلك إنما تسأل عن خَتَنِى يا أمير المؤمنين ، هو فلان بن فلان .

وقال عبد الملك بن مروان : أضرَّ بنا فى الوليد حبُّنا له فلم نُلزِمْهُ البادية .

وقد يستثقل الإعراب فى بعض المواضع كما يُستخف اللحن فى بعضها .

لابن أسماء

وقال مالك بن أسماء بن خارجة الفزارى :

مَنطِقٌ بارعٌ ويَلحَنُ أحيا * نًا وخيرُ الكلام ما كان لحنا

وذلك أنه من حكى نادرة مُضحكة ، وأراد أن يوفى حروفَها حظَّها من الإعراب ، طَمس حُسنَها وأخرجها عن مقدارها ؛ ألا ترى أن مُزبِّدا المدينى أكل طعاماً فكَظَّه وقيل له : ألا تقىء ؟ فقال : وما أقىء ، خبزٌ نقى ولحمٌ طرى ! مرتى طالق ، لو وجدت هذا قيئاً لأكلتُه .

ابن هبيرة وابن عمر

قال : وكذلك يُستقبح الإعراب فى غير موضعه ، كما استُقْبِح من عيسى ابن عمر إذ قال وابن هُبيرة يضربه بالسياط ، والله إن كانت إلا أُثَيَاباً فى أُسَيْفا ، قبضها عشّاروك .

وحكى عن بعض المُعربين للحن أنّ جارية له غنّته :

إذا ما سمعْتُ اللومَ فيها رفضْتُه * فيَدخُلُ من أُذْنٍ ويَخرُجِ من أُخرى

فقال لها : مِن أُخرَى يا فاعلة ، أمَا علّمتُك أنّ (مِنْ) تخفض ؟

شريح ولحانه

وقال رجل لشريح : ما تقول فى رجل تُوفِّى وترك أبا وأخيه ؟ فقال له : أباه وأخاه . فقال : كم لأباه وأخاه ؟ قال : لأبيه وأخيه . قال : أنت علّمتنى ، فما أصنع ؟

بعض الشعراء ومستدرك عليه

وقال بعض الشعراء . وأدرك عليه رجل من المتفصّحين ، يقال له حفص ، لحناً فى شعره ، وكان حفص به اختلاف فى عينه وتشويه فى وجهه ، فقال فيه .

لقد كان فى عينَيْك يا حفصُ شاغلٌ * وأنفٍ كثيل الطَّود[1] عما تَتبَّعُ

تَتبَّعُ لحناً من كلامٍ مُرَقَّشٍ * وخَلْقُك مَبنىٌّ من اللحن أجمعُ

فعينُك إقواءٌ وأنفك مُكفَأٌ * ووجهُك إيطاءٌ فما فيك مَرْقَعُ

(١) فى بعض الأصول : « العود » .

باب فى اللحن والتصحيف

أبو حنيفة

وكان أبو حنيفة لحانا، على أنه كان فى الفُتْيا ولُطفِ النظر واحد زمانِه.

وسأله رجل يوما فقال له: ما تقول فى رجل تناول صخرة فضرب بها رأس رجل فقتله، أتُقيده به؟ قال: لا، ولو ضربه بأبا قُبَيْس.

بشر المريسى

وكان بشر المَرِيسىّ يقول لجلسائه: قَضى الله لكم الحوائج على أحسن الوجوه وأهنَؤُها. فسمع قاسم التّمار قوماً يَضحكون، فقال: هذا كما قال الشاعر:

إنّ سُلَيْمَى واللهُ يَكْلَؤُها * ضَنّتْ بشىء ما كان يَرْزَؤُها

وبِشرُ المَرِيسى رأسٌ فى الرأى، وقاسم التمار متقدم فى أصحاب الكلام؛ واحتجاجه لبشر أعجب من لحن بشر.

ابن شيبة وإسحاق بن عيسى

ودخل شَبيب بن شَيبة على إسحاق بن عيسى يُعزيه عن طفل أُصيب به؛ فقال فى بعض كلامه: أصلح الله الأمير، إنّ الطفل لا يزال مُحْبَنْطِيا على باب الجنة يقول: لا أدخل حتى يدخل أبواى. قال إسحاق بن عيسى: سبحان الله! ماذا جئت به؟ إنما هو محبنطىء؛ أما سمعت قول الراجز:

إنى إذا أنشدت لا أحْبَنْطِى * ولا أُحِب كَثْرة التَمَطِّى

قال شبيب: ألِى يُقال مثل هذا وما بين لابَتَيْها أعلَمُ منى بها! فقال له إسحاق: وهذه أيضا، ألِلبصرة لابتان يالُكَع! فأبان بتقريعه عوارَه فأخجله، فسكت.

قوله: المحبنطى: الممتنع امتناع طلب لا امتناع إباء[1]، وهو بالطاء غير معجمة، ورواه شبيب بالظاء المعجمة. وقوله «ما بين لابَتَيْها» خطأ؛ إذ ليس للبصرة لابتان، وإنما اللابة للمدينة والكوفة. واللابة: الحَرَّة، وهى الأرض ذات الحجارة السود.

(١) فى بعض الأصول: «الممتنع فى ظلال».

نوادر الكلام

يقال ماء نُقاخ، للماء العذب. وماء فُرات، وهو أعذب العذب. وماء قُعاع وهو شديد الملوحة. وماء حُراق، وهو الذى يحرق من ملوحته. وماء شروب، وهو دون العذب قليلا. وماء مُسوس، وهو دون الشروب. وماء شَرِيب، وهو دون العذب.

الضبي والأصمعي

اجتمع المفضّل الضّبي وعبد الملك بن قُريب الأصمعى، فأنشد المفضل:

* تُصِمتْ بالماء تَوْلَباً جَذَعا *

فقال الأصمعى: تولبا جَدِعا، والجدِع السيئ الغذاء. فضجّ المفضل وأكثر. فقال له الأصمعى: لو نفخت فى الشَّبُّور ما نفعك. تكلم بكلام النَّمل وأصِب.

لابن أبى حفصة فى رواة الشعر

وقال مروان بن أبى حفصة فى قوم من رُواة الشعر لا يعلمون ماهو، على كثرة استكثارهم من روايته:

زَوامِلُ للأشعارِ لا عِلْمَ عندهم * بجَيّدِها إلا كعِلْمِ الأباعِرِ
لَعَمْرُكَ مايَدرى البعيرُ إذا غَدا * بأَوْساقِهِ أوْراحَ ما فى الغَرائِرِ

باب نوادر من النحو

للخليل

قال الخليل بن أحمد: أنشدنى أعرابى:

وإن كِلاباً هذه عَشْرُ أبْطُنٍ * وأنتَ برىءٌ من قَبائِلِها العَشْرِ

قال: فجعلت أعجب من قوله، عشر أبطن، فلما رأى عجبي قال: أليس هكذا قول الآخر:

وكان مِجَنِّى دونَ مَن كنتُ أتّقى * ثلاثَ شُخوصٍ كاعِبانِ ومُعْصِرُ

أبو زيد والخليل

وقال أبو زيد: قلت للخليل: لِمَ قالوا فى تصغير واصِل: أُوَيْصِل، ولم يقولوا وُوَيْصل؟ قال: كرهوا أن يشبّه كلامهم بنبيح الكلاب.

لأبى الأسود

وقال أبو الأسود الدؤلى: مِن العرب من يقول: لولاى لكان كذا وكذا.

وقال الشاعر :

وكم مَوْطِنٍ لولاىَ طِحْتَ كما هَوَى * بأَجْرامِه مِن قُنَّةِ النِّيقِ مُنْهَوِى

وكذلك « لولا أنتم ، ولولاكم » : ابتداءٌ وخبرُه محذوف .

لأبى زيد — وقال أبو زيد : وراء وقُدّام لا يُصْرَفان لأنهما مؤنثان ؛ وتصغير قُدّام قُدَيْدِمَة ، وتصغير وراء وُرَيْئة ؛ وقُدّام خمسة أحرف ، لأن الدال مشدّدة ، فأسقطوا الألف لأنها زائدة ، ولئلا يُصغّر اسمٌ على خمسة أحرف . ٥

لأبى حاتم — أبو حاتم قال : يقال أُمٌّ بيِّنةُ الأمومة ، وعمٌّ بيِّنُ العمومة . ويقال : مأموم ، إذا شُجَّ أم رأسه [١] . ورجل مَمُوم . إذا أصابه المُوم .

للمازنى — وقال المازنى : يقال فى حسب الرجل أُرْفة [٢] ووَصْمة وأُبنة ؛ وكذلك يقال للعصا إذا كان فيها عيب . ١٠

ويقال : قَذِيتْ عينُه ، إذا أصابها الرمد .

وقد يقال فى التقديم والتأخير مثلُ قول الشاعر :

شَرَّ يَوْمَيْها وأَخْزاهُ لها * رَكِبتْ هِندُ بِحِدْجٍ جَملا

يريد : ركبت هند بحدج جملا فى شرّ يوميها ، نُصب لأنه ظرف .

وقد يسمّى الشىء باسم الشىء إذا جاوره ؛ قال الفرزدق : ١٥

أخذْنا بآفاقِ السماء عليكمُ * لنا قَمَراها والنجومُ الطوالِعُ

قوله : لنا قمراها ، يريد الشمس والقمر .

وكذلك قول الناس العمرين : أبى بكر وعمر .

للرياشى — الرياشى : يقال : أخذ قِضَّتَها وكُعْبَتَها ، إذا أخذ عذرتها .

لأبى عبيدة — قال أبو عبيدة : المَعيون : الذى له منظر ولا مَخْبَر . والمعين : الذى قد أصيب بالعين . والمعين : الماء الظاهر ٢٠

---

(١) فى بعض الأصول : « مأمومة » .

(٢) فى بعض الأصول : « أصاة » .

أبو عمرو وابن عمر

أبو عبيدة قال : سمعت رؤبة يقول : أنا رَيّق ، يريد على الريق .

الأصمعى قال : لقى أبو عمرو بن العلاء عيسى بن عمر ؛ فقال له : كيف رَحْلُك ؟ قال : ماتزداد إلا مَثالة . قال : فما هذه المَعْيوراء التى تركض ؟ يريد : ماهذه الحمير التى تَركب ؟

٥ يقال : معيوراء ، ومشيوخاء ، ومعْبوداء .

للأصمعى

قال الأصمعى : إنما يقال : آقرأ عليه السلام ؛ وأنشد :

آقرأْ على عَصْرِ الشبابِ تحيَّةً ٭ وإذا لَقِيتَ دَداً فقَطْنِى مِنْ دَدِ

للفرزدق

وقال الفرزدق :

وما سَبَقَ القَيْسِىُّ مِن ضَعْفِ عقلِه ٭ ولكن طَفَتْ عَلماءِ قُلْفَةُ خالِد

١٠ أراد : على الماء ، فحذف . وهذا آخر كتاب سيبويه .

لبعض الوراقين

وقال بعض الوراقين :

رأيتُ يا حَمّادُ فى الصيْدِ ٭ أرانِباً تؤخذُ بالأيدى

إنّ ذَوِى النَّحوِ لهم أنفسٌ ٭ معروفةٌ بالمكرِ والكيْدِ

يَضرِبُ عبدُ الله زيداً وما ٭ يُرِيدُ عبد الله من زيدِ

لأبى زيد الأنصارى

١٥ وأنشد أبو زيد الأنصارى :

يا قُرْطُ قُرْطَ حُيَيٍّ لا أبا لكُمُ ٭ يا قُرْطُ إنى عليكم خائفٌ حَذِرُ

قُلتم له آهْجُ تَمِيا لا أبا لكُمُ ٭ فى فَمِ قائلِ هذا التُّرْبُ والحَجَرُ

فإنّ بيْتَ تميمٍ ذو سَمِعْتَ به ٭ بيتٌ به رأسَتْ[1] فى عِزِّها مُضَرُ

« ذو » هنا فى مكان « الذى » لايتغير عن حاله فى جميع الإعراب ؛ وهذه

٢٠ لغة طيئ ، تجعل « ذو » فى مكان « الذى » .

للحسن بن هانئ

وقال الحسن بن هانئ :

حُبُّ المدامةِ ذُو سمِعْتَ به ٭ لم يُبْقِ فِيَّ لغيرِها فَضْلَا

---

(١) فى الكامل : « فيه تندمت وأرست » .

وبعض العرب يقول : « لا أباك » فى مكان « لا أبا لك » مضافا ؛ ولذلك ثبتت الألف ، ولو كانت غيرَ مُعربة لقلت « لا أبَ لك » بغير ألف .
وليس فى الإضافة شىء يشبه هذا ، لأنه حال بين المضاف والمضاف إليه .

لبعض الشعراء — وقال الشاعر :

أبِالموتِ الَّذِى لابُدَّ أنِّى * مُلاقٍ لا أباكِ تُخَوِّفِينِى ! ٥

وقال آخر :

وقد مات شَمّاخٌ ومات مُزَرِّدٌ * وأىُّ كريمٍ لا أَبَاكَ مُخلَّدُ

لابن مالك العقيلى — وأنشد الفراء لابن مالك العُقَيلى :

إذا أنا لمْ أُومنْ عليك ولمْ يَكُنْ * لِقاؤُك إلّا مِن ورَاءُ وراءُ

هذا مثل قولهم : بَيْنَ بيْنَ . ١٠

للوراق — وقال محمود الوراق :

مَزَجَ الصُّدُودُ وصالَه * نَ فكان أمْرًا بيْنَ بَيْن

للفرزدق — وقال الفرزدق :

وإذا الرِّجالُ رأَوْا يَزِيد رأيتَهُمْ * خُضُعَ الرِّقابِ نواكِسَ الأبصار

للمبرد — قال أبو العباس محمد بن يزيد النحوى : فى هذا البيت شىء مُستطرف عند ١٥ أهل النحو . وذلك أنه جَمَع « فاعِل » على « فواعل » وإذا كان هذا ، لم يكن بين المذكر والمؤنث فرق ؛ لأنك تقول : ضاربةٌ وضوارب ، ولا يقال فى المذكر فواعل إلا فى موضعين ، وذلك قولُهم فوارس وهوالك ، ولكنه اضطُرّ فى الشعر فأخرجَه عن الأصل ، ولولا الضرورة ما جاز له .

لدماذ — وقال أبو غسان رفيع بن سَلَمة تلميذ أبى عُبيدة المعروف بدَماذ ، يخاطب ٢٠ أبا عثمان النحوى المازنىّ :

تفكَّرْتُ فى النّحْـوِ حتَّى مَلِلْـتُ * وأتعَبْتُ نفْسى لهُ والبدنْ

وأتعبتُ بكرا وأصحابَهُ * بطولِ المسائلِ فى كُلِّ فنّ
سِوى أنّ باباً عليهِ العفَا * ءُ لِلْفاء يا ليْتَــهُ لمْ يَكُنْ
فكنْتُ بظَاهِرِهِ عالِما * وكنتُ بباطِنِه ذا فطنْ
ولِلواوِ بابٌ إلى جنْبِـهِ * مِنَ المَقْتِ أحسنُهُ قد لُعِنْ
٥ إذا قُلت هاتوا لماذا يُقا * لُ لستُ بآتيكَ أو تأتِيَنّ
أجِيبُوا : لِمَا قيلَ هٰذا كذا * على النَّصْبِ قالوا لإضمار أنْ
وما إن رأيت لها موضعا * فأعرف ما قيل إلا بأن
فقد خفت يا بكر من طول ما * أفكر فى أمر «أنْ» أن أجَنّ

باب فى الغريب والتقعيب

١٠ دخل أبو علقمة على أعيَنَ الطبيب ، فقال : أصلحك الله ، أكلتُ من لحوم هذه الجوازل ، فَطَسِئْتُ طَسْأَةً [1] ، فأصابنى وجع بين الوابلة ودأية العُنق ، فلم يزل ينمو ويربو حتى خالط الخِلْب [2] والشراسيف ؛ فهل عندك دواء ؟ قال نعم : خُذ خَرْبقا وسَلْفقاً وشِبْرِقا فزهْزقه وزقزقه واغسله بماء ذوب واشربه . فقال له أبو علقمة : لم أفهمْك . فقال : ما أفهمتُك إلا كما أفهمتَنى !

أبوعلقمة وأعين الطبيب

١٥ وقال له مرة أخرى : إنى أجد معمعة وقرقرة . فقال : أما المعمعة فلا أعرفها ، وأما القرقرة فضُراط لم ينْضَج .

وقال أبو الأسود الدؤلى لأبى علْقمة : ما حالُ ابنِك ؟ قال : أخذَتْهُ الحُمّى فطبختْه طبخا ، ورضختْه رضخا ، وفتختْه فتخا ، فتركته فرْخاً . قال : فما فعلت زوجتُه التى كانت تُشارُّهُ وتُهارُّهُ وتُمارُّهُ وتُزارُّه ؟ قال : طلَّقها فتزوجت بعده ٢٠ فَحَظِيَتْ وبظِيَتْ . قال : فما بظيت ؟ فقال له : حرفٌ من الغريب لم يبلغك .

أبو الأسود وأبو علقمة

(١) طسئ : تخم
(٢) الخلب : حجاب بين القلب وسواد البطن .

فقال : يا بن أخى ، كل حرف لا يعرفه عمك فاستره كما تستر السنور خرأها .

أبو علقمة وحجام

ودعا أبو علقمة بحجام يحجمه ، فقال له : أنق غسلَ المحاجم ، واشدد قضب الملازم ، وأرهف ظُبات المَشارط ، وأسرع الوضع ، وعجل النزع ؛ وليكن شرطك وخزا ، ومصك نهزا ، ولا تردن آتيا ، ولا تكرهن آبيا . ٥

فوضع الحجام محاجمه فى جونته ومضى عنه .

أبو المكنون وأعرابى

وسمع أعرابى أبا المكنون النحويّ فى حلقته وهو يقول فى دعاء الاستسقاء : اللهم ربّنا وإلهنا ومولانا ، فصلّ على محمد نبينا ، اللهم ومن أراد بنا سوءا فأحط ذلك السوء به كإحاطة القلائد بأعناق الولائد ، ثم أرسخه على هامته كرسوخ السجّيل على أصحاب الفيل ؛ اللهم اسقنا غيثاً مغيثاً مريئاً مريعا مجلجلا مسحنفرا ١٠ هزجاً ، سحّا سفوحا ، طبقاً غدقاً مثعنجرا نافعاً لعامتنا وغير ضار لخاصتنا . فقال الأعرابى : يا خليفةَ نوح ، هذا الطوفانُ وربِّ الكعبة ، دعْنى حتى آوىَ إلى جبل يعصمنى من الماء .

وسمعه مرة أخرى يقول فى يوم برد : إن هذا يوم بلّة عصبصب ، بارد هِلّوف . فارتعد الأعرابى وقال : والله هذا مما يزيدنى بردا . ١٥

أبو بكر المنكور وحنش

وخطب أبو بكر المنكور فأغرب فى خطبته وتقعّر فى كلامه ؛ وعند أصل المنبر رجل من أهل الكوفة يقال له حَنَش ؛ فقال لرجل إلى جنبه : إنى لأبغض الخطيبَ يكون فصيحا بليغاً متقعّرا . وسمعه أبو بكر المنكور الخطيب . فقال له : ما أحوجك يا حَنَش إلى مُدَحْرَج مفتول لين الجلاد لَدن المَهزّة عظيم الثمرة [١] ، تؤخذ به من مَغرِز العنق إلى عَجْب الذنب ، فتعلى فتكثُر له رقصاتك من غير جذل . ٢٠

حبيب

وقال حبيب الطائى :

فما لكَ بالغريبِ يَدٌ ولكِنْ ... تعاطِيكَ الغريبَ مِنَ الغريبِ

(١) ثمرة السوط : طرفه .

أَمَا لو أَنَّ جهْلَكَ عادَ عِلْماً * إذاً لرَسَخْتَ فى عِلْمِ الغُيُوبِ

لابن عبد ربه

ومن قولنا نمدح رجلا باستسهال اللفظ وحسن الكلام :

قَوْلٌ كأنَّ فريده * سِحْر على ذِهْنِ اللَّبيبْ
لا يشْمَئِزُّ على اللِّسانِ * ولا يَشِذُّ عن القُلُوب
٥ لمْ يغْلُ فى شَنع اللُّغا * تِ ولا تَوَحَّشَ بالغريبْ
سيْفٌ تَقَلَّدَ مِثْلَهُ * عطْفَ القضيبِ على القضيبْ
هـذا تُجَذّ بِهِ الرِّقا * بُ وذا تُجَذُّ بِهِ الخُطُوبْ

باب فى تكليف الرجل ما ليس من طبعه

لبعضهم

قالوا ليس الفِقه بالتفقُّه ؛ ولا الفصاحة بالتفصُّح ؛ لأنه لا يزيد متزيِّد
١٠ فى كلامه إلا لنقص يجده فى نفسه ، ومما اتفقت عليه العربُ والعجم قولهم :
الطبعُ أملك :

لحفص بن النعمان

وقال حَفْص بن النُّعمان : المرء يَصنع نفسَه ، فمتى ما تبلُهُ ينزع إلى العِرْق .

وقال العَرْجيّ :

يا أيُّها المُتَحلِّى غير شِيمَتِهِ * ومِنْ شمائِلِهِ التَّبْديلُ والمَلَقُ
١٥ ارجعْ إلى خُلُقِكَ[1] المعروفِ دِيْدَنُهُ * إنَّ التخلُّقَ يأتى دُونَهُ الخُلُقُ

لبعض الشعراء

وقال آخر :

ومن يبتدع ماليْسَ مِنْ خيم[2] نفسه * يَدَعهُ ويَغْلِبْهُ على النَّفْسِ خيمُها

وقال آخر :

كُل امْرِئٍ راجعٌ يوماً لِشِيمَتِهِ * وإنْ تَخلَّقَ أخلاقاً إلى حين

للخريمى

٢٠ وقال الخُرَيمى :

يُلامُ أبو الفَضْلِ فى جُودِهِ * وهل يَمْلِكُ البحرُ ألَّا يفيضا

---

(١) فى بعض الأصول : « خيمك »
(٢) فى بعض الأصول : « سوس » .

لبعض الشعراء — وقال آخر :

ولائمة لامتكَ يا فيْضُ فى النَّدى * فقلتُ لها هل يقْدَحُ اللومُ فى البحرِ
أرادت لتَثْنِي الفيضَ عن عادة الندى[1] * ومن ذا الذى يَثنِي السحابَ عن القطرِ

لحبيب — وقال حبيب :

تعوَّدَ بسطَ الكفِّ حتى لَوَ انَّه * ثناها لقبْضٍ لم تجبْه أنامِلُهْ

٥

وقال آخر :

وقفّع أطرافَهُمْ قبضُها * فإن طلبوا بسطها تنكسِر

لبعضهم — وقالوا : إن ملكا من ملوك فارس كان له وزير حازم مجرّب ، فكان يُصدر عن رأيه ويتعرّف اليُمْنَ فى مشورته ، ثم إنه هلك ذلك الملك وقام بعده ولد له ، مُعجب بنفسه مُستبد برأيه فلم يُنزل ذلك الوزير منزلته ولا اهتبل رأيه ومشورته ؛ فقيل له : إن أباك كان لا يقطع أمرا دونه . فقال : كان يغلط فيه ، وسأمتحنه بنفسى . فأرسل إليه فقال له : أيُّهما أغلبُ على الرجل : الأدبُ أو الطبيعة ؟ فقال له الوزير : الطبيعة أغلبُ ، لأنها أصلٌ والأدبُ فرع ، وكلُّ فرع يرجع إلى أصله . فدعا الملك بِسُفرته ، فلما وضعت أقبلت سنانيرُ بأيديها الشمع فوقفت حول السفرة ، فقال للوزير : اعتبر خطأك وضَعْفَ مذهبك ؛ متى كان أبو هذه السنانير شمّاعا ؟ فسكت عنه الوزير وقال : أمهلنى فى الجواب إلى الليلة المقبلة . فقال : ذلك لك . فخرج الوزير فدعا بغلام له ، فقال : التمس لى فأرا واربطه فى خيط وجئنى به . فأتاه به الغلام ، فعقده فى سَبَنيَّة وطرحه فى كُمّه ، ثم راح من الغد إلى الملك ، فلما حضرت سُفرته أقبلت السنانير بالشمع حتى حَفّت بها ، فحل الوزير الفأرَ من سبنيّته ثم ألقاه إليها ؛ فاستبقت السنانير إليه ورمت بالشمع ، حتى كاد البيت يضطرم عليهم نارا فقال الوزير : كيف رأيت غَلبةَ الطبع على الأدب ورجوعَ الفرع إلى أصله ؟ قال : صدقت ، ورجع إلى ما كان أبوه عليه معه .

١٠ ١٥ ٢٠

---

(١) فى بعض الأصول : « عن عاده له » .

فإنما مدار كل شيء على طبعه ، والتكلف مذموم من كل وجه . قال الله لنبيه صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد : «وما أنا من المتكلفين» .

وقالوا : من تطبّع بغير طبعه نزعته العادة حتى تردّه إلى طبعه ، كما أن الماء إذا أسخنته وتركته ساعة عاد إلى طبعه من البرودة ، والشجرة المرة لو طليتها

٥ بالعسل لاتثمر إلا مُرًّا .

باب فى ترك المشاراة والمماراة

رسول الله صلى الله عليه وسلم والسائب

دخل السائب بن صيفى على النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : أتعرفنى يا رسول الله ؟ قال : وكيف لا أعرف شريكى فى الجاهلية الذى كان لا يشارى ولا يمارى؟

لابن المقفع

وقال ابن المقفع : المشاراة والمماراة يفسدان الصداقة القديمة ويحُلان العقدةَ

١٠ الوثيقة ؛ وأيسر ما فيهما أنهما ذريعة إلى المنافسة والمغالبة .

لابن أبى ليلى

وقال عبد الرحمن بن أبى ليلى : لا تمار أخاك ، فإما أن تُغضبه وإما أن تَكذبه .

وقال الشاعر :

فإياكَ إياكَ المِــــراءَ فإنه ... إلى السَّبِّ دعَّاءٌ وللصُرْم جالبُ

لابن عباس

وقال عبد الله بن عباس : لا تُمار فقيهاً ولا سفيها ، فإنّ الفقيه يغلبك

١٥ والسفيه يؤذيك .

للنبي صلى الله عليه وسلم

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : سِبابُ المؤمنْ فسوق ، وقتاله كفر .

باب فى سوء الأدب

النبي صلى الله عليه وسلم وعروة بن مسعود

دخل عُروة بن مسعود الثقفى على النبي صلى الله عليه وسلم : فجعل يحدّثه ويشير بيده إليه حتى تمس لحيته ، والمغيرة بن شعبة واقف على رأس رسول الله

٢٠ صلى الله عليه وسلم بيده السيف ، فقال له : اقبضْ يدك عن لحية رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن لاترجعَ إليك ! فقبض يده عُروة .

وعروة هذا عظيمُ القريتين الذى قالت فيه قريش ﴿ لوْلا نُزِّلَ هذا القُرْآنُ على رجُلٍ منَ القَرْيتَيْنِ عظيم﴾ ويقال : إنه الوليد بن المغيرة المخزومى .

النبى صلى الله عليه وسلم ووفد تميم

ولما قدم وفد تميم على النبى صلى الله عليه وسلم ناداه رجل منهم من وراء الجدار : يا محمد ، أخرج إلينا . فأنزل الله تعالى : ﴿ إنّ الذِينَ يُنادُونَكَ منْ ورَاءِ الحُجرَاتِ أكْثرُهُم لا يعْقِلونَ ﴾ وفى قراءة ابن مسعود : ﴿ بنو تميم أكثرهم لا يعقلون ﴾ وأنزل الله فى ذلك : ﴿ لا تجْعلُوا دُعاءَ الرَّسُولِ بيْنَكُمْ كدُعاءِ بعْضِكُمْ بعْضاً ﴾ .

أبو بكر وبائع ثوب

ونظر أبو بكر الصديق رضى الله عنه إلى رجل يبيع ثوباً ، فقال له : أتبيع الثوب ؟ قال : لا عافاك الله ! قال . لقد علمتم لو تعلمون ؛ قل : لا ، وعافاك الله .

الحسن فى دم

وخطب الحسن فى دم ، فأجابه صاحب الدم فقال : قد وضعت ذلك الدمَ لله ولوجوهكم . قال له الحسن : ألا قلت : قد وضعت ذلك الدمَ لله خالصا ؟

لأعرابى فى سيء أدب

وذكر أعرابى رجلا بسوء الأدب فقال : إن حدثته سابقَك إلى ذلك الحديث وإن تركته أخذ فى التُّرَّهات .

المهدى وبعض الرواة

ودخل بعضُ الرواة على المهدى ، فقال لهُ : أنشدْنى قولَ زهير :

* لِمنِ الديارُ بقُنَّةِ الحِجْرِ *

فأنشدها حتى أتى على آخرها . فقال له المهدى : ذهب والله من كان يقول هذا . فقال له : كما ذهب والله من كان يقال فيه ، فاسْتَجْهَلَهُ واستَحْمَقه .

المأمون وقطرب

ولما رفع قُطربُ النحوىّ كتابه فى القرآن إلى المأمون ، أمر له بجائزة وأذن له ، فلما دخل عليه قال : قد كانت عِدَةُ أمير المؤمنين أرفع من جائزته ، فغضب المأمون وهمّ به ، فقال له سهل بن هارون : يا أمير المؤمنين ، إنه لم يقل بذات نفسه ، وإنما غلب عليه الحصَر ؛ ألا تراه كيفَ يرشح جبينُه ويكسِر أصابعهُ ! فسكن غضبُ المأمون واستجهله واستحمقه .

المأمون والؤلؤى

وكان الحسن اللؤلؤى ليلة عند المأمون بالرَّقّة وهو يسامره ، إذ نعس المأمون والحسن يحدِّثه ، فقال له : نعستَ يا أمير المؤمنين فانتبهْ ! فقال : سُوقى وربِّ الكعبة ! يا غلام ، خذ بيده .

هشام وابو النجم

ودخل أبو النجم على هشام بن عبد الملك بأُرجوزته التى أوَّلها :

٥ * الحمدُ للهِ الوَهُوبِ المُجزِلِ *

وهى من أجود شعره ؛ فلما أتى على قوله :

* والشمسُ فى الجوِّ كعيْنِ الأحْولِ

غضب هشام ، وكان أحول ، فأمر بصفْعِ قفاه وإخراجه .

يزيد بن عبد الملك وكثير

ودخل كُثيِّر عزَّةَ على يزيد بن عبد الملك ، فبينا هو يحدِّثه إذ قال : يا أمير المؤمنين ، ١٠ ما معنى قول الشمَّاخ :

إذا الأرْطَى توسَّد أبْرَدَيْهِ * خُدودُ جوازئَ بالرَّملِ عِينِ

فقال يزيد : وماذا على أمير المؤمنين ألَّا يعرف ما قال هذا الأعرابى الجلف مثلُك ؟ واستحمقه وأمر بإخراجه .

عبد العزيز بن مروان وكثير

ودخل كُثيِّر عزة على عبد العزيز بن مروان فأنشده مدحته التى يقول فيها :

١٥ وأنتَ فلا تُفقَدْ ولا زال منكُمُ * إمامٌ يُحَيَّا فى حجابٍ مُسَدَّنِ

أشَمُّ من الغادينَ فى كلِّ حُلَّةٍ * يَميسُونَ فى صِبْغٍ من العَصْبِ مُتْقَنِ

لهم أُزُرٌ حُمْــرُ الحواشى يُطُونها * بأقدامِهم فى الحَضْرمىِّ المُلَسَّنِ

فاستحسنها وقال له : سل حاجتك ! فقال : تُولينى مكان ابن رُمَّانة كاتبك . فقال له : ويلك ! ذا كاتب وأنت شاعر ! فكيف تقوم مقامه وتسدّ مَسَدَّه ؟ فلما ٢٠ خرج من عنده نَدِم وقال :

عجبتُ لأخذِى خُطَّةَ العجْز بعدما * تبيَّن من عبد العزيز قَبولُها

لئِن عاد لى عبــدُ العزيز بمثلِها * وأمكننى منها إذاً لا أقولها

[فهل أنتَ إن راجعْتُك القولَ مرَّةً * بأحسنَ منها عائدٌ فمُنيلُها؟]

معاوية والأحنف وابن الأشعث

ووقف الأحنف بن قيس ومحمد بن الأشعث بباب معاوية ، فأذن للأحنف ثم لمحمد بن الأشعث ، فأسرع محمد فى مشيته حتى دخل قبل الأحنف ، فلما رآه معاوية قال له : والله إنى ما أذنتُ له قبلَك وأنا أريد أن تدخل قبله ، وإنّا كما نلى أموركم كذلك نلى أدبَكم ، ولا تَزيّد مُتزيّدٌ فى أمره إلا لنقص يجده فى نفسه .

لعبد الملك

وقال عبد الملك بن مروان : ثلاثة لا ينبغى للعاقل أن يَستخفّ بهم : العلماء ، والسلطان ، والإخوان ؛ فمن آستخف بالعلماء أفسد دينَه ، ومن آستخف بالسلطان أفسد دُنياه ، ومن آستخف بالإخوان أفسد مُروءته .

بين عمر بن عبدالعزيز وأبى الزناد كاتبه

وقال أبو الزناد : كنتُ كاتباً لعمر بن عبدالعزيز ، فكان يكتب إلى عبد الحميد عاملِه على المدينة فى المظالم ، فيراجعُه فيها ؛ فكتب إليه : إنه يُخيَّل إلىَّ أنى لو كتبتُ إليك أن تُعطى رجلاً شاة ، لكتبتَ إلىَّ : أضأناً أم معزا ؟ ولو كتبتُ إليك بأحدهما لكتبتَ إلىَّ : أذكراً أم أنثى ؟ ولو كتبتُ إليك بأحدهما لكتبتَ : أصغيراً أم كبيرا ! فإذا كتبتُ إليك فى مظلمة فلا تراجعْنى فيها .

أبو جعفر وابن قتيبة

وكتب أبو جعفر إلى سلم بن قتيبة ، يأمره بهدم دُورِ مَن خرج مع إبراهيم ابن عبد الله وعقْر نخلهم . فكتب إليه : بأى ذلك نبدأ ، بالدُّور أو بالنخل ؟ فكتب إليه أبو جعفر : إنى لو أمرتك بإفساد تمرهم ، لكتبت [إلىَّ] : بأى ذلك نبدأ ، بالصَّيْحانىّ أم بالبَرْنىّ . وعَزله وولى محمد بن سليمان .

ولمحمود الورّاق :

كم قد رأيت مساءةً ... من حيث تطمع أو تُسَرَّا

ولربما طلب الفتى ... لأخيه منفعة فضَرّا

عدى وشريح القاضى

ودخل عدى بن أرطاة على شريح القاضى ، فقال له : أين أنت أصلحك الله ؟ قال : بينك وبين الحائط ، قال : اسمع منى ، قال : قل نسمع ، قال : إنى رجل من أهل الشام ، قال : مكان سحيق ، قال : وتزوّجت عندكم ، قال : بالرفاء والبنين ، قال : ووُلد لى غلام ، قال : ليَهْنِك الفارس ، قال : وأردت أن أرحلها ، قال : الرجل أحق بأهله ، قال : وشرطت لها دارها ، قال : الشرط أملك ، قال : فاحكم الآن بيننا ،

قال : قد فعلت ، قال : فعلى من حكمت ؟ قال : على ابن أمك ، قال : بشهادة من ؟ قال : بشهادة ابن أخت خالتك .

أراد شريح إقراره على نفسه بالشرط ؛ فكان شُريح صاحب تعريض عويص .

شريك وإسماعيل

ودخل شريك بن عبد الله على اسماعيل وهو يتبخر بعود ؛ فقال للخادم : جئنا بعود لأبي عبد الله . فجاء بِبَربط ، فقال اسماعيل : اكسره . وقال لشريك : أخذوا البارحة فى الحرس رجلا ومعه هذا البربط .

لبعض الشعراء

وقال بعض الشعراء فى عِيِّ الخادم :

ومتى أدْعها بكأسٍ من الما ء أتتْنى بصَحفةٍ وزَبيبِ

لحبيب فى بنى تغلب

وقال حبيب فى بنى تغلب من أهل الجزيرة يَصفهم بالجفاء وقلّة الأدب مع كرم النفوس :

لارقّةُ الحَضَرِ[1] اللَّطيفِ غَذَتْهمُ وتَباعَدوا عن فِطنة الأعراب

فإذا كَشَفْتَهمُ وجدتَ لديهمُ كرم النُّفوس وقلّة الآداب

للشعبى مع جليس

وكان فتى يُجالس الشعبى ، وكان كثير الصمت ، فالتفت إلى الشعبى ، فقال له : إنى لأجد فى قفاى حِكّة ، أفتأمرنى بالحجامة ؟ فقال الشعبى : الحمد لله الذى حوّلنا من الفقه إلى الحجامة .

ابن الخصيب ومتظلم

قال : وأتى أحمد بن الخصيب بعض المتظلمين يوما ، فأخرج رجله من الركاب فركله بها . فقال فيه الشاعر :

قل للخليفة : يابنَ عم محمد اشْكُل وزيرك إنه ركّال

شريف مع وكيل تاجر

وبعث رجل من التجار وكيلا له إلى رجل من الأشراف يقتضيه مالاً عليه ، فرجع إليه مضروبا ؛ فقال له : ويلك ! مالك ؟ قال : سَبَّك ، فسببتُه ، فضربنى . قال : وما قال لك ؟ قال : قال أدخِل أيْرَ الحمار فى حِر أمّ مَن أرسلَك ! قال : دعنى من افترائه

(١) فى الأصل : الخصر .

علىّ وسبّه لى ، وأخبرنى كيف جعلتَ أنت لأير الحمار من الحرمة مالم تجعله لحر أمّ من أرسلك ؟ هلا قلتَ : أير الحمار فى هن أمّ من أرسلك .

باب فى تحنك الفتى

لعمر بن الخطاب — قيل لعمر بن الخطاب : إن فلاناً لا يعرف الشّر . قال : ذلك أحرى أن يَقع فيه .

٥

لسفيان الثورى — وقال سفيان الثورى : مَن لم يحسن أن يتفتّى لم يُحسن أن يتقرّا .

لعمرو بن العاص — وقال عمرو بن العاص : ليس العاقل الذى يعرف الخير من الشر ، وإنما العاقل الذى يعرف خيرَ الشّرّين .

لبعض الشعراء — ومثل ذلك قول الشاعر :

رضيت ببعض الذُّلّ خوف جميعهِ ۞ كذلك بعضُ الشرّ أهونُ من بعضِ

للمغيرة فى عمر ابن الخطاب — وسئل المغيرة بن شعبة عن عمر بن الخطاب ، قال : كان والله له فضل يَمنعه من أن يَخدع ، وعقل يمنعه من أن يَنخدع .

لإياس — وقال إياس : لستُ بخَب والخَبُّ لا يَخدعنى .

وتجادل ابن سيرين والحسن ، وكان الحسن يرى كلّ مسلم جائز الشهادة حتى يَظهر عليه سَقْطة أو يجرحه المشهود عليه ، وكان إياس لا يرى ذلك ؛ فأقبل رجل إلى الحسن فقال : يا أبا سعيد ! إنّ إياساً ردّ شهادتى . فقام معه الحسنُ إليه فقال : يا أبا واثلة ، لِم رددتَ شهادةَ هذا المسْلم ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مَن صلّى صلاتنا واستقبل قبلتنا فهو المسلم ، له ما لَنا وعليه ما علينا . فقال له إياس : يا أبا سعيد يقول الله تعالى ﴿مِمَّنْ تَرْضَوْنَ من الشهداء﴾ وهذا ممـا لا نَرضاه .

١٥

عامر بن عبد الله وسرقة عطائه — وكان عامر بن عبد الله بن الزبير فى غاية الفضل والدين ، وكان لا يعرف الشر ، فبينا هو جالس فى المسجد إذ أُتى بعطائه ، فقام إلى منزله فنَسِيه ، فلمـا صار إلى بيته ذكره ، فقال لخادمه : اذهب إلى المسجد فأْتنى بعطائى . فقال له :

٢٠

وأين نجده ؟ قال : سبحان الله ! أو بقى أحدٌ يأخذ ما ليس له .

لأبى أيوب

وقال أبو أيوب : من أصحابى مَن أرتجى بركة دعائه ولا أقبلُ شهادتَه .

لعمر بن عبد العزيز فى فاطمة

وذكرت فاطمة بنتُ الحسين عليهما السلام عند عمر بن عبد العزيز ، وكان لها معظما ، فقيل : إنها لا تعرف الشر . فقال عمر : عَدمُ معرفتها بالشر جَنَّبها الشر .

٥

مما يستحسن ويكره

وكانوا يستحسنون الحُنْكة للفتى والصَّبْوةَ للحدث ، ويكرهون الشيب قبل أوانه ، ويشبّهون ذلك بيبوس الثمرة قبل نُضجها ، وإنّ ذلك لا يكون إلا من ضرر فيها .

فأنفع الإخوان مجلسا ، وأكرمُهم عِشرة ، وأشدهم حِذقا ، وأنبهُهم نفسا ، من لم يكن بالشاطر المتفتّك ، ولا الزاهد المتنسّك ، ولا الماجن المتظرّف ، ولا العابد المتقشف . ولكن كما قال الشاعر :

١٠

ياهندُ هل لكِ فى شيخٍ فتًى أبداً * وقد يكونُ شبابٌ غير فِتيانِ

لبعض الشعراء

وقال آخر :

وفتًى وهْوَ قد أنافَ على الخمسينَ يَلقاك فى ثِيابِ غلام

١٥

وقال آخر :

فللنُسكِ منّى جانبٌ لاأضيعُهُ * ولِلّهْوِ منّى والبَطالةِ جانِبُ

لحبيب

وقال حبيب :

كَهْلُ الأناةِ فتى الشَّذاة إذا غَدا * للرَّوْعِ كان القَشعَمَ الغطْريفا

لابن عبد ربه

ومن قولنا فى هذا المعنى :

إذا جالَسَ الفِتيانَ أَلفيْتَه فتًى * وجالَسَ كَهْلَ الناسِ أَلفيتَه كَهْلَا

٢٠

لابن حطان

ونظيره قول ابن حِطّان :

يوماً يَمانٍ إذا لاقيتُ ذايَمَن * وإنْ لَقِيت مَعَدِّيًّا فعَدْنان

وقول عِمران بن حطان هذا يحتمل غير هذا المعنى ، إلا أن هذا أقرب

إليه وأشبه به ، لأنه أراد أنه مع اليمانى يمانى ، ومع العدنانى عدنانى ، فيحتمل أن ذلك لخوف منه أو مساعدة ؛ وكل ذلك داخل فى باب الحُنكة والحِذق والتجربة .

لبعضهم — وقالوا : اصحب البَرَّ لتتأسَّى به ، والفاجرَ لتتحنّك به .

٥ — وقالوا ، من لم يصحب البَرَّ والفاجر ولم يؤدبه الرخاء والشدة ، ولم يخرج من الظل إلى الشمس مرة ، فلا ترجُه .

ومن هذا قولهم : حَلَب فلانٌ الدهر أشطرَه ، وشرب أفاويقَه . إذا فهِم خيرَه وشرَّه ، فإذا نزل به الغِنى عرفه ولم يُبطره ، وإذا نزل به البلاء صبر له ولم يُنكره .

لهدبة العذرى — ١٠ — وقال هدبة العُذرىّ :

ولستُ بمفْراحٍ إذا الدهرُ سرّنى ٭ ولا جازعٍ من صرفِه المُتقلبِ
ولا أتمنّى الشرَّ والشرُّ تاركى ٭ ولكن متى أُحمَلْ على الشرِّ أركبِ

لعبد العزيز ابن زرارة — وقال عبد العزيز بن زرارة فى هذا المعنى :

قد عشت فى الدهرِ أطواراً على طُرُقٍ ٭ شتى فصادفتُ منهُ اللين والفظَعا
كُلاًّ عرفتُ فلا النّعماء تُبطِرُنى ٭ ولا تخشّعتُ من لأوائِه جزعا — ١٥
لا يملأ الأمر صدرى قبلَ وقعتِه ٭ ولا أضيقُ به ذرعاً إذا وقعا

لبعض الشعراء — وقال آخر :

فإن تهدموا بالغدر دارى [1] فإنها ٭ تُراثُ كريمٍ لا يخافُ العواقبا
إذا همّ ألقى بينَ عينيهِ عزمَهُ ٭ وأضرب عن ذِكرِ العواقب جانبا
ولم يستشِر فى أمرِهِ غيرَ نفسه ٭ ولم يرضَ إلا قائمَ السيفِ صاحبا — ٢٠
سأغسلُ عنى العار بالسيف جالباً ٭ علىّ قضاء الله ما كان جالبا

لهند فى معاوية — وسئلت هند عن معاوية ، فقالت : والله لو جُمعت قريش من أقطارها ثم رُمِى

(١) فى بعض الأصول : « عليكم بدارى فاهدموها »

به فى وسطها لخرج من أىّ أعراضها شاء .

لبعض الشعراء

وهذا نظير قول الشاعر :

بَرِئتُ إلى الرحمٰنِ من كلّ صاحبٍ ﴿﴾ أُصاحبُهُ إلا عراكَ بن نائلِ

وعلمى به بيْن السّماطين أنّهُ ﴿﴾ سينجو بحقٍ أو سينجو بباطلِ

٥ وقال آخر :

لئن كنتُ محتاجاً إلى الحلمِ إننى ﴿﴾ إلى الجهلِ فى بعضِ الأحايينِ أحوجُ

وما كنتُ أرضى الجهلَ خِدْناً وصاحباً ﴿﴾ ولكنّنى أرضى به حين أُحرَجُ

فإن قال قومٌ إنّ فيه سماجةً ﴿﴾ فقد صدَقوا ، والذُّلُّ بالحُرِّ أسمجُ

ولى فرسٌ للحلم بالحِلمِ ملجمٌ ﴿﴾ ولى فرسٌ للجهلِ بالجهلِ مُسْرَجُ

١٠ فمَنْ شاء تقويمى فإنى مُقوَّمٌ ﴿﴾ ومَن شاء تعويجى فإنى مُعوَّجُ

لمعاوية فى الغامدى

وقال معاوية فى سفيان بن عوف الغامدى : هذا الذى لا يُكَفْكَفُ من عَجَلة ، ولا يُدْفَع فى ظهره من بطء ، ولا يُضرب على الأمور ضرب الجمل الثَّفَال .

للحسن بن هانئ

وقال الحسن بن هانئ :

١٥ مَنْ للجِذَاعِ إذا الميْدانُ ماطَلَها ﴿﴾ بشأو[1] مُطَّلِعِ الغايات قد قَرِحا

مَن لا يُفصفص منه البؤسُ أَنْمُلَه ﴿﴾ ولا يُصعّد أطراف الرُّبى فرَحا

لجرير

وقال جرير :

وابن اللّبونِ إذا مالُزّ فى قَرَنٍ ﴿﴾ لم يَستطعْ صَوْلةَ البُزْلِ القَناعِيسِ

باب فى الرجل النفاع الضرار

لبعضهم

٢٠ يقال : إنه لَخَرّاج ولّاج ، وأنه لحُوَّلٌ قُلَّب ؛ إذا كان متصرفا فى أموره نَفاعاً لأوليائه ، ضرّاراً لأعدائه . وإذا كان على غير ذلك قيل : ما يُحلى ولا يُمِرّ

(١) فى بعض الأصول : « بكل »

ولا يُعَدّ فى العير ولا فى النَّفير ، وما فيه خيرٌ يُرجَى ولا شرٌّ يُتّقَى .

وقال بعضهم : لا يَرضى العاقل أن يكون إلا إماما فى الخير أو الشر .

لبعض الشعراء

وقال الشاعر :

إذا أنت لم تنفعْ فضُرَّ فإنما * يُرَجَّى الفتي كَيْما يَضُرّ ويَنفعا

لحبيب

٥ وقال حبيب :

ولمْ أرَ نفعاً عند من ليس ضائراً * ولمْ أرَ ضرًّا عند من ليس يَنفعُ

لأعرابى

وسمع أعرابى رجلا يقول : ما أتى فلان بيوم خير قط . فقال : إن لا يكن أتى بيوم خيرٍ فقد أتى بيوم شر .

وقال الشاعر :

١٠ وما فعَلت بنو ذبْيان خيْراً * ولا فعلت بنو ذُبْيان شرّا

وقال آخر :

قَبحَ الإله عداوةً لا تُتَّقى * وقَرابةً يُدلَى بها لا تَنفع

بين متفاخرين

ونخر رجل فقال : أبى الذى قَتَل الملوك وغَصب المنابر ، وفعل وفعل ! فقال له رجل : لكنه أُسِر وقُتِل وصُلب . فقال : دَعْنى من أسْره وقتْله وصلْبه ؛ ١٥ أبوكَ جَدّث نفسه بشىء من هذا قط ؟

لشاعر فى ذم قومه

وقال رجل[1] يذم قومه ، وأغارت بنو شيبان على إبله فاستنجدهم فلم ينجدوه ، وكان فيهم ضعف ، فقال فيهم :

لو كنتُ من مازنٍ لم تَستَبِحْ إبلى * بنو اللقيطة مِن ذُهْل بن شَيْبانا

إذاً لقام بنصْرى مَعشرٌ خُشُنٌ * عند الحَفيظةِ إنْ ذو لُوثةٍ لانا

٢٠ لا يَسألون أخاهم حين يَندُبُهم * فى النّائبات على ماقال بُرهانا

قومٌ إذا الشرُّ أبْدى ناجذَيْه لهم * طاروا إليه زَرافات ووِحْدانا

لكنّ قومى وإن كانوا ذوِى عَددٍ * ليسوا من الشرِّ فى شىء وإن هانا

(١) هو قريط بن أنيف ، شاعر من بلعنبر .

يَجْزون من ظلم أهل الظلم مغفرة * ومن إساءة أهل السوء إحسانا
كأنّ ربّك لم يَخْــلُق لخشيَتِه * سواهمُ من جميع الناس إنسانا
فليت لى بهمُ قوما إذا ركبوا * شنّوا الإغارة فُرسانا وركبانا

ولم يرد بهذا أنه وصفهم بالحلم ولا بالخشية لله ؛ وإنما أراد به الذلّ والعجز ؛

٥ كما قال النجاشى فى رهط تميم بن مقبل : للنجاشى فى ذم تميم

قُبيلته لا يَخفِرُون بذمة * ولا يَظلِمون الناسَ حبةَ خردلِ
ولا يردون الماء إلا عشيّة * إذا صَدَر الوُرّادُ عن كلّ مَنهل

وكل من نفع فى شىء فقد ضرّ فى شىء .

وكذلك قول أشجع بن عمرو : لأشجع

١٠ يَصطادُ أعناقا بمُنْصُلِه * ويفكُّ أعناقا من الرقّ

وقال الحسن بن هانئ : للحسن بن هانئ

يرجو ويخشى حالتَيْك الوَرى * كأنك الجنّــة والنّارُ

ومن قولنا فى هذا المعنى : لابن عبد ربه

من يُرتَجى غيْرُك أو يُتّقى * وفى يدَيْك الجودُ والباسُ
١٥ ماعشْتَ عاش الناسُ فى نعمةٍ * وإن تَمُتْ مات بك الناسُ

وقال آخر : لبعض الشعراء

وليس فتى الفِتيانِ من راح واغتدَى * لشُرْب صَبوح أو لشربِ غبوقِ
ولكن فتى الفِتيانِ من راح واغتدى * لضَرّ عــدوّ أو لنفع صــديق

باب فى طلب الرغائب

٢٠ واحتمال المغارم[1]

فى كتاب للهند : من لم يركب الأهوال لم يَنل الرغائب ، ومن ترك الأمر للهند

---

(١) فى بعض الأصول : « الرغائب » .

الذى لعله أن ينال منه حاجته ، مخافةَ ما لعله يُوَقّاه ، فليس ببالغ جسيما ؛ وإنّ الرجل ذا المروءة ليكون خامل الذّكر خافض المنزلة ، فتأبى مروءتُه إلا أن يستعلى ويرتفع كالشُّعلة من النار التى يصونها صاحبها وتأبى إلا آرتفاعا ، وذو الفضل لايخفى فضلُه وإن أخفاه ، كالمسك الذى يُختم عليه ثم لا يَمنع ذلك ريحَه من التّذكّى والظهور .

لابن عبدربه — ومن قولنا فى هذا المعنى :

خُتِمَت فارةُ مِسْكٍ ٭ فأَبت إلّا التــذكّى
ليس يَخفَى فضلُ ذى الفضــلِ بزُورٍ أو بإفك
والذى بَرَز فى الفضــلِ غنىٌّ عن مُزكّى
ربما غُمَّ هــلالُ الــفِطرِ فى ليْلةِ شكّ
ثم جَلّى وجهَه النُّو ٭ رُ فجــلّى كلَّ حَلْكِ
إنّ ظَهرَ اليمِّ لا تَرْ ٭ كَبُه من غيرِ فُلْكِ
ونظامَ الدرِّ لا تعــقِدُه من غيرِ سِلْكِ
ليس يصفو الذهبُ الإبْــريزُ إلّا بعد سَبْكِ
هذه جمــلة أمثا ٭ ل فمَنْ شاء فيَحْكى
أبطلَت كلَّ يمــانىّ وشامىّ ومكّى
ليس ذا مِن صَوْغ عيْــنىٍّ ولا مِن نَسْج عكّى

لبعضهم — وقالوا لا ينبغى للعاقل أن يكون إلا فى إحدى منزلتين : إما فى الغاية من طلب الدنيا ، وإما فى الغاية من تَركها . ولا ينبغى له أن يُرى إلا فى مكانين : إما مع الملوك مُكرَماً ، وإما مع العُبّاد مُتَبَتِّلا . ولا يُعَدُّ الغُرْمُ غُرْما إذا ساق غُنْما ، ولا الغُنْمُ غُنما إذا ساق غُرْما .

معاوية وعسكر على يوم صفين — ونظر معاوية إلى عسكر علىّ رضى الله عنه يوم صِفين ، فقال : من طلب عظيما خاطر بعظيمته . وأشار إلى رأسه .

لحبيب

وقال حبيب الطائى :

أعاذِلَتى ما أَخشَنَ الليلَ مركَباً * وأخشنُ منه فى المُلمّاتِ راكبُهْ

ذَرِينى وأهوالَ الزمانِ أُقاسِها * فأهوالُه العُظمى تليها رَغائبُهْ

لكعب بن زهير

وقال كعب بن زهير :

٥ وليس لمن لم يَركبِ الهوْلَ بُغْيَةٌ * وليس لرَحْلٍ حَطَّهُ الله حاملُ

إذا أنت لم تُعرِض عن الجهل والخَنا * أصَبت حليما أو أصابك جاهلُ

للشماخ

وقال الشّماخ :

فتًى ليس بالرّاضى بأدنى معيشةٍ * ولا فى بيوتِ الحىِّ بالمُتَوَلِّجِ

١٠ فتى يَملأُ الشِّيزَى ويُروِى سنانَه * ويَضرب فى رأسِ الكَمِىِّ المُدَجَّجِ

لامرئ القيس

وقال امرؤ القيس :

فلوْ أنَّ ما أَسعَى لِأَدنَى معيشة * كفانى ولم أطْلُبْ قليلٌ من المالِ

ولكنَّما أَسعَى لِمَجدٍ مؤثَّلٍ * وقد يُدرِكُ المجدَ المؤثَّلَ أمثالى

لبعض الشعراء

وقال آخر :

١٥ لولا شَماتةُ أعداءٍ ذَوِى حسَدٍ * أو أنْ أنالَ بنفعى مَن يُرجّينى

لَمَا خطَبْتُ من الدنيا مطالِبَها * ولا بَذلتُ لها عِرْضى ولا دِينى

لكنْ منافسةُ الأعداءِ تحمِلُنى * على أُمورٍ أَراها سوفَ تُرْدِينى

وكيف لا كيف أنْ أرضَى بمنزلةٍ * لا دِينَ عندى ولا دُنيا تُواتينى

الحطيئة يهجو الزبرقان

وقال الحطيئة فى هجائه الزِّبرقانَ بن بدر :

٢٠ دَعِ المكارمَ لا تَرحَل لبُغْيتِها * واقعُد فإنك أنت الطاعِمُ الكاسى

فاستعدى عليه عمرَ بن الخطاب وأسمعه الشعر ، فقال : ما أرى بما قال بأسا .
قال : والله يا أمير المؤمنين ماهُجيت ببيت قَطّ أشدّ منه . فأرسل إلى حسان فسأله :
هل هجاه ؟ فقال : ماهجاه ، ولكنه سَلَح عليه .

لشاعر محدث وقد أخذ هذا المعنى من الحطيئة بعض المحدثين . فقال :

إنى وَجدتُ من المكارمِ حَسْبَكم * أنْ تَلبَسوا خَزَّ الثياب وتَشبَعوا
فإذا تُذوكِرَتِ المكارمُ مرة * فى مجلس أنتم به فتقنَّعوا

لبعضهم وقالوا : مَن لم يركب الأهوال لم ينل الرغائب ، ومَن طلب العظائم خاطر بعظيمته . ٥

ليزيد بن عبد الملك فى رأس ابن المهلب وقال يزيد بن عبد الملك ، لما أُتى برأس يزيد بن المهلب ، فنال منه بعضُ جلسائه ، فقال : إن يزيد ركب عظيما ، وطلب جسيما ، ومات كريما .

لبعض الشعراء وقال بعض الشعراء :

لا تَقنَعَنَّ ومطلبٌ لك مُمكِنٌ * فإذا تضايقتِ المطالِبُ فاقنَعِ

ومما جُبل عليه الحرُّ الكريم ألّا يقنع من شرف الدنيا والآخرة بشىء ١٠ مما انبسط له ، أملاً فيما هو أسْنَى منه درجة وأرفعُ منزلة ؛ ولذلك قال عمر ابن عبد العزيز لدُكين الراجز : إنّ لى نفساً توّاقة ؛ فإذا بلغك أنى صرتُ إلى أشرف من منزلتى هذه ؛ فبعينٍ ما أرَينَّك . قال له ذلك وهو عامل المدينة لسليمان ابن عبد الملك . فلما صارت إليه الخلافة قدم عليه دُكين . فقال له : أنا كما أعلمتك أنّ لى نفساً توّاقة ؛ وأنّ نفسى تاقت إلى أشرفْ منازل الدنيا فلما بلغتُها وجدتُها ١٥ تتوق إلى أشرف منازل الآخرة .

ومن الشاهد لهذا المعنى ، أنّ موسى صلوات الله عليه لما كلمه اللهُ تكليما ، سأله النظرَ إليه . إذ كان ذلك لو وصل إليه أشرفَ من المنزلة التى نالها ، فانبسط أمله إلى ما لا سبيل إليه ، ليُستدل بذلك أنّ الحرّ الكريم لا يقنع بمنزلة إذا رأى ما هو أشرفُ منها . ٢٠

لابن عبد ربه ومن قولنا فى هذا المعنى :

والحُرُّ لا يَكتفى من نيلِ مكرُمةٍ * حتى يَرومَ التى من دونِها العطبُ
يَسعَى به أملٌ من دونِه أجلٌ * إنْ كفَّهُ رَهَبٌ يستدْعِه رَغَبُ

لِذاكَ ما سَالَ موسى ربَّه أَرِنِي * أَنظُرْ إليــك وفى تسآله عَجَبُ

يَبغى التزيُّدَ فيما نالَ من كرمٍ * وهو النجىُّ لديْه الوحىُ والكتبُ

وقال تأبّط شرًّا فى ابن عم له يصفه بركوب الأهوال وبذل الأموال : لتأبط شرا

وإنى لَمُهْدٍ من ثنائى فقاصِدٌ * به لابنِ عمّ الصِّدْقِ شُمسِ بن مالِكِ

٥ أَهُــزُّ به فى نَدْوةِ الحىِّ عِطْفَه * كما هَزَّ عِطْفى بالهِجَانِ الأوارِكِ

قليــل التشكّى للمُهمّ يُصيبُه * كثيرُ النَّوَى شتَّى الهوى والمسالك

يظل بمَوْماةٍ ويُمسى بغــيرها * وحيداً ويَعرَوْرى ظهورَ المهالك

ويَسْبِقُ وَفْدَ الريحِ من حيث ينتحى * بمُنخرقٍ من شدّه المُتدارك

إذا خاط عينيه كَرَى النومِ لم يزل * له كالئٌ من قلبِ شيْحانَ فاتِكِ

١٠ ويجعــلُ عينيه رَبِيئةَ قلبِــه * إلى سَلّةٍ من جفن أَخْلَقَ صائك

إذا هزّه فى عَظْمِ قِرْنٍ تهلّلت * نَواجِذُ أفواهِ المنايا الضَّواحك

وقال غيره من الشعراء [بل هى له أيضا] :

إذا المرءُ لم يَحْتَلْ وقد جَدَّ جِدُّه * أضاع وقاسَى أَمْرَهُ وهْوَ مُدْبِرُ

ولكنْ أخو الحَزْمِ الذى ليس نازلا * به الأمْرُ إلا وهْوَ للقصدِ مُبْصِرُ

١٥ فذاك قَرِيعُ الدهرِ ماعاش حُوَّلٌ * إذا سُدَّ منه مَنْخَرٌ جاش مَنْخَرُ

باب الحركة والسكون

قال وهب بن منبه : مكتوب فى التوراة : ابنَ آدم ؛ خُلِقْتَ من الحركة للحركة ، فتحرّكْ وأنا معك . فى الأثر

وفى بعض الكتب : ابنَ آدم ؛ آمدد يدك إلى باب من العمل أفتحْ لك باباً

٢٠ من الرزق .

وشاور عُتبة بن ربيعة أخاه شيبة بن ربيعة فى النُّجْعة ؛ وقال : إنى قد أجدبتُ ، ومن أجدبَ انتجع . فذهبت مثلا . قال له شيبة : ليس من العز أن تنعرض للذل فذهبت مثلا . فقال عتبة : لن يفرس الليث الطَّلا وهو رابض . فذهبت مثلا . عتبة بن ربيعة وأخوه شيبة

لحبيب

أخذه حبيب فقال :

أرادَ بأن يَحْوِى الغِنى وهْوَ وادعٌ ٭ ولَنْ يفرِسَ اللّيْثُ الطّلا وهْوَ رابِضُ

لأعشى بكر

وقيل لأعشى بكر : إلى كم هذه النُّجعة والاغتراب ؟ أما ترضى بالخفض والدعة ؟ فقال : لو دامت الشمس عليكم لمللتموها : أخذه حبيب فقال :

٥

وطولُ مُقام المرْء فى الحىّ مُخلِقٌ ٭ لِديباجَتَيْهِ فاغْتَرِبْ تتجدَّدِ

فإنى رأيتُ الشّمسَ زيدتْ محبّة ٭ إلى الناسِ أن ليسَت عليْهِمْ بسرمَدِ

للشافعى

قال أبو سعيد أحمد بن عبد الله المكىّ : سمعتُ الشافعى يقول : قلت بيتين من الشعر . وأنشدنا :

إنى أرى نفْسِى تتُوقُ إلى مِصْرِ ٭ ومن دونِها خوْضُ المهامِهِ والقفْرِ

١٠

فواللهِ ما أدرى إلى الخفْضِ والغنَى ٭ أُقادُ إليها أم أُقادُ إلى قبْرِى

فدخل مصر فمات .

موسى عليه السلام

وقال موسى بن عمران عليه السلام : لا تذموا السفر ، فإنى أدركت فيه ما لم يدركه أحد . يريد أن الله عز وجل كلّمه فيه تكليما .

للمأمون

وقال المأمون : لا شىء ألذُّ من سفر فى كفاية ، لأنك فى كل يوم تحلّ محلة لم تحلها ، وتعاشر قوما لم تعاشرهم .

١٥

لبعض الشعراء

وقال الشاعر :

لا يَمنعنَّكَ خَفضُ العيشِ فى دعةٍ ٭ مِن أن تبدّل أوطاناً بأوطانِ

تلقَى بكلّ بلادٍ إن حلَلْت بها ٭ أهلًا بأهل وإخواناً بإخوانِ

مع أن المُقام بالمَقام الواحد يُورث الملالة .

للنبى صلى الله عليه وسلم

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : زُرْ غِبًّا تَزْدَدْ حُبًّا .

٢٠

وقالت الحكماء : لا تنال الراحة إلا بالتّعب ، ولا تُدرك الدّعةُ إلا بالنَّصب .

وقال حبيب :

بصُرْتَ بالرّاحةِ العُظمَى فلم تَرها ٭ تُنالُ إلّا على جَسْرٍ مِن التّعب

وقال أيضاً :

على أنى لمْ أحْوِ وفْرًا مُجَمَّعاً ٭ ففُزْتُ به إلا بشَمْلٍ مُبدَّدِ
ولمْ تُعطِنِى الأيام نوْماً مُسَكَّنًا ٭ ألذُّ بِهِ إلا بنوْمٍ مُشَرَّدِ

وقال أيضا :

٥ ورَكْبٍ كأطرافِ الأسِنَّةِ عرَّسُوا ٭ على مِثلها والليلُ تَسْطُو غياهِبُهْ
لأمرٍ عليهِمْ أن تتِمّ صُدورُه ٭ وليس عليهِمْ أن تتِمَّ عواقِبُهْ

وبعد فهل يجوز فى وهم أو يتمثل فى عقل أو يصحّ فى قياس ، أن يُحْصَد زرعْ بغير بذر ، أو تجنى ثمرة بغير غرس ، أو يُورِى زَنْدٌ بغير قدْح ، أو يُثْمر مالٌ بغير طالب ؟

الخليل وأبو شمر

١٠ ولهذا قال الخليل بن أحمد : لا تصلُ إلى ما تحتاج إليه إلا بالوقوف على ما لا تحتاج إليه ، فقال له أبو شمر المتكلّم : فقد احتجت إذاً إلى ما لا تحتاج إليه ، إذ كنت لا تصل إلى ما تحتاج إليه إلا به . قال الخليل : ويحك ! وهل يقطع السيفُ الحسامُ إلا بالضرب ، أو يَجرى الجواد إلا بالرَّكض ، أوهل تُنال نهايةٌ إلا بالسعى إليها والإيضاع نحوها . وقد يكون الإكداء مع الكد ، والخيبة ١٥ مع الهيبة .

لبعض الشعراء

وقال الشاعر :

وما زلتُ أقطعُ عرضَ البلادِ ٭ مِن المشرقيْن إلى المغربيْنِ
وأدَّرِع الخوفَ تحت الرَّجاءِ ٭ وأستَصْحِبُ الجدْىَ والفرْقدَيْنِ
وأطوِى وأنشُرُ ثوب الهُمومِ ٭ إلى أن رجعْتُ بخُفَّىْ حُنيْنِ
٢٠ إلى أن أكونَ على حالةٍ ٭ مُقِلًّا من المالِ صِفْرَ اليديْنِ
فقيرَ الصَّديق غنِيَّ العدُوّ ٭ قليلَ الجداءِ عن الوالِديْنِ

ومثل هذا قليل فى كثير ، وإنما يحكم بالأعمّ والأغلب ، والنُّجْحُ مع الطلب والحرمانُ للعجز أصْحَب .

حبيب وقد شرح حبيب هذا المعنى فقال :

همُ الفتى فى الأرضِ أغصانُ الغِنى ٭ غُرِست وليست كُلَّ حينٍ تورِقُ

الحمدونى وقال إسماعيل بن إبراهيم الحمدونى فى المطالب :

لكِ ألحاظٌ مراضٌ ودلُّ ٭ غيرَ أنَّ الطَّرف عنها أكلُّ

وأرى خدَّيكِ وردًا نضيرًا ٭ قد جاده من دمع عينىَ[1] طلُّ

عذبةُ الألفاظِ لو لم يَشِنْها ٭ كرُّ تفنيدٍ بِسمعى يُضلُّ[2]

إنَّ عزِّى التى أنفت بى ٭ عن سِواها كُثْرُها لىَ قُلُّ

ظَلْتُ فى أفياء ظِلِّكِ حتى ٭ ظلَّ فوقى للسالفِ ظل

إن أولى منكِ بى لَمَرامٌ ٭ لا يَحُلُّ الهولُ حيثُ يحلُّ

ما مُقامى وحُسامِى قاطِعٌ ٭ وسِنانى صارِمٌ ما يُفلُّ

سِنانى مِثلُ روضةِ حزنٍ ٭ أضحكتْها ديمةٌ تستهلُّ

ودليلى بينَ فكَّىَ يعلو ٭ كُلَّ صعبٍ ريِّضٍ فيذِلُّ

نَهلاً من خمرةِ العجز[3] أُسقى ٭ نَهلا من بعدِهِ لِىَ علُّ

إن يكُنْ قُربُكِ عندى جليلًا ٭ فأقلُّ الحزمِ منهُ أجلُّ

أقعيدًا للقعيدةِ إلفًا ٭ كُلُّ إلفٍ بى لِعُدْمِى مُخِلُّ

ويْكِ ليس اللّيثُ للّيثِ يُضحِى ٭ مُخرجًا مِن غِيلِه وهْوَ كَلُّ

فاترُكى عتْبًا ولومًا دَعِى ٭ وعلى الإقتارِ عينُكِ سَجْلُ

هو سيفٌ غِمْدُهُ بُردتاهُ ٭ يلتضيهِ الحزمُ حينَ يُسلُّ

لا يشُكُّ السَّمعُ حين يَراه ٭ أنه بالبِيدِ سِمْعٌ أزلُّ

بين ثوبيْهِ أخو عزماتٍ ٭ يتَّقيها الحادثُ المُصْمَئِلُّ

(١) فى بعض الأصول «قد جلاه من دموعى».

(٢) فى بعض الأصول : «يظل».

(٣) فى بعض الأصول : «الفخر»

ليس تنبو بي رجال وبيدٌ * إنْ تنابى منزلٌ ومَحل
فأقلي بعض عذلٍ مُقِلٍّ * لا يَرى صرف الزمانِ يقِلُّ
إنَّ وخد العيشِ إثمارُ رزقٍ * يجتنيها المُسهَبُ المُشمعِلُّ
لا تَفُلُّ حدَّ عزمى بلوْم * إنَّنى للعزمِ والدهرِ خِلُّ
٥ فالفتى مَن ليس يرعَى حماه * طمعاً يوما له مستزِلُّ
مَن إذا خطْبٌ أظلَّ عليهِ * فله صبْرٌ عليه مُظِلُّ
يصحبُ الليلَ الوليدَ إلى أن * يهرَمَ الليلُ وما إن يملُّ
ويرى السير قد يُلجلجُ منه * مُضغةً لكنَّها لا تَصِلُّ
شُمِّرت أثوابُه تحت ليلٍ * ثوْبُه ضافٍ عليه رِفَلُّ
١٠ سأُضيعُ النَّومَ كيما تَرى بى * ومُضيعى مُعظِمٌ لى مُجِلُّ
فابتِناءُ العزِّ هدمُ المَهارى * وانحلالُ العُدم سيْرٌ وحِلُّ

باب التماس الرزق وما يعود

على الأهل والولد

للنبى صلى الله عليه وسلم

قال النبي صلى الله عليه وسلم : العائدُ على أهله وولده كالمجاهد المرابط
١٥ فى سبيل الله .

وقال صلى الله عليه وسلم : اليدُ العليا خير من اليدِ السفلى ، وابدأْ بمن تعُول .

لعمر بن الخطاب

وقال عمر بن الخطاب : لا يقعدُ أحدكم عن طلب الرزق ويقول اللهم ارزقني ، وقد علم أن السماء لا تُمطر ذهبا ولا فضة ، وإن الله تعالى إنما يرزق
٢٠ الناسَ بعضهم من بعض . وتلا قول الله جل وعلا ﴿ فإذا قُضِيَتِ الصَّلاةُ فانتشِرُوا فى الأرضِ وابتغُوا مِن فضلِ اللهِ واذكُروا اللهَ كثيرا لعلَّكُمْ تفلحُون ﴾ .

للشافعى

وقال محمد بن إدريس الشافعىّ : آحرصْ على ما ينفعُك ، ودع كلامَ الناس ، فإنه لا سبيلَ إلى السلامة من ألسنة العامة .

لمالك بن دينار

ومثله قول مالك بن دينار : مَن عرف نفسه لم يَضره ما قال الناس فيه .

لابن سلام

طاهر بن عبد العزيز : أخبرنا على بن عبد العزيز قال : أنشدنا أبو عبيد القاسم ابن سلّام : ٥

لا يَنقص الكاملَ من كمالِهِ ... ما ساق من خيرٍ إلى عِيالهِ

وقال عمر بن الخطاب : يا معشر القُرَّاء ، التمسوا الرزق ولا تكونوا عالةً على الناس .

لابن صيفى

وقال أكثم بن صيفى : من ضَيَّع زاده آتكل على زاد غيره .

للنبى صلى الله عليه وسلم

وقال النبىّ صلى الله عليه وسلم : خيركم من لم يَدَع آخرتَه لدنياه ولا دُنياه لآخرته . ١٠

وقال عمرو بن العاص : آعمل لدنياك عَمَل من يعيش أبدا ، وآعمل لآخرتك عمل من يموت غدا .

النبى صلى الله عليه وسلم فى متعبد

وذُكر رجل عند النبى صلى الله عليه وسلم بالاجتهاد فى العبادة والقوة على العمل ، وقالوا : صحبناه فى سفر ، فما رأينا بَعدك يا رسول الله أعبد منه ، كان لا ينفتل من صلاة ، ولا يُفطر من صيام . قال النبى صلى الله عليه وسلم : فمن كان يَمُونُه ويقوم به ؟ قالوا : كُلنا . قال كُلُّكم أعبدُ منه . ١٥

للمسيح عليه السلام فى مثله

ومر المسيح برجل من بنى إسرائيل يتعبَّد ، فقال : ما تصنع ؟ قال : أتعبَّد . قال : ومن يقوم بك ؟ قال : أخى . قال : أخوك أعبد منك .

وقد جعل الله طلب الرزق مفروضا [1] على الخلق كله : من الإنس ، والجنّ ، والطير ، والهوام ؛ منهم بتعليم ، ومنهم بإلهام ؛ وأهل التحصيل والنظر من الناس يطلبونه بأحسن وجوهه من التصرف والتحرّز ، وأهل العجز والكسل يطلبونه بأقبح وجوهه ، من السؤال والاتكال والخِلابة والاحتيال . ٢٠

(١) فى بعض الأصول : « مقصورا » .

باب فضل المال

قال الله تعالى ﴿ المالُ والبَنونَ زينة الحياةِ الدنيا والباقياتُ الصالحاتُ خيرٌ عند ربِّك ثواباً وخيرٌ أمَلا ﴾ .

للنبي صلى الله عليه وسلم

وقال النبيّ صلى الله عليه وسلم للمُجاشعي : إن كان لك مال فلك حسب ، وإن كان لك خُلق فلك مروءة ، وإن كان لك دِين فلك كرم .

لعمر بن الخطاب

وقال عمر بن الخطاب : حسَب الرجل مالُه ، وكرَمه دِينه ، ومروءته خُلقه .

وفى كتاب الأدب للجاحظ : اعلم أن تَثمير المال آلةٌ للمكارم ، وعونٌ على الدِّين ، وتأليف للإخوان ؛ وأن من فقَد المال قلَّت الرغبة إليه والرهبة منه ، ومن لم يكن بموضع رغبة ولا رهبة استهان الناس به : فاجهد جهدك كله فى أن تكون القلوب معلَّقة منك برغبة أو رهبة فى دينٍ أو دنيا .

لحكيم ينصح ابنه

وقال حكيم لابنه : يا بنيّ ، عليك بطلب المال ؛ فلو لم يكن فيه إلا أنه عزٌ فى قلبك وذل فى قلب عدوّك لكفى .

لابن عباس

وقال عبد الله بن عبّاس : الدنيا العافية . والشباب الصحة ، والمروءة الصبر ، والكرم التقوى ، والحسب المال .

لابن عبادة

وكان سعد بن عُبادة يقول : اللهم ارزقنى جدا ومجداً ، فإنه لا مَجْد إلا بفعال ، ولا فِعال إلا بمال .

للحكماء

وقالت الحكماء : لا خير فيمن لا يجمع المال يصون به عِرضه ، ويحمى به مروءتَه ، ويصل به رحِمَه .

لابن عوف

وقال عبد الرحمن بن عوف : ياحبذا المال أصون به عرضى وأتقرَّب به إلى ربى .

وقال سفيان الثورى : المال سلاح المؤمن فى هذا الزمان .

للنبي صلى الله عليه وسلم

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : نِعم العونُ على طاعة الله الغِنى . ونعم السُّلَّم إلى طاعة الله الغنى ، وتلا ﴿ ولو أنهمْ أقامُوا التَّوراةَ والإنجيل وما أُنزلَ إليهم

من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم ﴾ وقوله ﴿ استغفروا ربكم إنه كان غفاراً ، يرسل السماء عليكم مدراراً ويمددكم بأموال وبنين ﴾ .

خالد يوصى ابنه — وقال خالد بن صفوان لابنه : يا بنى ، أوصيك باثنتين لن تزال بخير ما تمسكت بهما : درهمك لمعاشك ، ودينك لمعادك .

لعروة بن الورد — وقال عروة بن الورد : ٥

ذرينى للغنى أسعى فإنى ＊ رأيت الناس شرهم الفقير
وأحقرهم وأهونهم عليهم ＊ وإن أمسى له كرم وخير
يباعده القريب وتزدريه ＊ حليلته وينهره الصغير
وتلقى ذا الغنى وله جلال ＊ يكاد فؤاد صاحبه يطير
قليل ذنبه والذنب جم ＊ ولكن للغنى رب غفور ١٠

لبعض الشعراء — وقال آخر :

سأكسب مالاً أو أموت ببلدة ＊ يقل بها قطر الدموع على قبرى

وقال آخر :

سأعمل نص العيس حتى يكفنى ＊ غنى المال يوما أو غنى الحدثان
فللموت خير من حياة يرى لها ＊ على المرء بالإقلال وسم هوان ١٥
إذا قال لم يسمع لحسن مقاله ＊ وإن لم يقل قالوا عديم بيان
كأن الغنى فى أهله بورك الغنى ＊ بغير لسان ناطق بلسان

لابن عياش — الرياشى قال : أنشدنا أبو بكر بن عياش :

حيران يعلم أن المال ساق له ＊ ما لم يسقه له دين ولا خلق
لولا ثلاثون ألفاً سقتها بدراً[1] ＊ إلى ثلاثين ألفاً ضاقت الطرق ٢٠
فمن يكن عن كرام الناس يسألنى ＊ فأكرم الناس من كانت له ورق

---

(١) فى بعض الأصول « بطرا » .

لبعض الشعراء

وقال آخر :

أَجَلَّكَ قومٌ حين صرتَ إلى الغنَى * وكلُّ غنيٍّ فى العُيون جليلُ
ولو كنتَ ذا فقر ولم تُؤتَ ثروةً * ذَلَلتَ لديهم والفقيرُ ذليل

للوراق

وقال محمود الوراق :

٥ أرى كلَّ ذى مالٍ يُبَرُّ لماله * وإن كان لا أصلٌ هُناك ولا فضلُ
فشرِّفْ ذَوى الأموال حيثُ لقِيتَهم * فقولُهمُ قولٌ وفعلُهم فعل

وأنشد أبو مُحَلِّم لرجل من وَلد طَلِبة بن قيس بن عاصم :

وكنتُ إذا خاصمتُ خَصْما كَبَبْتُه * على الوجه حتى خاصمتْنى الدراهمُ
فلما تنازعْنا الخُصومةَ غُلِّبتْ * علىَّ وقالوا قمْ فإنكَ ظالم

للرياشى

١٠ وأنشدنى الرياشى :

لم يبقَ من طلبِ الغنَى * إلا التعرض للحُتوفْ
فلَأَقذفنَّ بمُهجتى * بين الأسنَّة والسُّيوف
ولَأَطلبَنَّ ولو رأيتُ الموتَ يلمعُ فى الصُّفوف

لأحيحة

وكان لأحيحة بن الجلاح بالزَّوراء ثلثمائة ناضح ، فدخل بستانا له ، فمرَّ
١٥ بتمرة فلقطها فعُوتب فى ذلك ، فقال : تمرةٌ إلى تمرةٍ تمراتٌ ، وجمل إلى جمل ذَوْد .
ثم أنشأ يقول :

إنى مقيمٌ على الزَّوْراء أعمُرها * إنّ الكريمَ على[1] الإخوان ذو المالِ
فلا يغُرَّنْك ذو قربَى وذو نسبٍ * من ابن عمٍّ ومن عم ومن خال
كلُّ النداءِ إذا ناديتُ يَخذُلُنى * إلا ندائِى إذا ناديتُ يا مالى

لابن عبد ربه

٢٠ ومن قولنا فى هذا المعنى :

دعنى أَصن حُرَّ وجهى عن إذالتهِ * وإن تغرّبتُ عن أهلى وعن ولدى
قالوا نأيتَ عن الإخوان قلتُ لهم * مالى أخٌ غيرُ ما تطوى عليه يدى

---

(١) فى بعض الأصول : « إن الحبيب إلى » .

كان الرماحس بن حفصة بن قيس وابن عم له يُدعى ربيعة بن الورد يسكنان الأردن . وكان ربيعة بن الورد موسرا ، والرُّماحس معسراً كثيراً ما يشكو إليه الحاجة ، ويعطف عليه ربيعة بعض العطف ، فلما أكثر عليه كتب إليه :

إذا المـــرء لم يطلُب معاشاً لنفسه * شكا الفقرَ أو لام الصديقَ فأكثرا
وصار على الأدنَيْنَ كَلاًّ وأوشكت * صِلات ذوى القُربى له أن تنكّرا ٥
فسِرْ فى بلاد الله وٱلتمس الغِـــنى * تَعِش ذا يَسار أو تموت فتُعذَرا
فـا طالبُ الحاجات من حيث تُبتغى * من المـال إلا مَن أجدّ وشَمّرا
ولا تَرْض من عيش بدونٍ ولا تَنم * وكيف ينـام الليـلَ من كان مُعسرا

وقال بعض الحكماء : المـال يوقِّر الدَّنِىّ ، والفقر يُذل السَّنِى . وأنشد :

أرى ذا الغنى فى الناس يَسعون حوله * فإن قال قولًا تابعوه وصدّقوا ١٠
فذلك دأبُ النـاس ماكان ذا غنًى * فإن زال عنـه المـال يوماً تفرّقوا

وأنشد :

ما الناس إلا مع الدنيا وصاحبها * فحيثما انقلبت يوماً به انقلبوا
يعظّمون أخا الدنيا فإن وثبت * يوما عليه بمـا لا يشتهى وثبوا

صنوف المـال ١٥

معاوية وابن صوحان

قال معاوية لصعصعة بن صُوحان : إنما أنت هاتف بلسانك ، لا تنظر فى أَوَدِ الكلام ولا فى استقامته ؛ فإن كنتَ تنظر فى ذلك فأخبرنى عن أفضل المـال .

فقال : والله يا أمير المؤمنين ، إنى لأَدَعُ الكلام حتى يختمرَ فى صدرى ، فمـا أُرْهِفُ به ولا أتلهّق فيه حتى أُقيمَ أَوَدَه ، وأحرِّر مَتْنَه ، وإن أفضلَ المـالِ لَبُرّةٌ سمراء فى تربة غَبراء ؛ أو نعجةٌ صفراء فى روضة خضراء ؛ أو عينٌ خَرّارة ٢٠ فى أرضٍ خَوّارة . قال معاوية : لله أنت ، فأين الذهب والفضة . قال : حجران يصطكّان ، إن أقبلت عليهما نفدا ، وإن تركتهما لم يزيدا .

لأعرابية

وقيل لأعرابية : ماتقولين فى مائة من المعز ؟ قالت : قُنًى . قيل لها : فمائة

من الضأن ؟ قالت غِنى . قيل لها : فمائة من الإبل ؟ قالت : مُنًى .

لعبد الله بن الحسن — وقال عبد الله بن الحسن : غَلَّةُ الدور مسألة ، وغلة النَّخل كفاف ، وغلة الحب مِلك .

للنبي صلى الله عليه وسلم — وفى الحديث : أفضلُ أموالكم : فرَسٌ فى بطنها فرس يَتْبعها فرس ، وعينٌ ساهرة لعينٍ نائمة . ٥

لبعض العراقيين — وأنشد فرج بن سلام لبعض العراقيين :

ولقد أقولُ لحاجبٍ نُصْحاً له * خَلِّ العُروضَ وبِعْ لنا أَرْضا

إنى رأيتُ الأرضَ يَبقَى نفعُها * والمالَ يأْكُلُ بعضُه بعضا

واحذَرْ أُناساً يُظهِرون محبَّةً * وعُيونُهم وقلوبُهم مَرْضَى

حتى إذا أمكنتْهم من فُرصةٍ * تَركوا الخداعَ وأظهَروا البُغْضا ١٠

تدبير المال

لبعضهم — قالوا : لا مال لأخرق ، ولا عَيْلة على مُصلح ، وخير المال ما أطعمك لا ما أطعمتَه .

لصاحب كليلة ودمنة — وقال صاحب كليلة ودمنة : لينفق ذو المال ماله فى ثلاثة مواضع : فى الصدقة إن أراد الآخرة ؛ وفى مُصانعة السلطان إن أراد الذكر ؛ وفى النساء إن أراد نعيم العيش . ١٥

وقال : إن صاحب الدنيا يطلب ثلاثة ولا يدركها إلا بأربعة ؛ فأما الثلاثة التى يَطلب : فالسَّعة فى المعيشة ، والمنزلة فى الناس ، والزاد إلى الآخرة ، وأما الرابعة التى تُدرَك بها هذه الثلاثة : فاكتساب المال من أحسن وجوهه ، وحسن القيام عليه ، ثم التَّثْمير له ، ثم إنفاقه فيما يصلح المعيشة ويُرضى الأهل والإخوان ويعود فى الآخرة نفعه . فإن أضاع شيئا من هذه الأربعة لم يدرك شيئا من هذه الثلاثة . إن لم يكتسب لم يكن له مال يعيش به ؛ وإن كان ذا مال واكتساب ولم يحسن القيام عليه يوشك أن يفنى ويبقى بلا مال ، وإن هو أنفقه ٢٠

ولم يُثمِّره لم تمنعه قلة الإنفاق من سرعة النفاد . كالكحل الذى إنما يؤخذ منه على المِيل مثل الغبار ، ثم هو مع ذلك سريعٌ نفاده . وإن هو اكتسب وأصلح وثمَّر ولم ينفق الأموال فى أبوابها ؛ كان بمنزلة الفقير الذى لا مال له ، ثم لايمنع ذلك ماله من أن يفارقه ويذهب حيث لامنفعة فيه ؛ كحابس الماء فى الموضع الذى تنصبّ فيه المياه ، إن لم يخرج منه بقَدر مايدخل فيه ؛ مَصَل وسال من نواحيه ، فيذهب الماء ضياعا .

وهذا نظير قول الله تعالى : ﴿ والذين إذا أنفقوا لم يُسْرِفوا ولمْ يَقْتُرُوا وكان بيْنَ ذلك قَوَاما ﴾ . وقوله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم : ﴿ ولا تجعَل يَدَكَ مَغْلولةً إلى عُنُقِك ولا تَبْسُطْها كلَّ البَسْطِ فتقْعُد ملوما محسورا ﴾ .

ابن عباس ورجل فى يده درهم

ونظر عبد الله بن عباس إلى درهم بيد رجل ، فقال له : إنه ليس لك حتى يخرج من يدك . يريد أنه لا ينتفع به حتى يُنفقه ويستفيد غيره مكانه .

للحطيئة

قال الحطيئة :

مُفيدٌ ومِتْلافٌ إذا ما سألتَه ✽ تهلَّل واهتزَّ اهتِزازَ المُهنَّدِ

لمسلم

وقال مسلم بن الوليد :

لا يَعرِفُ المالَ إلا ريثَ يُنفِقُه ✽ أو يومَ يَجمعُه للنَّهْبِ والبَدَد

لبعض الشعراء

وقال آخر :

✽ مُهْلِكُ مالٍ ومُفيد مالِ ✽

لسفيان الثورى

وقال سُفيان الثورى : من كان فى يده شىء فليُصلِحه ؛ فإنه فى زمان إن احتاج فيه ، فأول مايبذله دينه .

للمتلمس

وقال المتلمِّس :

وحبْسُ المالِ أيسرُ من بُغاه ✽ وضَرْبٌ فى البلاد بغير زادِ

وإصلاحُ القليلِ يزيدُ فيه ✽ ولا يبقى الكثيرُ مع الفسادِ

سعد القصير قال : ولّانى عُتبة أمواله بالحجاز ، فلما ودّعته قال لى : يا سعد ،

تعاهد صغير مالى فيكثر ، ولا تُضيّع كثيره فيصغر ؛ فإنه ليس يَشغلنى كثير مالى عن إصلاح قليله ، ولا يمنعنى قليل ما فى يدى عن الصبر على كثير ما ينوبُنى . قال : فقدمت المدينة ، فحدثت بها رجالات قريش ففرّقوا بها الكتب على الوكلاء .

٥

الإقلال

لأرسطاطاليس

قال أرسطاطاليس : الغِنَى فى الغربةِ وطنٌ والمُقِل فى أهله غريبٌ .

لبعض الشعراء

أخذه الشاعر فقال :

لعَمْرُك ما الغريبُ بِذى التَّنائى * ولكنّ المُقِلّ هو الغريبُ
إذا ما المرءُ أعْوز ضاق ذرْعاً * بحاجتِــه وأبعدَه القريبُ

١٠ وقال إبراهيم الشيبانى : رأيت فى جدار من جُدر بيت المقدس بيتين مكتوبين بالذهب :

فكلُّ مُقِلّ حين يغدو لحاجةٍ * إلى كلّ من يَلقى من الناس مُذنِبُ
وكان بنو عمى يقولون مرحباً * فلما رأَوْنى مُقْتِراً مات مَرْحبُ

لابن عبد ربه

ومن قولنا فى هذا المعنى :

١٥ أعاذل قد آلمتِ وَيْك فَلُومى * وما بلغ الإشراك ذنبُ عديمِ
لقد أسقَطت حقّى عليك صَبابتى * كما أسقَط الإفلاسُ حقّ غريمِ
وأعذرُ ما أدْمَى الجُفونَ من البكا * كريمٌ رأى الدُّنيا بكفّ لئيمِ
أرى كلّ فدْلٍ قد تَبجّح فى الغِنَى * وذو الطرْف لا تَلْقاه غير عديمِ

للحسن بن هانئ

وقال الحسن بن هانئ :

٢٠ الحمد لله ليس لى نَشَبٌ * خفّ ظهرى ومَلّنى ولَدِى
من نَظَرَت عينُه إلىّ فقد * أحاط علماً بما حوَتْه يدى

أبو الشمقمق

وكان أبو الشّمقمق الشاعر أديباً طريفاً محارَفاً صُعلوكا متبرِّماً ، قد لزم بيته فى أطمار مسحوقة ، وكان إذا استفتح عليه أحد بابه خرج ، فنظر من فُرج الباب ،

فإن أعجبه الواقف فتح له ، وإلّا سكت عنه ، فأقبل إليه بعض إخوانه فدخل عليه ، فلما رأى سوء حاله ، قال له : أبشر أبا الشمقمق ، فإنا روينا فى بعض الحديث أن العارين فى الدنيا هم الكاسون يوم القيامة . قال : إن كان والله ما تقول حقا لأكونن بزّازاً يوم القيامة ، ثم أنشأ يقول .

أنا فى حالٍ تعالى الله ربى أىَّ حالِ ٥
ولقد أهزلتُ حتى * تحتَ الشمسُ خيالى
من رأى شيئاً مُحالاً * فأنا عيْنُ المُحالِ
ليس لى شىءٌ إذا قيــل لِمَنْ ذا قلت ذا لى
ولقد أفلستُ حتى * حلَّ أكلى لعيالى
فى حِرامّ الناس طُرًّا * من نساءٍ ورجالِ ١٠
لو أرى فى الناس حُرًّا * لم أكن فى ذا المثالِ

وقال أيضاً :

أتراني أرى من الدهرِ يوْماً * لِىَ فيه مَطيَّةٌ غيرُ رِجْلى
كلما كنت فى جميعٍ فقالوا * قرِّبوا للرَّحيلِ قرَّبْتُ نعلى
حيثُما كنت لا أُخلِّفُ رَحْلاً * مَن رآنى فقد رآنى ورَحْلى ١٥

وقال أيضاً :

لو قد رأيت سريرى كنتَ ترحمنى * الله يعــلم مالى فيه تلبيس
واللهُ يعــلم مالى فيه شابِكةٌ * إلّا الحصيرةُ والأطمار والدِّيسُ

وقال أيضاً :

بَرَزْتُ من المنازلِ والقِبابِ * فلم يَعسُر على أحدٍ حِجابى ٢٠
فمنزلىَ الفضاء وسقفُ بيْتى * سماء الله أو قِطَعُ السَّحابِ
فأنت إذا أردْتَ دخلتَ بيْتى * علىَّ مُسلِّماً من غير بابِ
لأنى لم أجــد مِصْراعَ بابٍ * يكون من السَّحاب إلى التُّرابِ

ولا انشقَّ الثرَى عن عُودِ تَخْتٍ ⁂ أُؤَمِّلُ أن أَشُــدَّ به ثيابى
ولا خِفْتُ الإباقَ على عبيدِى ⁂ ولا خِفْتُ الهلاكَ على دوابِّى
ولا حاسَــبْتُ يوما قَهْرَماناً ⁂ مُحاســبةً فأَغْلَطَ فى حسابى
وفى ذا راحــةٌ وفَراغُ بالٍ ⁂ فدأْبُ الدهرِ ذا أبداً ودابى

٥ وفى كتاب للهند : ما التَّبع والإخوان والأهل والأصدقاء والأعوان والحشم إلا مع المال ، وما أرى المروءة يظهرها إلا المال ، ولا الرأى والقوة إلا المال ، ووجدت من لا مال له إذا أراد أن يتناول أمراً قعد به العُدم ، فيبقى مقصِّراً عما أراد ، كالماء الذى يبقى فى الأودية من مطر الصيف ، فلا يجرى إلى بحر ولا نهر ، بل يبقى مكانه حتى تَنْشفه الأرض ؛ ووجدت من لا إخوان له لا أهل له . ١٠ ومن لا ولد له لا ذِكْر له ، ومن لا عقل له لا دنيا له ولا آخرة له ، ومن لا مال له لا شىء له ؛ لأن الرجل إذا افتقر رَفضه إخوانُه وقطعه ذو رحمه ، وربما اضطرته الحاجة لنفسه وعياله إلى التماس الرزق بما يُغرِّر فيه بدينه ودنياه ، فإذا هو قد خَسِر الدنيا والآخرة ، فلا شىء أشد من الفقر ، والشجرة النابتة على الطريق المأكولة من كل جانب أمثل حالاً من الفقير المحتاج إلى ما فى أيدى ١٥ الناس . والفقر داعٍ صاحبه إلى مَقت الناس ، ومُتْلف للعقل والمروءة ، ومُذهب للعلم والأدب ، ومعدن للتهمة [1] ، ومجمع للبلايا ؛ ووجدت الرجل إذا افتقر أساء به الظنّ من كان له مؤتمنا ، وليس من خَصلة هى للغنىّ مدح وزين إلا وهى للفقير ذمّ وشَين ؛ فإن كان شجاعاً قيل أهوج ، وإن كان جواداً قيل مُفسد ، وإن كان حليما قيل ضعيف ، وإن كان وقوراً قيل ٢٠ بليد ؛ وإن كان صَمِوتاً قيل عَيِىّ ، وإن كان بليغاً قيل مِهذار ؛ فالموتُ أهونُ من الفقر الذى يضطرّ صاحبه إلى المسألة ، ولا سيما مسألة اللئام ؛ فإنّ الكريم لو كُلِّف أن يدخل يده فى فم تنّين ويُخرج منه سمًّا فيبتلعه ، كان أخفَّ عليه من مسألة البخيل اللئيم .

للهند

---

(١) فى بعض الأصول : « للنميمة » .

الســــؤال

النبي صلى الله عليه وسلم — قال النبي صلى الله عليه وسلم : لأن يأخذ أحدكم أحْبُله فيحتطب بها على ظهره أهونُ عليه من أن يأتى رجلا أعطاه الله من فضله فيسأله ، أعطاه أو منعه .

لبعضهم — وقالوا : من فتح على نفسه باباً من السؤال ، فتح الله عليه سبعين باباً من الفقر .

لأكثم — وقال أكثمُ بن صيْفى : كل سؤال وإن قل أكثر من كل نوال وإن جلّ .

على وسائل بعرفات — ورأى على بن أبى طالب كرّم الله وجهه رجلا يسأل بعرفات فقنّعه بالسوط ، وقال : ويلك ! فى مثل هذا اليوم تسأل أحداً غير الله .

لابن عباس — وقال عبد الله بن عباس : المساكين لا يعودون مريضا ، ولا يشهدون جِنازة ، ولا يحضُرون جمعة ، وإذا آجتمع الناس فى أعيادهم ومساجدهم يسألون الله من فضله ، آجتمعوا يسألون الناس ما فى أيديهم .

للنعمان بن المنذر — وقال النعمان بن المنذر : من سأل فوق حقه استحق الحرمان ، ومن ألحف فى مسألته استحق المطل . والرفقُ يُمْنٌ ، والخُرْقُ شُؤْمٌ ، وخير السخاء ما وافق الحاجة ، وخير العفو مع القدرة .

لشريح — وقال شريح : من سأل حاجة فقد عَرّض نفسه على الرق ، فإن قضاها المسئول منه آستعبده بها ، وإن ردّه عنها رجع كلاهما ذليلا ، هذا بذلّ البخل ، وذاك بذلّ الردّ .

لحبيب — وقال حبيب :

ذلُّ السؤالِ شَجى فى الحلْقِ معترِضٌ * مِن دونِه شرَقٌ من خلْفِه جرَضُ
ما ماءُ كفِّكَ إن جادتْ وإن بَخِلتْ * من ماءِ وجهى إن أفنيته عِوَضُ

سائل بمسجد الكوفة — الخشنى قال : قال أبو غسّان : أخبرنى أبو زيد قال : سأل سائل بمسجد الكوفة وقت الظهر فلم يُعْطَ شيئا ، فقال : اللهم إنك بحاجتى عالمٌ لا تُعَلَّم ، أنت الذى لا يُعْوِزك نائل ، ولا يُحفِيك سائل ، ولا يبلغ مدحَك قائل ؛ أسألك

صبراً جميلا ، وفرجاً قريبا ، وبصراً بالهدى ، وقوة فيما تُحب وتَرضى . فتبادروا إليه يعطونه . فقال : والله لا رَزَأْتُكم الليلة شيئاً وقد رفعت حاجتى إلى الله . ثم خرج وهو يقول :

ما نالَ باذِلُ وجهِه بسؤالِه ٭ عِوَضاً ولو نالَ الغِنَى بسؤالِ

٥ وإذا النَّوالُ مع السؤالِ وزَنْتَه ٭ رَجَحَ السؤالُ وشال كلُّ نَوال

لمسلم

وقال مسلم بن الوليد :

سل الناسَ إنى سائلُ اللهِ وحدَهُ ٭ وصائنٌ عِرضى عن فلانٍ وعن فُلَا

لابن الأبرص

وقال عبيد بن الأبرص :

مَن سأل الناسَ يَحرِموه ٭ وسائلُ اللهِ لا يَخيب

لابن أبى حازم

١٠ وقال ابن أبى حازم :

لَطَىُّ يومٍ وليلتينِ ٭ ولُبْسُ ثوبينِ باليينِ

أهْونُ من مِنَّةٍ لقومٍ ٭ أَغُضُّ منها جفونَ عينى

إنى وإن كنتُ ذا عِيالٍ ٭ قليلَ مالٍ كثيرَ دَيْن

لَأَحْمَدُ اللهَ حين صارتْ ٭ حوائجى بينَه وبينى

لابن عبد ربه

١٥ ومن قولنا فى هذا المعنى :

سؤالُ الناسِ مِفتاحٌ عتيدٌ ٭ لبابِ الفقرِ فاتلفْ بالسؤالِ

للنبى صلى الله عليه وسلم

وروى أشعب الطماع عن عبد الله بن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : يحشر الله عز وجل يوم القيامة قوما عارية وجوههم قد أذهب حياءها كثرةُ السؤال .

٢٠ سؤال السائل من السائل

ابن أبى حفصة وأبو الشمقمق

مدح أبو الشمقمق مروان بن أبى حفصة . فقال له أبو الشمقمق : أنت شاعر وأنا شاعر ، وغايتنا كلنا السؤال .

لأعرابى

وذكر أعرابى رجلا بالسؤال ، فقال : إنه أسألُ من ذى عَصَوَيْن .

لحبيب وقال حبيب :

لم يخلُقِ الرحْمنُ أحمقَ لِحْيـةٍ ۞ من سائلٍ يَرجو الغِنى من سائلِ

الأصمعى وابن عمر الأصمعى عن عيسى بن عمر النحوى قال : قدمتُ من سفر فدخل علىّ ذو الرمة الشاعر ، فعرضت لأن أعطِيَهُ شيئاً ، فقال : كلا ، أنا وأنت نأخذ ولا نعطى .

الشيب

٥

لقيس بن عاصم قال قيس بن عاصم : الشيبُ خطام المنية .

وقال غيره : الشيبُ نذيرُ الموت .

للنميرى وقال النميرى : الشيب عنوانُ الكِبَرِ .

للمعتمر وقال المُعتمر بن سليمان : الشيبُ موتُ الشَّعَر ، وموت الشَّعر عـلَّةٌ لِمَوت البشر .

١٠

لأعرابى وقال أعرابى : كنت أنكِر البيضاء فصرت أُنكِر السوداء ، فيا خيرَ مبدولٍ ويا شرَّ بَدلٍ .

للنبى صلى الله عليه وسلم وقيل للنبى صلى الله عليه وسلم : عَجِل عليك الشيبُ يا رسول الله ! قال : شيَّبتْنى هُودٌ وأخواتُها .

١٥

لعبد الملك وقيل لعبد الملك بن مروان : عجل عليك الشيب يا أمير المؤمنين ! قال : شيَّبنى ارتقاءُ المنابر وتَوَقُّع اللَّحن .

لبعض الشعراء وقيل لرجل من الشعراء : عجل عليك الشيب . فقال : وكيف لا يعجل وأنا أعصُر قلبى فى عملٍ لا يُرجى ثوابه ، ولا يؤمن عقابه .

لحبيب وقال حبيب الطائى :

٢٠

غـدا الشيبُ مُختطًّا بفَودىَّ خُطّـةً ۞ طريقُ الرَّدى منها إلى النفسِ مَهْيَعُ

هو الزَّوْرُ يُجفى والمُعاشرُ يُجتوَى ۞ وذو الإلفِ يُقلى والجديدُ يُرقَّعُ

له منظر فى العـيْن أبيضُ ناصـع ۞ ولـكنَّه فى القلبِ أسودُ أسفعُ

للوراق

وقال محمود الوراق :

بكيتُ لقُربِ الأجل ٭ وبُعدِ فوات الأملْ
ووافدِ شيْبٍ طرا ٭ بعُقبِ شبابٍ رحلْ
شبابٌ كأن لم يكن ٭ وشيْبٌ كأن لم يَزلْ
٥ طواكَ بشيرُ البَقا ٭ وجاء بشيرُ الأجلْ

وقال أيضاً :

لا تطلُبَنّ أثراً بعيْنْ ٭ فالشّيب إحدى الميتتيْنْ
أبدَى مقابِح كلِّ شيْنْ ٭ ومحا محاسِنَ كلِّ زيْن
فإذا رأيتَ الغانيا ٭ تِ رأينَ منك غُراب بيْنْ
١٠ ولَرُبما نافسْنَ فيـ ٭ ـك وكُنّ طوعاً لليدَيْنْ
أيامَ عمّمك الشّبا ٭ بُ وأنت سهلُ العارضيْنْ
حتى إذا نزلَ المشيـ ٭ ـبُ وصِرت بين عِمامتيْنْ
سوْداء حالكةٍ وبيْـ ٭ ـضاء المناشِر كاللّجيْنْ
مَزَج الصّدودُ وِصا ٭ لَهُنّ فكُنّ أمراً بيْنَ بيْنْ
١٥ وصبَرْن ما صبَرَ السّوا ٭ دُ على مُصانعةٍ ودَيْن
حتى إذا شَمِل المشيـ ٭ ـبُ فجازَ قُطْرَ الحاجبيْنْ
فقْيْنَ شرّ قَفِيّــةٍ ٭ وأخذْن منكَ الأطيبيْنْ
فاقْنِ الحياء وسلِّ نفْـ ٭ ـسك أو فنادِ الفرْقديْنْ
ولئِنْ أصابتْك الخطو ٭ بُ بكُلِّ مكروهٍ وشَيْنْ
٢٠ فلقد أمِنْتَ بأن يُصيـ ٭ ـبكَ ناظر أبداً بعيْنْ

لحبيب

وقال حبيب الطائى :

نظرَتْ إلىّ بعينِ من لم يعدِلِ ٭ لمّا تمكّن حُبُّها من مقتَلِي
لمّا رأت وضح المشيبِ بلِمّتى ٭ صدّتْ صُدودَ مُجانبٍ مُتحمِّلِ

فجعلتُ أطلبُ وصْلها بتلطفٍ * والشيْبُ يغمِزُها بألّا تفعلِى

لبعض الشعراء وقال آخر :

صدّت أُمامةُ لمّا جئتُ زائرها * عنى بِمطروفةٍ إنسانُها غرِقُ
وراعها الشيْبُ فى رأسى فقلتُ لها * كذاكَ يصْفرُّ بعد الخضْرَةِ الورقُ

٥ لابن أمية وقال محمد بن أمية :

رأينَ الغوانى الشّيْبَ لاح بعارضِى * فأعرَضْنَ عنى بالخـدودِ النّواضرِ
وكُنّ إذا أبصرْنَنِى أو سمِعْن بى * دنَوْنَ فرقّعنَ الـكُوَى بالمحاجرِ

للعلوى وقال العلوى :

عيَّرتْنى بِشيْبِ رأْسى نوارُ * يا ابْنةَ العمِّ ليس فى الشيْبِ عارُ
١٠ إنمـا العارُ فى الفِرار منَ الزّحْـ * ـفِ إذا قيل أيْنَ أيْنَ الفِرارُ

لابن عبد ربه ومن قولنا فى الشيب :

بدا وضحُ المشيبِ على عِذارى * وهل ليـل يكونُ بلا نهـارِ
شريْتُ سواد ذا بِبياضِ هٰذا * فبدّلتُ العِمـــامة بالِخمارِ
وألبسَنى النُّهى ثوباً جـديداً * وجرّدنِى مِنَ الثّوب المعارِ
١٥ وما بِعْتُ الهوى بيْعاً بشرطٍ * ولا آستثْنيْتُ فيهِ بالِخيـــارِ

ومن قولنا فيه :

قالوا شـبابُك قد ولّى فقلتُ لهم * هل من جديدٍ على كرِّ الجديدَيْنِ
صِلْ مَنْ هويْتَ وإن أبدى مُعاتبةً * فأطيبُ العيْشِ وصْلٌ بين إلْفيْنِ
واقطعْ حبائلَ خِـدْنٍ لا تُلائِمُهُ * فرُبمـا ضاقتِ الدُّنيا على آثنيْنِ

٢٠ ومن قولنا فيه :

جار المشيبُ على رأسى فغـــيّره * لمـا رأى عندنا الُحكامَ قد جاروا
كأنمـا جُنّ ليـلٌ فى مفارِقِهِ * فاعتاقهُ من بياضِ الصُّبحِ إسفارُ

ومن قولنا فيه :

سوادُ المرء تُنفدُه الليالى • وإن كانت تصيرُ إلى نَفادِ
فأسودُهُ يعودُ إلى بياضٍ • وأبيضُهُ يعودُ إلى سوادِ

ومن قولنا أيضا :

٥ أطلالُ لهوِك قد أقوَت مغانيها • لم يبْقَ من عهدِها إلا أثافيها
هذِى المفارقُ قد قامت شواهِدُها • على فنائكَ والدُّنيا تُزكّيها
الشَّيْبُ سَفتجةٌ فيها مُعنْونةٌ • لم يبق لِلموتِ إلّا أن يُسَجِّيها

ومن قولنا أيضاً :

نجومٌ فى المفارقِ ما تغورُ • ولا يجرى بها فلكٌ يدورُ
١٠ كأنَّ سواد لِمّتِه ظلامٌ • أغار مِنَ المشيبِ عليه نورُ
ألا إنَّ القتيرَ وعيدُ صدقٍ • لنا لو كان يزجرنا القتيرُ
نذيرُ الموتِ أرسلَهُ إلينا • فكذَّبنا بما جاء النَّذِير
وقلنا للنُّفوسِ لعلَّ عُمْراً • يطولُ بنا وأطولُه قصيرُ
متى كذَبتْ مواعدُها وخانتْ • فأوَّلُها وآخِرُها غُرورُ
١٥ لقد كاد السُّلُوُّ يُميتُ شوقى • ولكن قلَّما فُطم الكبيرُ
كأنى لم أرُق بل لمُ يَرقْنى • شُموسٌ فى الأكلّة أو بُدورُ
ولم ألقَ المُنى فى ظِلّ لهوٍ • بِأقمارٍ سحائبُها السُّتورُ

ولآخر :

والشَّيب تَنْغيص الصِّبا • فاقض اللبانة فى الشباب

٢٠ وقال ابن عباس : الدنيا الصحة والشباب .

ولبعضهم :

فى كل يوم أرى بيضاء قد طلعت • كأنما طلعت فى ناظر البصر
لئن قصصتكِ بالمقراض عن نَظَرى • لما قصصتك عن همّى ولا فكرى .

ولابن المعتز :

جاء المشيب فما تعست به ، ومضى الشباب فما بكاى عليه

وقال أيضاً :

ماذا تريدين من جهلى وقد غبرت ، سِنُو شبابى وهذا الشيب قد وَخطا

أُرقع الشعرة البيضاء ملتقطا ، فيصبح الشيب للسوداء ملتقطا

٥

وسوف لا شك يُعيينى فأتركه ، فطالما أُعمِل المقراض والمُشُطا

الشباب والصحة

لابن العلاء

قال أبو عمرو بن العلاء : ما بكتِ العربُ شيئاً ما بكت على الشباب وما بلغتْ به ما يستحقه .

للأصمعى

١٠

وقال الأصمعى : أحسن أنماط الشعر المراثى والبكاء على الشباب :

وقيل لكثيِّر عزة : مالك لا تقول الشعر ؟ قال : ذهب الشباب فما أطرب ، ومات عبد العزيز فما أرغب .

لابن عباس

وقال عبد الله بن عباس : الدنيا العافية ، والشباب الصحة .

الوراق

وقال محمود الورّاق :

١٥

أليس عجيباً بأن الفتى ، يُصاب ببعض الذى فى يديه

فمِن بينِ باكٍ له مُوجَعٍ ، وبين مُعزٍّ مُغِــذٍّ إليه

ويسلبُه الشيب شرخَ الشباب ، فليس يُعــزِّيه خلق عليه

لابن أبى حازم

وقال ابن أبى حازم :

ولّى الشّباب فخلِّ الدمعَ ينهملُ ، فقْدُ الشباب بفقد الروح متصلُ

٢٠

لا تُكذَبَنّ فما الدنيا بأجمعها ، من الشباب بيومٍ واحد بَدل

لجرير

وقال جرير :

ولّى الشباب حميــدةً أيامُه ، لو كان ذلك يُشترى أو يرجع

صريع الغوانى

وقال صريع الغوانى :

واهاً لأيّام الصِّبا وزمانِه * لو كان أسعفَ بالمُقام قليلا

سَل عيش دهرٍ قد مضت أيامُه * هل يستطيع إلى الرجوع سبيلا

الحسن بن هانئ

وقال الحسن بن هانئ :

٥ وأرانى إذ ذاك فى طاعة الجهـــل وفوقى من الصِّبا إمْراء

تِرْبَ عيشٍ لرَيْطَتِي فضْل ذيلٍ * ولرأسى ذُؤابَةٌ فَـــرْعاء

بقِناع من الشباب جديدٍ * لم ترقِّعه بالخضاب النساء

قبل أن يلبَس المشيب عِذارىّ * وتَبـــلى عمامتى السوداء

لأعرابى

وقال أعرابى :

١٠ لله أيام الشباب وعصرُه * لا يُستعار جديدُه فيُعارُ

ما كان أقصر ليله ونهاره * وكذاك أيام السرور قِصار

لابن عبد ربه

ومن قولنا فى الشباب :

ولّى الشباب وكنتَ تسكنُ ظلَّه * فانظر لنفسك أىَّ ظل تَسكنُ

ونَهى المشيب عن الصِّبا لو أنه * يُدلِى بحجّته إلى مَن يَلقَنُ

١٥ ومن قولنا فيه :

قالوا شبابُك قد مضتْ أيامُه * بالعيش قلتُ وقد مضت أيامى

لله أيةُ نعمةٍ كان الصبا * لو أنهـا وُصلتْ بطول دوامِ

حَسَرَ المشيب قناعه عن وجهه * وصحا العواذل بعد طول مَلام

فكأنّ ذاك العيش ظلُّ غَمامَة * وكأنّ ذاك اللهو طيفُ مَنام

٢٠ ومن قولنا فيه :

ولو شئت راهنت الصبابة والهوى * وأجريت فى اللذات من مئتين

وأسبلت من ثوب الشباب، وللصبا * علىَّ رداء مُعْـــلَم الطرفين

لبعض الشعراء

وقال آخر :

إنّ شرخ الشباب والشَّعر الأسـود ما لم يُعاصَ كان جنونًا

وقال آخر :

قالت عهدْتُك مجنوناً فقلت لها ۞ إن الشباب جُنون بُرؤه الكِبَرُ

لابن عبد ربه

٥ ومن قولنا فى الشباب :

كنتُ إلفَ الصبا فودّعَنى ۞ وَداعَ مَن بانَ غير مُنصرِفِ

أيامَ لهوى كظلّ إسْحِلة ۞ وإذ شبابى كروضة أُنُف

ومن قولنا فى الشباب :

شبابى كيف صرتَ إلى نَفاد ۞ وبُدّلتُ البياضَ من السوادِ

١٠ وما أبقى الحوادث منك إلا ۞ كما أبقت من القمر الدّءادى

فراقُك عرّف الأحزان قلبى ۞ وفرّق بين جَفْنى والرُّقاد

فيا لِنعيم عيشٍ قد تَولّى ۞ ويا لِغليل حُزن مُستفاد

كأنّى منك لم أرْبَع برَبْع ۞ ولم أرْتَدْ به أحلى مَراد

سَقى ذاكَ الثَّرَى وبْلُ الثُّريّا ۞ وغادَى نَبْته صوبُ الغوادى

١٥ فكم لى من غليلٍ فيه خافٍ ۞ وكم لى من عويل فيه بادى

زمانٌ كان فيه الرُّشد غَيًّا ۞ وكان الغَىُّ فيه من الرَّشاد

يُقبّلنى بِدَلّ من قَبولٍ ۞ ويُسعدنى بوصْلٍ من سُعاد

وأجْنُبُه فيُعطينى قِياداً ۞ ويَجْنُبُنى فأُعطيه قِيادى

الخضاب

للنبى صلى الله عليه وسلم

٢٠ قال النبى صلى الله عليه وسلم : غيّروا هذا الشَّيبَ . وجنبوه السواد .

وكان أبو بكر يخضب بالحناء والكَتم .

وقال مالك بن أسماء بن خارجة لجاريته : قومى اخضِبى رأسى ولحيتى . فقالت :

دعنى ، قد عييتُ ممـا أرقّعك . فقال مالك بن أسماء :

عيَّرْتنى خَلَقاً أبليتِ جدّتَهُ ٭ وهل رأيتِ جديداً لم يَعُدْ خَلَقا

معاوية وأبو الأسود

ودخل أبو الأسود الدؤلى على معاوية وقد خَضب ؛ فقال : لقد أصبحت يا أبا الأسود جميلاً ؛ فلو علّقت تميمة . فأنشأ أبو الأسود يقول :

٥ أفنى الشباب الذى فارقتُ بهجتَه ٭ مَرُّ الجَديدينِ من آتٍ ومُنطلِقِ

لم يُبقيا لىَ من طولِ اختلافِهما ٭ شيئاً يُخاف عليه لذْعةُ الحَدَق

وذكر عن الأصمعى قال : بلغنى عن بعض العرب فصاحة ، فأتيته فوجدته يخضب ، فقال : يابن أخى ، ما الذى أقصدك إلىّ ؟ قلت : الاستئناس بك والاستماع من حديثك . قال : يابن أخى ، قصدتنى وأنا أخضب ، والخضاب ١٠ من مقدمات الضعف ، ولطالمـا فزّعت الوحوش ، وقدت الجيوش ، ورويت السيف ، وقريت الضيف ، وحميت الجار ، وأبيت العار ، وشربت الراح ، وجالست الملاح ، وعاديت القروم ، وعلوت الخصوم ؛ واليوم يا بن أخى الكبر وضعف البصر تركا من بعد الصّفو الكدر . وأنشأ يقول :

شيب نُعلّله كيما نُسَرُّ به ٭ كهيئة الثوب مطويًّا على خِرق

١٥ فكنت كالغصن يرتاح الفؤاد به ٭ فصرت عوداً بلا ماء ولا ورق

صبراً على الدهر إن الدهر ذوغِيَرٍ ٭ وأهله منه بين الصفو والرَّنق

معاوية وابن جعفر

ودخل معاوية على ابن جعفر يعوده ؛ فوجده مُفيقاً وعنده جارية فى حجرها عود ؛ فقال : ما هذا يابن جعفر ؟ فقال : هذه جارية أرويهـا رقيق الشّعر فتزيده حُسناً بحُسن نغمتها . قال : فلتقل . فحركت عودها وغنت ! وكان ٢٠ معاوية قد خضب :

أليس عندكَ شكرٌ للتى جَعلتْ ٭ ما ابيضَّ من قادِمات الرِّيش كالحُمَمِ

وجدَّدتْ منك ما قد كان أخْلَقَهُ ٭ ريْبُ الزمان وصرف الدهر والقِدم

فحرّك معاوية رجله ؛ فقال له ابن جعفر : لِمَ حرّكت رجلك يا أمير المؤمنين ؟ قال : كل كريم طروب .

للوراق

وقال محمود الوراق فى الخضاب :

للضيفِ أن يُقرَى ويُعرَفَ حقُّهُ * والشيْبُ ضيفُكَ فاْقرِهِ بخضابِ
وافَى بأكذبِ شاهدٍ ولربّما * وافَى المَشيبُ بشاهدٍ كذّاب
فافسخ شهادتَه عليكَ بخَضْبِه * تَنفِ الظنونَ به عن المُرتاب
فإذا دَنا وقتُ المشيبِ فخلّهِ * والشيبَ يذهبُ فيه كلَّ ذَهاب

لبعض الشعراء

وقال آخر :

وقائلةٍ تقول : وقد رأتْنى * أُرَقِّعُ عارِضَىَّ من القَتيرِ
عليكَ الخِطْرَ علّك أن تُدنّى * إلى بيضٍ ترائبُهن حُور
فقلت لها المشيبُ نذيرُ عمرى * ولستُ مسوِّداً وجهَ النذير

وقال غيره :

إنّ شيئاً صلاحُه بخضاب * لَعذابٌ موكّلٌ بعذاب
فوحقِّ الشبابِ لولا هوى البيـ * ـضِ وأن تَشمئِزّ نفسُ الكَعاب
لأرحْتُ الخدّين مِن وَضَرِ الخِطْـ * ـرِ وآذنتَ بانقضاءِ الشباب

وقال غيره :

بكَرتْ تُحسِّنُ لى سَوادَ خِضابى * لكأنّ ذاك يُعيدُنى لشبابى
وإذا أديمُ الوجه أخلقَه البِلى * لم يُنتفَعْ فيه بحُسْنِ خضاب
ماذا ترى يُجدِى عليك سوادُه * وخِلافُ ما يُرضيكَ تحت ثيابى
ما الشيْبُ عندى والخِضابُ لواصِفٍ * إلا كشمسٍ جُلّلتْ بسَحاب
تَخفَى قليلاً ثم يَقشعُها الصَّبا * فيصيرُ ما سُتِرتْ به لِذَهاب

لابن عبد ربه

ومن قولنا فى هذا المعنى :

أصَمَّ فى الغَوايةِ أمْ أنابا * وشيْبُ الرأسِ قد أنضَى الشّبابا

إذا نَصَلَ الخضابُ بكى عليه ۞ ويضحكُ كلما وصل[1] الخضابا
كأنّ حمامةً بيضاءَ ظلّتْ ۞ تُقاتِلُ فى مفارِقه غُرابا

فضيلة الشيب

النبى صلى الله عليه وسلم

قال النبى صلى الله عليه وسلم : مَن شابَ شيْبةً فى الإسلامِ كانت له نوراً يومَ القيامة .

وقال ابن أبى شيبة : نهى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عن نَتْفِ الشيْبِ وقال : هو نورُ المؤمِنِ .

لبعضهم

وقالوا : أول من رأى الشيبَ إبراهيمُ خليلُ الرحمن ، فقال : يا ربِّ ، ماهذا ؟ قال له : هذا الوَقارُ . قال : رَبِّ زِدْنِى وَقاراً .

لأبى نواس

وقال أبو نُوَاس :

يقولون فى الشَّيْب الوَقارُ لأهلِهِ ۞ وشَيْبى بحمْدِ الله غيرُ وَقارِ

لبعض الشعراء

وقال غيره :

يقولون هل بَعد الثّلاثين مَلْعبُ ۞ فقلتُ وهل قبل الثّلاثين ملعبُ
لقد جَلَّ قدرُ الشَّيْب إن كان كلما ۞ بَدتْ شَيْبة يَعْرَى من اللّهو مَركَبُ

أبو دلف والمأمون

دخل أبو دُلَف على المأمون ، وعنده جارية [له] ، وقد ترك الخضاب أبو دلف ، فغمز المأمون الجارية ، فقالت له : شِبْت أبا دلف ، إنا لله وإنا إليه راجعون لا عليك ! فسكت أبو دلف ، فقال له المأمون : أجبها أبا دلف . فأطرق ساعة ، ثم رفع رأسه . فقال :

تهزّأتْ أنْ رأت شيْبى فقلت لها ۞ لا تهزئى مَن يَطُل عُمْرٌ به يَشِبِ
شَيْبُ الرِّجال لهم زيْنٌ ومكرُمةٌ ۞ وشيْبُكُنّ لكُنّ الويْلُ فاكتئِبى
فينا لكُنّ وإن شيْبٌ بدا أرَبٌ ۞ وليس فيكنّ بعد الشَّيْبِ من أرَبِ

(١) فى بعض الأصول : « نصل » .

للوراق

وقال محمود الوراق :

وعائبٍ عابنى بشَيْبٍ * لمْ يَعْدُ لمّا ألَمّ وقتَهْ

فقلت للعَائبى بشَيْبى * ياعائبَ الشَّيْبِ لا بَلَغْتَهْ

أنشدنى أبو عبد الله الإسكندرانى، معلم الإخوة :

ومما زاد فى طول اكتئابى * طلائع شيبتين ألمّتا بِى

فأما شيبة ففزعت منها * إلى المقراض من حب التصابى

وأما شيبة فعفوت عنها * لتشهد بالبراء من الخضاب !

لابن مناذر

وقال محمد بن مناذر :

لا سلامٌ على الشّباب ولا حيّا الإلهُ الشّبابَ من معهودِ

قد لبستُ الجديد من كلّ شىء * فوَجدْتُ الشّباب شرّ جديدِ

صاحبٌ مايزال يدعو إلى العيْب وماَمن دعا له برشيدِ

ولنِعْم المُنيبُ والوازِعُ الشّيْبُ ونعم المُفادُ للمستفيدِ

كبرت السنّ

لأعرابى

قيل لأعرابى قد أخذته كَبرة السن : كيف أصبحت ؟ فقال : أصبحت تُقيِّدنى الشعرة وأعْثُر بالبعرة ؛ قد أقام الدهر صَعَرى بعد أن أقمت صَعَرَه .

لبعضهم

وقال آخر : لقد كنت أُنكِر البيضاء ، فصرت أُنكر السوداء ، فياخير مبدول ويا شرّ بدَلٍ .

معاوية والمستوغر

ودخل المستوغر بن ربيعة على معاوية بن أبى سفيان وهو ابن ثلثمائة سنة ؛ فقال : كيف تجدك يامستوغر ؟ فقال : أجدنى يا أمير المؤمنين قد لان منى ماكنت أحب أن يشتد ، واشتد منى ماكنت أحب أن يلين ، وابيض منى ماكنت أحب أن يسود ، واسود منى ماكنت أحب أن يبيض . ثم أنشأ يقول :

سَلْنى أُنَبِّئْك بآيات الكِبَرْ * نومُ العشاءِ وسُعالٌ بالسَّحرْ

وقلّةُ النّوم إذا الليل اعتكرْ * وقلة الطُّعْم إذا الزّادُ حضرْ

وسرعةُ الطرْف وتَخْميجُ النظرْ ٭ وترْكُكَ الحسناء فى قُبْل الطهُرْ
والناسُ يَبْلوْن كما يَبْلى الشَّجرْ

لأعرابى

وقال أعرابى :

أشكو إليك وجَعاً بركْبتى ٭ وهَدَجاناً لم يكن فى مِشيتى
٥ كهدجانِ الرَّألِ خَلْف الهيْقَت

لبعض الشعراء

وقال آخر :

وللكبير رثيات أربعُ ٭ الرُّكبتانِ والنَّساوالأخدَعُ

لجرير

وقال جرير :

تحنُّ العِظامُ الرَّاجفاتُ من البِلى ٭ وليس لداءِ الركْبتيْن طبيب

لأعرابى فى امرأة

١٠ وقال أعرابى فى امرأة :

يا بِكْر حوّاء من الأولاد ٭ وأقدم العالَمِ فى البلاد
عُمْرُك ممدودٌ إلى التّنادِ ٭ فحدّثينا بحديث عادِ
ومُبْتدا فِرعوْن ذى الأوتادِ ٭ وكيف جاء السيْلُ بالأطوادِ

وقال آخر :

١٥ إذا عاش الفتَى سبعين عاماً ٭ فقد ذَهَب المَسرّة والفتاء

نصر بن دهمان

كان فى غطفان نصر بن دُهمان ؛ قاد غطفان وسادها حتى خَرِف وعُمِّر تسعين ومائة سنة ، حتى اسود شعره ونبتت أضراسه وعاد شابا ؛ فلا يعرف فى العرب أعجوبة مثله .

لابن مناذر

وقال محمد بن مُناذر فى رجل من المُعمَّرين :

٢٠ إنّ مُعاذَ بن مُسلِمٍ رجُل ٭ قد ضَجّ من طولِ عُمْرِه الأبدُ
قد شاب رأسُ الزمان واكتَهل الدهــر وأثوابُ عُمْره جُددُ
يا نَسرَ لقمانَ كم تعيش وكم ٭ تَسْحب ذيْلَ الحياةِ يا لبدُ
قد أصبحَت دار آدم خَرِبت ٭ وأنت فيها كأنك الوتِدُ

تَسْـــأَلُ غِرْبانَها إذا حَجَلتْ ٭ كيف يكون الصُّداع والرمَدْ

عبد الملك والشعبي

ودخل الشعبي على عبد الملك بن مروان ، فوجده قد كبا مُهتما ، فقال : ما بال أمير المؤمنين ؟ قال : يا شعبي ؛ ذكرتُ قول زهير :

كأنى وقد جاوزتُ سبعين حِجّةً ٭ خلعتُ بها عنى عِذار لجامى

رمَتْنى بناتُ الدهرِ من حيث لا أرى ٭ فكيف بمَنْ يُرمَى وليس برامِ ٥

فــلو أننى أُرمَى بنَبْلٍ رأيتُها ٭ ولكننى أُرمَى بغيْرِ سِهـــامِ

على الراحتَين تارة وعلى العَصا ٭ أنُوءُ ثلاثاً بَعدهنّ قِيـــامى

قال له الشعبي : ليس كذلك يا أمير المؤمنين ، ولكن كما قال لبيد بن ربيعة ، وقد بلغ سبعين سنة :

كأنى وقد جاوزتُ سبعين حِجّةً ٭ خلعتُ بها عن مَنكِبىّ رِدائيا ١٠

فلما بلغ سبعاً وسبعين سنة قال :

باتتْ تَشكى إلىّ النفْسُ مُجْهِشةً ٭ وقد حمَلْتُك سبعاً بعد سبعينا

فإنْ تُزادِى ثلاثاً تَبْلُغى أمَلاً ٭ وفى الثلاثِ وفاءٌ للثمانينـا

فلما بلغ مائة سنة قال :

ولقد سئِمْتُ من الحياة وطولِها ٭ وسؤالِ هذا الخلقِ كيْف لبِيدُ ١٥

فلما بلغ مائة سنة وعشراً قال :

أليس فى مائة قد عاشَها رجُلٌ ٭ وفى تكامُل عشْرٍ بعدها عُمُرُ

فلما بلغ ثلاثين ومائة وقد حضرته الوفاة قال :

تمنى ابْنتاىَ أن يعيش أبوهما ٭ وهل أنا إلّا من ربيعةَ أو مُضَرْ

فقوما فقولا بالذى تعلَمـــانِه ٭ ولا تَخْمِشا وجهاً ولا تَحْلِقا شعَرْ ٢٠

وقولا هو المرء الذى لاصديقَهُ ٭ أضاع ولا خان الخليلَ ولا غَدَرْ

إلى الحوْلِ ثم اسمُ السلامِ عليكما ٭ ومن يَبْكِ حوْلاً كاملاً فقد اعتذرْ

قال الشعبي : فلقد رأيت السرور فى وجه عبد الملك طمعاً أن يعيشها .

لبيد

وقال لبيد أيضاً :

أليس ورائى إن تراخت مَنِيَّتى ٭ لُزوم العَصا تُحنَى عليها الأصابعُ
أُخَبِّرُ أخبار القرونِ التى مضت ٭ أدُبُّ كأنى كلما قمتُ راكعُ
فأصبحتُ مثل السيْف أخلَق جَفْنَه ٭ تقادُمُ عهد القين[1] والنَّصل قاطعُ

في الزبور

٥ ويقال : مكتوب فى الزبور : من بلغ السبعين اشتكى من غير علة .

للنبطى

وقال محمد بن حسان النبطى : لا تسأل نفسك العام ما أعطتْك فى العام الماضى .

وقال معاوية لما أسنّ : ما مِنْ شىء كنت أستلذه وأنا شاب فأجدُه اليوم كما أجده ، إلا اللبَن والحديث الحسَن .

لضرار

عاش ضرار بن عمر حتى وُلدَ له ثلاثة عشر ذكرا ، فقال : من سرّه بنوه

١٠ ساءته نفسه .

لابن أبى فنن

وقال ابن أبى فَنَنٍ :

مَن عاشَ أخلقتِ الأيامُ جِدَّتَهُ ٭ وخانَه ثِقَتــاه السمعُ والبصر
قالت عَهِدْتُكَ مجنوناً فقلتُ لها ٭ إنّ الشبابَ جنونٌ بُرْؤه الكِبَر

لأبى عبيدة

قال أبو عبيدة : قيل لشيخ : ما بقى منك ؟ قال : يَسبقنى مَن أمامى ،

١٥ ويُدْركنى مَن خلفى ، وأذْكُرُ القديم ، وأنْسى الحديث ، وأنْعَس فى الملاء ، وأسهَر فى الخلا ، وإذا قمتُ قرُبَتِ الأرض منى ، وإذا قعدتُ تباعدتْ عنى .

لحميد

وقال حُميد بن ثور الهلالى :

أرى بصرى قد رابنى بعد صِحَّةٍ ٭ وحسبُك داءً أنْ تَصحّ وتَسْلَما

لبعض الشعراء

وقال آخر :

٢٠ كانت قَناتى لا تَلينُ لغامزٍ ٭ فألانَها الإصباحُ والإمساءُ
ودعوتُ ربى بالسلامةِ جاهِداً ٭ لِيُصِحّنى فإذا السلامة داءُ

(١) فى بعض الأصول : « الجفن » .

لأبى العتاهية وقال أبو العتاهية ، ويروى للقطامى :

* أسْرعَ فى نقْصِ آمرئٍ تمامُه *

وقالت الحكماء [1] : مازاد شئٌ إلا نقصَ ، ولا قام إلا شَخَص .

لبعض المحدثين وقال بعض المحدثين :

ألست ترى أن الزمان طوانى * وبدَّل عقلى كله وبرانى
تَحَيَّفَنى عضواً فعضواً فلم يدعْ * سوى اسمى صحيحاً وحدهُ ولسانى
ولو كانت الأسماء يدخُلُها البِلَى * إذاً بَلِىَ اسمى لامتدادِ زمانى
وما لِىَ لا أَبْلَى لسبعين حِجَّةً * وسبعٍ أتتْ من دونِها سَنَتان
إذا عنَّ لى شئٌ تخيَّلَ دونَه * شبيهُ ضَبابٍ أوْ شبيهُ دُخان

للغزال وقال الغزّال :

أصبحت والله محموداً على أمَدٍ * من الحياةِ قصيرٍ غيرِ ممتدِّ
حتى بقيتُ بحمدِ الله فى خلَفٍ * كأنى بينهم من وحشةٍ وحدى
وما أُفارِقُ يوماً مَن أُفارِقُه * إلا حَسِبْتُ فِراقى آخِرَ العهد

لبعض الشعراء وقال آخر :

يا مَن لشيخٍ قد تخدَّدَ لَحْمُه * أفْنى ثلاثَ عمائمٍ ألوانا
سوداءَ حالِكةً وسَحْقَ مُفوَّفٍ * وأجدَّ لوناً بعد ذاك هِجانا
قصَرَ الليالى خطوَهُ فتدانىٰ * وحَنَيْنَ قائمَ صُلْبِه فتحانى
صَحِبَ الزمانَ على اختلافِ فنونِه * فأراه منه شِدَّةً ولَيانا
والموتُ يأتى بعدَ ذلك كلِّه * وكأنما يعنى بذاك سِوانا

وقال سفيان الثورى فى مدح كبره :

إنى وإن كان مسَّنى كِبَرٌ * على ما قد ترين من كِبَرى
أعرف من قبل أن تفارقنى * موقعَ سهمى والسهم فى الوتر

(١) فى بعض الأصول : « الخنساء » .

من صحب من ليس من نظرائه لخصال فيه

حارثة الغدانى وزياد

كان حارثة بن بدر الغُدانى فارسَ بنى تميم ، وكان شاعراً أديباً ظريفا ، وكان يُعاقر الشراب ويَصْحَب زيادا ، فقيل لزياد : إنك تَصْحَب هذا الرجل وليس من شاكلتك . إنه يُعاقر الشراب . فقال : كيف لا أصحبه ولم أسأله عن شيء قط إلا وجدتُ عنده منه علما ، ولا مَشَى أمامى فاضطرنى أن أُنادِيَهُ ، ولا مشى خلفى فاضطرنى أن ألتفتَ إليه ، ولا راكبنى فمسَّت ركبتى ركبتُه . فلما هلك زياد قال فيه حارثة بن بدر :

أبا المُغيرةِ والدنيا مغرِّرةٌ * وإنّ من غَرّتِ الدنيا لمغرورُ

قد كان عندك للمعروفِ معرفة * وكان عندك للتنكير تنكير

لو خلَّدَ الخيرُ والإسلامُ ذا قدمٍ * إذاً لخلَّدكَ الإسلامُ والخيرُ

وتمام هذه الأبيات قد وقعت فى الكتاب الذى أفردناه للمراثى .

وكان زياد لايداعَب أحدٌ فى مجلسه ولا يُضحَك ، فاختصم إليه بنو راسب وبنو الطفاوة فى غلام أثبته هؤلاء وهؤلاء ، فتحيّر زياد فى الحكم ، فقال له حارثة ابن بدر : عندى أكرم الله الأمير فى هذا الغلام أمر ، إن أذن لى الأمير تكلمت به فيه . قال : وما عندك فيه ؟ قال : أرى أن يُلقى فى دجلة ، فإن رسب فهو لبنى راسب ، وإن طفا فهو لبنى الطفاوة ! فتبسم زياد وأخذ نعليه ودخل ، ثم خرج فقال لحارثة : ماحملك على الدعابة فى مجلسى ؟ قال : طيبةٌ حضرتنى ، أصلح الله الأمير خِفت أن تفوتنى ، قال : لا تَعُد إلى مثلها .

ابن زياد وحارثة وأبو الأسود

ولما ولى عبيد الله بن زياد بعد موت أبيه ، اَطّرح حارثةَ بن بدر وجفاه ، فقال له حارثة : مالك لا تنزلنى المنزلة التى كان ينزلنى أبوك ؟ أتدّعى أنك أفضل منه أو أعقل ؟ قال له : إنّ أبى كان برَع فى الفضل بروعا لا تضره صحبةُ مثلك . وأنا حَدَث أخشى أن تُحرقنى بنارك ؛ فإن شئت فاترك الشراب وتكون أولَ داخلٍ وآخرَ خارجٍ . قال : والله ماتركته لله فكيف أتركه لك ؟ قال :

فتخير بلدا أُوَلِّيكَهُ . فاختار سُرَّقَ من أرض العراق ، فولاه إياها . فكتب إليه أبو الأسود الدؤلى وكان صديقا له :

أَحارِ بن بدرٍ قد وليت ولايةً ✻ فكن جُرَذًا فيها تخونُ وتسرقُ

وباهِ تميماً بالغنى ، إنَّ للغنَى ✻ لساناً به المرءُ الهيوبةُ ينطِقُ

وما الناسُ إلّا اثنانِ إما مُكذِّبٌ ✻ يقولُ بما يَهوَى وإمّا مُصدِّقُ ٥

يقولون أقوالاً ولا يُحْكِمونها ✻ فإن قيل يوما حقِّقُوا لم يُحقِّقُوا

فدعْ عنكَ ماقالوا ولا تكترث بهم ✻ فحظُّكَ من مالِ العراقيْنِ سُرَّقُ

فوقّع فى أسفل كتابه : لا بعُدَ عليك الرشد .

ابن الوليد البجلى وابن بيض

وكان ابن الوليد البجلى ، وهو ابن أخت خالد بن عبد الله القسرى ، ولى أصبهان ، وكان رجلا متسمِّتا متصلحا ، فقدم عليه حمزة بن بيض بن عوف فى ١٠ صحبته ، فقيل له : إن حمزة لا يصحب مثلك ؛ لأنه صاحب كلاب ولهو . فبعث إليه ثلاثة آلاف درهم وأمره بالانصراف . فقال فيه :

يا بن الوليدِ المُرتجى سيْبُه ✻ ومن يُجلِّى الحدثَ الحالِكا

سبيلُ معروفِكَ منِّى على ✻ بالٍ فما بالى على بالِكا

حشْوُ قميصى شاعِرٌ مُفْلِقٌ ✻ والجودُ أمَى حشوَ سِرْبالِكا ١٥

يلومُكَ النّاسُ على صُحْبتِى ✻ والمِسكُ قد يستصحِبُ الرّامِكا

إن كنتَ لا تصحَبُ إلا فتًى ✻ مثلَكَ لن تُؤتَى بأمثالِكا

هبْنِى أمرءاً جئتُ أُريدُ الهُدى ✻ فجُدْ على جهلِى بإسلامِكا

قال له : صدقت ! وقرّبه وحسُنت عنده منزلته .

عبد الرحمن بن الحكم وبعض ندمائه

وكان عبد الرحمن بن الحكم الأمير قد عتب على ندمائه ، فأمر نصرا الفتى ٢٠ بإسقاطهم من ديوان عطائه ولم يستبدل بهم ؛ فلما كان بعد أيام استوحش لهم ، فقال لنصر : قد استوحشنا لأصحابنا أولئك ! فقال له نصر : قد نالهم من سخط الأمير ما فيه أدبٌ لهم ؛ فإن رأى أن يرسلَ فيهم أرسلتُ . قال : أَرْسِلْ . فأقبل

القوم وعليهم كآبة السخط ، فأخذوا مجالسهم ولم ينشرحوا ولا خاضوا فيما كانوا يخوضون فيه ، فقال الأمير لنصر : ما يمنع هؤلاء من الانشراح ؟ قال : عليهم أبقى الله الأمير وجْمة السخط الذى نالهم ، قال قل لهم : قد عفونا فلينشرحوا . قال : فقام عبد الرحمن بن الشمر الشاعر المتنجم ، فجثا بين يديه ، ثم أنشده شعراً له أقذع فيه على بعض أصحابه إلا أنه ختمه ببيتين بديمين ، وهما :

فيارحمة الله فى خَلقِـهِ * ومَن جودُهُ أبدًا يَسكبُ
لئِن عِفتَ صُحْبَةَ أهلِ الذُّنوبِ * لقلَّ منَ الناسِ مَنْ تصحبُ

للنابغة

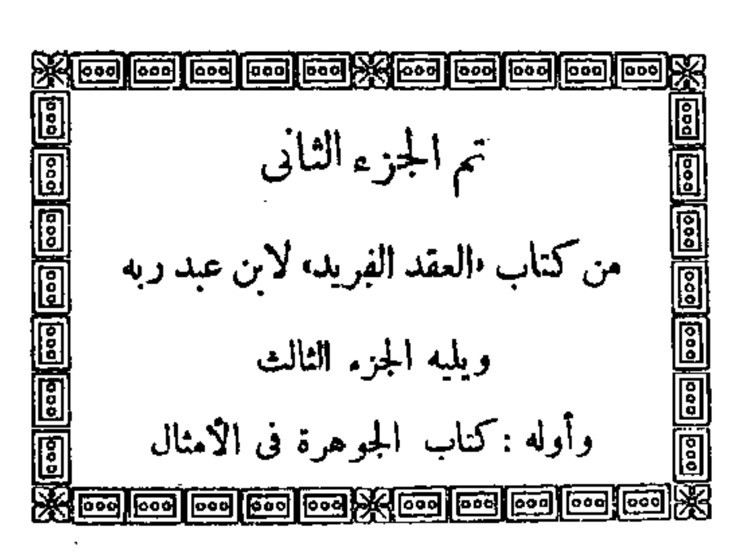
وأحسن ما قيل فى هذا المعنى قول النابغة :

ولستُ بِمُسْتَبْقٍ أخًا لا تَلُمُّهُ * على شعَثٍ أىُّ الرِّجال المُهذَّبُ ؟

قولهم فى القرآن

المريسى وأبو يحيى

كتب المريسىّ إلى أبى يحيى منصور بن محمد : اكتب : القرآن خالق أو مخلوق؟ فكتب إليه : عافانا الله وإياك من كل فتنة ، وجعلنا وإياك من أهل السنة ، وممن لايرغب بنفسه عن الجماعة ، فإنه إن تفعل فأعظِمْ بها مِنَّة ، وإن لا تفعل فهى الهلكة ، ونحن نقول : إن الكلام فى القرآن بدعة ، يتكلف المُجيب ماليس عليه ، ويتعاطى السائل ما ليس له ، وما نعلم خالقا إلا الله ، وما سوى الله فمخلوق ؛ والقرآن كلام الله ، فانته بنفسك إلى أسمائه التى سماه الله بها فتكون من المهتدين ، ولا تُسَمِّ القرآن باسمٍ من عندك فتكون من الضالِّين . جعلنا الله وإياك من الذين يَخْشَوْنَ ربهم بالغيب وهم من الساعة مُشْفِقونَ .

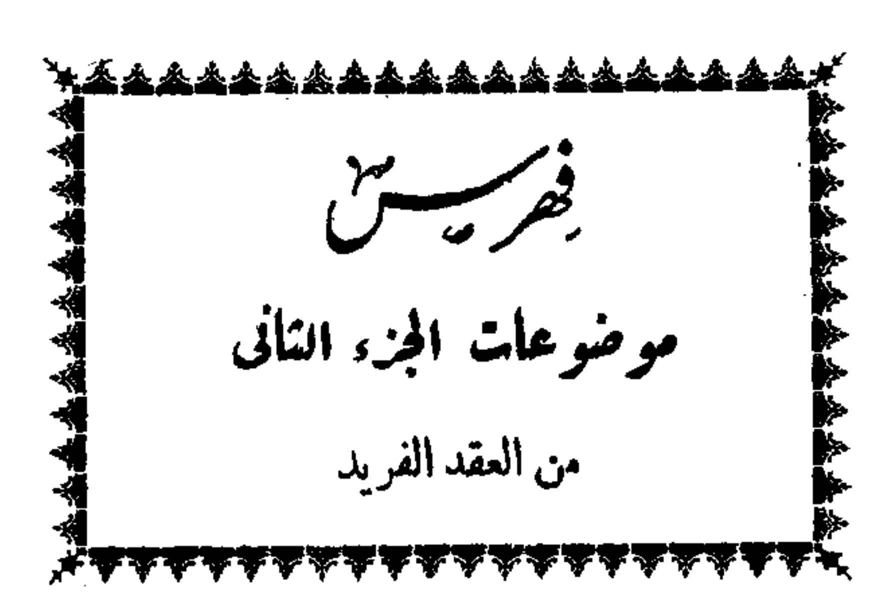


تم الجزء الثانى

من كتاب «العقد الفريد» لابن عبد ربه

ويليه الجزء الثالث

وأوله : كتاب الجوهرة فى الأمثال



فهرس

موضوعات الجزء الثانى

من العقد الفريد

تمّ الفهرس